

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190674

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية تراجم

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب النوني

السفر الثامن

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

فهرست

السفر الثامن

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

- ١ ذكر نبذة من كلام القاضى الفاضل محيى الدين أبى على عبد الرحيم البيسانى
ذكر شىء من رسائل الإمام الفاضل ضياء الدين أبى العباس أحمد بن
أبى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المتعم الأنصارى
القرطبى ٥١
- ١٠١ ذكر شىء من إنشاء المولى القاضى الفاضل محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر
ذكر شىء من إنشاء المولى الماجد علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن
محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ١٢٦
- ١٤٩ ذكر شىء من إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد الحميد ايمانى
ذكر شىء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب ١٦٣
- ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به ويحتاج الكاتب الى معرفته والأطلاع
عليه الحجة البالغة والأجوبة الدامغة ١٦٦
- هفوات الأجماد وكبوات الجياد ١٧٥
- ذكر شىء من الحكم ١٨١
- ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل ١٨٩
- ذكر كتابة الديوان وفلم التصرف وما يتصل بذلك ١٩١
- ذكر اشتقاق تسمية الديوان ولم سمى ديوانا ومن سماه بذلك ١٩٥
- ذكر ما تفرع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات ١٩٥

١٩٦		في الإسلام...
١٩٨		وأما دواوين الأموال
٢٠٠		ذكر ما يحتاج اليه كاتب الجيش
٢١٣		وأما مباشرة الخزانة...
٢١٧		وأما مباشر بيت المال...
٢١٩		وأما مباشر أهراء الغلال
٢٢١		ذكر مباشرة البيوت السلطانية : — فيحتاج مباشر الخوايج خاناه الى أمور...
٢٢٤		وأما الشراب خاناه
٢٢٥		وأما الطشت خاناه
٢٢٦		وأما الفراش خاناه
٢٢٧		وأما السلاح خاناه
٢٢٨		ذكر جهات أموال الهلالى ووجوهها وما يحتاج اليه مباشروها
٢٣٤		ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمة وما ورد فيها من الأحكام الشرعية الخ : — أما الأحكام الشرعية
٢٤١		وأما ما اصطلح عليه كتاب التصرف فى زماننا هذا من استخراجها وموضع إيرادها فى حساباتهم
٢٤١		وأما نسبتها فى الإقطاعات الجشية
٢٤٢		وأما ما يلزم مباشر الجوالى وما يحتاج الى عمله
٢٤٥		ذكر جهات الخراجى وأنواعه وما يحتاج اليه مباشرة
٢٤٦		أما الديار المصرية وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها الخ
٢٥٥		وأما جهات الخراجى بالشام وكيفيةها وما يعتمد عليه مباشروها
٢٦١		ومن أبواب الخراجى الخ

...	وأما ما يشترك فيه الهلالي والخراجي ويختلف باختلاف أحواله :	٢٦٢
...	أما المراعى	٢٦٢
...	وأما المصايد	٢٦٢
...	وأما الأحكار	٢٦٤
...	وأما أقصاف السكر ومعاصرها : - قاعدتها الكلية التي لا تكاد تختلف	٢٦٤
...	في الديار المصرية	٢٦٤
...	ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل ..	٢٦٧
...	وأما أقصاف الشام	٢٧١
...	ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها : - تعليق اليومية	٢٧٣
...	ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم : - فأما الختم...	٢٧٥
...	وأما التوالى : - توالى الغلال	٢٧٦
...	ولهم أيضا توالى يسمنونها توالى الارتفاع	٢٧٧
...	ولهم أيضا توالى الاعتصار	٢٧٨
...	وأما الأعمال	٢٧٨
...	فأما أعمال الغلال والتقاوى	٢٧٨
...	وأما عمل الاعتصار	٢٧٨
...	وأما عمل المبيع	٢٨٠
...	وأما عمل المبتاع	٢٨١
...	وأما عمل الجوالى	٢٨١
...	وأما عمل الخدم والجنابات والتأدييات	٢٨٢
...	وأما السياقات	٢٨٢
...	فأما سياقة الأسرى والمعتقلين	٢٨٣
...	وأما سياقة الكراع	٢٨٣
...	وأما سياقة العلوفات	٢٨٤

صفحة	
٢٨٤	وأما سياقات الأصناف والزردخانه والعدد والآلات والخزائن والبيمارستانات
٢٨٥	وأما الارتفاع
٢٨٧	ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم
٢٨٧	ومن وجوه المضاف الغربية الخ
٢٩٠	وأما الحواصل المدومة المساقاة بالأقلام
٢٩٢	وان انفصل الكاتب أثناء السنة الخ
	ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — : محاسبة أرباب النقود الجيشية
٢٩٣	والمكيلات الخ
٢٩٤	ومنها محاسبات أرباب الأجر والاستعمالات
٢٩٤	ومما يلزم الكاتب رفعه ضريبة أصول الأموال ومضافاتها الخ
٢٩٦	ويلزمه رفع المؤامرات
٢٩٦	ويلزمه رفع ضريبة ما يستأدى من الحقوق
٢٩٧	ومما يلزمه رفعه في كل سنة تقدير الارتفاع
٢٩٧	ويلزمه في كل ثلاث سنين رفع الكشف الجيشية
٢٩٧	وأما المقترحات
	ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم
	وما يسترنعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله — : أما المشتد
٢٩٨	أو المتوتى
٢٩٩	وأما الناظر على ذلك
٣٠٠	وأما صاحب الديوان
٣٠٠	وأما مقابل الاستيفاء
٣٠١	وأما المستوفى
٣٠٤	وأما المشارف
٣٠٤	وأما الشاهد
٣٠٤	وأما العامل

بيان

ليس لدينا من نسخ هذا الجزء غير نسخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ، وهي المشار إليها في بعض حواشي هذا الجزء بحرف (أ) ، وقطعتين من نسختين آخرين أخذتا بالتصوير الشمسي وحُفظتا بدار الكتب المصرية: إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة)؛ وهي المشار إليها في بعض حواشي الجزء بحرف (ب) وتنتهى فى السطر التاسع من صفحة ٦٩ من هذا الجزء؛ وقد نبهنا الى موضع انتهائها فى حواشيه ، والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة)، وهي المشار إليها فى بعض الحواشى بحرف (ج) وتبتدئ من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهى فى السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهائها فى الحواشى أيضا .

وليس التحريف فى هاتين القطعتين بأقل منه فى النسخة الأولى ، فإن التحريف فى جميع هذه الأصول يكاد يكون متفقا ، كما يتبين ذلك مما كتبناه فى بعض الحواشى إذ نقول : « فى كلا الأصلين » أو « فى كلتا النسختين كذا » وهو تحريف « أو » تصحيف .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع فى إصلاح المحرف والمصحف من كلماته ، وتكميل الناقص من جملته ، وتحقيق أعلامه وضبطها ، وضبط الملتبس من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وإيضاح الغامض من عباراته ، ونرح ما أشكل من أبياته ونسبتها الى قائلها ، وشرح ما فيه من أسماء البلاد والأمكنة ، والتنبيه على ما فى هذا الجزء — ولا سيما فى كتابة الديوان — من الكلمات العامية ، والألفاظ الاصطلاحية التى لم ترد فى لدينا من كتب اللغة ، وبيان المراد منها ؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هذه الكلمات جريا على مصطلح كُتَّاب الدواوين في استعمالها ؛ كما أننا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف في هذا الباب (أى كُتَّابة الديوان) من مخالقات لغوية في صيغ الجمع وتعدية الأفعال، كأن يعدَّى الفعل بنفسه ومقتضى اللغة أن يتعدَّى بالحرف ، أو العكس ، أو أن يعدِّيه بحرف واللغة تقتضى تعديته بحرف آخر؛ وغير ذلك مما استعمله المؤلف متبعا فيه اصطلاح كُتَّاب الدواوين في ذلك العهد ولم نجده في كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ ولم نغير بعض هذه الاستعمالات ، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لعلنا أنها ترد كثيرا في عبارات كُتَّاب الدواوين ، وأولنا ما استطاع تأويله منها .

أما الصعوبات التى صادفناها في تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجد صفحة من أصوله التى بين أيدينا خالية من عدّة كلمات وعبارات محرفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل ، وبحث غير قليل ، وتحفُّظ من الخطأ ، وحسن اختيار المحو والإثبات ، وتفهم لما يقتضيه السياق من المعانى والأغراض ، ومعرفة بأساليب الكُتَّاب ومصطلحاتهم فى كل عصر ، ليكون المحو والإثبات تابعين لما تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها ، ومكان الفائدة منها ، لئلا يضع الزمن فى البحث عنها وتصفّح حملتها .

أما طريقتنا فى التصحيح فقد تكأ تكأ نقف بالكلمة المحرفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما استطاع حملها عليه من المعانى ، ونقلبها على ماتحمله من الوجوه ، ونقرأ مادة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة ، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانها ، فإذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلبنا حروفها بين التحوير والتغيير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والزيادة ،

والإعجام والإهمال ، حتى يستقيم المعنى و يظهر الغرض ، منبهين في الحواشى على ما كان في الأصل من حروف هذا اللفظ ووجه اختيار غيره وإثباته مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجزء في عهد المدير الحازم ، والمربّي الفاضل ، الأستاذ "محمد أسعد براده بك" مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله وبذلته من العناية الصادقة بهذه الكتب ، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القويمة ، والآراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثنى الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ "السيد محمد البلاوى" مراقب إحياء الآداب العربيّة على حسن معاونته بما لديه من المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها ، والبحوث ومطائنها . ونسأل الله سبحانه حسن المعونة والتوفيق في العمل .

مصّححه

أحمد الزين

أسماء أهم الكتب والمصادر التي رجعنا إليها في تصحيح هذا الجزء

وهي مرتبة على حروف المعجم ومبين فيها ما هو مطبوع في غير مصر وما هو مخطوط
أو مأخوذ بالتصوير الشمسي ، ورقه في دار الكتب المصرية

أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزنخشرى .

الأغانى، لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهاني .

إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، وهو معجم الأدباء لأبى عبد الله ياقوت
الرومى الحموى .

أعيان العصر وأعوان النصر ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المأخوذ
منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١
تاريخ .

الأمالى، لأبى على القالى .

الإرشاد الشافى على متن الكافى فى العروض والقوافى ، وهو الحاشية الكبرى
للسيد محمد الدمنهورى .

أقرب الموارد فى فصّح العربية والشوارد ، لسعيد الخورى الشرتونى اللبّانى .

إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب
القسطلانى .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف
القفطى ، طبع أوربا .

الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردي
طبع أوربا ومصر .

الأوائل ، لأبي هلال العسكري، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .

الأطعمة المعتادة، المأخوذ منه بالتصوير الشمسي نسخة محفوظة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية؛ ولم يُعلم مؤلفه .

بدائع الزهور في وقائع الدهور، المشهور بتاريخ مصر، لمحمد بن أحمد المعروف
بأبي إياس المصري .

تاريخ العيني ، المسمى بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للمافظ بدر الدين
محمود، المعروف بالعيني المأخوذ منه بالتصوير الشمسي نسخة محفوظة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

تاج العروس، وهو شرح القاموس، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني
الواسطي الزبيدي .

تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي .
التذكرة الصفدية، لصالح الدين خليل بن أليك الصفدي، المحفوظ منها بدار
الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .

تاريخ أبي الفداء ، وهو المختصر في أخبار البشر، للملك المؤيد أبي الفداء ،
المعروف بصاحب حماة .

تاريخ ابن الأثير، وهو المسمى بالكامل، لعز الدين علي بن أبي الكرم المعروف
بأبي الأثير الجزري، طبع ليدن .

تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبع أوربا .

تمام المتون شرح رسالة آبن زيدون ، لصالح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، طبع بغداد .

التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيى المعروف بابن الجيعان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

الجامع لديوان الأدب ، فى اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى .

حاشية الخضرى ، على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

حاشية الصبآن ، على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير، فى الفقه ، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى .

خريدة القصر وخريدة أهل العصر ، للوزير أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى الرجاء الكاتب الأصبهانى . وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج ، ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى .

الخراج ، لأبى يوسف يعقوب صاحب الإمام أبى حنيفة .

خطط المقرئى ، وهو المسمى بالمواعظ والأعتبار فى ذكر الخطط والآثار .

ديوان الشريف الرضى .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة ، لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى .

ديوان أبي الطيّب المتنبي .

دائرة المعارف ، للبستاني .

درة الغواص في أوهام الخواص ، تأليف أبي محمد القاسم بن علي الحريري .

الروضتين في أخبار الدولتين ، لشهاب الدين أبي شامة المقدسي .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للسيد محمود بن عبد الله

الألوسي البغدادى .

زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي اسحاق ابراهيم بن علي المعروف بالحصري

القيروانى .

سقط الزند ، لأبي العلاء المعري .

سيرة ابن هشام ، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحريري .

سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون ، لجمال الدين أبي بكر محمد بن محمد

المعروف بابن نباتة المصري .

شرح التنوير على سقط الزند ، لأبي يعقوب يوسف بن طاهر النحوى .

شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف

بالخطيب التبريزي ؛ وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٥٠٠ أدب ش .

شرح حماسة أبي تمام ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي .

شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي ، وهو المسمى بالتبيان لأبي البقاء عبد الله بن

الحسين المعروف بالعكبرى .

شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، لشهاب الدين الخفاجي .

شرح كافية ابن الحاجب في النحو ، لرضي الدين محمد بن الحسن الإسترابادي النحوي .

صبح الأعشى في كتابة الإنشاء ، لشهاب الدين القلقشندي .
صحيح البخاري .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لكامل الدين أبي الفضل الإدقوي .

طبقات الشعراء ، تأليف أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري ، طبع أوربا .
الطبقات الكبرى ، لأبي عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي طبع أوربا .
عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري .
العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي .

الفاضل من كلام القاضي الفاضل ، اختيار جمال الدين أبي بكر المعروف بابن نباتة المصري ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس ، لمجد الدين الفيروزابادي .
قوانين الدواوين ، للأستاذ بن ممتي .
لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقي المصري .
لزوم ما لا يلزم ، لأبي العلاء المعري .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله العمري القرشي ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغنى اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصاري .

ملخص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لأبي المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى وهذا الكتاب محفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي .

المغرب في ترتيب المغرب، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .

المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبهسي .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح عبد الرحيم العباسي .

معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، طبع أوربا .

المعرب والدخيل ، للشيخ مصطفى المدني، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .

المعرب من الكلام الأعجمي ، لأبي منصور موهوب المشهور بالحواليقي ، طبع أوربا .

معجم البلدان، لياقوت، طبع أوربا .

مقدمة ابن خلدون .

المعجم الفارسي الإنجليزى، تأليف ستاين جاس .

مفاتيح العلوم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، طبع أوربا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني .

المختص، في اللغة، لأبي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده .
مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بابن البيطار .

نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، للأمير أبي المحاسن جمال الدين المعروف بابن تفرى بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلكان .

يتمية الدهر في شعراء أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

الأستاذ محي الدين

أبى على عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف [أبى المجد على] ^(١) بن الحسين بن الحسين ^(٢)
 ابن أحمد الفهمى الكاتب المعروف باليسانى — رحمه الله تعالى — إليه انتهت
 صناعة الإنشاء ووقف، وبفضله أقرت أبناء البيان واعترفت، ومن بحر عليه
 رويت ذوا الفضائل واعترفت، وأمام فضله ألفت البلاغة عصاها، وبين يديه ^(٣)
 استقرت بها نواها، فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره، وناشر ألوية
 الفضل في مصره وغير مصره، ورافع علم البيان لا محالة، والفاصل بغير إطالة؛
 وقد أنصف بعض الكتاب فيه، ونطق من تفضيله بملء فيه؛ حيث قال :

(١) التكملة عن كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسى ج ٢ ص ٢٤٢ طبع
 مطبعة وادى النيل . و (ب) : «أبى الحسين» بدل «أبى المجد» . وفي وفیات الأعيان ترجمة القاضي
 الفاضل زيادة في هذا السب لم ترد في الأصل ولا في الروضتين ؛ وهذا نص عبارته : « ابن القاضي
 الأشرف بهاء الدين أبى المجد على أبى القاضي السعيد أبى محمد محمد بن الحسين » الخ . وكذلك ورد نسب
 القاضي الفاضل مشتملا على هذه الزيادة في عقد الجمان للعيني المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى مخفوفة
 بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) في (١) : « أبى » ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير بهاتين العبارتين إلى قول معقرب بن حمار البارقى ؛ وقيل : الطرماح بن حكيم :

فألفت عصاها واستقرت بها النوى كما قسرت عينا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى» .

كُلُّ فَاضِلٍ بَعْدَ الْفَاضِلِ فَضْلُهُ، وَكُلُّ قَدْ عَرَفَ لَهُ فَضْلُهُ، وَاسْتَقِفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ كَلَامِهِ عَلَى السَّحَرِ الْحَلَالِ، فَتُرَوَّى صَدَاكَ مِنْ أَلْفَاظِهِ بِالْعَذْبِ الزُّلَالِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَاقِينَا قَلْعَةَ نَجِيمٍ^(١) [وَهِيَ نَجْمٌ^(٢)] فِي سَحَابٍ، وَعُقَابٌ فِي عِقَابٍ^(٣)، وَهَامَةٌ لَهَا الْغَامَةُ عِمَامَةٍ، وَأَتَمَلَّةٌ إِذَا خَصَبَهَا الْأَصِيلُ كَانَ الْهَلَالُ لَهَا قُلَامَةً^(٤)».

ومن رسائله ما كتب به إلى النظام أمير حلب: «ورد كتاب المجلس السامي - حرس الله به نظام المجد^(٢) [وأطلق فيه لسان الحمد]، ودامت مساعي مصالحة ليد السعد، وأحسن له التدبير في اليومين: مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ - فرحبا بمقدّمه، وأهلا بمنجمه؛ والشوق تختلف وفودُ صُروفه، وتتنوع صنوفُ ضيوفه؛ فلا بد أن تتبعض إذا تبعضت المسافات، وتبرد وتحمّد إذا عبّدت ودت الطُّرقات؛ ولو بمقدار ما يدنو اللقاء على الرسول السائر، بالكتاب الصادر، والخيال الزائر، بالحبيب العاذر، والنسيم الخاطر، من رسائل الخواطر؛ وقد وجدتُ عندى أنسا لا أعهدُه؛ وعددتُ نقصَ البُعيدِ أحدَ اللقاءين، كما كنتُ أعدُّ زيادةَ البُعيدِ أحدَ التّأينين؛ فزاده الله من القلوب

(١) كذا وردت هذه العبارة في (١)، (ب)؛ والذي في كتاب الروضتين ح ١ ص ٢٣٩ «والشيخ الفقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما في سحاب» الخ والشّيخ الفقيه هو زين الدين بن نجار الواعظ؛ والقلمة التي وصفها، هي قلعة حصص، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا. وفي وفيات الأعيان ح ١ ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب.

(٢) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أثبتناها عن (ب).

(٣) العقاب بكسر العين: المراق الصعبة من الجبال، مفردة عقدة بفتح العين والقاف.

(٤) في الروضتين: «مها».

(٥) في الأصل: «فقود»؛ وهو تحريف.

(٦) عبّدت: ذللت ومهدت. وفي كلا الأصلين: «عبّدت»؛ وهو غير مستقيم؛ ولعل صواب ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام.

حُظُوهُ، ولا أخلاه من بسِطِ يَدٍ وقَدِيمٍ في حَظٍّ وحُظُوهُ؛ ووقفتُ على هذا الكتابِ المشارِ إليه وما وقفتُ عنه لسانا شاكرًا، ولا صرفتُ عنه طَرْفًا ناظرًا، وبلغتُ من ذلك جَهْدِي وإن كان قاصِرًا، واستفرغتُ له خاطري وما أعدّه اليوم خاطرًا؛ ومما أُسَرِّبه أن يكون في الخدمة السلطانية — أعلاها الله ورفَّعها، ووصلها ولا قطعها، وآلف عليها القلوبَ وجمَّعها، واستجاب فيها الأدعية وسمعها — من يكثرُ قليلًا، ويشفي في تقبيل الأرض غليلًا، فإن تقبيلَ سيدنا كَتَقْبِيلٍ؛ فلو شرب صديقٌ وأنا عطشانٌ لأرواني، ولو آستضاء بلمعة في الشرق وأنا في الغرب لأراني؛ كما أن الصديق إذا مسَّته نعمةٌ وجب عنها شكرى، وإذا وصلت إليه يدٌ معم وصلتنى وتغللت إلى ولو كنت في قبري .

ومنها : وأعود إلى جواب الكتاب، الأخبار لا تزال غامضةً إلى أن يشرحها، ومقفلةً إلى أن يفتحها؛ بخلاف حالى مع الناس، فإن القلوب لا تزال سالمةً إلا أن يجرحها، والهموم خفيفة إلا أن يرتجحها؛ والحق من جهته ما تحقق، وما استنطق بشكرٍ من أنطق؛ وفي الخواطر في هذا الوقت موجودٌ يجعلها [في] العدم، ويُخرجها من الألم إلى الألم، ويعادى بين الألسنة والأسماع وبين العيون والقلم، وكلما قلت الحيلة المشكوكُ في نجحها، فتحَّ الله باب الحيلة المطموح في فتحها؛ وهى من فضل الله سبحانه والاستجارة بالاستخاره، فتلك تجارة رابحةٌ وكلُّ تجارةٍ لا تخلو من خساره؛ والله تعالى يجمع كلمة المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [بنيه] حلى زماننا، وشنوف إيماننا، ويُسعدنا من أكابرهم بتيجان رؤسنا، ومن أصاغيرهم بنجواتم إيماننا؛

(١) أراد بالحظوة هنا : التفصيل أو الخط من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .

(٢) كذا في (ب) .

(٣) الألم بالتحريك : الجنون .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها من مسالك الأبصار .

ولو تفرغت العزمة الفلانية لهذا الكلب العدو فترجم كلبه ، وتكف غربه ، وتذيقه وبال أمره ، وتطفئ شرار شره ، وتعمل له عاقبة خسره ؛ فقد غاظ المسلمين وعصمهم ، وفلَّ جوعهم وقصمهم ؛ وما وجد من يكفى فيه ويكفئه ، ويشفى الغليل^(١) منه بما يشفئه ؛ ولو جعل السلطان — عز نصره — غزو هذا الطاغية مغزاه ، وبلاده مستقر عسكره ومثواه ، لأخذ الله الكافر بطغواه ؛ ولأبقى ذكرا ، وأجرى في الصحيفة أجرا ؛ ولأطفا الحقد^(٢) الواصل ، بالحديد البارد ، وغنم المغنم البارد ، وسدد الله ذلك العزم الصادر ، والسهم الصادر ؛ فلا بد أن يجرى سيدنا هذا الذكر ، ولو لمأ احتسبه أنا من الأجر ؛ وما أورده المجلس عن فلان من صفو شره ، وأمن سره ؛ واستقراره تحت الظل الظليل السلطاني — جعله الله ساكنا ، وأحلّه منه حرما آمنا — ومن معاياته في نفسه وولده وجماعته ، وأهل ولائه وولايته ، فقد شكرت له هذه البشرى ، وفرحت^(٣) بما يسر الله ذلك المولى له من اليسرى ؛ غير أنى أريد أن أسمع أخباره منه لا عنه وبمباشرة لا باستنابته ، فلا عرفت مودته من المودات الكسالى ، ولا أعلامه إلا بلبس السواد — على أنها مسرورة ساوّة لا تكالى ؛ وإذا قنع صديقه منه بفريضة حجة ، لا تؤدّى إلا في ساعة حويله ، فإن يخجل بها ذلك الكريم فقد اتحلّ الاسم الآخر — أعاده الله منه ، وصرف عنه لفظه كما صرف معناه عنه ؛ وللودّة عين لا يكملها إذا رمدت إلا إمداد الصديق ، وما في الصبر وسع لصحبة أيام العقوق بعد صحبة أيام العقيق ؛ وقد بلغنى أن ولد المذكور نزع وترعرع ، ونفع

(١) يشفه : يحزنه . (٢) المغزى : المقصد . (٣) الصادر من السهام : الباعد .

(٤) كذا في كلا الأصلين بالنون والزاى ؛ ولعله من قولهم : رعى فلان إلى أبيه ينزع بكسر الراء

في المضارع ، أى ذهب إليه وأشبهه . أو هو من قولهم : نزع إلى عرق كريم . أولعله : « برع » بالياء .
الموحدة والراء المهملة .

وأنيق، وخَدَمَ في المجلس السلطاني، فسررت بأن تَجَمَّع في خدمته الأعقابُ والذَّرائِرُ؛
والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعاً، ولا يُعِدُّنا من يديها سحاباً ولا من جنايها
ربيعاً؛ وقد فتح سيِّدُنَا باباً من الأُنسِ ونَهَجَه، وأَوْثُرُ الْآيُرُنَجَه؛ بمكاتباته التي
يُدُّ فيها بيضاء، ويُدُّ الأيامَ عندى خضراء؛ بحيث لا يستوفى على الحساب؛ في كل
جواب؛ وأنا في هذه الأحوالِ أَوْثُرُ الْعُرْلَةِ وأبدأ فيها بلساني وقلمي، وأتوَّجَّى أن
أشبه حالةَ وجودي بعدمي؛ فإنِّي أرى مَنْ تَحْتَهَا أَرْوَحُ مَنْ فَوْقَهَا، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهَا
أَحْطَى مَنْ أَقَامَ بِهَا؛ وللوداتِ مَقَرُّ ما هو إلا الأُلْسَنُ، والقلوبُ قِضَاءٌ لا تَحْتَاجُ
إلى يَنْتَه .

وكتب [جواباً] ^(١) أيضاً إلى آخروهو: وقفتُ على كتابِ الحضرة — يَسِّرَ اللهُ مَطالِبَهَا
وجَمَلَ عَوَاقِبَهَا، وصَفَى مِنَ الْأَكْدارِ مَشارِبَهَا، وحَاطَ مِنْ غَيْرِ الْأيَّامِ جِوانِبَهَا، ووسَّعَ
في الخيراتِ سُبُلَهَا ومَذاهِبَهَا؛ ووقاها ووقى وَلَدَهَا، وأَسْعَدَهَا وأَسْعَدَ يَوْمَهَا وَغَدَهَا؛
وجَمَعَ الشَّمْلَ بِها قَريباً، وأَحْدَثَ لَهَا في كُلِّ حادِثَةٍ صُنْعاً غَريباً — مَنْ يَدُ الحِضْرَةِ
الْفَلانِيَّةِ — لا عَدَمْتُ يَدَهَا وَمَدَّهَا، وأَدَامَ اللهُ سَعْدَهَا — وشَكَرْتُ اللهُ عَلَى [ما] ^(٢) دَلَّ عَلَيْهِ
هَذَا الْكِتَابُ مِنْ سَلامَةِ حَوزَتِها، ودَوَامِ نَعْمَتِها؛ وَسُبُوغِ كَفَايَتِها؛ وَسألْتُهُ سَبْحانَهُ
أَنْ يُصَحِّحَ جِسْمَهَا، وَيُمِيطَ هَمِّي وَهَمَّها؛ فَهُما هِمانَ لا يَتَعَلَّقانِ إِلَّا بِخِدمةِ المَخْدومِ —
أَجارَنا اللهُ فِيهِ مِنْ كُلِّ هَمٍّ، وَأَجَرَى بِتَخْصِيصِهِ السَّعْدَ الْأَعْمَ، وَاللَّطْفَ الْأَتَمَّ —
وعَرَفْتُ ما أَنْعَمْتُ بِذِكْرِهِ مِنَ الْمُتَجَدِّداتِ بِحَضْرَتِهِ، وَمِنْ الْأُمُورِ الدَّالَّةِ عَلَى سَعادَتِهِ
وَقُوَّتِهِ؛ وَلِلْأُمُورِ أَوائِلَ وَأَوانِرَ، ومُوارِدُ ومُصادِرُ؛ فَسأَلْتُ اللهُ سَبْحانَهُ أَنْ يَجْعَلَ

(١) لم ترد هذه الكلمة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٢) في (١) : «على دل» بدون «ما»؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما في (ب) .

(٣) حوزة الرجل : ما في حيزه .

العواقب لكم، والمصادر إليكم، والنعمة عندكم، والنصرة خاصةً بسلطانكم، والكفاية مكتنفةً بجماعتكم^(١)، وقد قاربت الأمور بمشيئة الله أن تُسْفَرَ وجوهها، والخواطر أن يستروح مشدوها^(٢)، "إن الله لذو فضل على الناس" وفي كل أقدار الله الخيرة، وفي حكمته أنه جعل الخيرة محبوبةً تحت أستار الأقدار؛ وقد علم الله تقسّم فكرى لما هى عليه من المشقات المحمولة بالقلب والجسد، والأمر الحاضرة في اليوم والمستقبل في غد؛ وهى في جانب الخير، والخير يعم الوكيل لصاحبه، ومن أصلح جانبه مع الله كان الله جديرا بإصلاح جانبه .

ومنه : وعليه السلام الطيب الذى لو مرّ بالبهيم لأشرق ، أو بالهشيم لآورق ؛ وكتبها الكريمة إن تأخرت فأموله ، وإن وصلت فمقبوله ؛ وإن أنابت بسار فشهوره . وإن أنابت بشر فستوره ؛ وخادمها فلان يخدم مجلسها خدمة الخادم لمخدومه ، ويكرّر التسليم على وجهه الكريم المحفوف من كل قلب بحبه ، ومن كل سلام بتسليمه .

وكتب أيضا : وصل كتاب الحضرة - وصل الله أيامها بحميد العواقب ، وبلوغ المآرب ، وصحبت الدهر [على خير ما صحبه صاحب^(٣)] ، وأنهضنا بواجب طاعته ، فإنه بالحقيقة الواجب - وكل واجب غيره واجب - من يد فلان ، فرجوت أن يكون طليعةً للاقتراب ، ومبشرا بالإياب ، ونخيرا بعودها الذى هو كعود الشباب لو يعود الشباب ؛ وأعلمنى من سلامة جسمها ، وقلبها من ههنا ؛ ما شكرت الله عليه ، وأسندمت العادة الجميلة منه ، وسألته أن يوزعها شكر النعمة فيه ؛ وعرفت الأحوال جملةً من كتابها ، وكلها

﴿١١٣﴾

(١) كذا في الأصول . ولم يفت فيما لدينا من كتب اللغة على أن « اكتف » يتعدى بالحرف ؛ ولعله مضمن معنى الإحاطة ، فعذاه بالياء ؛ أو لعله : « بجماعتكم » باللام .

(٢) المشدوه : المدهوش .

(٣) الكلمة عن (ب-) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٣ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٤) يوزعها : يلمها .

تَشْهَدُ بِتَوْفِيقِ سُلْطَانِنَا، وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي تُعَوِّدُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ بِإِصْلَاحِ شَانِهِ وَشَانِنَا؛ وَالَّذِي
مَدَّهُ ظِلًّا، يَمُدُّهُ فَضْلًا؛ فَالْفَضْلُ الَّذِي فِي يَدَيْهِ، فِي يَدِ خَلْقِ اللَّهِ الَّذِي أَحْلَمَ فِي الرِّزْقِ
عَلَيْهِ؛ فَكَيْفَمَا دَعَوْنَا لَهُ دَعَوْنَا لَأَنْفُسِنَا، وَكَيْفَمَا كَانَتْ أَسَنَةُ رِمَاحِهِ فَهِيَ نَجُومُ حَرِسِنَا،
فَلَا عَدَمَتْ أَيَّامُهُ الَّتِي هِيَ أَيَّامُ أَعْيَادِنَا، وَلَا لَيَالِيهِ الَّتِي هِيَ لَيَالِي أَعْرَاسِنَا .

ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيامَ المجلس وصفاها من
الأكدار، وأبقى بها من تأثيراته أحسن الآثار، وأسع منه وعنه أطيب الأخبار
وجعل التوفيق مقيا حيث أقام، وسائرا أينما سار — كتابه الكريم، الصادر عن
القلب السليم، والطبع الكريم، والباطن الذي هو كالظاهر كلاهما المستقيم؛ ولا تزال
الأخبار عنا محججه، والأحاديث مستعججه؛ والظنون مترجحه، والأقوال مسقمة^(١)
ومصححه؛ إلى أن يرد كتابه فيحقق الحق ويبطل الباطل، ويتضح الحالى ويفتضح^(٢)
العاقل؛ ويعرف الفرق ما بين تحوير قائل، وتحوير ناقل؛ فتدعوله الألسنة والقلوب
وتستغفر بحسناته الأيام من الذنوب؛ والشجاعة شجاعتان: شجاعة في القلب وشجاعة
في اللسان؛ وكلتاها لديه مجموع، ومنه وعنه مروى ومسموع؛ وذخائر الملوك هم
الرجال، وآراء الحزماء هي النصال، ومودات القلوب هي الأموال، ومجالس آرائهم
هي المعركة الأولى التي هي ربما أغنت عن معارك القتال؛ والله تعالى يمد المسلمين
به حال تجمعهم على جهاد الكفار، ويُلهمهم أن يسيّدوا في سبيله النفس والسيف
والدهر والدينار؛ ويزيل ما في طريق المصالح من الموانع، ويفطم السيوف عن
الدماء الإسلامية ويحرّم عليها المراضع؛ ويعمل للمجلس في ذلك اليد العليا، والطريقة
المثلى، ويجمع له بين خيري الآخرة والأولى؛ والأحوال هاهنا بمصر مع بعد سلطانها

(١) الترجمة: المنذبة .

(٢) في الأصلين: «قائل»؛ وهو تحريف .

وَمَادِي غَيْبَتِهِ عَنْ مَبَاشَرَةِ شَانِهَا ؛ عَلَى مَا لَمْ يُشْهَدْ مِثْلُهُ فِي أَوْقَاتِ السَّكُونِ فَكَيْفَ فِي أَوْقَاتِ الْقَلْق ، عَلَى مَنْ يَحْفَظُ اللَّهَ بِهِ مَنْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْجُمُوعِ وَمَنْ فِي الطَّرَاقِ مِنَ الرُّقَى ؛ وَالْأَمِيرُ الْوَلَدُ صَحِيحٌ فِي جَسَمِهِ وَعِزِّهِ ، مُتَصَرِّفٌ فِي مَصَالِحِهِ عَلَى عَادَتِهِ وَرِسْمِهِ ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ نَعَمَ الْخَلْفَ الْمَسْعُودَ ، وَأَمْتَعَهُ بَظِلِّ الْمَجْلِسِ الْمُدَوَّدِ ، فِي الْعَمْرِ الْمُدَوَّدِ ؛ وَعَرَفَ الْخَادِمُ أَنَّ الْمَجْلِسَ نَابَ عَنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ يَجْلِسُ فُلَانٌ وَيَشْكُرُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنَابِ ، وَيَسْتَرِيدُ مَا يَسْتَأْنِفُهُ مِنَ الْخُطَابِ ؛ وَالْبَيْتُ الْكَرِيمُ أَنَا فِي وِلَايَتِهِ وَخِدْمَتِهِ كَمَا قِيلَ :

إِنِّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالِكَيْدِ الْحَرَى* وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ

يَسِّرَنِي أَنْ يُمِدَّ اللَّهُ ظِلَّهُمْ ، وَأَنْ يَجْمَعَ شَمْلَهُمْ ؛ كَمَا يَسُوءُنِي أَنْ تَخْتَلِفَ آرَاؤُهُمْ وَلَا تَنْتَظِمَ أَهْوَاؤُهُمْ ؛ وَهَذَا الْمَوْلَى يَلْعَنُ أَنَّهُ سَدَّ وَسَادَ ، وَجَدَّ وَجَادَ ، وَخَلَفَ مَنْ سَلَفَ مِنْ كَرَامِ هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ؛ وَأَشْهَرْتُ حَسَنُ رِعَايَتِهِ لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنَ الرِّعَايَا وَدِيْعِهِ ، وَحَسَنُ عِنَايَتِهِ بِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ شَيْعَةٍ ؛ وَإِذَا بَلَغَنِي ذَلِكَ سُرْرْتُ لَهُ وَلِأَبْنَيْهِ وَبَلَدِهِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَمِتْ مِنْ خَلْقِهِ لِإِحْيَاءِ مَجْدِهِ ؛ وَمَنْ أَسْتَعْمَلَهُ بِحَسَنِ فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ حَسَنًا ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ لَهُ مُحْسِنًا ؛ إِنْ اللَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ ، وَأَعْدَلُ الْعَادِلِينَ ؛ وَكُتِبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ يُنْعَمُ بِهَا مَتَى خَفَ أَمْرُهَا ، وَتَيَسَّرَ حُلُّهَا ، وَتَفَرَّغَ وَقْتُهَا ؛ وَالثَّقَةُ حَاصِلَةٌ بِالْحَاصِلِ مِنْ قَلْبِهِ ، وَعَاذَرَةُ وَشَاكِرَةٌ فِي الْمَبْطُئِ (٢) وَالْمُسْرَعِ مِنْ كُتْبِهِ ؛ وَرَأْيُهُ الْمَوْفَّقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكُتِبَ : وَرَدَ كَتَابُ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ — أَحْسَنَ اللَّهُ لَهَا الْمَعُونَةَ ، وَيَسِّرَ لَهَا الْعَوَاقِبَ الْمَأْمُونَةَ ، وَأَنْجَدَهَا عَلَى حَرْبِ الْفِتْنَةِ الْكَافِرَةِ الْمَلْعُونَةِ — بِخَبَرِ خُرُوجِ الْخَارِجِ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « وَمِنْ حَسَنِ » ؛ وَقَوْلُهُ : « مِنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ، إِذْ لَا مَقْتَضَى لَهَا هُنَا .

(٢) فِي (١) : « مِنَ الْمَبْطُئِ » ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي الْفَاءَ ، كَمَا فِي ب ، أَيْ فِي حَالَةِ الْإِطْلَاقِ .

(١١٤)

من قلعة كذا، وما صَرَحَ به من الخوف الذي ملأ الصدور، والاستحثاث في مَسِيرِ
العسكر المنصور، وكلُّ ضَيْقَةٍ ^(١) وردت على القلوب ففزعَتْ فيها إلى ربِّها فرَجَّتْ فَرْجَهُ
وَأَدَّى لَهَا الْيَقِينَ سُرْجَهُ ؛ وَلَمْ تُشْرِكْ مَعَهُ غَيْرَهُ مُسْتَعَانَا ، وَلَمْ تَدْعُ مَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ
إِنْسَانًا ؛ فَمَا الضَّيْقَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُنْذِرَةً لِلْإِبْشِيرَةِ ، وَالْخَطَّةُ وَإِنْ كَانَتْ وَغَرَّةً لِلْإِمْبِيرَةِ ؛
لَا جَرَمَ أَنْ هَذَا الْكُتَّابُ أَعْقَبَهُ وَصُولُ خَبَرِ نَهْضَةِ فُلَانٍ - نَصَرَ اللَّهُ نَهْضَاتِهِ ، وَأَدَّى
عَنْهُ مَقْتَرَضَاتِهِ - فَاسْتَنْهَضَ الْعَسَاكِرَ ، وَقَاتَلَ الْعَدُوَّ الْكَافِرَ ؛ فَفَقَسَ ذَلِكَ الْخُلُقَ ،
وَتَمَاسَكَتِ الْأَرْمَاقُ ؛ وَمَا أَحْسَبَ أَنَّ الْأَمْرَ يَتِمَّادِي مَعَ الْقَوْمِ ، بَلْ أَقُولُ : لَا كَرْبَ
عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْيَوْمِ ؛ تَتَوَافَى بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَلَاءُ الْأَطْرَافِ ، وَيَزُولُ مِنْ نَفْسِ الْعَدُوِّ
وَسَمْعِهِ مَا اسْتَشْعَرَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخِلَافِ ؛ وَيَجْتَمِعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ،
وَيُذِيبُ اللَّهُ بِأَهْلِ دِينِهِ مَا كَانَ [مِنْ فُسَادٍ] ^(٢) أَعْدَانُهُ فِي أَرْضِهِ وَعُلُوِّهِمْ ؛ وَقَدْ شَمِمْنَا
رَائِحَةَ الْمُهْدَنَةِ يَطْلُبُ الرَّسُولُ ، وَبِخَبَرِ هَلَاكِ مَلِكِ الْأَلْمَانِ الَّذِي هُوَ بِسَيْفِ اللَّهِ
مَقْتُولٌ ، وَالْمَوْتُ سَيْفُ اللَّهِ عَلَى الرِّقَابِ مَسْلُولٌ .

ومنها : فَأَمَّا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْقِلَاحِ الَّتِي شَحَنَهَا ، وَالْحَصُونِ الَّتِي حَصَّنَهَا ؛
وَالْأَسْلِحَةِ الَّتِي نَقَلَهَا إِلَيْهَا ، وَالْأَقْوَاتِ الَّتِي مَلَأَهَا عِيُونَ مُقَاتِلَتِهَا وَأَيْدِيهَا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَيْهِ
بِأَنْ يَسِّرَ لَهُذِهِ الطَّاعَةَ ، وَرَزَقَهُ لَهَا الْإِسْطَاعَةَ ؛ فَكَمْ رَزَقَ اللَّهُ عَبْدًا رِزْقًا حَرَمَهُ مِنْهُ
وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ وَصَرَفَهُ عَنْهُ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ وَفَّى قَوْمًا أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَوَقَفَ

(١) الصيقة بكسر الصاد : مثل الصيق (اللسان) .

(٢) عبارة الأصول : « ما كان أعدائه في أرضه » الخ وهي على هذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة
الإعراب ؛ والتكلمة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي

المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٣) في (١) : « تنحها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما في (ب) .

قوماً بموقف مناقشة الحساب ، الذى المصيرُ عنه إلى ما بعده من العذاب ؛ الآن
والله مُلْكُ الْمَلِكِ الْعَادِلُ مَالَهُ الَّذِى أَنْفَقَهُ ، وَأَوْدَعَهُ خَيْرِ مُسْتَوْدَعٍ مِنَ الَّذِى رَزَقَهُ ،
وَشَتَّانَ بَيْنَ الْحَمَمِ : هَمَّةُ مَلِكٍ ذَنَرَ مَالَهُ فِي رُءُوسِ الْقِلَاعِ لِتَحْصِينِ الْأُمُوالِ ، وَهَمَّةُ
مَلِكٍ أَوْدَعَ مَالَهُ فِي أَيْدِي الْمُقَاتِلَةِ لِتَحْصِينِ الْقِلَاعِ

- بنى الرجالَ وغيره بنى القرى * شتَّانَ بين مزارعٍ ورجالٍ
والحمد لله الذى جعل ماله له مسرّه ، يوم يرى الذين يكتزون الذهبَ والفضّةَ
المالَ عليهم حسره ؛ ما أحسب أحداً من هذه الأئمة إن كان عند الله من أهلِ
الشهادات بين يديه ، وإن كان كريم الوفاة لديه ؛ إلا تلقاه شاكرًا لهذا السلطان
شاهدًا بما يؤلى هذه الأئمة من الإحسان ، ”وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ“
سيحصد الزارعون ما زرعوا ، والله يزيده توفيقًا إلى توفيقه ، ويلهم كلَّ مسلم
[القيام] بمقتضى ربه ويعيده من محذور عقوبه ؛ وأنا أعلم أن الحضرة تُفرد لى شطرًا
من [زمانها المهم] ، لكتاب تليقه الى ، وخبر سارٌّ تورده على ؛ وأنا أفرد شطرًا من
زمانى لشكرها ، وأسرُّ والله لها بتوفيق الله فى جميع أمرها ، إن الدّاكر لها بالخير
كثير ، فزاد الله طيب ذكرها ؛ ورأيه الموفق فى أن يُجربنى على كنف العادة ،
و[لا] يقطع عنى هذه المادّة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب : ورد كتاب المجلس السامى — نصر الله عزائمّه ، وأمضى فى رءوس
الأعداء صوارمه ، وشدّه بـ بنیان الإسلام ودعائمّه ، وأستردّه به حقوق الإسلام من

(١) فى (١) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول ، والسياق يقتضى إثباتها إذ لم تقف فيما راجعاه من كتب
اللغة على تعدية ”ألم“ بالباء .

(٣) هذه التكملة لم ترد فى (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) فى (١) : « ويقطع » بسقوط « لا » والسياق يقتضى إثباتها كما فى (ب) .

الكفر ومظالمه ، وأخلف نفقاته في سبيل الله ومغاريه ، وجعلها مغامته — وكان العهد به قد تطاول ، والقلب في المطالبة ما تساهل ، ولحمت أشغاله بالطاعة التي هو فيها وما كل من تشاغل تشاغل ؛ فهتأه الله بما رزقه ، وتقبل في سبيل الله ما أنفقته وعافى الجسم الذى أنضاه في جهاد عدوه وأخلفه ، وقد وفق من أتعب نفسه في طاعة من خلقها ، وجسمًا في طاعة من خلقه ؛ فهذه الأوقات التي أنتم فيها أعراس الأعمار ، وهذه النفقات التي تُجرى على أيديكم مهوور الحور في دار القرار؛ قال الله سبحانه في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ، وأما فلان وما يسره الله له ، وهوئنه عليه ، من بذل نفسه وماله ، وصبره على المشقات واحتماله ، وإقدامه في موقف الحقائق قبل رجاله ؛ فتلك نعمة الله عليه ، وتوفيقه الذى ما كل من طلته وصل اليه ؛ وسواد العجاج في تلك المواقف ، بياض ما سودته الذنوب من الصحائف ” يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا “ فما أسعدت تلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك المرجفات ؛ وقد علم الله سبحانه وتعالى متى ما علم من غيرى من المسلمين من الدعاء الصالح في الليل إذا يغشى ، ومن الذكر الجميل لكم في النهار إذا تجلّى ، والله تعالى يؤيدكم بإيمانكم ، وينصركم وينصر سلطانكم ، ويصلحكم ويصلح زهأنكم ، ويشكر هجرتكم التي لم تؤثروا عليها أهليكم ولا أموالكم ولا أوطانكم ، ويعيدكم إليها سالمين ساليين ، غايمين غاليين ؛ إنه على كل شىء قدير .

وكتب : وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمها ، وسدد سهمها وجعل في الله همها ، ووفر في الخيرات قسمها — مبشرا بالحركة الميمونة السلطانية

إلى العدو خذله الله، ومسير المسلمين — نصرهم الله — تحت أعلامه أعلاها الله؛ ومباشرة العدو واستبشار المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه، ومن إضمار العود إليه؛ وهذه مقدمة لها ما بعدها، وهى وإن كانت نصرة من الله فما نفع بها وحدها فاهمة العالمة [السلطانية] للحرب التى تسلب الأجسام رؤوسها، والسيوف حدها؛ فإن الجنة غالية الثمن، والخطاب بالجهاد متوجه إلى الملك العادل دون ملوك الأرض • وإلا فمن؟ فهذه تُشترى بالمشقات، كما أن الأخرى — أعاذنا الله منها — رخيصة الثمن وتُشترى بالشهوات؛ والحضرة السامية نعم القرين ونعم المعين، وفرض ذى اللهجة المبین، أن يستجيش ذا القوة المتين، وكلمة واحدة في سبيل الله أنمى من ألوف المقاتلة والمئين؛ والله تعالى يوسع إلى الخيرات طرقها، ويطلق بها منطلقها، ويمنع الإخوان بحلقها الكريم فما منهم إلا من يشكر خلقها؛ ورأيها الموفق في إجرأى على العادة ١٠ المشكورة من كُتُبها، وإمطارى من خواطرها، لا عدمت صوب سحبا.

ومن كتاب كتبه الى القاضي محيى الدين بن الزكى : بعد أن

أصدرت هذه الخدمة الى المجلس — لاعدمت عواطفه وعوارفه، ولطائفه ومعارفه؛ وأمتع الله الأمة عموما بفضائله وفواضله، ونفعهم بحاضره كما نفعهم بسلفه الصالح وأوائله، وعادى الله عدوه ودل سهامه على مقاتله — [ورد كتاب^(١) منه فى كذا

وما بقيت أذكر الإغباب، فإن سيدنا يقابله] بميثله، ولا العتاب فإن سيدنا يساجله بأفيض من سحبه؛ ولا ألقي عليه من قولى قولاً ثقيلاً، ولا أقابل به من قوله قولاً جليلاً

(١) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار .

جليلا؛ فقد شَبَّ عمرو عن الطُّوق، وشَرُفَ البُرْأى عن السُّوق؛ وذلك العمرو ما برح
مَعْتَنِكَ^(١) والطُّوق للصَّبِيّ، وذلك البُرْأى حِمَى لا يقدِّم إلا للثَّيِّبِ؛ ومع هذا فلا تُقْلَصُ عَنِّي
هذه الوظيفة، وأَعْتَقِدُهَا مِن قُرْبِ الصَّحِيفَةِ؛ فإنَّكَ تَسْكُنُ بِهَا قَلْبًا أَنْتَ سَاكِنُهُ
وَتَسْرِبُهَا وَجْهًا أَنْتَ عَلَى النُّوَى مَعَايُنُهُ.

وكتب إلى العباد : كانت كَتَبُ المجلس — لا غَيْرَ الله ما به من نِعَمِهِ
ولا قطع عنه مَوَادِّ فَضْلِهِ وَكِرَمِهِ، ولا عَدِمَتْ الدُّنْيَا خَطَّ قَلْبِهِ وَخَطْوَ قَدَمِهِ؛ وأَعَاذَنَا
اللهُ بِنِعْمَةِ وَجُودِهِ مِنْ شِقْوَةِ عَدَمِهِ — تَأَخَّرْتُ وَشَقَّ عَلَى تَأَخُّرِهَا، وَتَغَيَّرْتُ عَلَى
عَوَاتِقِهَا وَاللهُ يَعْبِذُهَا مِمَّا يَغَيِّرُهَا؛ ثم جاءت بيت ابن حجاج :
عاب ما غاب ووافا * نى على ما كنتُ أعهدُ^(٢)

وأَجَبْتُهُ بَيْتَ الرُّضَى :

ومتى تَدُنُ النُّوَى بِهِمْ * يَجِدُوا قَلْبِي كَمَا عَهَدُوا
كِتَابَةً لَا يَنْبَغِي مُلْكُهَا إِلَّا لَخَاطِرِهِ السَّلِيَانِيّ، وَفَيْضٌ لَا يَسْنَدُ إِلَّا عَنْ نُوحٍ قَلْبِهِ^(٣)
(١) في أساس البلاغة مادة «طوق» «جل»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين. وهذا المثل
للخديجة الأبرش في عمرو بن عدى، كما في جمهرة الأمثال.
(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصلين مقرونا بالألف واللام؛ ووجهه أنه نكر عمرا ثم أدخل عليه
حرف التعريف؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصورها

قال في مغنى اللبيب ص ٥٠ مانصه : وقيل : «ال» في التزيد والعمرو للتعريف، وأنهما نكرا ثم أدخلت
عليهما «ال» كما ينكر العلم إذا أضيف، كقوله : «علا زيدنا يوم النفا رأس زيدكم» اهـ.

(٣) يقال : حنكته السن وأحنكته، إذا أحكمته التجارب.

(٤) في (١) : «أعده»؛ والها. زيادة من الناصح، إذ بها يتخلل الوزن؛ ولم نقف على هذا البيت
في يتيمة الدهر ضمن شعر ابن حجاج.

(٥) نعله : «إلى نوح» إذ هو مقتضى اللغة؛ أو لعله صمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فسوّع
له هذا التضمين ذكر «ع» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» الخ وهو أظهر.

الطوفاني، أوجبت على كل بلغ أن يتلو، "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي" وبالجملة فالواجب على كل عاقل ألا يتعاطى ما لم يُعطه، وأن يدخل باب مجلس سيدنا ويقول حطه؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البلاغة فقد كدت أسكر لما أستخرجتُه من تلك المحاسن التي لو أن الزمان الأصم يسمع لأسمعته، ولو أن الحظ الأثم يخضع لأخضعته؛ وبالجملة فإنه لا يُسنأ زمنٌ أبقي من سيدنا نعمة البقية التي مهما وجدتْ فالخير كله موجود، والمجد بحفيظته مشهود؛ وكما تيسرت راحة جسمه، فينبغي أن يقتدى به قلبه في راحة من همّه؛ وأعراض الدنيا متاع المتاع، وقد رفع الله قدره، وإلا فهذه الدنيا وهدة إليها مصاب المصائب؛ والحال التي هو الآن عليها عاكف [إلا] ^(١) من علم يدُرُسُه، وأدب يقتبسُه، وحريم عقائل يذب عنه ويحرسه؛ هي خير الأحوال، فالواجب الشكر لوأهيا، والمسرة بالإفضاء إلى عواقبها؛ وما ينقص شيء من المقسوم، وإن زاد عدد المجلس فليس من حطه، ولكن من حط السائل والمحروم؛ فلا يسمح المجلس بكتاب من كتبه على يد من الأيدي التي لا تؤدّي، ولا يؤمن أن تكون أناملها حروف التعدي، وهي إحدى ما تعلقت به الشهوات من اللذات، وهو يُنعم بها على عادته في كف ضراوة القلب ودفع عادينه؛ موقفاً إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى القاضي محيي الدين بن الزكي أيضاً : كان كتابي تقدّم الى المجلس السامي — أدام الله نفاذ أمره، وعلوّ قدره، وراحة سرّه ونعمة يسره؛ وأجراه على أفضل ما عوّده، وأسعد جدّه وأصعده، وأحضره أمثال العام المقبل وأشهدّه؛ ولا زال يلبس الأيام ويخلعها، ويستقبل الأهلّة ويودّعها

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضي إثباتها.

وهو محروس في دنياه ودينه ، مستلثم من نوب الدهر بدرج يقينه ، كاشف لليل الخطيب بنور جبينه ، وليوم الجذب بقبض يمينه ؛ وأعماله مقبولة ، ودعواته على ظهر الغمام محمولة ؛ والدنيا ترعاه وهى تأتى برغمها ^(١) ، والآخرة تُدَحِّرُه وهو يسعى لها سعيها — من أيدى عتة من المسافرين ، ولتلقى بهم ما قدرت أسماءهم ^(٢) ، ولضيق صدرى بتأخير كتب المجلس ما حفظتها .

وجاء منها : وما كنا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوة الأولين أن ياعد بين أسفارنا ، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارنا ؛ فأجبت الدعوه ، ولا أقول لسابق الشقوه ، ولكن للاحق الحظوه ؛ فإن مكابدة الأشواق إلى الأبرار ، تسوق الى الجنة ولا تسوق إلى النار ، وأقسم اننى بالاجتماع به في تلك الدار ، أبهج منى بالاجتماع به لو أتيت في هذه الدار ؛ فعليه وعلى من العمل ما يجمع هنالك سلك الشمل ويصل جديد الحب ؛ فتم لا يلقي العصا إلا من ألقي هنا العصيان ، وهناك لا تقتر العين إلا من سهرت منه هاهنا العينان ؛ فلا وجه لجمع آسمى مع اسمه في هذه الوصية مع علمى بسوء تقصيرى ، وخوفى من سوء مصيرى ، ولكن ليزيد سيدنا من وظائفه وعوارفه ، — فكل فعله تفضل من فضله — ما يخلصنى بإخلاصه فإننى أستحق شفاعته لشفعة جوار قلبى لقلبه ، وهذا معنى ما بعث على شغل الكتاب به ، مع علمى باستقرار نفسه النفيسة ، إلا أنه — أبقاء الله — قد أبعد عهدى من كتيبه بما يقع التفاوض فيه ، والمراجعة عنه ؛ والخواطر في هذا الوقت متنبضه ، والشواغل لها معترضه ، وأيام العمر فى غير ما يفرض من الدنيا والآخرة

(١) عبارة مسالك الأبصار : « وهو يأبى رعيها » ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذى التزمه القاصى فى رسالته .

(٢) فى (ب) : « قيدت » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : « هالك » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

منقريضة ؛ ومتجدد نوية يروت قد غمت كل قلب ، وهاجت المسلمين أشواقا
الى الملك الناصر ، وذكرى بما ينفعه الله به من كل ذاكر ، وأخذ الناس فى الترحم
على أول هذا البيت والدعاء للحاضر والآخر - وليس إن شاء الله بأخر ؛ فما أذخر
المولى لهذه الحرب مجهودا ، ولا قَلَّتْ عسكرا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذنبى أن أحسنَ مطلبى * إساءةً فى سوء القضاء لى العذر ٥

ومنه : وسيدنا يستوصى بالدار بدمشق فقد خلت ، وإنما الناس نفوس
الديار ؛ وأنا أعلم أن سيدنا فى هذا الوقت مشدوه الخاطر عن الوصايا ، ومشغول
اللسان بتنفيذ ما ينفذه مما هو منتصب له من القضايا ؛ فما فى وقته فضلة ولكن
فضل ، وسيدنا يحسن فى كل قضية من بعد كما أحسن من قبل ؛ فهو الذى جعل بلى
وبين الشام نَسْبا [وأثنانى فيه الى أن أذخرت عقارا ونسبا] فعليه أن يرى ١٠
ما أقناه ، وينفى الشوك عن طريق اليد الى جنابه ؛ والجار الى هذا التاريخ ما أندفع
جوره ، ولا أدرك غوره ؛ يعد لسانه ما تخلف يده ، ويدعى يومه ما يكتبه فيه غده ؛
وأنا على انتظار عواقب الجائرين ، وقد عرف الغيظ منى ألفاظا مجهولة ما كنت
أسمع بأن أعرفها ، وكشف مستورا من أسباب الحرج ما يسرنى أن أكشفها
﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ وأسوأ خلقا من السيء الخلق ١٥
من أحوجه الى سوء الخلق ؛ وما ذكرت هذا لئذكر ، ولا طويث الكتاب عليه
ليُنشر ، والسر عند سيدنا ميت وهو يقضى حقه بأن يقبر .

(١) فى الأصل : " يتوصى " بسقوط السين المهملة وقسده الصاد ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (١) وقد أثبتناها عن (ب) . لبت بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر رسائله .

(٣) أقنيت فلانا ، إذا أعطيته ما يقضى .

وكتب : أدام الله أيامَ المجلس وخصه من لطفه بأوفر نصيب ، ومنحه من السعادة كلَّ عجيب وغريب ، وأراه ما يكون عنه بعيدا مما يؤمله أقرب من كلِّ قريب — الخادمُ يُخَدُّمُ ويُنْهَى وصولُ كتابِ كريمٍ تفجَّرت فيه ينابيعُ البلاغة ، وتبرَّعت^(١) [له] بالحكم أيدى البراعة ؛ وجادَ منه سماءُ مزيَّنة بزينة الكواكب ، وهطلَ منها لأوليائه كلُّ صوبٍ ولأعدائه كلُّ شهابٍ واصب ، وتجلَّى فما الغيدُ الكواكب ؛ وما العقودُ في التراب ، وتفرَّق منه جيشُ الهمِّ فانظر ما تفعل الكتبُ في الكتائب ؛ وما وردَ إلا والقلب إلى مورده شديدُ الظما ، وما تحلَّ به إلا ناظرُهُ الذي عَشِيَ عن الهدى وقرب من العمى ؛ وما نارُ إبراهيم بأعظم من نوره ، ولا سروره — صلى الله عليه وسلم — حين نحا أعظمَ يومٍ وصوله من سروره ؛ فحيا الله هذه اليدَ الكريمةَ التي تنهلُ بالأنواء وتجزل سوانحَ النعماء ؛ وتُعْطِي أفضلَ عطاءٍ يسرها في القيامة ، وتحوِّز به أفضلَ أنواع الكرامه ؛ فأما شوقُه لعبده المملوء — أبقاه الله — قد أوتِيَ فصاحةَ لسان ، وسحبَ ذيلَ العيِّ على سحبان ؛ ولو أن الخادمَ لسانًا مُوات ، وقبلًا يقال له هي هات ؛ لقال

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياء يقتضى إثباتها .

(٢) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ ولعله : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة الى قوله تعالى : (الا من حطفت الخطيئة فأتبعه شهاب ثاقب) وأما الوصف بالوصوب ، أى الدوام والازوم فقد ورد في القرآن للعذاب لا للشهاب ؛ قال تعالى : « ولهم عذاب واصب » .

(٣) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ والقواعد تقتضى إثبات يائه والوقوف عليه بالألف ويقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المقصود المصوب بحرى المرفوع والمجرور في الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها في الوقف ؛ وهي لمة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :

* ولو أن واش بالبيعة داره * الخ البيت . والأصح جواز ذلك في غير الضرورة ؛ ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم — كان الياء انظر حاشية الحصري ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقولون عند الإعراء بالشيء : « هي هي » فإذا بنوا منه فعلا قالوا : هييت به ، أى أعريته .

ما عنده، وأذكر عهدَه وودَّه؛ وباح بأشوافِه، وذمَّ الزمنَ على أعتياقِه؛ وأما تفصلُه
بكذا فالخادمُ ما يقوم بشكرِه، ولا يقدرُه حقَّ قدرِه؛ وقد أحال مكافأةَ المجلس على
مليِّ قادر،^(٢) ومسرَّة خاطرة عليه يوم تَبَّى السرائر؛ والله تعالى يصِلُه برزقٍ سنيٍّ يملأُ
إناءه، ويوضح هداه؛ ولا يُخْلِ المجلسَ من جميل عوائده، ويمنحه أفضل وأجزل فوائده
إن شاء الله تعالى .

ومن مكاتباته يشوق الى إخوانه وأودَّائه، ومحبيه وأوليائه —

كتب إلى بعضهم :

أحبابنا هل تسمعون على النوى * تحيةَ عان أو شكيةَ عاتِب

ولو حملت ريحُ الشمالِ إليكم * كلاما طلبنا مثله في الجنايب

أصدر العبد هذه الخدمة وعنده شوقٌ يغور به ويُجِدُّ، ويستغيث من ناره بماء
الدمع فيجيب ويُنجِدُّ، ويتعلَّل بالنسيم فيُغري ناره بالإحراق، ويرفع النواظر إلى
السُّلوان فيعيد لها الوجدُ في قبضة الإطراق؛ أسفا على زمنٍ تصرَّم، ولم يُبقِ إلا وجدا
تصرَّم، وقلبا في يد البين المُشتَّت يتظلم

ليالى نحن في غفلات عيش * كأنَّ الدهرَ عَنَّا في وثاق

فلاتنفس خادمُه نفسا إلا وصلَه بذكرِه، ولا أجرى كلاما إلا قيده بشكرِه، ولا سار
في قفَرٍ إلا شبهه برحيب صدرِه، ولا أطلَّ على جبلٍ إلا أحقره بعلى قدرِه، ولا مرَّ
بروضةٍ إلا حالها فتفتحت أزهارها عن كريم خُلِقِه ونسيم عطره، ولا أوقد المصطلون
نارا إلا ظنهم آقتبسوها من حمرة، ولا نزل على نهرٍ إلا كآثر دمعِه يجريه

(١) في (١) « حاك » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والإحالة بالدين : نقل من ذمة إلى ذمة

أخرى، والاسم الحوالة بفتح الحاء .

(٢) الملي . والمليّ بتشديد الباء : الغنيّ القادر، أو هو الحس القضاء للدين .

(١١٨)

سقى الله تلك الدارَ عودَةَ أهلِها * فذلك أجَدَى من سحاب وقطره
 لن جمع السَّمَلِ المشتَّتْ شَمَلَه * فما بَعْدَها ذَنْبٌ يُعَدُّ لدهيره
 فكيف ترى أشواقه بعد عامه * إذا كان هذا شوقُه بعد شهره
 بميدٌ قريبٌ منكمُ بضميره * يراكم إذا ما لم تروه بفكره
 ترحل عنكم جسمه دون قلبه * وفارقكم في جهره دون سره
 إذا ما حلت منكم مجالس ودّه * فقد عمرت منكم مجالس شكره
 فياليل لا تُجلب عليهم بظلمة * وطلعة بدر الدين طلعة بدره

ونسأل الله تعالى أن يَمُنَّ بقرْبِهِ ورحاب الآمال فسائح ، وركبُ الهوم طلائح
 والزمن المناظر بالقرب مساح ؛ هنالك تُطْلَقُ أَعْنَةُ الآمالِ الحواسب ، ويهترّ نخضرًا
 من السعود عودٌ يابس

وما أنا من أن يجمع الله شملنا * بأحسن ما كنا عليه بآيس
 وقد كان الواجب تقديم عتبه ، على تأخير كُتْبِهِ ؛ ولكنه خاف أن يحنى ذنبا عظيما
 ويؤلم قلبا كريما

واستُ براضٍ من خليل بنائيل * قليلٍ ولا راضٍ له بقليل^(٥)

(١) كذا في (ب) ومسالك الأنصار والدى في (أ) «ران» وهو غير مستقيم .

(٢) في كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .

(٣) الماطر : المجادل .

(٤) بالقرب : متعلق بقوله : «مساح» وقد ورد في الشعر تعديّة «ساح» بالباء ، قال الشاعر :

ولكن إذا ما حل خطب فسامحت * به النفس يوما كان للكره أذهباً

انظر اللسان .

(٥) اليوسف، لكنير عزة الأغاني ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

(١١) وحاشى جلاله من الإخلال بعهودِ الوفاء ، ومن أنحلال عقودِ الصفاء ، وما عهدتُ
عزمه القوى في حلبة الشوق إلا من الضعفاء ، وحاشية خُلقه إلا أرق من مدامع
غُرَماء الجفاء

من لم يَبْتَ واليَن يصدع قلبه * لم يدر كيف تَقْلُقُ الأحشاء

وكتب أيضا في مثل ذلك : كتبَ مملوكُ المولى الأجلَّ عن شوقي
قدَحَ الدمع من الجفون شرارا ، وأجرى من سيل الماء نارا ، واستطال واستطار
فما تَوَارَى أوارا ، ووجد على تذكَر الأيام التي عَدَبْتُ^(٢) قصارا ، والليالي التي طابت
فكأنما خُلِقْتُ جميعها أسحارا

وبى عمرة للشوق من بعد غمرة * أخوض بها ماء الجفون غمَارا
وما هى إلا سَكْرَةٌ بعد سَكْرَةٍ * اذا هى زالت لا تزال نُحَارا
رحلتُم وصبرى والشبابَ وموطنى * لقد رحلتُ أحبابُنَا تَبَارَى
ومن لم تصاع عينُه نورَ شمسِه * فليس يرى حتى يُراه نهارا
سقى الله أرضَ الغوطتين مدامعى * وحسبك نُحْبَا قد بعثتُ غزارا
وما خدعتنى مصرُ عن طيبِ دارها * ولا عُوْضَتْنِي بعد جارى جارا
أدارَ الصَّبَا لا مِثْلَ رُبْعِكَ مَرَبَعٌ * أرى غيرَكَ الرِّبْعَ الأنيَسَ قفارا

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك ، والمعنى واحد ، كما فى الصحاح للجوهري ؛ وحاشى : اسم على
الصحيح مرادف للبراءة ، كما فى معنى اللبيب فى الكلام على «حاشى» التزنيمة .
(٢) فى مسالك الأبصار : «التي ذهبت» .

(٣) المراد بالغوطتين هنا : أرض العوطة ، وإمّا ذكرها بالثنية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ
الثنى ؛ والعوطة : هى الكورة التى منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا ، تحيط بها جبال عالية جدا
ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وتمتد فى الغوطة فى عدّة أنهر فتسقى بسايقها وزروعها و يصب ناقيا فى أجرة
هناك وبحيرة .

فما اعتضتُ أهلاً بعد أهلي جيرة * ولا خلتُ دار الملك بعدك داراً
وما ضرتُ اليدَ الكريمةَ التي أياها بيض في ظلمات الأيتام، وأفعالها لا يقوم
بمدحها إلا ألسنةُ الأستة والأفلام ؛ لو قامت للوثة بشرطها، ومحت خطُّ الأسي^(١)
بخطِّها ؛ وكنتُ ولو شطرَ سطرٍ ففرغتُ قلباً من الهم مشحوناً، وأطلقتُ صبراً
في يد الكمد مسجوناً؛ ونزّهتُ ناظرَ المملوك في رياضِ منشورةِ الحلى، وحلتُ عهدَه
بمكارمِ مأثورةِ العلا

وما كنتُ أَرْضِي من علاك بهذا الجفا * ولكنه من غاب غاب نصيبه
ولو غيركم يرمي الفؤادَ بسهمه * لما كان ممن قد أصاب يصيبه
ومالَى فيمن فرق الدهرِ أسوةً * كأنَّ محباً ما ناه حبيبُه
والمملوكُ مذحطتُ مصر أثقاله ، وجهز الشأمَ رحالَه ؛ وألقتُ آلنوى عصاها
وحلتُ الآوبةُ عُراها ؛ يكتب فلا يجاب، ويستكشف الهمَّ بالجواب فلا يجاب^(٢)
يا غائباً بلقائه وكتابه * هل يُرتجى من غيبتيك إيابُ
وهي يصفَى الله وردَ الحياة من التكدير ، ويتحقق بلقائه أحسنُ التقدير ” وهو
على جمعهم إذا يشاء قدير“ .

وزمان مضي فما عُرف الأولُ إلا بما جنّاه الأخيرُ
أين أيا منّا بظلك والشَّم * لُ جميعُ والعيشُ غَضُّ نصيرُ

(١) في كلا الأصلين : «ومصت» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ورد هذا الفعل في الأصلين والباء ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال :
«استكشف الهم» مثلاً، بمعنى طلب أن ينكشف ويذول، كما هو المراد هنا ؛ والذي وقفنا عليه أنه
يقال : «استكشف عنه» إذا سأل أن يكشف له عنه ؛ وهذا المعنى لا ياسب ما هنا .

وحوشى المولى أن يكون عوناً على قلبه ، وأن يرحل إثره الرّىُّ على سريره ، وأن ينسيه بإغْبَابِ الكُتُبِ ساعاتِ قربه ، وأن يُحوجه الى إطلاق لسانه بما يصون السمعَ الكريمَ عنه من عَنِيهِ ؛ الأخُ فلان مَخْصُوصٌ بِسَلامٍ كما تَفَتَّحَتْ عن الوردِ كجائمه ، وكما تَوَضَّحَتْ عن القَطَرِ غمامُهُ

إذا سار في تَرْبٍ تُعرَفُ تَرْبُهَا * برياه والتعت عليها لطائمه (١)
وقد تَبِعَ الخُلُقَ الكريمَ في الإغْبَابِ والجفوه ، وأعدت عزائمهُ قلبه فاستويا في الغِلظة والقسـوه

ان كنت أنت مُفارق * من أين لى فى الناسِ أسوه
وهب أن المولى اشتغل — لا زال شغلُهُ بِمَسَارِهِ ، وزمنهُ مَقْصُوراً على أوطارِهِ —
فما الذى شغلَهُ عن خليلِهِ ، وأَغْفَلَهُ عن تَدَارُكِ غليلِهِ ؟ هذا وعلائقُهُ قد تَقَطَّعتْ
وعوائقُهُ قد أَرْتَفعتْ ؛ وروضةُ هواه قد صارت بعد الغضارة هَشِيماً ، وعهودُهُ
قد عادت بعد الغضاضة رَمِيماً

إن عهدا لو تعلمان ذميا * أن تناما عن مقلتي أو تنيما
وما أَوْلَى المولى أن يواصل بكتبه عبده ، ويجعل ذكْرَهُ عقْدَهُ ، ولا ينساه ويألف
بُعْدَهُ ، وَيَسْتَبْدِلُ غَيْرَهُ بَعْدَهُ .

وكتب أيضا :

أكذا كلُّ غائبٍ * غاب عمن يحبّه
غاب عنه بشخصه * وسلا عنه قلبه

(١) لعله : « عن شربه » ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .

(٢) فى (١) : « عبه » ؛ وهو تحريف .

(٣) الترب : جمع ترباء ، وهى الأرض ذات التراب . وهذا الجمع مطرد فى فعلاء مؤث أفعل وفى مذكروه .

(٤) اللطائم : جمع لطيمة ، وهى المسك .

ولو أن لي يدا تكتب ، او لسانا يُنهب ، أو خاطرا يسهل ، أو فؤادا يستبدل ؛
لوصفتُ إليه شوقا إن آستمسك بالحنون نثر عقدها ، أو نزل بالجوانح أسعر وقدها ؛
أو تنفس مشتاق أعان على نفسه ، وظنه آستعاره من قبسه ؛ أو ذكر محب حبيبا
خاله خطر في خالده ، وتقادى من أن يخطر به ذكر جلدّه

حتى كأت حبيبا قبل فرقتّه * لا عن أحبته ينأى ولا بلده

بالله لا ترحموا قلبي وإن بلغت * به الهموم فهذا ما جنى بيده

ولولا رجائه أن أوقات الفراق سحابه صيف تقشعها الرياح ، وزياره طيف يحلها
الصباح ؛ لأستطار فؤاده كدا ، ولم يحمد ليوم مسرته أمدا ؛ ولكنه يتعلل ببعاد
لقيامه ، ويدافع ما أعلّه بالعله أو عساه

غنى في يد الأحلام لا أستفيده * ودين على الأيام لا أتقاضه

ومن عرائب هذه المرقه ، وعوارض هذه الشقه ؛ أت . ولأى قد ينجل بكابه
وهو الذى يداوى به أخوه عليل آكتنايه ، ويستعديه على طارق الهم إذا لج
في انتباهه

كئيل يعقوب ضل يوسفه * فاعتاض عنه بشم أنوابه

وهب أن هانا عاقه عن الكتب عائق ، وآخذع باطره كم هو فى ناظر عيش
رائق ؛ فما الذى عرض لمولانا حتى صار جوهر وده عرضا ، وجعل قلبى اسهام
إعراضه غرضا ؟

بى منه ما لو بدا للشمس ما طاعت * من المكاره أو للبرق ما ومض^(١)

وما عهده — أدام الله سعادته — إلا وقد آستراحت عواذله ، وعرى به أفراس^(٢)

(١) البيت لأنى العلاء المعزى (سقط الريد) .

(٢) لعله : « مه » ؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله .. وعرى أفراس الصبا ورواحله

الصبا ورواحله ؛ إلا أن يكون قد عاد إلى تلك الحجج ، ومريض قلبه فما على المريض
 حرج ؛ وأيا ما كان ففي فؤادى إليه سريرة شوق لا أذيعها ولا أضيعها ، ونفسي
 أسيرة غلة لا أطيقها بل أطيعها

وانى لمشتاق اليك وعاتب * عليك ولكن عتبه لا أذيعها

والأخ النظام — أدام الله انتظام السعد ببقائه ، وأعدانى على الوجد ببقائه —
 مخصوص بالتحية إثر التحية ، ووالهفى على تلك السجية السخية ؛ وردت منها البابلي
 معتقا ، وظلّت من أسير المعلوم ببقائها معتقا

خلائق إماماء مزين بشهادة * أغادى بها أو ماء كرم مصفقا^(٢)

وقد اجتمعت آراء الجماعة على هجرانى ، ونسوا كل عهد غير عهد نسيانى

وما كنتم تعرفون الجفا * فبالله ممن تعلمتم .

وكتب أيضا : إن أخذ العبد — أطال الله بقاء المجلس وثبت رفعته
 وبسط بسطته ، ومكن قدرته ، وكتب حسدته — فى وصف أشواقه إلى الأيام التى
 كانت قصارا وأعادت الأيام بعدها طوالا ، واللىالى التى جمعت من أنوار وجهه
 شموسا ومن رغد العيش فى داره ظلالا

وجدت أصطبارى بعدهن سفاهة * وأصرت رشدى بعدهن ضلالا

وإن أخذ فى ذكر ما ينطق به لسانه من ولأ صريح ، ويعتقده جنانه من
 من شاء فصيح^(٣)

(١) فى كلا الأملين : « وانى ما كان » ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من « ماء » وهو من صفقت الشراب اذا حولته من إناء الى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن هذه الجملة والتى قبلها تقدما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ؛ ولعل الأصل فيها هكذا :
 « ما ينطق به لسانه من شاء فصيح ، ويمتدده جانه من ولأ صريح » فان التاء محملة اللسان ؛ والولأ ،
 وهو الحجة ، محملة القلب .

تَعَاطَى مَنَالًا لَا يُنَالُ بِعَزْمِهِ * وَكُلُّ أَعْتَرَامٍ عَنْ مَدَاهِ طَلِيحُ

ولكنه يَعْدِلُ عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيه الله للإسلام صدرا، وفي سماء الملة بدرا، وفي ظلمات الحوادث بفرا، وأن يجمع الشمل بمجلسه وعراض الآمال مطلوله^(١) وسهام القرب على نحور البعد مدلوله، وعقود النوى بيد اللقاء محلولة، "وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ"^(٢).

فقد يجمع الله الشئتين بعد ما * يظن أن كل الظن أن لا تلاقيا

وما رمت به النوى صراميا، ولا سلكت به الغربة مواميا^(٣)؛ إلا استنجد شوقه من الجفون هاميا، واستدعى من الزفرة ما يُعيد مسلكه من الجوانح داميا، وصدر عن منهل الماء العذب الخير ظاميا، وتعلل بالأمانى في الاجتماع^(٤) "وآخر ما يبقى الإيلاس الأمانيا"^(٥) والسلو أن الطريق بحمد الله أسفرت عن فضل اجتهاده، وفضيلة جهاده؛ ونصرة الإسلام، وإعلاء الأعلام؛ وخدمة المجلس الفلاني — أعز الله نصره، وأسعد بها جدّه، وبلغ بها قصده، وأمضى في الكفر حدّه؛ وأورى بها للإسلام قدحا، وشرفت حديثا وشرحا، وأجهدت الأعداء إثمنا وجرحا^(٦).

(١) المطلولة : التي نزل عليها الطل .

(٢) البيت لقيس بن الملوّح ، وهو المعروف بالمجنون .

(٣) المواوى : جمع موماء ، وهى المفازة من الأرض .

(٤) فى (ب) « ولا ضراما يبق » الخ ، وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصول منصوبا ؛ ولم يصح لنا وجه نصبه ، فإن القواعد تقتضى رفعه .

اذ هو حبر للتدلى وهو قوله : « وآخ » .

(٦) أسهرت بالهمز : تكشفت ؛ وهو مستعار من قولهم : أسهر الصبح ، أى انكشف وأضاء .

لا يشك فيه ، كما فى اللسان (ج ٦ ص ٣٦) .

(٧) الإثم : المبالغة فى القتل .

وَأَبْقَىٰ بِهَا فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ أَسْطُرًا * إِذَا مَا أُنْمَحَىٰ خَطُّ الْكُوكُبِ لَا تُنْمَحَى
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ فَالْفَتْحُ بَعْدَهُ * وَقَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ فَلْيَرْقُبْ الْفَتْحَا
فَمَا الْخَادِمُ فَيُودَ أَلَّا يَزَالَ لَشَرَفٍ مُحْصَلًا ، وَلِتِلْكَ الْيَدِ الْكَرِيمَةِ مَقْبَلًا ، وَلِلْفُتْرَةِ الْمُتَهَلِّلَةِ
كَالصَّبَاحِ مُسْتَقْبَلًا

٥ مَحْيَا إِذَا حَيَّاكَ مِنْهُ بِنَظِيرَةٍ * فَتَحَتَ بِهِ بَابًا مِنَ اللَّطْفِ مُقَفَّلًا
وَيَرَى أَنْ خَيْرَ أَوْقَاتِهِ مَا كَانَ فِيهِ بِالْحَاشِيَةِ الْفَلَائِيَةِ مَكَاثِرًا ، وَتَحْتَ ظِلَالِ الْوَيْتِهَا
سَائِرًا

فَقَدْ تَرَى مَعْنَى السَّعَادَةِ ظَاهِرًا * وَتَمَّ تَرَى حَزْبَ الْهَدَايَةِ ظَاهِرًا
وَالْخَادِمُ يُؤْثِرُ مِنَ الْمَجْلِسِ الْمُوَاصَلَةَ بِالْمَرَامِ ^(١) [الَّتِي يُعَدُّ أَيَّامُهَا مِنَ الْمَوَاسِمِ ^(٢)] ، وَيُقَابِلُ
بِهَا أَوَجَةَ الْمَسَارِّ طَلْقَةَ الْمَبَاسِمِ ؛ وَيَرْتَقِبُهَا آرْتِقَابَ الصُّومَامِ لِلْأَهْلِ ، وَالرُّقَادِ لِمَوَاقِعِ
١٠ السَّحَابِ الْمُنْهَلَةِ .

وَكُتِبَ عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى تَقِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْغُوطَتَيْنِ وَأَهْلَهَا * فَلِي بِمَجْنُوبِ الْغُوطَتَيْنِ جَنُوبُ
وَمَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ إِلَّا اسْتَفْزَنِي * إِلَى طَيْبِ مَاءِ النَّيْرِينِ ^(٣) حَنِينُ
وَقَدْ كَانَ شَكِّي فِي الْفِرَاقِ مَرُوعِي * فَكَيْفَ أَوْ كَوْنُ الْيَوْمِ وَهُوَ يَقِينُ
١٥

(١) المرامس والمراميس : المكاتيب .

(٢) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيرين قرية نير ، وأما ذكرها الشاعر بالثنية جرياً على عادتهم من ذكر المفرد فلهذا
المنى ؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين وذكر باقوت أنها أرو موضع رآه ؛ وهذا
الشعر لأبي المطاع وجيه الدولة بن حمدان كما في معجم البلدان لباقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع بجوتجين .
٢٠ وفي (١) ” النيرين “ ؛ وفي (ب) : « البرين » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

كَمْ جَهْدٍ مَا تَسْلَى الْقُلُوبَ ، وَتُسْرِى الْكُرُوبَ ؛ لَا سَيِّئًا إِذَا كَانَ الَّذِي فَارَقْتَهُ
أَعْلَقَ بِالْأَبَادِ مِنْ خَلْفِهَا ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ حُجِّهَا ؛ وَهَلْ يَسْتَرْوِحُ إِلَّا أَنْ يَفْضُ
خَتَامَ الدَّمْعِ ، وَيَخْتَرِقَ حِجَابَ السَّمْعِ ، وَيَسْتَغِيثَ بِسَاءِ الْعَيُونِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، لِتَجُودَ
أَرْضُ الْخَوَاطِرِ دَاتِ الصَّدْعِ ؛ وَهَنَالِكَ أَوْفَى مَا يَكُونُ الشَّوْقُ جَنْدًا ، وَأَوْرَى
مَا يُورَى الْوَجْدُ زَنْدًا

إِلَى زَفْرَةٍ أَوْ عَبْرَةٍ مُسْتَبَاحَةٍ * لِهَذِي مَرَّاحٌ عِنْدَهُ وَلَذِي مَغْدَى

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مَذْفَارُ قَتْلِهِ مَادَعَانِي الذِّكْرُ إِلَّا لَيْتُهُ بِجَوَابٍ مِنْ مَاءِ الْغَلِيلِ غَيْرِ قَلِيلِ
وَلَا ذِكْرُ خُلُقِهِ الْجَمِيلِ إِلَّا وَرَأَيْتِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ غَيْرَ جَمِيلِ

وغير كثير فيه وجد كثير * ولوعة قيس واليتاح جميل

أهيم برسم فيك للمجد واضح * وهاموا برسم للغرام جميل

وَقَدْ كُنْتُ إِلَيْهِ حَتَّى كَادَ يَشِيبُ لَهُ الْمَسَدَادُ ؛ لَوْ لَمْ يَخْلَعْ عَلَيْهِ النَّازِرُ حِلَّةَ السَّوَادِ
وَحَبَّةَ الْفَوَادِ ، مَا رَدَّ ، وَحَارَ عَنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ قَطُّ مَا وَدَّ وَصَدَّ ؛ وَأَوْثَرُ مِنْهُ
أَلَّا يَحْكُمَ الْعِرَاقَ عَلَى فَيْسَتْطَ ، وَلَا يَمْكَنَ اللَّوْعَةَ مِنْ مَهْجَتِي فَتَخْطِطَ

بِفُؤْدَى بَدْرٍ مِنْ بَحَارِكِ إِنِّي * مِنْ الدَّمْعِ فِي بَحْرِ وَلَيْسَ لَهُ شُطُّ

(١) تسرى تشديد الراء : تكشف .

(٢) الحلب بكسر الخاء : حجاب الكبد .

(٣) الرجوع بفتح الراء : المطر بعد المطر .

(٤) الانبياح في الأصل : العطش ، والمراد هنا شدة الهيام والشوق . والذي في الأصول :

« وارتياح » ، وهو تحريف .

(٥) المحيل : الذي مضى عليه حول .

(٦) في الأصول : « ما رد » بالراء ؛ وهو تحريف .

(٧) يقال : هو يخط في عيباء إذا رك ما رك بجهالة .

بكفّ بها للحرب والسلم آية * فُحِّي لديها الخطُّ أو يقتل الخطُّ^(١)
ونسأل الله الرغبة في اجتماع لا يكدر ورده ، ولا يُثَرِّعُ عَقْدَهُ ، ولا يعزّب عن آفاق
الوفاق سعده

وما كان حكى أن أفارق أرضكم * ولكنّ حكم الله لساننا نرده

وكتب عنه أيضا إلى عز الدين فزوخ شاه :^(٢)

أحبانا لو رزقت الصبرَ بعدكم * لما رضيتُ به عن قربكم عوضا
إني لأعجب أنى بعد فرقتكم * ما صحّ جسمي إلا زادني مَرَضًا
أُنِيدُكم عن يقينٍ أنّ قلبي لو * أضنى مكانَ جناحي طائرٍ نهضا
هذا ولو أنه بالمهد فيك وفي * لكان حين قضى الله الفراق قضى

كُتِبَتْ - أطل الله بقاء المولى الولد - عن قريحة قريحه ، وإنسانٍ مقلّةٍ جريح^(٣)
في جريحه ، ولوعةٍ صريحه ، وذكر الصبرُ كانت طريحه
وليلٍ بطيئٍ طلوع الصبَا * ج شوقا إلى القسَمَاتِ الصَّبِيحَةِ^(٤)
أَجَحَتْ فؤادى وأنت المَبَاحُ^(٥) * وما كان من حقّه أن تُبَيِّحَهُ
وما أصحَّبت في قتال العذول * أعنّةُ قلبٍ عليهم جموحه^(٦)

(١) في (١) : « يقبل » بياء موحدة ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في رفيات الأعيان ح ١ ص ١٢٠ طبع بولاق ؛ والدى في كلا الأصلين : « فرخشاه »

بدون واو .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (١) وقد أئمتناها عن (ب) إذ السياق يقتضيها .

(٤) القسَمَات : واحدة قسمة بكسر السين وفتحها وهي الحسن ، أو أعلى الوجه ، أو ظاهر الخدين .

(٥) وأنت « المباح » ، أى أنت الفؤاد الذى أبجته .

(٦) أصحبت : انقادت بعد صعوبة .

مُعْنَى بَرِيحٍ شَمَالِ الشَّامِ * لَقَدْ عَذَّبَ اللهُ بِالْبَرِيحِ رُوحَهُ
فَلَا رَوْحَ اللهِ مِنْ قُرْبِكُمْ * فَوَادَى بِخَطَرَةِ يَأْسٍ مُرِيحِهِ
وَلَوْلَا التَّعَلُّلُ بِأَبْنِيَةِ آلَمْنِي الْخَادَعَةِ ، وَالتَّزَوُّلُ بِأَفْنِيَةِ الْإِسَاءِ الْوَاسِعَةِ ؛ لَتَصَدَّعَتْ
أَكْبَادُ وَتَفْطَرْتُ ، وَتَجَدَّلْتُ أَفْرَاسُ دُمُوعٍ وَتَفْطَرْتُ^(١)

يَا صَاحِبِي إِنَّ الدُّمُوعَ تَنْفَسْتُ * فَدَعِ الدُّمُوعَ تَبِيحَ مَا قَدْ أَضْمَرْتُ
قَدْ كُنْتُ أَكْتُمُ عَنْ وَشَائِي سَرَّهَا * وَلَقَدْ جَرَى طَرْفُ الْحَدِيثِ كَمَا جَرَتْ
لِلَّهِ لِيَلَاتُ قُرْبٌ بِخُومَهَا * بَلْ بَدَرَهَا بِوَجْهِ عَيْشٍ أَفْرَتْ
أَغْلَتْ عَلَى السُّلُوفِ شَوْقُكُمْ فَا * بَاعَتْ كَمَا أَمَرَ الْغَرَامُ مَنْ أَشْتَرَتْ
وَمَذْ فَارَقْتُ تِلْكَ الْغَزَاةَ الْبَدْرِيَّةَ ، وَالطَّلْعَةَ الْعَزِيزَةَ الْعَزِيَّةَ ؛ مَا ظَفَرْتُ بِشَخِصِهِ نَوْمَا
وَلَا بِكَأَيِّهِ يَوْمَا

* فَوَاعِجِبَا حَتَّى وَلَا الطَّيْفُ طَارِقَا * !
وَأَعْجِبْ لَهُ فِي الْحَرْبِ ثُرُكُنَائِي * بِكَفِّ أَيْتٍ فِي السَّلْمِ نَظْمِ كِتَابِ^(٢)
يَحَاسِبُنِي فِي لَفْظَةٍ بَعْدَ لَفْظَةٍ * وَمَعْرُوفُهُ يَأْتِي بِغَيْرِ حِسَابِ
وَلَوْ رَضِيتُ - وَكَلا - بِأَنْ أَحْمَلَ مِنْ هَذَا الْخَفَاءِ كَلًّا ؛ لَمَا رَضِيَ بِهِ نَحْلُوقُهُ
الرَّضَى ، وَلَأَحْذِ بِقَوْلِ الرُّضَى :

- (١) الأساءة كسر الهمة وتضم : جمع إسوة ، بالكسر والصم أيضا ، وهى ما يأتى به الحزين .
(٢) تجددت : من حدله بتشديد الدال وتخفيفها ، أى صبره على الجسالة ففتح الحيم ؛ وهى الأرض . وتفطرت : من فطره ، اذا أفاء على أحد قطريه ، وهما جاباه .
(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفى هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : « وأعجب به له » الخ والذى يفهم من حاتسية الصبان على شرح الأشتوى ج ٣ ص ١٨ م ٢٧ أن ذلك الحذف سائغ لا شذوذ فيه ، إذا مدار على أن يدل عليه دليل .
(٤) فى كلا الأصلين : « أنت » بالناء المثناة ؛ وهو تعرف صوابه ما أشتنا كما فى مسالك الأبصار ؛ ويدل عليه سياق ما قبله وما بعده .

هَبُونِي أَرْضِي فِي الْإِيَّاسِ بِهَجْرِكُمْ * أَتَرْضَى لِمَنْ يَرْجُوكَ مَا دُونَ وَصْلِهِ
وَالرَّغْبَةُ مَصْرُوفَةُ الْعَيْنِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُدِيحَ مِنَ اللَّقَاءِ مَنِيْعًا، وَيُنْتِجَ مِنَ اللَّطِيفِ صَنِيعًا

لَوْ تَأْخُذُونَ بِسَاعَةٍ * مِنْ وَصْلِكُمْ عُمَرَى جَمِيعًا

لَرَبِيتُ فِي أَنْ تَشْتَرِي * أَنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَبِيعَا

وَمَفَارِقِينَ مَعَ الصَّبَا * عَزَمَ مَا هَلْ أَرْجُو الطَّلُوعَا ^(٢) ^(٣)

أَقْسَمْتُ لَوْ رَجَعُوا لِأَع * قَبَنِي الصَّبَا مَعَهُمْ رَجُوعَا

هَبْكُمْ مَنَعْتُمْ [قُرْبَكُمْ] * وَلِبَسْتُمْ بَعْدًا مَنُوعَا ^(٤)

أَقْتَمِنَعُونَ بِكُمْ ضُلُوعَا * عَا قَدْ شُفِين بِكُمْ وَلُوعَا ^(٥)

مَا غَايَتِي إِلَّا الدَّمُوعَا * عُ وَأَسْتَقِيلُ لَكَ الدَّمُوعَا

وَكُتِبَ [أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى] يَتَشَوَّقُ : ^(٦)

فِيَارِبْ إِنْ الْبَيْنَ أَتَحْتُ صَرُوفُهُ * عَلَى وَمَا لِي مِنْ مَعِينٍ فَكُنْ مَعِي

عَلَى قَرَبٍ عَدَالِي وَبَعِيدٍ أَحَبَّتِي * وَأُمُوَاهُ أَجْفَانِي وَنِيرَانٍ أَضْلَعِي

هَذِهِ تَحِيَّةُ الْقَلْبِ الْمَعْدَبِ، وَسِرِّيَّةُ الصَّبْرِ الْمَذْبَذَبِ، وَظِلَامَةُ عَزَمِ السَّلْوِ الْمَكْذَبِ؛

أَصْدَرَتْهَا إِلَى الْمَجْلِسِ وَقَدْ وَقَدْتُ فِي الْحَشَى نَارَهَا، الرَّفِيرُ أَوَارُهَا، وَالدَّمُوعُ شَرَارُهَا،

وَالشَّوْقُ أَثَارُهَا وَفِي الْفَوَادِ نَارُهَا :

(١) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ الشَّرِيفِ الرَّصِيِّ الْمَوْحُودِ بَيْنَ أَيْدِيَا .

(٢) لَعَلَّهُ رَعَمًا بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْفَيْنِ الْمَعْجَمَةِ .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي كَلَامِ الْأَصْلِيِّ ؛ وَلَمْ يَضَحْ لَنَا مَعَهَا ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : « هَلْ يَرْحُوا

الضُّلُوعَا » .

(٤) لَمْ يَرِدْ هَذَا اللَّطْفُ فِي (١) وَقَدْ أُثْبِتْنَاهُ عَنْ (ب) إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ الْبَيْتُ بِدُونِهِ .

(٥) وَلُوعَا مَفْعُولُ ثَانٍ لِقَوْلِهِ : « تَمْنَعُونَ » ؛ يَقُولُ : أَقْتَمِنَعُونَ الضُّلُوعَ وَلُوعَا بِكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ وَقَدْ

شَفِيتُ بِقُرْبِكُمْ فِيمَا سَلَفَ .

(٦) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (١) .

لو زارنى منكم خيالٌ هاجرٌ * لهدته فى ظلماته أنوارها

أسفاً على أيام الاجتماع التى كانت مواسم لسرور الأسرار، ومباسم لثغور الأوطار؛
وتذكراً لأوقات عذب مذاقها، وعذب فراقها^(١)، وروحت بُكرها، وروعت ذكرها
والله ما نسيت نفسى حلاوتها * فكيف أذكر أنى اليوم أذكرها

ومذ فارقت الجنب التورى — لا زال جنى جنبه نضيرا، وسنا سناهُ مستطيرا^(٢)؛
وملكت فى الخافقين خافق الأعلام، وعزته على الجديدين جديده الأيام؛ لم أقف منه
على كتاب يحلّ سواد سطورهِ ما غسل الدمع من سواد ناظرى، ويقدم بياض^(٣)
منظومه ومشوره ما وزعه البين من سواد خاطرى^(٤)

ولم يبق فى الأحشاء إلا صبا^(٥) * من الصبر تجرى فى الدموع البوادر

وأسأله المناب بشريف الجنب، وأداء فرض، تقبيل الأرض؛ حيث تلتقى وفود^(٦)

(١) فى كلا الأصلين : « مراقها » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) الساء بالمد : الرفعة وعلو المنزلة ، يقال منه : أسناه اذا رفعه .

(٣) كذا فى صحح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذى فى كتاب الفاضل من كلام القاضى الفاضل
الماخوذ منه نسخة بالتصوير الشمى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٨ أدب " ويعزم " ويزعم
بالبين المعجمة والراء . وفى كلا الأصلين : " ويعزم بياض " الخ البين المهملة والراء المعجمة ؛ وهو
تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالسواد هاء ، العدد الكثير ، كما يفهم من سياق العبارة .

(٥) الصبا بضم الصاد : « البقية » .

(٦) كذا فى (ب) وصحح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ ؛ والمناب مصدر ميمى من النوب . أى أن
يؤوب هه ، كما يدل عليه سياق ما بعده . والذى فى (أ) : " المناب " بالناء المثناة ، والمعنى عليه
عير طاهر .

الدنيا والآخرة ، وَتَعْمُرَ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ الْمُنْتَ الْغَامِرَهُ ؛ وَيُظَلِّ الظِّلُّ غَيْرَ مَنْسُوجٍ
بِهِجِيرِهِ ، وَيُبَشِّرَ الْمَجْدَ بِشَخْصٍ لَا تَسْمَحُ الدُّنْيَا بِنُظِيرِهِ

تَظَاهَرَ فِي الدُّنْيَا بِأَشْرَفِ ظَاهِرٍ * فَلَمْ يُرَ أَنْقَى مِنْهُ غَيْرَ ضَمِيرِهِ

كَفَانِي عِزًّا أَنْ أُسَمِّيَ بِعَبِيدِهِ * وَحَسْبِيَ هَذَا أَنْ أُسِيرَ بِنُورِهِ

فَأَيُّ أَمِيرٍ لَيْسَ يَشْرَفُ قَدْرُهُ * إِذَا مَا دَعَاهُ صَادِقًا بِأَمِيرِهِ

وَإِنِّي فِي السُّؤَالِ بَكْتَبِهِ أَنْ يُوَصِّلَهَا لِيُوصِلَ بِيهَا لَدَى تَهَانِي تَمَلَّأَ يَدِي ، وَيُودِعَ بِيهَا
عِنْدِي مَسَرَّةً تَقْتَدِحُ فِي الشُّكْرِ زَيْدِي

عَهْدُكَ ذَا عَهْدٍ هُوَ الْوَرْدُ نَضْرَةً * وَمَا هُوَ مِثْلُ الْوَرْدِ فِي قَصْرِ الْعَهْدِ

وَأَنَا أُرْتَقِبُ كِتَابَهُ أَرْتَقَابَ الْهَلَالِ لَتُفْطِرَ عَيْنَ الْكَرَى صَائِمُهُ ، وَتَرِدَ نَفْسٌ عَلَى
مُورَادِ الْمَاءِ حَائِمُهُ .

وَكُتِبَ أَيْضًا يَتَشَوَّقُ :

لَا عَتَبَ أَخْشَاهُ لِقَطْعِ كِتَابِكُمْ * وَأَسْمَعُ فَعَذْرِي بَعْدَهُ لَا يُعْتَبُ

مَهْمَا وَجَدْتُكَ فِي الضَّمِيرِ مُمَثِّلًا * أَبَدًا تُنَاجِيَنِي إِلَى مَنْ أَكْتُبُ

كَتَبَ عَبْدُ حَضْرَةِ مَوْلَاهُ - حَرَسَ اللَّهُ سَمُوهُ ، وَأَدَامَ مَزِيدَ عِلَالَتِهِ وَنَعُوهُ ، وَقَرَّرَ^(١)

بِالْمَسَارِّ رِوَاحَهُ وَغَدُوهُ ، وَكَبَّتْ حَاسِدُهُ وَأَهْلَكَ عَدُوهُ - عَنْ سَلَامَةٍ مَا أَسْتَتْنِي فِيهَا

الدَّهْرُ إِلَّا أَلَمَ فِرَاقِهِ ، وَعَافِيَةٌ مُوَصُولَةٌ بِمَرِيضٍ قَلْبٍ لَا أَرْجُو مَوْعِدَ إِفْرَاقِهِ^(٢)

لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ عَيْنِي سَابِحًا * لَخَشِيتُ حِينَ بَكَيْتُ مِنْ إِغْرَاقِهِ

(١) في (١) : « وسموه » بالسین المهملة ؛ وهو بحر يَف .

(٢) إفراق المریض : برؤه وإقباله .

(١) وعندى إليه وجدَّ يَكُمُّ الضلوع ، ويتكلم بالسنة الدموع ، والنفس قريبة أستعبار ،
لذكر أوقات السرور القصار ، وأنوارها التي يكاد سنا برقها يَظْلِفُ الأبصار .^(٢)

١١٣

شهورٌ ينقضين وما شَعَرْنَا * بأنصافٍ لهنّ ولا سَرَارٍ^(٣)

إذ العيشُ غُضٌّ ورِيقٌ ، والمهجُّ لم يتقسَّمْها التفريق ، ولا سار منها إلى بلدٍ
فريقٌ وبقيَ في بلدٍ فريقٌ ، ولا سقاها كؤوسٌ وجدٍ للجفونِ المترعةُ تَريقٌ
ثمِلْتُ منها وما إلى * سوى الغرامِ رَحيقٌ

وإلى الله الشكوى من شوقٍ في الصميم ، وصبرٍ راحِلٍ وغرامٍ لا يَريم ، كأنه غريمٌ
زعموا أنَّ من تَبَاعَدَ يسلو * لا ومُحِيَّ العظامِ وهى رَمِيمٌ

وإمد استعربَ وُصُولَ الرفاقِ وقد صَفِرَتْ مِنْ تَحَايِهِ الكريمِ عيَابُهُمْ ، ولو زاره لَعَدَهُ
تَحْمَةُ الخِصْيِصِ بالتخصيصِ ، وأدرك به بُغْيَةُ الحريصِ ، ورأى للذهيرِ المذنبِ مَزيَّةَ^(٤)
التحريضِ ، وصَالَ به على نوائبِ الأيامِ المتتابعةِ صولةً لا يَجِدُ عنها من محيصِ
وحسبَتْنِي لِوَصُولِهِ * يعقوبَ بُشِّرَ بالقميصِ

(١) كذا في كلا الأصلين ؛ ولم تقف فيما لدي سامن كتب اللغة على أنه يقال : ” وحد إليه “ ؛ والذى
يقال : ” وجد به “ ؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق ، فسوّع له ذلك ذكر « إلى » مكان الباء .
(٢) في « لا الأصلين : « بالأبصار » ؛ والباء زيادة من النسخ ؛ أو لعل أصل العبارة : « يذهب »
بدل « يخطف » واذا فتحت الباء ؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى في سورة النور : « يكاد سنا برقها
يذهب بالأبصار » .

(٣) السرار بهتج السين وكسرهما : الليلة التي يستريح فيها لاهلال آخر الشهر ؛ ونقل عن الأزهري أن كسر
السين فيها لغة ليست بمجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصيص ، من خصصته بوقدك ؛ وقد راجعنا كتب اللغة التي بين أيدينا مادة (خص) فلم
نقف على هذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وحدنا استعمالها شائعا في بعض كتب الأدب كمعجم الأدباء .
لياقوت ، فقد قال في ج ٥ ص ١٥٢ عن أبي الفرج الأصفهاني : « وكان أبو الفرج الأصفهاني
صاحب كتاب الأغانى من ندماء الوزير أبي محمد الخصيصين به » الخ .

هنالك يَرتع في تلك التّرياض التي غصونها أسطارها، وشكلها أطيّارها، وألفاظها
قوارها، ومعانيها ثمارها، وبلاغتها أنهارها، وجرالها تيّارها

إن أظلمت للنفس فيها ليلة * قمر المعاني عندنا سمسارها^(١)

وإتلقاه قبل يده بقلبه، ويكاد يسبق ضميره إلى أكله وشربه

ويظنه والطرف معمود به * شخص الرقيب بدا لعين محبه^(٢)

وإذا ضنّ مولاه بما ثوره، جاد عليه بمسوره؛ ...^(٣)

فكأنّي أهديت للشمس السنا * وطرحت ما بين المصاحف دقرا

وعلى كلّ حال فيسأله أن يواصله من مراسمه بما ينتظره ناظره ليجد نورا، وقلبه

ليستشعر به سرورا، وحاطره ليجمعه بينه وبين الهم سُورا؛ وألا يخلى رُفقه من كتاب

ولو بالقلائد القلائل من درر أقلامه، ودرارى كلامه .

وكتب : لو استعار الخادم — أدام الله نعمة المجلس — أنفاس البشر

كلّاماً، وأغصان الشجر أقلاماً، وبياض النهار أطراساً، وسواد الليل أنفاساً،^(٤)

ما عبر عن الوجد الذي عبرت عنه عبراته . ولا عن الشوق الذي لا يستتير مثله معبداً^(٥)

(١) المراد بالسمسار هنا، الدليل والهادي . وأصل معناه : المتوسط بين المائع والمشتري، أو هو

السعير بين المحبين انظر القاموس .

(٢) كذا في كلا الأصلين . ولعله : « الحبيب » . فان تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما

أراد من الاستبشار به ، والتهلل لوروده ؛ ويدل على ذلك أيضا قوله : "لعين محبه" ؛ ولم تقف على

هذا البيت فيما لديها من المظان .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناصح إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام ؛

ولم تقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان .

(٤) أنفاس : جمع نفس بكسر النون، وهو المداد .

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب ؛ وقيل : ابن قطنى مولى ابن قنبر ؛ معن معروف غنى في أول دولة

بن أمية ومات في أيام الوليد بن يزيد . الأعاني ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب .

إذا هَزِجَتْ في القليل الأول نَبْرَاتُهُ ؛ أسفا على ما عَدِمه في هذه الطريق ، من ذلك
الحَيَا الطَّلِيق ، والخلُوقِ الذي هو بكل مَكْرَمَةٍ خَلِيق ، والصفات التي يَحْسُنُ بها كُلُّ
حُسْنٍ وِليق ، ويُعَذَّرُ كُلُّ جَفِينٍ يَسْفَحُ ذَخِيرَتَهُ شوقا إليها وَيُريق

فِفا أَوْخِذا في العَذْلُ أَى طريق * فَمَا أَنَا مِنْ سَكْرِ الهوى بِمُفِيق
أما والهوى إِنَّ الهوى لَأَلِيَّةٌ * يَعْظُمُهَا في الحَبِّ كُلِّ مَشُوقِ
لو أَنَّ الهوى مِمَّا تَصَحَّ هِبَاتُهُ * لَقَاسَمْتُ مِنْهُ قَلْبَ كُلِّ صَدِيقِ

وما زار ناظِرَ خَادِمِهِ الكرى إِلَّا تَمَثَّلَ لَهُ مَوْلَاهُ طَيْفًا يَهُمُّ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ ، وَقِيلَ
تَمَوِيَّةَ نَاطِرِهِ عَلَى قَلْبِهِ في وَصَالِهِ

وَوَدَّ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ مُدَّلَهُ * وَزَادَ فِيهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ ^(٣)

ولقد وَجَدَ طَعْمَ الحَيَاةِ لِبعْدِهِ مَرًّا ، وَقَالَ بَعْدَهُ لِلذَّئِي آلَعَيْنِ وَالْقَلْبِ : مَرًّا

وَهَا هُوَ يَرْجُو في غَدٍ [وَعَدَ] ^(٤) يَوْمِهِ * لَعَلَّ غَدًا يَأْبَى لِمُتَظَرِّفٍ عِذْرًا ^(٥)

وإلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْغَبُ أَنْ يَجْعَلَهُ بِالسَّلَامَةِ مَكْنُوفًا ، وَصَرَفَ الْحِذْنَ
عَنْ سَاحَتِهِ مَكْنُوفًا ، وَعَنَّانَ الصُّرُوفِ عَنْ فِنَانِهِ مَصْرُوفًا ، وَوُفُودَ الرِّجَاءِ عَلَى أَرْجَانِهِ ^(٦)
مُكْنُوفًا ؛ وَأَنْ يُتَمَتَّعَ الْوَجْهَ بِوصفه الذي هو أَشْرَفُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مَوْصُوفًا ^(٧)

(١) يقال : هَزَجَ المعنى كسر الزاى المعجمة وهرج بتشديدها ، إذا طَرَبَ تشديد الراء وترنم ،
والدى في كلا الأصلين : « رَجَحْتَ » ؛ وفيه قلب وتصحيف .

(٢) كَذَا في (ب) والذى في (أ) « مرأته » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلا الأصلين : « السمع » ؛ وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن سقط الرند ، والبيت لأبي العلاء المعزى

(٤) لم ترد هذه الكلمة في (أ) ولا يستقيم البيت بدونها .

(٥) في الأصول : « يَأْتِي » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (أ) : « مكشوف » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٧) في كلا الأصلين : « الوجد » بالذال ؛ وهو تحريف .

مَنْ كَانَ يُشْرِكُ فِي عِلَاقِ فَإِنِّي * وَجْهَتْ وَجْهِي نَحْوَهُنَّ حِينَمَا
 (١١) وَقَدْ كَانَ يَنْتَظِرُ كِتَابًا يَشْرَفُهُ وَيُسْتَفْهُ، وَيَسْتَعْدِمُهُ عَلَى الْأَوَامِرِ وَيَصْرِفُهُ؛ وَيَجْتَنِي ثَمَرَ
 السُّرُورِ غَضَّ الْمَكَاسِيرِ وَيَقْطَعُهُ؛ فَأَتَأَخَّرُ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ التَّأْخِيرُ ظَنًّا، وَلَا صَرْفَهُ [عَنْ]
 أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ مَوْلَاهُ لَا تُحْدِثُ لَهُ الْإَيَّامُ بَحْلًا بِفَضْلِهِ وَلَا ضَنًّا

- وَلَوْ تُصَرَّفُ السَّحْبُ الْغَزَارُ عَنْ الثَّرَى * لَمَّا أَنْصَرَفَتْ عَنْ طَبْعِكَ الشَّمْسُ الْحُسْنَى
 وَهُوَ يَنْتَظِرُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا يَكُونُ عَمَلُهُ بِحَسْبِهِ، وَيُثَبِّتُ لَهُ عَهْدَ الْخِدَامِ بِنَسَبِهِ
 وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي
 وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيُسْتَأْفِيهِمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي.

(١٢)

وَكُتِبَ أَيْضًا : كَتَبْتُ وَالْعِبَرَاتُ تَمَحُّو السُّطُورَ، وَيُوقَدُ مَاؤُهَا نَارَ الصَّدُورِ
 (١٣) وَهَيْتُكَ وَجَدَاكَانَ تَحْتَ السُّتُورِ، وَيُرْسِلُ مِنْ بَيْنِ أَضْلَعِي نَفْسَ الْمُؤْتَوِّرِ
 قَدْ ذَكَّرْنَا عَهْدَكُمْ بَعْدَ مَا طَا * لَتَ لَيَالٍ مِنْ بَعْدِهَا وَشَهْوَرُ
 عَجَبًا لِلْقُلُوبِ كَيْفَ أَطَاقَتْ * بَعْدَكُمْ! مَا الْقُلُوبُ إِلَّا مَحْضُورُ

وَمَا وَرَدَتْ الْمَاءَ إِلَّا وَحَدَتْ لَهُ عَلَى كِبْدِي وَقَدْ لَا بَرْدًا، وَلَا تَعْرِضْتُ لِنَفْحَاتِ
 النَّسِيمِ إِلَّا أَهْدَى إِلَى جَهْدَا، وَلَا زَارَنِي طَيْفُ الْخِيَالِ إِلَّا وَجَدَنِي قَدْ قَطَعْتُ طَرِيقَهُ
 سُهْدًا، وَلَا خَطِطُ لِي الْبَارِقُ الشَّامِيُّ إِلَّا بَرَاهَ قَلْبِي خُفُوقًا وَقَدْ

وَأَيْسَرُ مَا نَالَ مَتْنِي الْغَلِيذُ * لَوْلَا أَحْسَسُ مِنَ الْمَاءِ بَرْدًا

(١) في (١) : « ومن » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) : « ريهبك » بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف .

(٣) « خطف لي » أي لمع لعلنا يخطف البصر .

- فسقى الله داره ما شربت^(١) [من] الغمام ، وأيامنا بها وبدوْرُ ليلَى تلك الأيام تمام
 ذمّ اللبالي بعد منزلة الآوى * والعيش بعد أولئك الأقوام^(٢)
 وكان قد وصل منه كتابٌ كالطيف أو أقصر زورا ، وكالحب أو أظهر جورا ،
 والربيع أو أهر نوراً ، والنجم أو أعلى طورا ، والمساء الزلال أو أبعد غورا ؛ فنثرت^(٣)
 عليه قبلى ، وجعلتُ سطوره قبلى بل قبلى ، ووردتُ منه مورداً^(٤)
 أهلاً به وعلى الإظاء أنشده^(٥) * لو بلّ من غلى أبلتُ من على^(٦)
 إلا أنه — أبقاه الله — ما عززه بشان ، ولا آنس غريبه ، وإنى وإياه غريبان^(٧)
 وكم ظل أو كم بات عندى كتابه * سمير ضمير أو جنان جنان
 وأرغبُ إليه — لا زالت الرغبات إليه — ، وأسأله — لا خيم السؤال
 إلا لديه — ، أن يلاطف بكتابي قلبي ، ويمثل لي بمثالي أنام قربي
- ١٠
- (١) عبارة كلا الأصلين : « ما شربت الغمام » بسقوط « من » والسياق يقتضى إثباتها ، كما
 في مسالك الأبصار ؛ يشير الكاتب بهذه العبارة إلى قول الشريف الرضى :
 سقى منى وليالى الحبيب ما شربت * من الغمام وحبها وحيالك
 انظر ديوان الشريف الرضى .
- (٢) البيت لجربير اضر ديوانه ص ١٢٤ طبع المصنعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا
 * دم المنازل بعد مبرة الصا * الخ البيت .
- (٣) في ديوان جربير : « الأيام » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .
- (٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء ، أى تحاهى ، ويحوز ضبطه بضم القاف وسكون الراء ، أى قصدى
 تقول : أنا أقبل فلك ، أى أقصد قصدك .
- (٥) قبلى ، هو جمع قبله بكسر القاف .
- (٦) يريد أنه يشد كمانه ، أى يطلبه على أطمانه إياه ، وقلة حدواه فى شعاع نلته ، كما يدل عليه بحر
 البيت . وفى كلا الأصلين : « وعن الطلاب » ؛ وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر .
- (٧) عززه : من التعزير ، وهو التقوية والإعانة .
- ٢٠

والله لولا أننى * أرجو اللقا لَقَضَيْتُ نَحْيِي
هذا وما فارقتكم * لَكِنِّي فَارَقْتُ قَلْبِي .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرتُ لدهرى جمعه الدارَ مرةً * وتلك يدٌ عندى له لا أضيعُها
وطلعة مولانا يطالعُ عبده * وكلُّ رُبوعٍ كانَ فيها رُبوعُها
فؤادُ سفاها لا يعودُ غليلُه .. وعينُ رَأْيِهِ لا تفيضُ دموعُها

ورد على الخادم كتابُ المجلس — أعلى الله سلطانه وأثبتَه . وأرغمَ أنفَ عدوه
وكتبَه ، وأصماه بسهام أسقامه وأصمته ؛ ولا أخلى الدنيا من وجودِه ، كما لم يُخلِ
أهلها من جوده ، ولا عطلَ سماءَ المجد من صعودِه ، كما لم يُعطلَ أرضها من
سُعودِه — وهو ككاتبٍ ثانٍ يثني إليه عنانَ الثناء ، ويصفُ لى حسنَ العهد
على الثناء ، ويستنهضُ الأدعيةَ الصالحةَ فى الأطرافِ والآناء ، ويدشِّرُ الخادمَ
بأنه وإن كان بعيدَ الدارِ فإنه بمثابة المقيم فى ذلك الفناء ، وأن هذه
الخدمةَ التى أنعم الله عليه بها وثيقةُ الأساسِ على الدهرِ شامخةُ البناءِ ؛
فقام له قائما على قدميه ، وسجدَ فى الطرسِ ممثلا سُجودَ قلمه ، وأستَرعى اللهَ العهدَ على
أنه تعالى قد رعى ما أودعه فى ذمة كرمِه ؛ وصارت له نَجْرانٌ علاقةٌ خيرٌ صَرَفَ إليها
وجهه فكأنها قِبله ، ودعا بنى الآمالِ إلى اعتقادِ فضلِ مالِكها فكأنما يدعوهم إلى

(١) فى (١) : «وما قد فارقتكم» ، و«قد» زيادة من السامع اد بها يخلل الوزن ، وهذا الشعر ينسب
إلى العيني من أهل مصر ، أو هو لظاهر الحداد انظر حدة القصر لعاد الدين الأصبهاني المأخوذ منه بعض
أجزاء بالتصوير الشاعرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٥ ٤ أدب ، والعيني الذى ينسب إليه
هذا الشعر غير الحافظ بدر الدين محمود العيني صاحب عقد الجمان فى أحبار أهل الزمان .

(٢) كذا فى (ب) ؛ وقد وردت هذه الكلمة فى (١) مهمله الحروف من النقط ، ونجرا فى عدة
مواضع ، منها نجران فى مخاليف اليمن من ناحية مكة .

مَلَّه ؛ وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شَكَرَ هَذَا الْاِقْتِدَادَ عَلَى الْبِعَادِ ، وَلَا يُخْلِيهِ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ الْجَمِيلِ الَّذِي هُوَ مَلَجَأُ الْأَسْتِنَادِ ، وَعَقْدُ الْاِعْتِقَادِ ؛ وَالْحَادِمُ لَا يَنْفَكُ مُتَطَلِّعًا لِأَخْبَارِ الْمَوْلَى قَدَرِهِ مُفْضِلَةً وَنَجْمِهِ ، وَمُقْضِلَةً وَنَجْمِهِ ؛ وَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا يَعْرِفُ بِهِ مَوْقِعَ الْلَطْفِ بِالْمَوْلَى فِي أَحْوَالِهِ ، وَمَكَانَ النِّجَاحِ فِي آمَالِهِ ؛ وَأَنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي نِعْمَةٍ مِنْهُ — لَا غَيْرَ اللَّهِ مُبَاهٍ مِنْهَا ، وَلَا صَرَفَهَا عَنْهُ وَلَا صَرَفَهُ عَنْهَا — فَيَجِدُّ لَه الشُّكْرَ وَالْحَمْدَ ، وَيَلْغُهُ مَا يَلْغُهُ مِنْهَا الْمَرَادُ وَالْقَصْدُ ؛ وَنَسَالَ اللَّهُ أَلَّا يَخْلَى الدَّوْلَةَ النَّاصِرِيَّةَ مِنْهُ نَاصِرًا أَسْلَاطِنَهَا ، وَعَيْنًا لِأَعْيَانِهَا ؛ وَسَيَفِي فِي يَدِ الْإِسْلَامِ بِنَاضِلٍ عَنْ حَقِّهِ ، وَفِرْعَا شَرِيفًا يَشْهَدُ مَرَّاهُ بِشَرَفِ عِرْقِهِ ؛ وَالرَّأْيَ أَعْلَى فِي إِجْرَائِهِ عَلَى مَا عُوِّدَ مِنْ هَذَا الْإِعْلَامِ ، وَزِيَادَتِهِ شَرَفًا بِالْاِسْتِنَاضِ — إِنْ صَلَحَ لَهُ — وَالْاِسْتِخْدَامَ .

(١٢٥)

وَمِنْ جَوَابِ آخِرِ : وَرَدَّ كِتَابُ الْمَجَالِسِ — أَدَامَ اللَّهُ وَارِدَاتِ الْإِقْبَالِ عَلَى آمَالِهِ ، وَ[لَا] سَلَبَتْ الْأَيَّامُ نِعْمَتِي جَمِيلَةً وَإِجْمَالَهُ ، وَلَا أَنْخَطُ قَدْرُ بَدْرِهِ عَنْ دَرَجَتِي تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ ، وَأَحْسَنُ جَزَاءٍ عَنْ مِثْقَالِ الْفَضْلِ الَّذِي نَهَضَ بِاحْتِمَالِهِ — وَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَبْعُدُ الشُّكْرُ عَنْهُ تَحِيدًا ، وَأَنْسَتْ بِهِ الْقَلْبَ الَّذِي كَانَ وَحِيدًا ، وَعَدَدْتُ يَوْمَ وَصُولِهِ السَّعِيدِ عِيدًا ، وَوَرَدْتُ مِنْهُ بَرًا مَعْطَلَةً وَحَالَتْ قَصْرًا مَشِيدًا ؛ وَلَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَتِلْكَ الْغَايَةُ لَيْسَتْ فِي وُسْعِي ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ إِلَّا مَا طَرَّقَ سَمْعَهَا ، وَتِلْكَ الْحَاسَنُ مَا طَرَّقَ ثَمَلُهَا سَمْعِي ، وَلَا تَتَنَاوَلُ يَدٌ إِلَّا مَا وَسِعَهُ ذَرْعُهَا ، وَهَذِهِ الْأَوَابِدُ الْاِبْأَعْدُ مَا طَالَهَا دِرَاعِي وَلَا أَسْتَثْقِلُ بِهَا ذَرْعِي .

(١) اِفْتَنَدَهُ وَتَفَقَدَهُ : طَلَهُ عَدَّ عَيْنَهُ .

(٢) فِي (١) : « وَسَلَبَتْ » مَقْطُوعٌ « لَا » وَلَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ بِدَوَاهَا .

(٣) فِي كَلَامِ الْأَصْلِيِّ : « مِيقَاتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَأَسْبَيْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) تَعْطِيلُ النَّفْسِ ؛ أَلَا تَتَوَدَّ كَمَا فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ ؛ يُرِيدُ أَنَّهَا صَافِيَةٌ مِنَ الْعَذَابِ الْمُرْدِ تَمْلِكُ الرِّحَامَ عَلَيْهَا

الْمَكْدُورَهَا .

٥

١٠

١٥

٢٠

ومن آخر : خَلَدَ الله أَيَّامَ المجلس ، وعَضَّدَ المَلَّةَ الحَنِيفِيَّةَ مِنْهُ بِحَامِيهَا ،
والأَرْكَانَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ سَيْفِهِ بِسَائِدِهَا وَبَانِيهَا ، وَأَمَّتِ الدَّوْلَةُ المَحْمُودِيَّةُ بِعِزِّهِ التِّي
حَسُنَتْ الكِفَايَةُ بِهَا ، فَلَا غُرُوَّ أَنْ تَحْسُنَ الكِفَايَةُ فِيهَا ؛ وَلَا عَدِمَتْ الدِّينِيَّةُ نَصْرَهُ
بِأَيَّامِهِ النَّصِيرَةِ ، وَالدِّينُ نَصْرُهُ بِأَعْلَامِهِ النَّصِيرَةِ ؛ الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ التَّرَابَ الَّذِي يَوْمًا يَسْتَقِرُّ
بِجَوَافِرِ سَيْلِهِ ^(١) ، وَيَوْمًا يَسْتَقِرُّ بِجَوَافِرِ خَيْلِهِ — فَلَا زَالَ فِي يَوْمِ السَّلَامِ جُودُهُ بِمَحَامَا صَائِبًا ،
وَيَوْمِ الْحَرْبِ شُهَابًا ثَاقِبًا — وَيُنْهَى أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ الْمَكْتَابَةُ الَّتِي أَسْتَيْقِظَتْ بِهَا آمَالُهُ
مِنْ وَسْنَاهَا ، وَأَفَادَتِهِ مَعْنَى مِنَ الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا أَذْهَبَتْ مَا بِالنَّفُوسِ مِنْ حَزَنِهَا ، وَتَلَقَّى الْمَمْلُوكُ
قُبْلَهَا بِالسَّجُودِ وَالتَّقَبُّلِ ، وَتَحَلَّى بِعُقُودِ سَطُورِهَا فَهِيَاهَاتِ بَعْدَ هَذَا شَكْوَى التَّعْطِيلِ ؛
وَأَكْتَنَحَلَ مِنَ دَاءِ السَّهْدِ بِأُثْمِيدِهَا ، وَأَدَارَ عَلَى الْإَيَّامِ كَأَسَ مَرَقِيدِهَا ، وَأَسْمَعَتْهُ نَعْمَ النَّعْمِ ^(٢)
الَّتِي هِيَ أَعْجَبُ إِلَى الْفَسْ مِنْ نَعَمَاتِ مَعْبِدِهَا ، وَأَطَالَتِ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا رِكَابَ طَرَفِهِ ^(٣)
[فَمَا وَقُوفُ رِكَابِ طَرَفِهِ ^(٤) يَرْقُوعَةً شَهِيدِهَا ، وَضَرَعَ إِلَى مِنْ يَسْقَعُ وَسَائِلَ الْمُتَضَرِّعِينَ ،
١٠

(١) الحوامر جمع حامرة ، وهى الأرض المحفورة ، كما قاله الأزهري .

(٢) القبل بصم القاف وسكون الداء الموحدة : الوجه اضطر اللسان .

(٣) الإيتمد بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . ويقال إنه معرب . قال آمن البطريق المتأخر :

هو الكحل الأصفراني ، ويؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالشرق . وهو ما مذكور على سبيل الاستعارة
والتنزيل .

(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربته وأعطلها عن الكيد له .

(٥) الكلمة عن (ب) ورسائل الأبصار .

(٦) البرقة والبرقا : أرض عليقة مخططة بمحارة ودرمل ، وجمعها رق بصم الداء وفتح الراء وبراء

بالكسر اضطر اللسان . وفي معجم البلدان لياقوت ح ١ ص ٥٧٩ طبع جوتش أن (برقة شهيد) لنى دارم
٢٠ وذكر في ح ١ ص ٩٤٢ في الكلام على (شهيد) نقلا عن بصران شهيد حبل أحمر حوله أبارق كثيرة
في ديار غنى ؛ ونقل عن غيره أن شهيد موضع في ديار بنى عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة الى قول طرفة
ابن العبد في مطلع معلقته :

حلوة أطلال ببرقة شهيد * تلوح كجاق الوشم في ظاهر اليد

وبلأَ مواقعِ آمالِ المتوقِّعينَ ؛ أن يَغْلَ عنه كلُّ يدٍ للخطوبِ بسيطه ، ويفك به كلُّ رِبْقَةٍ للأَيَّامِ بأعناقِ بَنِيها محيطه .^(١)
^(٢)

ومن آخر : رفع الله عمادَ الإسلامِ ببقاء المجلس ، وبَسَطَ ظِلَّهُ على الخلق ،
وملَّك يَدَهُ الكريمةَ قَصَبَ السَّبْقِ ، وجمَعَ بتديده بين ناصيتي الغرب والشرق ؛ وألَّفَ
لقدرة طاعتي آلِ الجهرِ والسرِّ ، وصَرَفَ بمزمتِه زمامي النَّهى والأمر ، وأحرَزَ بِلَدِّهِ
مَسَرَّتِي الأجرِ والنصر ، وَقَطَّ بِفَتِكَتِهِ شَوَكَتِي النِّفاقِ والكفر وَرَدَّتْ على المملوكِ
مَكْتَابَةُ كَرِيمةٍ رَفَعَهَا حيثُ تُرْفَعُ العِلمُ ، وَمَدَّ اليَدَ إليها كما تُمدُّ إلى العِلمِ ؛ وقَصَّها ،
بعد أن قَضَى باللَّثمِ فَرَضَهَا ، وَأَسْتَمَطَرَتْ نَفْسُهُ سماءَها فارضتُ أرضَها ؛ وكاد المملوكُ
يَتَأَمَّلُها لولا أنَّ دَمْعَ الجَاحِلِ إلى العينِ سَقَمَ . على أنه دَمْعٌ قد تَلَوَّنَ بتَلَوُّنِ الأَيَّامِ
في فراقه ، ولم يَفُضْ عَصْفَرُ لَبَنَاتِ رَحْلِهِ ، دَلَّأَ أَعْدَمَهُ اللهُ المولى حاضِرًا وعائِبًا ،
وَمُشَافِها ومُكَاتِبًا ، وأَحْلَه في حِجابِ السَّعادةِ ونَعَزَ على المملوكِ أن يَحِلَّ من مولاةِ جانبِها .
^(٣)
^(٤)
^(٥)

ومن آخر : وردتْ كِتَابُهُ ووفقتْ على ما أودَّعَهُ مِنْ فَضيلِ خَطِّ وفَضيلِ
خِطابِ ، وعقائِلِ عَفولٍ ما كَا لها من الأَكْداءِ وإِنْ كَا مِنْ الخُطَّابِ ، وآثارِ أَقْلَامِ
^(٦)

(١) عبارة كلا الأصلين « كل رقية للأمام » أح وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، وسياق الكلام
يعتضى ما أُنشأ ، ويعبه قوله : « بحيلة » .

(٢) هذه الكلمة في (أ) مهملة الحروف من البقذ .

(٣) القَط : القطع عامة .

(٤) يقال : عصفت الثوب ، أى صعبته بالعصر ، وهو بات سلافته الحريال . و بذرته القرم وهو
رعى ورعى ، وكلاهما يستأرض العرب .

(٥) حلقه تشديد اللام : طلاه بالخلق ، وهو طيب نخد من الزعفران وغيره .

(٦) وأحله ، أى وأحل المملوك ؛ يريد الدعاء لنفسه بأن ينزله الله في حجاب السعادة ، أى حجاب
المكتوب إليه .

(٧) في كلا الأصلين : « وإن كاس » وسياق العبارة يقتضى ما أُنشأ ؛ فإن الخطاط جمع حاطب ،
كما في اللسان .

تُناضل عن الملة نضال النضال، وكأنها فضل سبق لما تحوزه من حق السبق وخصل^(٢)
 الخصال، فأعيد الإسلام من عديمه، ولا عديم بسطة تلميه، وثبت قدمه، فإنه
 الآن عين الآثار، وأثر الأعيان، وخاطر الحفظ إلا أن الخطوب تصحب فيه خواطر
 النسيان، ولين أختصر الدهر سطوا^(٣)، وأختصر خطوا^(٤)، وإنه سيف يمان إن قدم
 عهدا، فقد حسن فيندا، وخشن حدا، وأجرى نهرا، وأورى شرابا، وأخضر خميلة،
 وقطع الأيام جميلة، وضارب الأيام فأجفلت عن مضاربه ضارثها^(٥)، وشدت عن
 عزمه غرائثها، وليسها حتى أنهجت بواليا، ثم أختار منها أياما وأبى أن يليهما
 ليالبا، لا جرم أن صحيفته البيضاء شعار شعره، وروضة علمه الغناء قد جلت أنوار
 نوره، وزواهر زهره، فالزمان لا يعدو عليه بزمانه تعدو، ولا يتجاوز أوقاته
 إلا موسومة بحاسنه ولا يعدو حتى يمت إليه عدو يلتفت^(٦) أمس، ويروى اليوم^(٧)

(١٢٦)

(١) ريد، السبق إلى الإسلام الذي كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كعلي
 ابن أبي طالب وأبي بكر وغيرهما.

(٢) الحصل: الخطر الذي يتأهب عليه في الزمى؛ يقال: أحرر فلان حصله، والمغنى أنه تلب.
 والخصال: مصدر خالصه، إذا راهنه في الزمى.

(٣) في كلا الأصلين: «سطورا» وهو تحريف؛ وسياف الكلام يقتضي ما أشتبا؛ واختصر الدهر
 جذبه وأمانه؛ ومن نعت الأسد المهنصر.

(٤) واختصر خطوا: آية عن الوث، فإن الوثائق يقل الخطو إلى ثابته.

(٥) فرند السيف: حوهره.

(٦) أجفلت: ففرت وأمرغت في الحرب. وفي كلا الأصلين: «وأحملت» بالحاء المهملة
 وهو تصحيف.

(٧) الصراشب: جمع صرربة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. وإنما ثبتت فيه التاء مع أنه معنى المفعول
 لأنه صار في عداد الأسماء.

(٨) يقال: أبعج الثوب، إذا أخذ في اللب.

(٩) في كلا الأصلين: «الحنا» وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(١٠) في كلا الأصلين: «عليه» وهو تحريف.

(١١) يلتفت، أي يصرف عنه ويعرض.

أَنْ قُرَابَتَهُ مِنْ فَضْلِهِ أَمَسَّ ؛ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَرَى لَهُ وَلَا أَرَى فِيهِ ، وَأُسَدُّ عَنْهُ كُلَّ خَرْقٍ تَعَيَّزَ عَنْهُ يَدُ رَافِيهِ ؛ ضَنَا بِالْصُدُورِ أَنْ تَخْلُوَ مِنْ صَدْرِ كَقْلِيهَا ، وَمَحَامَاةً عَنْ حَقُوقِ تَقْدِيمَتِهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا أَنْ تُعَارِضَ بِسَلْمِهَا .

ومن آخر : وصل ككاتب الحضرة بفعل مستقره النعمة في الصدور ، وأخرجتني ظلمات خطه إلى نور السرور ، ووقفت وكأني واقف على طيل من الأجابة قد بكى عليه السحاب يطّله ، وأبتسم له الروض عن أخبار أهله وآثار منهلّه ؛ فلم أزل أريش مسك سطورهِ ولماها ، وأزّه العين والقلب بين حسنِها وجناها ؛ وأطلق عنان شوي جمعت الأفلام له لجماء وحسبت النفس ليلا ، والكاتب طيفا ، والوقوف عليه حلمًا ؛ إلى أن قضت النفوس وطرا ، وحملت الخواطر خطرا ، وقرنت بما ظنّه سبحانه ما ظنّه مطرا ؛ هذا على أنه قريب العهد بيد النعماء ، فإن هرب^(١) فن ماء إلى ماء .

ومن آخر : فلما وقف على الكاتب جدّد العهد بلثمه ما لم يصل إلى اليد [التي] بعثته ، وشفى القلب بصممه عوضا عن الجوانح التي نفثته^(٢) وأين المطامع من وصله . ولكن أعلل قلبا عليلا .

ومن آخر : وصل كتابه ، وكان من لقائه طيفا إلا أنه أنس بالضحي ، وأثار حرب الشوق وكان قطب الرحي

تخطى إلى المول والقمر دونه * وأخطاره لا أصغر الله مشاهد .

(١) في كلا الأصلين : « وقرنته » ؛ والهاء زيادة من اللامح .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ والسياق يقتضي إثباتها ، كما في (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كَتَابٌ إِلَى نَحْرِي
 ضَمْتُهُ ، وَذَكَرْتُ بِهِ الزَّمْنَ الَّذِي مَا ذَمْتُهُ ، وَأَكْبَرْتُ قَدْرَهُ خَلْفَ تَسْلِمَتِهِ [أَسْتَلِمَتُهُ ^(١)]
 وَالتَّقَطُّ زَهْرُهُ خَلْفَ لَحْنِهِ أَسْتَلَحْتُهُ ، وَامْتَرَجَ بِأَجْزَاءِ نَفْسِي خَلْفَ لِحْطَتِهِ حِفْظَتُهُ ؛
 وَجَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَسْتَقَرِّهِ مِنْ صُدْرِي ، وَأَسْتَطَلْتُ بِهِ مَعَ قِصْرِهِ عَلَى حَادِثَاتِ
 دَهْرِي ، وَجَعَلْتُ سِجْرَهُ بَيْنَ سِجْرِي وَنَحْرِي ^(٢) ، وَأَسْتَضَاتُ بِهِ وَرَشَفْتُهُ فَهُوَ نَهَارِي وَهُوَ
 نَهْرِي ؛ فَإِنْ أَرَدْتُ الْعِطْرَ بَلَا أَثَرٍ أَمْسَكْتُ مِسْكَ بِيَدِي . وَإِنْ أَرَدْتُ السَّكْرَ بَلَا إِمٍّ
 أَدْرْتُ كَأْسَهُ فِي خَلْدِي ؛ فَلَهُ أَنَامُلُ رَقَّتْهُ ، مَا أَشْرَفَ آثَارُهَا ! وَخَوَاطِرُ أَمَلْتُهُ ،
 مَا أَشْرَقَ أَنْوَارُهَا ! وَلَمْ أَزَلْ مُتَنَقِّلًا مِنْهُ بَيْنَ رَوْضَةٍ فِيهَا غَدِيرٌ ، وَلَيْلَةٍ فِيهَا سَمِيرٌ ؛
 وَإِمَارَةٍ لَهَا سَرِيرٌ ، وَمَسَرَّةٍ أَنَا لَهَا طَلِيقٌ أَسِيرٌ ، وَنِعْمَةٍ أَنَا لَهَا عَبْدٌ بِلَهَا أَمِيرٌ ؛
 حَتَّى أَدْبَرْتُ عَنْ جِيوشِ الْأَمْسِ مَغْلُولُهُ ، وَقَصَّرْتُ عَنْ يَدِ الْهَمِّ مَغْلُولُهُ ؛ وَمُلِثْتُ مَتْنِي
 مَسَامِعَ الْمَكَارِمِ حَمْدًا ، وَخَوَاطِرُ الصَّنَائِعِ وَدَا ؛ وَحَطَّ الْأَمَلُ بِرَبْعِي رَحْلَهُ ، وَأَنْبَتَ
 الرَّبِيعُ بِفَنَائِي بَقْلَهُ ؛ وَلَيْسْتُ مِنَ الْإِقْبَالِ أَشْرَفَ خَلْعِهِ ، وَوَرَدْتُ مِنَ الْقَبُولِ أَغْزَرَ
 شِرْعِهِ ، وَأَتَجَبَّعْتُ مِنْ رِيَاضِ الرَّجَاءِ أَرْجَى مُجْمَعِهِ .

وقال أيضا من آخر : هَذَا مِنْ عَفْوِ الْخَوَاطِرِ ، فَكَيْفَ إِذَا اسْتَدَعَى
 الْمَجْلِسُ خَطِيئَةَ ^(٣) خَطِّهِ بِغَاثِ تَعَسُّلٍ ^(٤) ، وَحَشْدَ حُشُودَ بِلَاغَتِهِ فَأَنْتَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ^(٥)
 تَنْسِلُ ! .

(١) هذه الكلمة ساقطة من (١) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضي إثباتها ؛ ويرشد إليها أيضا ما يأتي في الخلتين اللتين بعدها ، والمراد بالاستسلام هنا ، التقييل ، تشبها له بالجر الذي يستلحه الجميع .

(٢) السحر يفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرقة ، أراد ما يحاذيها من الصدر .

(٣) الخطيئة : رماح تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه
 من الهد فتباع به .

(٤) عسل الرمح عسلا وعسلانا : اشتد اهتزازهُ وأضطرب .

(٥) الحدب بفتح الحاء : العلو المرتفع من الأرض . وتنسل : تسرع .

ومن آخر : وَرَّعَ في رياض بلاغته التي لم يقتطفهن من قبله غارس ولا جان ، وأَجَسَلَى الحورَ المقصوراتِ في الطروس التي لم يَطْمِئَنَّ^(١) إنس قبله ولا جاق ، وغَنَى بتلك المحاسن غنى خيرا من المال ، وأَعْتَقَدَ فيها كنوزا إذا شاء أنفق منها الجُل ، وإذا شاء أَمَسَكَ منها الجمال .

٥ وقال أيضا : كَتَبَ أَشْمَلَّ على بديع المعاني وباهرها ، وزَنَرَتْ بحار الفضل إلا أنني ما نَعَبْتُ في آس-خِراج جواهرها ؛ بل سَبَحْتُ حتى تناولتها ، وَجَنَحْتُ إلى- فما حاولتها ، وأَقْبَسْتُ من محاسن أوصافه ، وبدائع أصنافه ؛ نَكَا أَتَقَلَّتْ أجسادها بالارواح ، وزُهِيتْ جياؤها بما فيها من الفرر والأوضح ؛ فبالله من بدائع وروائع ، ولطائف وطرائف ؛ فيها ما تَشْتَهِي الأنفس وتَلَذُّ الأعين ، وما يَقْرُطُ الأسماعُ وَيَقْرُطُ الألسُنُ^(٢) ؛ فكانه طرف طرف^(٣) صوبه مِدْرَار ، وعَلِمَ عِلْمَ منصوب في رأسه نار ؛ صَحَّحَ السحر وإن كان ظنا ، وفَضَحَ الدرداءَ كان أبرع معنى ، وأَسْنَى حُسنا ، وأَدْنَى بجنى ، وأَغْنَى مغنى ؛ فما ضره تأخير زمانه ، مع تقدّم بيانه ؛ ولا من سبقه في عصره ، مع أنه قد سبق في شعره .



(١) الطمئ : الاقتصار ، وبابه بصرو صرب .

(٢) اعتقد : أحرز وأقنى . ١٥

(٣) يقرط الأسماع . أى يحل به الأسماع كما تحل الآذان بالأفراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ، وهو ما يطلق من الحلق في شحمة الأذن . (ويقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ؛ أو هو من تقريط الررس ، وهو إلحامه ، والمراد أن ما في هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته ويلمع الأقواء عن مساجله ؛ وفي الأصول : « يقرط » بإلقاء الموحدة في كلا الفظين ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى . (٤) كذا في كلا الأصلين ؛ ولم نجد من معاني هاتين الكلمتين ما ياسب سياق ما هنا ؛ ولعل صواب العبارة :

« فكانه قطر قطر » الخ فالأولى مصدر قطر الماء . يقطر ، إذا سال . والثانية معنى المطر ، كما تدل على ذلك بقية الجملة . ٢٠

ومن آخر : والله هو من كُتِبَ لَمَّا وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْغَلَّةُ شَفَاها ، ورَأَتْ
وَرَدَهَا كُلَّ مَاءٍ غَيْرِهِ شَفَاها ، ووَطَأَ مضاجِعَ أُنْسِها بعد أن كَانَتِ الشُّوقُ يُقَلِّبُ^(١)
الجنوبَ على شَفَاها ؛ فلا عَدمَ وَدَّها الذي به عن كُلِّ مَوَدَّةٍ سُلُوةٌ ، ولا بَرَحَ
كَفَايَةِ اللَّهِ تُحِلَّها في الدَّرَا وتُعَلِّي قَدَرها في الدُّرُوه ، ولا فَقْدَ مِمَّا يُنْعِمُ به أَيُّ نَعْمَةٍ ،
ولا مِمَّا يُنْشِئُهُ أَيُّ نَشْوَةٍ .

ومن آخر : كُتِبَ كَرِيمٌ تَبَسَّمَ إِلَى ضاحِكًا ، وَظَنَّ مَدَّاهُ أَنَّهُ قَدْ جَلَا
سَطْرُهُ عَلَى حَالِكًا ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا سَوَادُ الْحَدِيقَةِ مِنْهُ أَنْبَعَثَتِ الْأَنْوَارُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا سُودِيَاءُ^(٢)
لَيْلَةِ الْوَصْلِ أَشْتَمَلَتْ عَلَى دَجَى تَحْتَهُ نَهَارٌ ، فَتَنَّهُ هُوَ مِنْ كُتِبَ آسْتَغْفِرُ الدَّهْرُ ذَنْبَ
الْمَشِيبِ بِسَوَادِهِ ، وَأَسْتَدْرِكُ الزَّمَانَ غَالِطَهُ بِسَدَادِهِ .

ومن آخر : كُتِبَتْ تَقَارَعَتِ الْجَوَارِحُ عَلَيْهِ فَكَادَتْ تَنْسَاهُمْ ، فَقَالَتْ الْيَدُ :
أَنَا أُولَى بِهِ ، شَدَّدْتُ عَلَى مَوْلَاهُ وَهَوَّلَايَ عَقْدَ خَنْصِرِي . وَرَفَعْتُ أَسْمَهُ فَوْقَ مَنْبَرِي ؛
وَقَبِضْتُ عَلَيْهِ قَبْضَتِي ، وَبَسَطْتُ فِي بَسِطِ رَاحَتِهِ وَقْتَ الدُّعَاءِ رَاحَتِي ، وَقَالَتِ الْعَيْنُ :
أَنَا أُولَى بِهِ ، أَنَا وَعَاءُ تُخْصِيهِ ، وَالْيَ يَرْجِعُ الْقَلْبُ فِي تَمَثِيلِهِ وَنَصِّهِ ؛ وَأَنَا سَهَرْتُ بَعْدَ
رَحِيلِهِ وَخَشَعَةٍ ، وَأَنَا إِذَا ذُكِرَ هَجِيءُ الْقَلْبِ عَلَّتْهُ رَشَّةٌ بَعْدَ رَشَّةٍ ؛ فَقَالَ الْقَلْبُ :
طَمَعْتُمَا فِي حَقِّي لِأَنِّي غَائِبٌ ، وَهَلْ أَنْتِ لِي بِأَيْدٍ إِلَّا خَادِمٌ ؟ وَهَلْ أَنْتِ لِي

(١) السَّعَاءُ بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) في (١) : « قُلْتُ » ، وهو تصحيف .

(٣) السَّعَا : الشوك ؛ وفي كلا الأصلين : « شَفَاها » بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) سَوِيدَاءُ : تصغير لسوداء ، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) في كلا الأصلين : « عَلَيْهِ » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ؛ وعلمته : من العلل يهتدين

وهو الشرب الثاني .

يا عينُ إلا حاجبٌ ؟ أنا مستقرُّه ومستودعُه ، ومرتعُه ومشرعُه ، وأنا أذكُّه وبه أذكُّكم ، وأحصِرُه ولخدمته أحرصُكم ؛ فاليدُ أستخدمُها مرَّةً في الكتابة إليه ، ومرَّةً في شدِّ الخنصرِ عليه ؛ ومرَّةً في الإشارة إلى فضله ، ومرَّةً في الداءِ بكلِّ صالحٍ هو من أهله ؛ والعينُ أستخدمتها في ملاحظة وجهه أبنا ، وفي توقُّع لقائه غائبا ، وفي السهيدِ شوقا إلى قربه ، والمطالعة لما يخرجُ أمرى بكتنه من كُتبه ؛ فهناك سلَّمتا وأستجرتا ، وألقنا وأستأنرنا ؛ وكدتُ أرشِفُ نفسيه لِأثقله إلى سُوَّيداه ، لولا أن سواد العين قال : أنا أحوُجُ إلى الاستمدادِ من هُده .

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكِّب نصف قرائنه على نصف بيت نحو قوله :

وَصَلَ كِتَابُ مَوْلَايَ بَعْدَ مَا * أَصَاتِ الْمَنَادَى لِلصَّلَاةِ فَأَعْتَا ^(٤) ^(٥)

فلما استقرَّ لدى ، « تَجَلَّى الذی من جانب البدر أظلمًا » فقرأته ، « بعينٍ إذا استمطرُها أم طرتُ دما » وساءلته ، « فساءلتُ مصروفا عن النطقِ أعجما » ولم يرَدَّ جوابا ، « وماذا عليه لو أجاب المتما » ورددته قراءة ، « فعوجلْتُ دون الحليم أن أتحملا » وحفظته ، « كما يحفظ الحرُّ الحديثَ المكتما » وكثرته ، « فمن حيثما واجهته قد تبسما » وقبلته ، « فقبلتُ ذرا في العقود منظمًا » وقتُّ له ، « فكنتُ بمفروض ^(١٥)

(١) عبارة الأصول : « في ملاحظة وجهه غائبا ، وفي توقُّع لقائه آتيا » ؛ وظاهر أن في نهايتي هاتين الجملتين تقديما وتأخيرا ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٢) استجرتا : ائقادتا ؛ يريد أنهما وافقتاه على دعواه ؛ والذي في كلا الاصلين : « استجرتا » بالحاء المهملة والنون ؛ وهو تصحيف لا يطره له معنى .

(٣) في كلا الأصلين : « نفسه » بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف ؛ والقس بالسكر المداد .

(٤) في كلا الأصلين : « أصاب » بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف لا يسقيم به المعنى ؛ وأصات : نادى ؛ وهو من الصوت .

(٥) هذه اللام ساقطة من (أ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما في (ب) .

المحبّة قِيَمًا» وأخلصتُ لكتابه، «وليس على حكم الحوادث محكمًا» ^(٢) ولم أصدقه،
«ولكنه قد خالط الغم والدماء» وأزختُ وُصوله، «فكان لأيام المواسم موسما»
وداويتُ عليل «حشا ضَرَّ ما فيه من النار ضَرًّا» ^(٣) وشفيتُ غليل «فؤاد أُمْنِيه»
وقد بلغ الظأ «فأما تلك الأيام التي «حماها من اللوم المُقَام على الحمى» واللبالي
العذاب التي «ملأن نحر الليل بيضا وأنجا» ^(٤) [فإني لأذْكُرُها، «بصير كما قد صرمتُ
قد تَصَرَّمًا»] وأرسل الزفرة «فلو صاغت رَضَوَى رَضًّا وهدّما» وأرسل العبرة،
«كما أنشأ الأفق السحاب المديما» ^(٥) وأخطب السلوة، «نأسأل معدوما وأقبل معدما» ^(٦)

(١) كذا في كلا الأصلين وصحح الأعشى ح ١ ص ٢٧٨ وارتبط هذا السطر بما قبله من التزعير طاهر؛
ولعله: «ولست» زيادة ناء الصمغ يقول: بي لا أمان. رد الحوادث التي تعوقني عن أن اكتب إليه
بما سدى له من اشوق. ويذ يكون الارتباط واضحاً.

(٢) ولم أصدقه، أي لم أعشه بالصدق فتح الصاد والندال. كما يعنى الدر والى في صحب الأعشى
ح ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالقلب المثناة وهو تصحيف.

(٣) كذا في تذكرة الصمدى المحفوظ بها بعض أجزاء مخصوصة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠
أدب. والذي في كلا الأصلين وصحح الأعشى: «حماها على اللوم» الخ. ولم يقف فيما لديها من كتب
اللغة على تعدية هذا الفعل «على».

(٤) البيض: جمع أبيض، ومن معانيه الرجل النقي العرض؛ والطاهر أن ذلك هو المراد هنا؛ يريد
وصف خلانه وجلسائه بقاء أعراسهم من الدنس والعيوب؛ وانهم كالبحوم في عاز الشرف وبعد المنزلة.
(٥) هذه التكلة ساقطة من كلا الأصلين وصحح الأعشى؛ وقد قلناها عن تذكرة الصمدى؛ إذ لا يستقيم
الكلام بدونها.

(٦) في كلا الأصلين: «وأرسلت» بصيغة الماضى وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا لوافق ما بعده
وما قبله.

(٧) و(١): «فاصاغت» وهو غير مستقيم؛ والسباق يقتضى ما أثبتنا كافى (ب) وتذكرة الصمدى.
(٨) رص: من الرض، وهو الدق والكسر.

(٩) أنشأ الأفق السحاب، أى وفقه.

(١٠) المديم بتشديد الياء: من ديم السحاب، أى دام مطره. ويقال: دقم تشديد الواو، وهو
الأصل كما يستفاد من اللسان.

(١١) أقفل: من القفول، وهو الرجوع.

فأما الشكرُ فإنما « أفَضَ به مسكا عليك مَحْتَمًا » وأقوم منه بفرض « أراني به دون البرية أقوما » وأوفَى واجبَ قرض، « وكيف تَوَفَّى الأرض قَرْضًا من السما » .

وقال أيضا : ^(١) وصل كتابُ الحَضرة بعد أن عددتُ الليالي لطلوع صَدِيعِهِ ^(٢) « وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ الليالي » ، وبعد أن أنتظرتُ القيظَ والشتاءَ لفصلِ ربيعِهِ « فما للنوى تَرِمِي ليلي المراميا ! وأستروحتُ إلى نسيمِ سَحَرِهِ ، « إذا الصيفُ أَلْقَى في الديار المراسيا » ومددتُ يدي لاقتطافِ ثَمَرِهِ ، « فله ما أحلَى وأحلى المجانبا ! » ووقفتُ على شكواه من زمانه ، « فبتُّ لشكواه من الدهر شاكيًا » وعجبتُ لعمى الخطِّ عن مكانه « وقد جمع الرحمن فيه المعانيا » وتوقَّعتُ له دولةً يعلوها الفضل « إذا هزَمَ من تلك اليراع عواليا » ورتبةً يرتقي صهوتها بحكم العدل « فُربَ مَرَلَق يُعتدِّدَن مَهاويا » وإلى الله أرغب في إطلاعه سعوده ، « زواهرَ في أفق المعالي زواهايا » وفي إنهاضِ عَثَرَاتِ جدودِهِ ، « فقد أَعَثَرْتُ بَعْدَ النهوض المعاليا » .

وقال أيضا :

وَصَلَ مِنَ الحَضرة

كِتَابُ به ماءُ الحَيَاةِ وَتَقَعَةُ الـ * حِجَابًا فَكَأَنِّي إِذْ ظَفِرْتُ بِهِ انْخَضَرُ

وَوَقَّفَ عَبْدُهَا مِنْهُ عَلَى

عَقودِ هِيَ الدَّرُّ الَّذِي أَنْتَ بِحَرِهِ * وَذَلِكَ مَا لَا يَدْعِي مِثْلَهُ الْبَحْرُ

(١) كذا في (ب) ؛ ولم يرد من هذه الكلمة في (١) غير الحرف الأول ، وهو الواو .

(٢) الصديق : الصبح .

(٣) في (١) : « المحاميا » وفي (ب) « المخاميا » ، وهو تحريف صواب ما أثبتنا انظر تذكرة الصفيدي وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٩ وأراد بقوله : « وأحلى المجانبا » وصف مجانبا بالصيانة وأنها منعمة غير مبتذلة .

ورَتَعْتُ مِنْهُ فِي

رَبَاضٍ [يِد] تُجْنَى وَعَيْنٍ وَخَاطِرٍ * نَسَابِقَ فِيهَا النَّوْرُ وَالزَّهْرُ وَالثَّمَرُ^(٢١)

وَكَرَعْتُ مِنْهُ فِي حَيَاضٍ

تَسْرُجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّمَا * وَتُرَوَّى بِجَارِيهَا إِذَا بَحَلَّ الْقَطْرُ

وَمَا زِلْتُ مِنْهُ أَنْشُدُ

كَأَنِّي سَارٍ فِي سَرِيرَةٍ لَيْلَةٍ * فَلَمَّا بَدَا كَبُرْتُ إِذْ طَلَعَ الْفَجْرُ
وَوَاقَى عَلَى مَا كُنْتُ أَعْهَدُ

نَخَلْتُ بِأَنَّ الْعَيْنَ مِنْ سُحْبٍ كَمَّهُ * فَمِنْ ذِي وَمِنْ ذِي [فِيهِ] يَنْتَثِرُ الدَّرُّ^(٣١)
وَأُسْتَرْجَعُ فَائَتْ الدُّنْيَا مِنْ مَوْرِدِهِ

وَمَا كَانَ عِنْدِي بَعْدَ ذَنْبٍ فِرَاقِهِ * بِأَنِّي أَرَى يَوْمًا بِهِ يَعْبُدُ الدَّهْرُ

وَنَفْسٍ عَنِ النَّفْسِ بِأَبْيَضٍ ثَمَادِهِ، وَعَنِ الْعَيْنِ بِأَسْوَدٍ لِمَامِدِهِ^(٤١)

بِهِ لَهَا سَبْعٌ طَوِيلٌ فَهَذِهِ * عَلَى خَاطِرٍ بَرْدٌ وَفِي خَطَرٍ بَدْرُ^(٥١)
وَجَدَّدَ إِلَيْهِ أَشْوَاقًا جَدِيدُهَا

يَمُزُّ بِهِ ثَوْبَ الْجَدِيدِينَ دَائِمًا * فَيَبْلِي وَلَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَى الدَّهْرُ

وَذَكَرَ أَيَّامًا لَا يَزَالُ يَسْتَعِيدُهَا

وَهِيَّاتُ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الدَّهْرِ فَائَتْ * فَدَعِ عَنْكَ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكره الصفدي وصحح الأعشى ح ١ ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) المر بضم الاء الموحدة جمع ثمار بالكسر كما في المصباح ؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ واستقامة الوزن تقتضيها ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكره الصفدي .

(٤) كذا في كلا الأصلين . والدي وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن التمام بكسر أَوَّلِهِ : الماء القليل كالتمد بالتحريك ، فكانه يريد تشبيه الكتاب بالماء في أنه يشفي العلماء وينقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

وكلام القاضي الفاضل - رحمه الله - كثير، بأيدى الناس منه عدّة مجلّدت، أخبرني من أتق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلداً قد جُمعت، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جداً، وقد نقل بعض من أرخ، أنه وجد للقاضي الفاضل مسودات كتب صدرت عنه وأجوبة تزيد إذا جُمعت على مائة مجلد، ولا يحتمل الحال أن نورد له أكثر مما أوردناه، ورسائله المختارة كثيرة قد يكون فيها أجود مما اخترناه ونحوه، وإنما أوردنا له ما حضر في هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والاستقصاء، وإن كان كل رسائله مختارة رحمه الله .

ذكر شيء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم الأنصاري القرطبي رحمه الله، - وكانت وفاته بقنا من أعمال قوص في سنة اثنين وسبعين وستمائة -

كتب إلى شيخنا الإمام العلامة تقي الدين محمد ابن الشيخ الإمام الحلي مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد رحمهم الله تعالى : تخدم المجلس العالي صفات يقف الفضل عندها، ويقف الشرف بمجدها، وتلتزم المعالي حمدها، وسمات يتسم ثغر الرئاسة منها، وتروى أحاديث السيادة عنها؛ الصدري الرئيسي المفيدي؛ معاني استحقها بالتميز، واستوجبا بالتبريز، وسبكنه الإمامة لها فألفته خالص الإبريز؛ ومعالي أقرته في سويدائها، وأطلعت في سماها،

(١٢١)

(١) كذا في (ب) والدي في (١) « ومن كلام » وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) كذا في كلا الأصلين ؛ وقد ورد هذا النسب في بعض المصادر ساقطاً منه هذا الجذ الثالث وهو عرا نظر كتاب الطالع السعيد لكلال الدين الإدقوي ص ٤٥ طبع الجمالية في ترجمة محي الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبي العباس ابن القرطبي .

والبسته أفضل صفاتها وأشرف أسمائها ؛ العلامى الفاضلى التقوى ؛ نسب أختص به اختصاص التشريف ، لا تعريف له فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ لا زالت إمامته كافلة بصون الشرائع ، واردة من دين الله وكفالة أمة رسول الله أشرف الموارد وأعذب الشرائع ، آخذة بأفاق سماء الشرف فلها قمرها والنجوم الطوالع ، قاطعة أطاع الآمال عن إدراك فضله وما زالت تُقطع أعناق الرجال المطامع ، صارفة عن جلالة مكاره الأيام صرفا لا تتورده القواطع ، ولا تعترضه الموانع ؛ وينهى ورود عذرائه التى « لها الشمس خذت^(١) والنجوم ولائد^(٢) » وحسنائه التى « لها الدرر لفظ^(٣) والدرارى فلائد^(٤) » ومشرفته التى « لها من براهين البيان شواهد^(٥) » وكريمته التى « لها الفضل ورد^(٦) والمعالى موائد^(٧) » ووديعته التى « لها بين أحشائى وقلبي معاهد^(٨) »

وآيته الكبرى التى دلّ فضلها * على أن من لم يشهد الفضل جاحد
وأنك سيف الله للهدى * وليس لسيف سله الله غامد

(١) فى (١) : « لائترىها » وفى (ب) : « تشرىفا » بسقوط « لا » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام .

(٢) الشرائع جمع شريعة ؛ وهى مورد الشاربه التى يشربها الناس فيشربون منها ويستقون ، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عذلا لا يقطع له ، ويكون ظاهرا معينا لايسق بالرشاء . ولا تكرارين ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى قول حرير :

أخذنا بأفاق السماء عليكم * لنا قراها والنجوم الطوالع

(٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البعث المجاشعى :

طمعت بليل أن تربع وإنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

(٥) فى (١) : « حدث » وفى (ب) « هذب » ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسمائها ، قاله الفراء .

(٧) فى كلا الأصلين وتكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجالية : « موارد » ؛ وهو تحريف لحصول

التكرار به مع قوله : « ورد » .

فلم يثب عليها يحسن صوغ السوار ، ولفضلها يقال : "أناة أيها الفلك الممدار" ، وإنما في العلم أصل فرع ثابت ، والأصل علة النشأة والقرار ، وفرع أصل ثابت ، والفرع فيه الورق والثمار ؛ هذه التي وقفت قرائح الفضلاء على استحسانها ، وأوقفتني على قدم التعبد لإحسانها ، وأيقنت أن مفترق الفضائل مجتمع في إنسانها ، وكنت أعلم علمها بالأحكام الشرعية فإذا هي في الثرائن مفعها ، وفي القصائد أخو حسناتها ؛ هذه وأبيك أم الرسائل المبتكرة ، وبنت الأفكار التي هدتها الآداب فهي في سهل الإيجاز البرزة^(١) وفي صون الإعجاز المخدرة ، والمليئة بدائع البداهة ، فتى تقاضها متقاض لم تقل : "فقطرة إلى ميسرة" ، والبديعة التي لم توجه إليها الآمال فكها لاستحالة غير مسبوق بالشعور ، ولم تسم إليها مقل الخواطر لعدم الإحاطة بغيب الصدور قبل الصدور ، والبديهة التي فصل البيان كلماتها تفصيل الدرر بالشذور ؛ إن كتبها تيمس في صدورهم وأعجازها ، ويختال في سطورها وإعجازها ، وتنال عليها أغراض المعاني بين إسهابها وإيجازها ؛ فهي فرائد آتت من أفكار الوائلي والإيادي ، وقلائد انتظمت انتظام الدراري ، ولطائم فُصت عن العبر الشجري^(٢) والمسك الداري ؛ لا جرم أن غواصي الفضائل ظلوا في عمراتها خائضين ، وفرسان

(١) كذا في (ب) ، والدي في (أ) « وأصل فرع » وهو مكرر مع ما قبله .

(٢) كذا في كلا الأصلين ؛ وأوقفه بالمرلة رديئة كما في اللسان ؛ وقد دلها ابن السكيت عن الكسائي

وقيل : وقفه وأوقفه سواء .

(٣) البرزة : البارزة المحاسن . وفي (أ) : « البررة » راغب مملتين ؛ وهو تصحيف .

(٤) تنال : تتابع .

(٥) الطائم : أوعية المسك الواحد لطيفة .

(٦) الشجري : نسبة إلى الشجر ، وهو صقع بساحل بحر الهند من ناحية اليمن قال الأصمعي : هو بين عدن وعمان ، والله يسب العنبر الشجري « ياقوت » . والداري : نسبة إلى دارين ، وهي فوضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند « اللسان » مادة « دور » .

الكلام أضخّوا في حَلَبَاتِها رَاكِضِينَ، وَأَبْنَاءَ الْبَيَانِ تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهَا "فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ".

ما إن لها في الفضل مثلُ كائنٍ * وبيأتها أحلى البيانِ وأمثلةُ

فالعجزُ عنها معجزٌ متيقنٌ * ونبيها بالفضل فينا مرسلُ

ما ذاك إلا أن ما يأتي به * وحى الكلام على اليراعة يزلُ

بزغت شمسا لا ترضى غير صدره فلُكا، وانقادت معانيها طاعة لا تختار سواء ملُكا،

وانبذت بالعراء فلا تخشى إدراك الإنكار ولا تخاف دركا، وندت شواردها

فلا تقتنصها الخواطر ولو نصبت هذب الجفون شركا

فلا أصائل في عليائها سمرٌ * إن الحديث عن العلياء أسامرُ^(٢)

وللبصائر هادٍ من فضائلها * يهدي أولى الفضل إن ضلوا وإن جاروا

بادي الإبانة لا يخفى على أحد * "كانه علم في رأسه نارُ"

أعجب بها من كلِّم جاءت كغمام الظلال على سماء الأنهار! وسرت كعليل النسيم

عن أيديّة الاستحار، وجليت محاسنها كأؤلؤ الطل على خدود الأزهار، وتجلت كوجنة

الحسنة في فلك الأززار، وأهدت نفحة الروض متأود الغصن بليل الإزار، فأحيتنا

بذلك النفس المعطار، وحيّتنا بأحسن [من] كأسى لمى وعقار، وآسى ريحان وعذار؛

(١٣٠)

(١) المعجز بكسر الجيم وفتحها مصدر ميمي بمعنى العجز .

(٢) الأصائل، جمع أصيل، وهو الحكم الرأى . وفى كتاب الطالع السعيد ص ٥٩ : « فلا فاضل » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر فتح السين والميم، وهو معروف؛ ويجوز أن يقرأ : « إسمار » بكسر الهمزة على احتمال أن اسمهم فلان بالهمزة في سمر كما في اللسان عند قول عبيد بن الأبرص :

٢٠

مهن كنبراس البيط أو الـ * مريض تكف اللاعب المسمر

(٤) كذا في (ب) والطالع السعيد؛ ومكان هذه الكلمة في (أ) باء موحدة بعدها ألف؛ ولا ينهم

لها معنى .

ولؤاؤى حَبَبٍ ونغر، وعَقِيقٌ شَفْعٌ ونحر، وربيعى زهير ونهر، وبديعى نظم ونثر؛
ولم أدر ما هى أنغور ولائند؟ أم شذور فلائند؟ أم توريدُ خدود، أم هيفُ قدود؛
أم نهودُ صدور، أم عقودُ نحور؛ أم بدورٌ اتلتفتُ فى أضوائها، أم شموُسُ أشرقت
فى سماءها ؟

جمعن شتيتَ الحسنِ من كلِّ وجهة * فخيرن أفكارى وشيئين مَفَرِّقِ
وغازلها قلبى بودٌ محققٍ * وواصلها ذكرى بحمدٍ مصدِّقِ
وماكنتُ عَشاقاً لذاتِ محاسنٍ * ولكن من يبصرُ جفونك يعشقِ
ولم أدر والألفاظُ منها شريفةٌ * الى البدرتسمو أم الى الشمس ترتقى

إنما هى جملةُ إحسان يُلقى اللهُ الرُّوحَ من أمرِهِ على قلوبها، أو روضةُ بيان «تُؤْتِي أَكْلَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» ؛ أو ذاتُ فضلٍ آسَمَتْ على ذواتِ الفضائل ، وجنت ثمر
العلوم فأجنتها بالضحى والأصائل ؛ أو نفسُ زكّت فى صنيعها، ونَفَتْ رُوحُ الْقُدُسِ
فى رُوعها؛ فسلكت سُبُلَ البيان دُلا، وعدمت ممانلا فاضحت فى أبناء المعالى مثلاً؛
وسرّت الى حَوْزِ الأمانى والأنامُ نيام، فوهب لها واهبُ النعم ^(١) أشرف الأقسام؛
بغادت فى الإنفاق، ولم تُمسك خشيةً إملاق، وقيدت نفسها فى طلقِ الطاعة بقاءها

توقيعُ التفضيل على الإطلاق

أَنْ لِي مَعَاذُهَا أَخَا الْهَمِّ مِنْهَا * الى الفضل تُعزى أم الى المجد تُنسبُ
هى الشمسُ إلا أن فكركَ مَشْرِقٌ * لإبدائها عندى وصدرى مَغْرِبُ
وقد أبدعتُ فى فضلها وبديعها * بخاءت الينا وهى عتقاء مَغْرِبُ ^(٢)

(١) فى طلقِ الطاعة « اى فى قيدها ؛ وأصل الطلق بالتحريك ، القيد من جلود .

(٢) شبه هذه الرسالة بالعطاء المغرب ، وهى التى أعربت فى البلاد ونأت ولم تحس ولم تر؛ والمراد أن

هذه الرسالة غريبة فى بلاغتها وحسن بيانها ، ولا عهد للكاتب بأمثالها .

فَأَعْرَبَ عَنْ كُلِّ الْمَعَانِي فَصِيحُهَا * بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ نَزَارٌ وَيَعْرُبُ
 وَمَذْ أَسْرَفَتْ قَبْلَ التَّنَاهَى بِأَوْجِهَا * عَفَا فِي سَنَاهَا بِدُرُتْمٍ وَكُوكَبُ
 تَنَاهَتْ عِلَاءً وَالشَّبَابُ رَدَاؤُهَا * فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالرَّأْسِ أَشْيَبُ
 لَنْ كَانَ ثَغْرِي بِالْفَصَاحَةِ بِاسْمَا * فَتَغْرُكُ بِسَامِ الْفَصَاحَةِ أَشْنَبُ
 وَإِنْ نَاسَبَتْنِي بِالْمَجَازِ بِلَاغَةً * فَأَنْتِ إِلَيْهَا بِالْحَقِيقَةِ أَنْسَبُ
 وَمَذْ وَرَدَتْ سَمْعِي وَقَلْبِي فَإِنِهَا * لَتُؤَكَّلُ حُسْنُنَا بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ
 وَإِنِّي لِأَشْدُو فِي الْوَرَى بِثَنَائِهَا * كَمَا نَاحَ فِي الْغَضَنِ الْحَمَامُ الْمَطْرَبُ
 وَنَشْهَدُ أَبْنَاءَ الْبَيَانِ إِذَا آتَدَوْا * بَأَنِي مِنْ قَسِّ الْإِيَادَى أَخْطَبُ
 وَمِائِي لَتَسْدِنِي إِلَى الْمَجْدِ عَصَبَةٌ * كَرَامُ حَوْتِهِمْ أَوَّلُ الدَّهْرِ يَثْرِبُ
 وَأَنْتِ إِذَا خَانَ الزَّمَانُ وَفَاءَهُ * وَفِي عَلَى الصَّرَاءِ حُرٌّ مَجْتَرِبُ
 إِبَاءُ أَبَتْ نَفْسِي سِوَاهُ وَشِيَةِ * قَضَى لِي بِهَا فِي الْمَجْدِ أَصْلٌ مَهْدَبُ
 وَنَفْسُ أَبَتْ إِلَّا اهْتَرَاذَا إِلَى الْعَلَا * كَمَا أَهْتَرَّ يَوْمَ الرُّوعِ رِيحٌ وَمِقْضَبُ
 وَلِي نَسَبٌ فِي الْأَكْرَمِينَ تَعَرَّفَتْ * إِلَيْهِ الْمَعَالَى فَهُوَ رِيَانٌ مَخْضَبُ
 تَمَّتْهُ أَصُولُ فِي الْعِلَاءِ أَصِيلَةٌ * لَهَا الْمَجْدُ خَذَنٌ وَالسِّيَادَةُ مَرْكَبُ
 تَلَاقَى عَلَيْهِ الْمَطْعَمُونَ تَكْرَمًا * إِذَا أَحْمَرَّتْ أَفُقُ بِالْحَجَرَةِ مَجْدِبُ
 مِنَ الْيَمِينِ الَّذِينَ سَمَّا بِهِمْ * إِلَى الْعَزَّيْتِ فِي الْمَعَالَى مَطْنَبُ

(١) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ : « حَوْلُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْمَقْضَبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .

(٣) فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ « عَرِيَانٌ » ؛ وَمَا أُثْبِتَ أَنَّهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لَهَا بَعْدَهُ مِنَ الْوَصْفِ .

(٤) الْمُرَادُ بِوَصْفِ هَذَا النَّسَبِ بِالْإِخْصَاصِ ، كَثْرَةُ مَا يَعْدُ فِيهِ مِنَ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِ الْمَقَارِحِ .

(٥) احْمَرَّتِ الْأَفُقُ كِتَابَةً عَنِ الْجَدْبِ . وَالْعَرَبُ . تَقُولُ : سَنَةٌ حَمْرَاءُ إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَفَاقَ

السَّمَاءِ تَحْمَرُّ فِيهَا . وَالْحَجَرَةُ : الْبَيَاضُ الْمَعْرُضُ فِي السَّمَاءِ ، وَالتَّسْرَانُ عَنْ جَانِبَيْهَا .

قَرَوَا تَبَعًا بِيضَ الْمَوَاضِي صَحَاءَهُ ^(١١) * وَكُومَ عِشَارٍ بِالْعَشِيَّاتِ تُضَهَبُ ^(١٢)
فِرْحَلَهُ الْجَوْدُ الْعَمِيمُ وَمَنْصُلاً ^(١٣) * لَهُ الْعَمْدُ شَرْقٌ وَالذَّوَائِبُ مَغْرِبٌ ^(١٤)
وَهُمْ نَصَرُوا وَالَّذِينَ عَزَّ نَصِيرُهُ ^(١٥) * وَأَوَّوْا وَقَدْ كَادَتْ يَدُ الدِّينِ تُقْضِبُ
وَخَاضُوا غَمَارَ الْمَوْتِ فِي حُومَةِ الْوُغَى * فَعَادَ نَهَارًا بِالْهَدَى وَهُوَ غَيْهَبٌ
أَوْلَيْكَ قَوْمِي حَسْبِيَ اللَّهُ مَثْنًا * عَلَيْهِمْ ^(١٦) وَأَيُّ اللَّهِ تُتْلَى وَتُكْتَبُ ^(١٧)

هذه اليتيمة أيديك الله ملحقها الإحاض ، وتحليلها الألفاظ في أبعاد الاعتراض
لتسرح مقل الخواطر في مختلفات الأنواع ، ويتنوع الوارد على القلوب والأسماع ،
وإلا فلا تماثل في الأدوات ، وإن وقع التماثل في الذوات ، كالجمع بين النورية في

(١) صحاء ، أي في وقت ضجائه ، والصحاء : إذا امتد النهار وركب أن ينتصف . وفي كلا الأصلين .

« ضماء » وهو تحريف .

(٢) الكوم : النياق العظيمة الأسنة ؛ واحده كوما . بفتح الكاف .

(٣) في كلا الأصلين وغيرهما من المصادر : « تهب » بتقديم الهاء على الضاد ، ولم نجد من معانيه
ما ياسب السياق . « وتصب » بالياء للجهول : من قولهم صبّه بالباركعه ، إذا لوجه وعيره . كما في القاموس
وشرحه ، وهم يمدحون الشواء الذي لم يتم نصحه لما في ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابي
حير الشواء الطيب الملهوح * قد هم بالصبح ولما يصبح

أولعله من صبب اللحم بتشديده الهاء ، أي قطعه ، وادن يكون صواب البيت : « بالعتى تصب » بإفراد
العتى ليستقيم الوزن .

(٤) المصل : انسيف .

(٥) في كلا الأصلين : « بهم » بالباء ؛ وهو تحريف .

(٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته إذا نسبت إلى رسالة ابن دقيد العيد ، لإحاض الابل بعد أن
تسأم الحلو من النبات ؛ كما يرشد إلى ذلك سياق الكلام الآتي ؛ والاحاض مصدر أحضت الابل إذا
أكلت الحوض وهو ما ملح وأمر من النبات ؛ وهو كما كهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلطة .

(٧) في (أ) « تجلهم » ، وفي (ب) « ونحكيم » ، وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٨) كذا في الطالع السعيد ؛ والذي في كلا الأصلين : « بقل » الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٩) في كلا الأصلين : « وينبوع » ؛ وهو تصحيف .

السراج والشمس ، وأشتمال الإنسانية^(١) على القلامة والنفس ، والتوارد الإدراكي بين
 كليّ بالعقل ، وجزئيّ بالحس ؛ وكالمناصر في افتقار الذوات إليها ، وان تميزت الحرارة^(٢)
 عليها ، وكالمشاركة الحيوانية في البضعة اللسانية ، واختصاص الباطنية بالذات
 الإنسانية ؛ فسيّدنا ثمر الروض ونسيمه ، وسواه ثراه وهشيمه ، وزهره وأندائه ، وغيره
 شوكة وغثائه ؛ والبدر وإشراقه ، وسواه هلايته ومحاقه ؛ اشتراك في الأشخاص ،
 وامتياز في الخواص ؛ ومشابهة في الأنواع والأجناس ، ومغايرة في العقول والحواس ؛
 كالورد والشقيق ، والقهرمان والعقيق ؛ تماثلاً في الجواهر والأعراض ، وتغاييراً^(٣)
 في تمييز الأغراض ؛ فسيّدنا من كلّ جنس رئيسه ، ومن كلّ جوهر نفسه ؛ وأما
 حسناء المملوك على مذهبهم في تسمية القبيح بالحسن ، والحسن بالقبيح ، والضرير بالبصير
 والأخرس بالفصيح ؛ مما صَدَّت ولا صَدَّت يمني كاسها . ولا شدَّت في مذهب
 ولائه عن أطراد قياسها ، ولا زَوَتْ عن وجه جلالته وجه إيناسها ، ولا جهَلَتْ أنه
 في العلوم الشرعية ابن أنيسها ، وفي المعاني الأدبية أبو نواسها ؛ ولا خفيَ عنها أن سيّدنا
 مجرى أيمن ، وفي وجه السيادة إنساناً المقلّة وغرّة الجبين ، والدرة في تاج الجلالة^(٤)

(١) كذا في الطالع السعيد ؛ والدى في كلا الأصلين : « و » ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) أشار بهذه العبارة الى ما هو معروف في كتب المعقول من أن الماهيات الكلية انما يدركها
 العقل دون غيره ؛ وذلك لأنها ليس لها وجود في الخارج ، وأما حريات هذه الماهيات وأفرادها فإنها
 تدرك بالحس لوحدها الخارجي .

(٣) يقال فيه أيضاً « الكهرمان » بالكاف ؛ والكهرم بجعفر . انظر تاج العروس مستدرك مادة

« كهم » .

(٤) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

صَدَّت الكأس عن أم عمرو * وكان الكأس مجراها ايمناً

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم في البيت السابق في الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة

« وكان الكأس مجراها ايمنياً » ؛ والمعنى أنه أولى من سواء بالتقديم .

والشُّدْرَةُ في العقد الثمين ؛ وأنه الصدرُ الذي يَأْرُزُ العِلْمُ إلى صدرِه ، وتُقْتَرَحُ عَقَائِلُ المعاني مِن فكرِه ، وتَأْتِمُّ الهداةُ ببدرِه ، وتَنْتَعِي الهدايةُ إلى سرِّه ، وأنها في الإيمان بمحمدٍتِه أُمُّ عَمَّارَةٍ لا أُمُّ عَمْرٍه ؛ وأنه غايةُ نَحَارِها ؛ ونهايةُ إِيثارِها ؛ [وَأَيُّ نَهَاْرِهَا] (٥) ومستَوَظُنُّ إفادَتِها بين شمس فضائله وأقارِها ؛ فكيف تَصُدُّ وفيه كَلِيَّةُ أغراضِها ، ومنه عَلَيَّةُ جملَتِها وأعراضِها ، وفي محلِّه قامت حقائقُ جواهرِها وأعراضِها ؛ لكنَّها توارت بالحجاب ، ولاذت بالاحتجاب ، وقُربِ بالمجلس الكمالِ ليكْمُلَ ما بها من نَقِصِ كَيْلٍ وكَيْلِ عيب ، وتَجَمَّعَ بين حقيقَتَي إيمان الشهادة والغيب ، وتُعْرَضُ على الرأى التقويِّ سليمةَ الصدرِ نقيَّةَ الحبيب ، وأَشْهَدُ أنها جاءت تَمْشِي على أَسْتَحْيَاءٍ وليست كَبُنْتُ شَعِيب ؛ هذا وَلَمْ تَشَاهِدْ وَحَةَ حَسَنائِه ، ولا عَايَنْتْ سَكِينَةَ حَسِينِه وهند (٦) (٧)

(١) يَأْرُزُ : يَأْوِي وَيَلْعَابُ ؛ وفي كلا الأصلين : «نارد» ؛ وفي الطالع السعيد : «يأزر» وهو تصحيف في جميعها .

(٢) تَقْتَرَحُ : تَسْتَبِطُ أَوْأَنهَا يَبْدَعُ من غير سبق مثال ؛ وفي الطالع السعيد «تفتح» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٣) تَنْتَعِي : تَنْسَبُ ؛ وفي الطالع السعيد : «وتنتهى» ناها . والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٤) أُمُّ عَمَّارَةٍ : هي سبية بنت كعب إحدى نساء بني مازن السحاري ؛ وكانت من شهدوا بيعة العقبة الثانية هي وأسماء بنت عمرو بن عدى أُمُّ مَيْعٍ إحدى نساء بني سُلَيْمٍ ؛ انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ ط بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أُمِّ عَمَّارَةٍ . (د) لم ترد هذه العبارة في (أ) وقد أشتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية .

(٦) أشار ههنا العارة إلى قوله تعالى في سورة القصص : «بجاءته إحداهما تمشي على استعجال» الآية انظر تفصيل هذه القصة في كتب التفسير .

(٧) يريد السيدة سَكِينَةَ بنت الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم ؛ وكان قد تزوجها مصعب بن الزبير ثم مات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ؛ وآخر من تزوجها زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان) . أما هند فهي بنت أسماء ابن خارحة وكان قد تزوجها الحاج بن يوسف الثقفي بعد بشر بن مروان ؛ وكانت سَكِينَةَ وهند من أجمل نساء العرب وأظرفهن .

أَسْمَانَهُ ، وَلَا قَابِلَتْ نِيرَ فَضْلِهِ وَبَدَرَ سَمَانَهُ ؛ أَقْسَمَ لَقَدْ كَانَ يَصْرِفُهَا الْوَجَلَ ، وَيَقْبِدُهَا الْخُلْجَ ؛ عَالِمَةً أَنَّ الْبَحْرَ لَا يُسَاجِلُ ، وَالشَّمْسَ لَا تُثَامَلُ ؛ وَالسَّيْفَ لَا يُخَاشِنُ ، وَالدَّرَّ لَا يُخَاسِنُ ؛ وَالْأَسَدَ لَا يُكَيِّمُ^(١) ، وَالطَّوْدَ لَا يُزَحِمُ ؛ وَالسَّحَابَ لَا يَبَارَى ، وَالسَّيْلَ لَا يُجَارَى ؛ وَأَنْتَى تَبْلُغُ الْفَلَكَ هَامَةً الْمَتَطَاوِلَ ، ”وَأَيْنَ الثَّرْيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ“ ؛ تِلْكَ عَوَارِفُ

- أَسْتَوَلَتْ عَلَى الْمَعَالَى أَسْتَبْلَاهَا عَلَى الْمَعَالِمِ ، وَشَهَدَتْ لَهَا الْفَضَائِلَ بِالسِّيَادَةِ شَهَادَةَ النُّبُوَّةِ^(٢) بِسِيَادَةِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ، وَلَا خَفَاءَ بَوَاضِحِ هَذَا الصَّوَابِ ، عِنْدَ مَقَابِلَةِ الْبَدَايَةِ بِالْجَوَابِ ؛

فَالشَّمْسُ أَوْضَحُ مِنْ ضِيَاءِ الْأَنْجِيمِ * مَا الْبَيِّنُ الْأَعْلَى كَدَاجٍ مَظْلِمٍ

يَا مُشْتَرِيًا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ * أَيْقَاسُ مِثْرٍ فِي الْعُلُومِ بِمَعْدَمٍ

أَوْ كَفَتْ فَضْلَكَ فِي رِذَاذِ غَمَائِي * مَا لِلرِّذَاذِ يَدُ بَنَوُءِ الْمُرْزَمِ^(٣)

- ١٠ • وَانصَبَ بِمُحْرَكِ رِبْعِ خَوَاطِرِي * مَا لِلرَّبِيعِ وَفَيْضَ بَحْرِ أَعْظَمِ^(٤)

وَسَلَّتْ سَيْفَ الْعِلْمِ أَبْيَضَ مِخْدَمًا * كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي غَمَامٍ مُنْجِمِ^(٥)

فَلَّتْ حَدَنِي مِعْصِدٍ فِي رَاحَتِي * مَا لِلْكَهْمِ وَحَدَّ أَبْيَضَ مِخْدَمِ^(٦)

(١٣٢)

(١) يَكْمُ : يَشْدُ عَلَى فَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ كَمٍّ الْغَيْرِ أَيْ شَدَفَاهُ عِنْدَ حِبَاجِهِ لِكَلَّا بَعْضُ أَوْ بِأَكْلٍ . أَوْ هُوَ مِنْ كَمِّهِ الْخَوْفُ : إِذَا أَمْسَكَ بِهِ ، وَهُوَ عَلَى الْمَثَلِ .

(٢) أَشَارَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمَقْرِي : ”هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبْرِ“ (الْأَعْنَ) ح ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْفِعْلُ فِي كَلَامِ الْأَصْلِينَ بِالْأَلْفِ ؛ وَالَّذِي وَقَفْنَا عَلَيْهِ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ كُنْتِ الْفَتْةَ أَنَّهُ يَتَعَدَّى بِمَفْسِهِ لَا بِالْهَمْزِ ؛ يُقَالُ : وَكَفَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ أَيْ أَسَالَتْهُ قَالَهُ الْخَيَّاتِي . أَمَّا أَوْ كَفَتْ بِالْأَلْفِ فَلَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ إِلَّا لِأَنَّهُ يُقَالُ : أَوْ كَفَ الْبَيْتُ وَالسُّطْحُ بِالْمَطَرِ ، أَيْ هَطَلَ وَقَطَرَ .

(٤) الْمُرْزَمُ : مَنْ أَوْزَمَ الرِّدَّ إِذَا اشْتَدَّ صَوْتُهُ .

(٥) الرِّبْعُ : النَّهْرُ الصَّغِيرُ .

(٦) الْمُنْجِمُ : السَّرِيعُ الْمَطَرُ ؛ وَ(أ) : «مَتَمَّ» بَنَاءُ مَثَاةٍ بَعْدَ حَاءٍ فَوْقِيَّةٍ ؛ وَهُوَ تَصْغِيرُ .

(٧) الْمَعْصِدُ : السَّيْفُ الَّذِي يَمْتَنُّ فِي قِطْعِ الشَّجَرِ .

(٨) الْمَخْدَمُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ مِنَ السُّيُوفِ : الْقَاطِعُ .

يا سابقاً جُهدى^(١) مصلى عفوهِ * ما للسُّكيت^(٢) يدٌ بعفو مطهم^(٣)
 بدّ السوابق في العلوم وحازها * بالكسب منه والتراث الأعظم
 العلم علمٌ محمد وكفى به * وعلى الباب المبلّغ فاعلم^(٤)
 ما كنتُ أولُ مُحجِّمٍ عن موريدٍ * عذبتُ موارده لقرنٍ مُحجِّم^(٥)
 سابقتُ سابقاً شأوتُ بياتهم^(٦) * ببديع نثرٍ أو ببلغ منظم
 وسقيتُ بالكأس الكبيرة منهما * لما سقوا بالأصغر المشتم
 حتى إذا سابقتُهُ وهو أبْنُ بحرٍ * أو أبو بحرٍ إليه يتيم
 طارت فضائله إلى عليائها * بجناح قنّاء ونسرٍ قشعِم^(٧)
 وسما به العلم الأجلُّ محله * حتى توقّل في المحلِّ الأعظم^(٨)
 ومشي حضاراً فأنشيتُ مقصّراً * أتجول خيلى في مقرّ الهيّم^(٩)

(١) في (١) : « عهدى » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف ؛ والمصل من الخيل ، الذى يحى . بعد السابق ؛ سمي بذلك لأن رأسه يلى صلا المتقدم . والصالا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شئ . منه على حديثه ، فهو بارع الجمال .

(٤) القرن من القوم : سيدهم . والمحجم اسم فاعل من الإحجام وهو التقدم ؛ ويستعمل في التأخر أيضاً فهو من الأضداد ؛ ومثله الاجام بتقديم الحاء . فانه يستعمل في المعين أيضاً . مستدرك التاج مادة (حجم) .

(٥) في كلا الأصلين : « شادت » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : علت .

(٦) في كلا الأصلين : « فهو » بالفاء . والسياق يقتضى الواو : فان الجملة بعدها في موضع الحال .

(٧) الفتحاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحها وغزتها وذلك لا يكون إلا من اللين .

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل في الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة في العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة في التفضل

والذى في (١) « خطارا » وهو تحريف ؛ وقى (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر ميمى بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قل : « ومشى » .

(١٠) الهيّم : فرخ النسر .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

لا عار إن عِضَلتُ بدائهُ فكَرَتِ * بَابُ الْمَقْعَعِ أَوْ بَنَجَلِ الْأَهْمِ^(١)

يَا أَعْلَمَ الْفَضْلَاءِ لَسْتُ مَقَاوِلًا * فَضَحَى بَنَاتِكَ بِاللِّسَانِ الْأَعْجَمِ^(٢)

لَوْ حَاوَلْتُ فِكْرِي مَسَاوَةً لَهَا * يَوْمًا لَجَاءَتْ بِالْغَرَابِ الْأَعْصَمِ^(٣)

أَقْتَصِرُ لِلْبَيَانِ فِي بَحْرِ فُضَائِلِهِ سَبْعٌ طَوِيلٌ ، وَلِلسَّعْيِ فِي غَايَاتِهِ مُعَرَّسٌ وَمَقِيلٌ ،
وَلِلْحَامِدِ بَيْتَيْنِ مَحَاسِنِهِ صَبَابُهُ جَمِيلٌ ، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ كَثِيرَ عَزَّةٍ وَدَّهِ ، إِلَّا أَنِّي
فِي حَلْبَةِ الْفَضْلِ لَسْتُ مِنْ فُرْسَانِ ذَلِكَ الرَّعِيلِ ؛ لَا سِيَّامًا وَقَدْ وَرَدْتُ مَشْرَعَ أَلْفَاظِهِ
الَّتِي رَاقَتْ مَعَانِيهَا ، وَرَقَّتْ حَوَاشِيهَا ، وَأَدْنَتْ ثَمَرَاتِ الْفَضْلِ مِنْ يَمِينِ جَانِبِهَا ؛
بِغَايَةِ كَالنَّسِيمِ الْعَلِيلِ ، وَالشَّدَا مِنْ نَفْحَةِ الْأَصِيلِ ، وَالشَّرَابِ الْبَارِدِ وَالظِّلِّ الظَّلِيلِ

طَبْعٌ تَدْفُقُ رَقَّةً وَسَلَاسَةً * كَلِمَاءٌ عَنْ مَتْنِ الصَّفَاةِ يَسِيلُ

كَلِمَقْلَةِ الْحَسَنَاءِ زَانَ جَفَوْنَهَا * كَحُلٍّ وَأُخْرَى زَانَهَا التَّكْحِيلُ ١٠

وَالرُّوْضَةِ الْغَنَاءِ يَحْسُنُ عَرْفُهَا * وَتَزَادُ حُسْنًا وَالنَّسِيمُ عَلِيلُ

وَالْخَاطِرُ التَّقْوِيُّ كَمَلَّ ذَاتَهُ * عَلِمَا وَلَيْسَ لِكَامِلٍ تَكْمِيلُ

وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْقِيهِ جَامِعًا لِلْعُلُومِ جَمْعَ الرَّاحَةِ بَنَاتَهَا ، رَافِعًا لَهُ رَفَعَ الْقَنَاةِ سَنَانَهَا ، حَافِظًا

لَهُ حِفْظَ الْعَقَائِدِ أَدْيَانَهَا ، وَالْقُلُوبِ إِيْمَانَهَا

١٥ (١) نَجَلِ الْأَهْمُ ، هُوَ عَمْرُو بْنُ سَانَ بْنِ سَمَى بْنِ سَنَانِ بْنِ حَالِدِ بْنِ مَقْرٍ ، وَالْأَهْمُ هَذَا الْقَبْلُ لَقَبَ بِهِ أَبُوهُ

لَأَنَّ قَبْسَ بْنَ عَاصِمٍ الْمَقْرِيَّ ضَرَبَهُ بِقَوْسِهِ فَهَتَمَ فَاهُ وَقَدْ وَهَدَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْمِ هُوَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ عَلِيٍّ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْ مِنْ الْبَيَانِ لِسَحْرًا » وَبَنُو
الْأَهْمِ : أَهْلُ بَيْتِ بَلَاغَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . وَكَانَ يُقَالُ : « الْخُطَابَةُ فِي آلِ عَمْرُو (زَهْرُ) الْأَدَابِ

ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية .

٢ (٢) أَرَادَ بَيَانَهُ ، رِسَالَتَهُ ؛ وَفِي كَلَامِ الْأَصْلِيِّينَ : « بَيَانُكَ » ؛ وَهُوَ عَرِيفٌ مُطَابِقٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْوَصْفِ .

(٣) الْغَرَابُ الْأَعْصَمُ : الَّذِي فِي جَانِبِهِ رِيْشَةٌ بَيْضَاءُ . وَيُقَالُ هَذَا لِلشَّيْءِ الَّذِي يَعْزُ وَجُودُهُ .

لِيُضِحي نديماً للعالي كانه * نديماً صفاء مالِك وعَقِيل^(١)
ويصبح ظلُّ الفضل من قِيَّة ظله * على كَنَف الإسلام وهو ظليل
وينشأ أبناء العلوم وكلهم * بحسنائه في العاشقين جميل
دلّالته في الفضل من ذات نفسه * وليس على شمس النهار دليل

وكتب - رحمه الله تعالى - رسالة إلى صاحب شرف الدين الفائز^(٢)
عند ما ورد عليه كتاب يذكر أن رسول الخليفة وصل يلتبس إجابة الملك المعز^(٣)
أول ملوك الترك إلى صلح الملك الناصر صلاح الدين يوسف - وقد كان الناس
يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يهجم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجب
إلى الصلح، [فلما] جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلاف ما ظنوه - :^(٤)

(١) مالك وعقيل، هما نديما حذية الأبرش . وكان بصرب بهما المثل في طول الاحتجاج ؛ وهما
الذان عناهما متم بن نورية بقوله في رثاء أخيه مالك :
وكا كندمانى جذية حقة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفائزى، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير أبه الملك المصور
بعده ؛ والفائزى نسبة إلى الملك الفائر ابراهيم بن العادل لأنه كان في خدمه أولاً، وكان في صباه بصرايا
ثم أسلم ؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالنصور الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر اس إياس في كتابه ح ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين فطر المعزى نائب السلطنة
بالديار المصرية في عهد الملك المصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله
وصلبه على باب القلعة وولى مكانه في الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

(٣) هو عز الدين أيك الحاشكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية في سنة ثمان وأربعين وستائة،
ولقب بالمعز؛ وقتل في سنة خمس وخمسين وستائة انظر تاريخ أبي الفدا (ح ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠)
طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الطاهر غازى ابن السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ وقد قتله هولاكو ملك التتر في سنة تسع وخمسين وستائة،
انظر تفصيل ذلك في تاريخ أبى الفدا (ح ٣ ص ٢٢٠ و ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من (أ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها

(١٣٣)

لِأَمْرِكَ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبَجْعِ عَاضِدٌ * فَصُلَّ أَمْرًا فَالْدَهْرُ سَيْفٌ وَسَاعِدٌ
 وَقُلْ مَا أَقْتَضَتْ عَلَيْكَ فَالْعَزَّ قَائِمٌ * بِأَمْرِكَ وَالْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ قَاعِدٌ ^(١)
 وَتَمَّ وَاذَعَا فَالْجَدُّ يَقْظَانُ حَارِسٌ * لِمَجْدِكَ وَالْعَادِي لِبَاسُكَ رَاقِدٌ
 فَمَا تُسَبِّحُ الْأَيَّامُ مَا اللَّهُ نَاقِضٌ * وَلَا تَقْضِ الْأَيَّامُ مَا اللَّهُ عَاقِدٌ
 وَقَدْ بَرَزَتْ بِكَ الْمَكَارِمُ وَالْعِلَالُ * وَفِي جِيدِهَا مِنْ رَاحَتِكَ فَلَانِدٌ
 لِحَفَّتِ بِهَا الْأَمْلاَكُ وَهِيَ مُوَاهِبٌ * وَسَارَتْ بِهَا الرِّجَالُ وَهِيَ مُحَامِدٌ
 وَزُفَّتْ لَهَا النِّعْمَةُ وَهِيَ مُصَادِرٌ * رَفَعْنَا لَهَا الْأَمْدَاحَ وَهِيَ مُوَارِدٌ ^(٢)
 فَتَرْتُّهَا الْإِحْسَانُ وَهِيَ لَآئِي * وَنَظَّمَهَا الْإِفْضَالُ وَهِيَ فَرَائِدٌ
 فَلَا زِلْتَ مُحَرَّوسُ الْعِلَالِ يَا بَنَ صَاعِدٍ * وَجَدُّكَ فِي أَفْقِ السِّيَادَةِ صَاعِدٌ
 تُسَرِّبُكَ الدُّنْيَا وَيَتَهَيَّجُ الْوَرَى * وَتُسْتَوَكِّفُ التَّعْمَى وَتُحَوَّى الْمَقَاصِدُ

١٠

وَرَدَ تَكَلَّبُ كَرِيمٍ ، وَنَبَأٌ عَظِيمٌ ، لَمْ تُجَرِّ يَنْبُوْعُهُ جِيَادُ الْأَقْلَامِ ، وَلَمْ تُجَدِّ بَنُوْهُ عَهَادُ
 الْأَيَّامِ ، وَلَمْ تَقْظَرْ بِمِثْلِهِ أَعْيَادُ الْإِسْلَامِ ؛ فَتُلِّيَ عَلَى عَذَابَاتِ الْمَنَابِرِ ، وَجُلِّيَ عَلَى أَمَاقِ
 الْأَبْصَارِ وَأَحْدَاقِ الْبَصَائِرِ ؛ وَكَانَتْ بِشْرَاهُ الْبِكْرُ الْعَوَانُ ^(٣) ، لِمَا أَبْتَدَأَتْ بِهِ مِنَ الْبَشَارَةِ ^(٤)

(١) في (١) : «الموشك» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في كلا الأصلين . ولم تقف على هذا الجمع فيما بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذي
 يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على « أفعال » أن هذه الصيغة لا تطرد جمعا « لعل » بفتح أوله
 وسكون ثانيه إذا كان صحيح العا . والعين .

(٣) المراد بعذابات المنابر ، أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شيء . طره .

(٤) العوان : النصف في سنها من النساء . ويرهن ؛ وفي كلا الأصلين : « القرآن » وهو تحريف

لا يظهر له معنى .

(٥) في كلا الأصلين : « ابتدلت » وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لانها لم تسبق بمثلها ؛

وعوان ، لانها تلد البشار .

٢٠

ولما تَلَدُهُ من البشائر، وطلِيعَةَ الْمَسَارِّ التي واجهَتْ أَلَمَالَ ووجهَ السعد سافر، ومقدِّمَةَ
الْأَمْنِ التي لَا يُسَرِّبُهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَسَاءُ بِهَا إِلَّا كَافِرٌ؛ وَنَحْيَةَ اللَّهِ التي أَحْيَتْ قُلُوبَ
الْعِبَادِ، وَنَمَّةَ اللَّهِ التي سَكَنَتْ لَهَا السُّيُوفُ فِي الْأَغْمَادِ، وَنِعْمَةَ اللَّهِ التي عَمَّتْ كُلَّ
حَاضِرٍ وَبَادٍ؛ وَرَحْمَةَ اللَّهِ التي رَحِمَ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ وَمَا زَالَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا، وَفَضَلَ
اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهَا عَظِيمًا؛ وَسَعَادَةً سَارَتْ بِهَا الْأَيَّامُ إِلَى الْمَقَامِ
الْمُعْزَى بَيْنَ الْخَبَبِ وَالتَّقَرُّبِ، وَمَرَكَبَ عِزِّ قَدَمَتِهِ عَنَّا يَا اللَّهُ تَقْدِمَةَ الْجَنِّبِ، وَكِتَابًا
عَنَّا يَا هَذَا عَطَاءِ اللَّهِ، وَعِوَانُهُ «نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَقَتَحٌ قَرِيبٌ»، وَسِلْمٌ جَلَلٌ وَجْهَ
الْإِسْلَامِ بِرَدِّ لِبَاسِهِ الْقَشِيبِ، وَسَلَامَةٌ جَنَّتْ بَيْنَ الْإِيمَانِ ثَمَرَ غَضَنِهَا الرُّطِيبِ،
وَعِزٌّ أَلْبَسَ الْمُلُوكَ حِلْعَ شَبَابِهِ بَعْدَ مَا خَلَعَ غِبَارُ الْوَقَائِعِ [عَلَيْهِ] رَدَاءَ الْمَشِيبِ، وَشَمْسُ
سَعَادَةٍ مِنْذُ طَلَعَتْ فِي أَفْقِهَا لَمْ تَجْنَحْ لِلْغَيْبِ، وَلَطْفٌ خَفِيَ قَعْدَ لَهُ كُلِّ حِدٍ وَقَامَ بِهِ
كُلِّ خَطِيبٍ، وَمَمْلَكَةٌ تَسْمِعُهَا الْأَيَّامُ: قِفَا نَضْحَكَ بِمَسَارِّ الْإِنْعَامِ لَا قِفَا نَبِكَ
مَنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ، وَغَيْمَةٌ بَارِدَةٌ حَازَتْهَا يَدُ الْمُلُوكِ وَلِسَانُ السَّانِ غَيْرُ نَاطِقٍ وَكُفَّ
السَّيْفُ غَيْرُ خَضِيبٍ

بِتَسْدِيدِ رَأْيٍ لَوْ رَأَتْهُ أَمِيَّةٌ * لَمَّا أَحْتَلَفْتُ يَوْمًا بِقَتْلِ شَيْبٍ

- (١) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ: «وَأَمِيَّةٌ» بِوَسْطِيقِ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .
(٢) كَذَا فِي (ب)؛ وَالَّذِي فِي (أ) «الْأُمَّةُ» وَهُوَ وَإِنْ صَحَّ بِهِ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّ مَعْنَاهُ تَكَرَّرًا مَعَ مَا سَبَقَ
فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي قَامَهَا . (٣) عَنَّا يَا هَذَا عَطَاءُ اللَّهِ . (٤) سِلْمٌ بِالرَّفْعِ مَعْلُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «نَصْرٌ» .
(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ كَلَا الْأَصْلِينَ؛ وَالسِّيَاقُ يَدْعُو إِلَى إِثْبَاتِهَا .
(٦) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ: «بَشِيدٌ»؛ وَلَمْ يَقِفْ فِيهَا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ عَلَى مَعْنَى لَهُ يَسَاسُ السِّيَاقِ؛
وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا إِذْ بِهِ يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَالْمَعْنَى .
(٧) فِي كَلَا الْأَصْلِينَ: «أَحْتَلَفْتُ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٨) شَيْبٍ: هُوَ أَوَّلُ الضَّحَاكِ شَيْبٍ مِنْ يَرِيدُ نَعِيمَ الشَّيْبَانِيِّ الْخَارِجِيِّ؛ وَكَانَ حُرُوجُهُ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ
مَعَ صَالِحٍ مِنْ مَسْرُوحٍ مِنْ أَمْرِ الْقَيْسِ؛ وَقَدْ نَابَعَتْهُ الْخَوَارِجُ بَعْدَ قَتْلِ صَالِحٍ؛ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَكَانَ مَوْتُهُ عَرَفًا فِي هَرَجِ دَجِيلٍ، وَهُوَ دَجِيلُ الْأَهْوَارِ لَا دَجِيلُ بَهْدَادٍ فِي سَنَةِ ١٧٧ أَوْ ٧٨ عَلَى اخْتِلَافٍ
فِي الرِّوَايَةِ؛ وَكَانَتْ وَلادَتُهُ فِي سَنَةِ ٢٥ أَوْ ٢٦ أَنْظَرَ كِتَابَ مَلَخُصِ تَارِيخِ الْخَوَارِجِ وَعِيَرِهِ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ .

الى غير ذلك من فكرة صاحبيّة شرفيّة سَكَنَ الْمُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها
 وقام ؛ وتحزّكت لها العزائم ، وسكنت لها الصوارم ، وأسْتَتْرَلَتِ الْعُصْمُ وذُعِرَتِ
 العواصم ، رهميم إذا سَمَتِ سامت السماء وإذا هَمَّتْ أَهَمَّتِ الْغَنَائِمُ ، وعزّ تحت ظل ظلاله
 الشرف مقيم وفي خدمته المجد قائم ، وعزيم آستيفظ له جفن النصر والسيف في جفنه نائم ،
 وسيف حرم على عاتق المُلْكِ منه نِجَادُ وفي يد جِبَارِ السموات منه قائم ؛ وآراءِ آسْتَفْتَحَ
 عقائلها فَأَنْجَبَتْ^(١) ، ورَمَى غرض إصابتها فَأَكْثَبَتْ^(٢) ، وأَعْمَلَ رائدَها
 فاستيقظت له ألهم والأنام نيام ، وجلس في صدور رياستها والعالَمون قيام ، وتدير
 أَحْكِمَ بإبرام النفض ونقيض الإبرام ، وذُعِرَ به رابض الأسد وَأُسِّسَ به نافرُ الآرام ؛
 وأجال به خيله في مَسَارِي الأرقم ، ومَقَرَّ الهَيْثُمُ ، وأمضاه في مَضَاقِ خَطْبِهِ فاغناه
 عن سَنِّ السَّنانِ وشفةِ اللّهُم ؛ هذا ولما صَدَقَتْ عِزَّتُهُ الْمَمْلُوكَةُ التي نظم الله قلادة^(٣)
 مُلْكِيهَا فليس لها انتثار ، ولمَعَتْ كواكب أَسْلَها في إيل الرَّجِّ وسماءِ الغبار ،
 وَبَنَتْ حوافر خيلها سورا من متراكم النَّعَقِ المثار ، وَحَصَّنَتْها يد الله بما أَظْهَرَتْهُ مِنْ

(١) في كلا الأصلين : « فأنجت » وهو تعريف صوابه ما أئشنا كما يقتضيه الجمع الذي التزمه

الكاتب في جميع رسالته .

(٢) الذي وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أن الإثْباب هو المقاربة والمداواة ، وهو من الكَثَبِ
 بالتحريك معني العرب فلعل تفسيره ها بالإصابة منطوره به الى مراد الكاتب .

(٣) لم يرد في هذه الرسالة كلها ما يصح جعله حوايا (لأ) هذه ، والظاهر أن بعض عباراتها قد سهو

من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من المطاوع .

(٤) الأسْل : الرماح ؛ وإنما سميت الرماح أسلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأعلاث

ينخرج فصا دقا قايس لها وري ولا شوك إلا أن أطرافها مخدده وليس لها شعب ولا خشب ؛ وشبهت

الرماح به في طولها واعتدالها واستوائه ودقة أطرافه .

(١٣٤)

كأمن الغيب وأخفته من طلائع الأقدار، وحضنتها رعاية الله وله من القدر أعوان^(١)
ومن الملائكة أنصار

فعمت عموم الليل والليل مظلم * وجاءت بحجى الصبح والصبح مشرق
ومدت غماما من سنابك خيلها * بسئل المواضى المشرفات يبرق

٥ في كئآب إذا سارت سوابقها ملأت عرض الغبراء ، وإذا نُشرت خوافها
سترت وجه الخضراء ؛ وكادت تدعّر الأسد بمواضى حنوفها ، وتسكن المنايا تحت
ظلال سيوفها ؛ لاسميا إذا أنجمت أنجم عواليها ، ولمعت بروق مواضيها ؛ وجاءت
خيلها كالصخر الأصم والطود الأشم أعجازها وهواديها ؛ من كل كُتبت حلوف الإزار ،
بين الشقرة والأحمرار ، كأنه وردية العقار

١٠ يُحسّ وقع الرزايا وهي نازلة * فينب الجرى نفس الحادث المكير^(٥)
وكل أشقر كأنما قد أديمه من لهب النار ، معار رداء الحسن ، وأحق الخليل

(١) في (١) «وأخفته» ؛ وهو تخريف .

(٢) في كلا الأصلين : «وحصنته» بالصاد ؛ وهو مكرر مع ما قبله في أول الجملة السابقة . وحصنتها
بالصاد المعجمة : أى حفظها وكفلتها وهو مستعار من حضنة المرأة للصبي ، أى تربته وحفظه .

(٣) أنجمت : ظهرت . ١٥

(٤) قال ابن الأعرابي : الكنة كتنان : كنة صبرة ، وكنة حرة ؛ والكيت من الخيل يستنون
فيه المدرك والموت ، ولوله الكنة ؛ وهي حرة بدخلها قن . وقال سيويه : سألت الخليل عن كيت ، فقال :
هو بمرة جميل (بضم الحيم) ؛ وقال : إما هي حرة بخالطها سواد ولم تخلص ، وإما حقروها لأنها بين
السواد والحرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال : أسود أو أحمر ، فأرادوا بالصغير أنه منهما قريب .

(٥) البيت لأبي العلاء المعري انظر سقط الزند .

(٦) الأشقر من الدواب : الأحمر في مرة حرة صافية يجمز بها السبب والمعرفة بالناصية . وأما

في الإنسان : فهي الحرة تعلو بياضا .

بالركض المعار، لا تعلق به المذاكي يوم رهان ولا تشق له الحوادث وجه غبار
كأنما لبس ثوبا من خالص النضار

عناق لو جرت والريح شأوا * لفاتته وأوثقه إسار^(٣)
غدت ولها مجول من لجين * وراحت وهي من علق نضار

وكل أدهم كريم التجار، غذى اللبان الغزار، كأنما فصلت ثيابه من سواد الليل
وصيغت مجوله من بياض النهار^(٤)

بأغر يتسم الصباح بوجهه * حسنا ويسفر عن محيا مسفر
خلع الظلام عليه فضل رده * وثى من التحجيل ثوب مقصر

وكل أشهب أفرغ في قالب الكمال، وجيى الأب أعوجى الخال، إن مشى ضاق
بزوه فسيح المجال، وإن سعى رأيت البرق ملجأ بالثريا مسرجا بالهلال، كأنما
انتعل خد الجنوب وأشمّل بثوب الشمال^(٥)^(٦)

(١) المعار : « المسد » بنشيد الميم المفتوحة ، يقال : أعرت الفرس : أى أسمته . أشار بهده
العبارة الى قول الشاعر :

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الحيل بالركض المعار

(٢) المذاكى من الخيل : التى تم سنها وبكت قوتها .

(٣) أراد بالريح ها معنى الهواء فأعاد عليها ضمير المذكور مع أن التأنيث هو الأكثر فيها ؛ وإمّا اثر
التذكير دعما للالتباس ، فانه لو أشت الهواء لم يعلم مرجعها فهو العناق ، أم الريح .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى كلا الأصلين ؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغاة أن جمع اللان

ألبان ، كسب وأساس ؛ فعمل المراد باللبان ها : دوات اللان ، وواحدة لون (اللسان مثلا عن المحكم) .

(٥) الوجيى : نسبة الى الوحى ، وهو اسم فرس من خيل العرب يحب تنسب اليه كرام الخيل

وكان لفتى بن أعصر . والأعوجى : نسبة الى أعوج ، وهو اسم فرس سابق رك صغيرا فأعوجت قوائمه ،
واليه نسب كرام الخيل أيضا فبال : الأعوجيات وسات أعوج ؛ وكان هذا الفرس لجلال بن عامر .

(٦) هذه الباء ساقةطة من كلا الأصلين ؛ واللغة تقتضى إنبائها .

مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي لَمْ تَبْدُ فِي رَهْجٍ * إِلَّا أَرْتَكَ بِيَاضَ الصَّبْحِ فِي غَسَقٍ
وَلَا جَرِينَ مَعَ النَّجَاءِ فِي طَلْقٍ ^(١) * إِلَّا آحْتَقَرَتِ أَلْتِمَاعُ الْبَرَقِ فِي الْأَفْقِ

وَكُلُّ مَطْهَمٍ إِنْ رَاضَ قَلْبُ السَّمَاءِ لِرَاضِهِ ، وَخِلَتْ بَعْضُهُ مَنَفَصِلًا عَنْ بَعْضِهِ
وَإِنْ مَشَى رَأَيْتَ الطُّودَ فِي سَمَائِهِ وَالرِّيَّاحَ فِي أَرْضِهِ ؛ وَإِنْ خَطَا ظَنَّتَهُ يَرْتَعُ فِي رَوْضِ
الْمَجْرَةِ وَيَكْرَعُ فِي حَوْضِ الْغَنَامِ ، وَخِلَتْهُ الْأَشْمُ مِنْ أَبْنَى شَمَامٍ ^(٢) ، هُمُ جَهَّةُ الْأُمَامِ
وَصَوْتُهُ حَرَكَةُ الْجَمَامِ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ سَمَاءٍ أَوْ طَلَّةٌ مِنْ غَمَامِ

جَرَى وَالرَّيْحَ فِي طَلْقٍ رِهَانٍ * فَقَامَتْ دُونَهُ وَمَضَى أَمَامَا ^(٣)

وَمَدَّ مِنَ السَّنَابِكِ ثَوْبَ غَيْمٍ * وَلَمْ أَرَقْبَلَهَا ثَوْبًا غَمَامَا

عَلَيْهَا كُلُّ كَيْفٍ لَابَسَ الْحَرْبَ وَلَا بَسَتْهُ ، وَمَارَسَهَا وَمَارَسَتْهُ ؛ وَكُنْتُ عَلَيْهِ الْمَوَاضِي ^(٤)
فِي صَدْرِهِ كِتَابًا أَعْجَمَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسَلِ ، وَجَنَى ثَمَرِ الْحَدِيدِ أَحْلَى عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَلِ
وَسَارَ إِلَى مَهْجِ الْأَبْطَالِ كَسَيْفِ الْقَضَاءِ وَحَثَّ الْأَجَلَ ؛ لَهُ حُنُكَةُ الْأَشْيَبِ وَنَجْدَةُ
الْغَلَامِ ، وَصَنَعَةُ الضَّرْبِ الْفَسْدَ وَالطَّعْنِ التَّوَامَ ، وَالْفَتَكَاتُ الَّتِي تُطْلِعُ صَبْحَ الصَّوَارِمِ ^(٥)

(١) النجاء : ريح انخرقت ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . والطلق بفتحين : الشوط الواحد في جرى الخيل .

(٢) شمام : اسم جبل لاهله ، كما في ياقوت . وقال ابن ربي : هو جبل بالعالية ، وهذا الجبل له رأسان ، يقال لها : ابنا شمام قال ليلى :

فهل بينت عن أخوين داما * على الأحداث إلا أبني شمام

(٣) في كلا الأصلين : « جرى » ؛ والعاء زيادة من الناصح .

(٤) إلى هنا انتهت السعة المشار إليها بحرف (ب) .

(٥) الحث : الإغمال ، وإضافته إلى الأهل من إضافة المصدر إلى مفعوله . أو لعله : « وحثم » بفتح الحاء وسكون التاء .

في ليل القَتَام ، والقَعَلَاتُ التي لها فَتَكَاتُ الأُورُق في التَّقَدِّ وَصَوَلَاتُ الأَسَدِ
في السَّوَامِ

يمشي الى الموت على الكعب معْتَقِلًا * أَطْمَى الكعوب كَشَى الكاعِبَ الفُضْلُ^(٣)
يُحْسِنُ^(٤) في بحار الدروع سَحَ الفَوَارِسَ ، بين بدور اللَّيْلِ ونجومِ القَوَاسِ^(٥) ؛ من
كُلِّ سَابِغَةٍ لا تَصِلُ إليها أَلْسِنَةُ الحَدَادِ ، كأنها أَتَوَابُ الأَرَاقِمِ خِيطُ بَأْعَيْنِ الجِرَادِ ؛
كفيلة بحماية الأَنْفُسِ وصيانةِ المَهْجِ ، تُنِيرُ مَسَالِكَ لا يَمِيزُها في دِيَابِجِ الرَّهْجِ ، إنما هي
البحر ولا حَرَجُ^(٦)

إذا ما مَسَّوْا في السَابِغَاتِ حَسِبَتَهُمْ * سَيُولَا وَقَدْ سَالَتْ بَهَنُ الأَبَاطِحِ

وَكُلُّ أبيضَ هندی تَأَلَّفَتْ من المَلِجِ إِبَاعُضُهُ ، البَرْدُ جِسْمُهُ والْبَرْقُ إِبَاعُضُهُ ؛ المَفَارِقُ
مِغَارِبُهُ والأَجْفَانُ مَطَالَعُهُ ، والأَنْفُسُ مَوَارِدُهُ والمَنَايَا مَنَابِعُهُ ؛ لو أَمَّرَ لَأَنْبَتَ رءوسا
ولو تَفَجَّرَ لَسَالَ نفوسا ، ولو تَكَشَّفَ صَافِي حديدِهِ لَرَأَيْتَ فِيهِ عُبُوسا

(١٣٥)

(١) في الأصل : « الأوراق » ؛ والألفُ زائدة من السَّح. والمراد بالأورق هنا : الدُّب ، فان
لونه الورقة ، ويقال للدُّبَّة : الوراق ؛ قال في اللسان مادة (ورق) ما نصه : وكذلك شَهِتَ العرب لون الدُّب
بلون دحان الرمث ، لان الدُّب أورق قال رؤبة :

فلا تَكُونِ يَاسَةً الأَثَمِ * ورقا. دى دئها المدى

١٥

اه وانقد بهتحتين : صفار العم ، واحده نقدة .

(٢) الأطلَى من الرماح : الأستبر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهوز .

(٣) الفصل بصيين : المحتملة التي تفصل من ذيلها ، كما في اللسان مادة (فصل) .

(٤) في الأصل : « تحت » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) اللَّيْلِ محرَّكة : التَّرس ، أو هي جلود يحزُر بعضها الى بعض تَلَسُّ على الزموس خاصة .

(٦) القَوَاس : جمع قونس ، وهي أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قولهم : "حدث عن البحر ولا حرج" والمراد أنه لا لوم على من يطيل

في وصف هذه الدروع مهما توسع في ذلك ، لشبهها بالبحر في بريقها واطراد متنها .

سَلِيلُ النَّارِ دَقَّ وَرَقَّ حَتَّى * كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَهُ السُّلَالَةَ
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حَمْرُ الْمَنَآيَا * وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نِمَالًا

وَكُلُّ أَسْمَرٍ إِذَا اتَّحَى فَهُوَ صَاحِبٌ وَإِذَا أَنْتَنَى فَهُوَ نَشْوَانٌ ، وَإِذَا وَرَدَ دَمُ الْقَلْبِ فَهُوَ
ظِلْمَانُ الْقِنَاةِ رِيَانُ أَلْسَانٍ ؛ إِذَا خُطِبَ النَّوَاصِي وَخُطَّ ، وَإِذَا كَتَبَتْ أَلْمَوَاضِي نَقَطَ ؛
وَإِذَا قَصُرَتْ يَدُ الْقِرْنِ طَالَ ، وَإِذَا صَلَّيْتَ نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَالِي صَالَ
تَوَهَّمُ كُلِّ سَابِغَةٍ غَدِيرًا * فَرَنَقَ يَشْرَبُ الْحَلَقُ الدَّخَالًا^(٢)
^(٤)

وَكُلُّ صَفْرَاءَ رَقَشَاءٍ الْأَدِيمِ ، كَانَهَا أَرْقَمُ الصَّرِيمِ ؛ لَهَا فَلَكٌ بِالرَّزِيَّةِ دَائِرٌ ، وَسَهْمٌ
بِالْمَنِيَّةِ طَائِرٌ ، إِنْ رَكِبَ فَهُوَ مُقِيمٌ وَإِنْ نَزَلَ فَهُوَ سَائِرٌ ؛ مَعَ عِزَائِمٍ بَنَتْ عَلَى الدَّوْلَةِ
سُورًا ، وَجَعَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالدَّوْلَةِ الْمَعَزِيَّةِ حِجَابًا مُسْتَوْرًا ؛ عَلَى أَنَّهَا
غَنِيمَةٌ لَمْ تَخْجُ إِلَى الْإِيْجَافِ وَالْإِيْضَاعِ ، وَطَلَبَةٌ أَلْفَاها عَلَى طَرَفِ الثَّمَامِ وَحَبْلُ الدَّرَاعِ ؛
وَعَنَاءَةٌ جَاءَتْ عَلَى اخْتِيَارِ الْمُرَادِ وَمُرَادِ الْاِخْتِيَارِ ، وَنِعْمَةٌ كَرَّتْ هِيَ وَالتَّوْفِيقُ فِي قَرْنٍ^(٥)
^(٦)
^(٧)

(١) "سليل النار" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه ؛ وطبع سيفاً بواسطتها
والشعر لأبي العلاء المعري انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .

(٢) وحط : طعن طعنا بافذا ؛ وبابه وعد .

(٣) قال في شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق في تفسير هذه الكلمة : رب الطائر :
إذا حام حول الماء ليشرب اه والبيت لأبي العلاء المعري .

(٤) الدحال : المتداخل بعصه في بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والدى في الأصل :
«الحلق الدحالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة ؛ يريد القوس .

(٦) الصريم : القطعة من معطم الرمل .

(٧) في الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضي حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول ، كما يقال : هو على حبل الدراع : إذا

كان ممكنا مستطاعا .

وَجَرَتْ وَالسَّعَادَةُ فِي مَضْمَارٍ ، وَمِنْحَةً رَكَضَتْ بِهَا إِلَى الْمَقَامِ الْمَعْرُوفِ سِوَابِقِ الْأَقْدَارِ
وَمَعْنَى خَفِيَ مِنْ نَعْمِ اللَّهِ لَمْ تَلْجِهْ عَقَائِلَ الْأَفْكَارِ ؛ وَإِذَا سَبَقَتْ عَيْنَاةَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِأَمْرِ
حَتْمِهِ اللَّهُ رَافِعٌ ، وَإِذَا لَحِظَتْ السَّعَادَةُ أَمْرًا وَقَفَتْ دُونَهُ آمَالُ الْمَطَالِبِ وَتَقَطَّعَتْ
خَلْفَهُ أَعْنَاقُ الْمَطَامِعِ ، وَأَسْتَوْلَتْ يَمِينُهُ عَلَى آفَاقِ سَمَاءِ الشَّرَفِ فَلَهَا قِرَاها وَالتَّجُومِ
الطَّوَالِغِ ، وَهَذِهِ مَوَاهِبُ لَا تَدْرِكُهَا دَقَائِقُ الْأَسْطُرْلَابِ وَلَا دَرَجُ الشَّمْسِ وَلَا رَصْدُ
الطَّوَالِغِ

اعمرك ماتدرى الضَّوَارِبُ بالحصا * ولا زاجرات الطير ما الله صانع.

وَيُنْهَى أَنْ حَامِلَهَا مَنْ عَقَدَتْ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ خَنَاصَرَهَا ، وَأَخْصَصَ مِنْهَا بِالصَّحْبَةِ
نَاصَرَهَا ؛ وَلَهُ فَضْلٌ لَا يَزَادُ عَنْ مَهْلِ الْعِلْمِ سَوَامُهُ ، وَلَا تُجْهَلُ فِي مَسَالِكِ الشَّرَفِ

١٠ (١) في الأصل : « يمين » ؛ وهو غير مستقيم ، والصواب ما أئنتنا ، فانه يشير بهذه العارة إلى قول جرير :

أحدنا بآفاق السماء عليكو * لنا قراها والجوم الطوالع

(٢) الأسطرلاب مفتاح الهمة وضم الطاء : « إن الشمس ، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ

الأرصاء ومطالع الكواكب .

(٣) الظاهر أن هذا الكلام من قوله : « ويهيى » إلى قوله فيما سياتى : « من أفقها صباحا » ،

ليس من تنمة الرسالة السابقة ؛ وإنما هو بعض رسالة أخرى سقط أولها من الأصل الذى بين أيدينا ؛
ويدل على ذلك أمران : أحدهما ، أن المكتوب اليه بالرسالة السابقة هو صاحب شرف الدين الفائرى
وزير الملك المعز كما تقدم ، أما هذه الرسالة ففيها ما يدل على أن المكتوب اليه هو صاحب شرف الدين ،
فانه يقول فيها : « وقد صير الحجاب الربى لما يحاوله » الخ ولم يتسل : الجذب الصاحى أو الشرفى
أو الفائرى نسبة الى أحد ألقاب شرف الدين ؛ والظاهر ان الزبى سبة الى رين الدين يعقوب س الزبى
وزير الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أليك التركانى ؛ وزير الدين هذا قد تولى الوزارة لللك
المنصور بعد صاحب شرف الدين الفائرى كما تقدم بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٦٣ من هذا
الجزء نقلا عن ابن إياس . الأمر الثانى ، اختلاف الغرض فى كلتا الرسالتين فانه فى الرسالة الأولى سبى .
الصاحب شرف الدين بالصلح بين الملك الناصر والملك المعز ؛ وفى الرسالة الثانية يوصى بخير لإنسان .

أعلامه ؛ وله نفس سَمَت حتى أَخَذَتْ سماء السيادة بيمينها ، وهمةٌ إذا رَأَيْتَ ذاتها
الكريمة تَوَسَّمت الرِّباسةَ في جبينها ، وأبوةٌ لا تُتَجَرُّ من المعالي إلَّا في ثمينها ؛ وقد أَكَلَتْهُ
السنة بل السنوات ، وترادفت عليه الملمات بل المؤلمات ؛ وقد صَيَّرَ الجَنابَ الزينى
لمحاولة ذَرِيعه ، ووَرَدَ المنهل الرَّحْبَ وإنه لعذبُ الشريعة ، وقد أَصاب به
مولانا طريقَ المَصْنَعِ فالبَّسَه ثياب الصنِيعه ؛ ومولانا أَوَّلَى مَنْ أولاه شَرَفُ جلاله
ونظر اليه بعينِ كريمةٍ يُقَالُ بها ما يُقَالُ به من كرمٍ خلالِه ، فالإبريزُ قد يَسْتَبِه إلَّا على
نَقَادِه ، والغَيْثُ قد يُخْلَفُ إلَّا على رُوَادِه ، والماءُ قد يَأْجُنُ إلَّا على وُرَادِه ؛ وسَيَدنا
مصعبيُّ الهِمِّ وهذا ابنُ قيسَ رِقِيَّاته ، ومهلبُ الشِّمِّ وهذا حبيبُ أبنائه ، وواثقُ^(١)
الإحسان وهذا في الجلالة ابنُ [أبي] دُوَادِه وفي الأدب ابنُ زِيَاةِه ؛ فليضعه حيث^(٢)

(١) كذا في الأصل ؛ ولم يبقَ فيا لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مراداً به الإجمال
وقلة المطر هذا الحرف ؛ ولعله ضمن قوله : « يخلف » معنى « يجمل » فسوغ له هذا التضمين ذكر « على » .
(٢) يريد عبد الله بن قيس الرقيات ، وهو شاعر من بني عامر بن لؤي ؛ وذكر ابن سلام في كتاب
طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع لندن) أنه نسب إلى الرقيات لأن أحداث له توالى يسمين رقية . وفي الأغاني
(ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق) : أنه لقب بالرقيات لأنه شب ثلاث نسوة سمين جميعاً رقية : منهن
رقية بنت عبد الواحد ، وابنة عم لها يقال لها : رقية ، وامرأة من بني أمية يقال لها : رقية . وكان عبد الله
مقطعاً إلى آل الزبير ، فدح مصعباً ، وهجا عبد الملك ؛ وهو القائل :

إنما مصعب شباب من الله تجلت عن وجهه الظلمات*

(٣) في الأصل : « أبياته » ؛ وهو تصحيف ، ما الذي وقفنا عليه في كتب التراجم أن حبيباً هذا
من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه .

(٤) ابن أبي دُوَاد : هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دُوَاد الإباضي ؛ وكان أصله من قرية بفسنير
واتجر أبوه إلى الشام ، وأخرجه معه وهو حدث ، فنشأ أحمد في طلب العلم ، وحاصه الفقه والكلام حتى بلغ
ما بلغ ؛ قال أبو العباس : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دُوَاد ؛ وتولى القضاء في زمن المعتصم
والواقفي إلى أن أصيب بالفالج في زمن المتوكل ؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اه ملخصاً من وفيات الأعيان .

(٥) ابن الريات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حزة المعروف بابن الريات ؛ وكان من
أهل الأدب والفضل ، عالماً بالبحر واللغة كاتباً شاعراً ؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بني العباس ، وأقره
ابن الواثق هارون على ما كان عليه في أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسحطاً عليه ؛ ولما قام المتوكل بالأمر
فرض على ابن الريات ، واستصفى أمواله ، وحسده في التنوير حتى مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اه
ملخصاً من وفيات الأعيان . والذي في الأصل : « ابن زياده » بالدال ؛ وهو تخرىف .

١

١٠

٢٠

٢٥

وضَعَتْهُ السَّيَادَةُ صَدْرًا ، وَأُطِغَمَتْهُ كَمَا أُطِغَمَتْهُ الْفَضَائِلُ بِدْرًا ؛ وَلِيَصْرِفَ إِلَيْهِ عَنَاءُهَا تَعَلَّقَ بِهَا الْحَمْدُ عِلَاقَةً غِيلَانٌ ^(١) بِمَيَّةَ ، وَالْحَكْمُ بِأَمِيَّةَ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ — أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ — أَنَّ الْمُنَاصِبَ عُرَائِسُ ، وَالصَّنَائِعُ قَلَائِدُهَا ، وَالْوَلَايَاتُ مَادِبُ ، وَالْمَكَارِمُ مَوَائِدُهَا ، وَاللَّيَالَى — كَمَا عَلِمْتُ — حَبَالَى ، وَالسَّيِّئَاتُ وَالْحَسَنَاتُ وَلَائِدُهَا ؛ وَخَيْرٌ مَن لَيْسَ ثَوْبَ نِعْمَةٍ كَاهِلُ هَذَا الْإِمَامِ ، وَإِنَّ الْحَسَنَةَ إِلَيْهِ لِأَشْرَفُ مَوَاهِبِ الْأَيَّامِ ، فَاتَّغَنَّهُمَا فَإِنَّهَا غَايَةُ الْإِغْتِنَامِ ؛ وَأُعِيدُ مَوْلَانَا بِاللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ نَظَرَهُ إِلَيْهِ لِمَا ، أَوْ يَضْرِبَ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا ، أَوْ يَكُونَ مَوْلَانَا رَوْضَةً ثُمَّ لَا يَجِدُ هَذَا الصَّدْرُ مِنْهَا نَفْحًا ، وَمَطْلَعُ آفَاقِ الشَّرَفِ ثُمَّ لَا يَسْتَوِضِحُ هَذَا الْمُلْتَمِسُ مِنْ أَفْقِهَا صَبْحًا .

ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتاب المتقدمين : ^(٢)

١٠ الحمد لله مقلت القلوب ، وعالم الغيوب ؛ الجاعل بعد عسير يسرا ، وبعد عداوة ودا ، وبعد تحارب اجتماعا ، وبعد تباين اقترابا ؛ رَأْفَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ وَلُطْفًا ، وَتَحَنُّنًا عَلَيْهِمْ وَعُطْفًا ؛ لِثَلَاثِ سِتْمَتِهِمُ التَّنَائُعُ ، فِي التَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ ؛ وَلِيَكُونُوا بَرَّةً لِأَخْوَانِهِ ، وَعَلَى الْحَقِّ أَعْوَانًا ، لَا يَتَنَكَّبُونَ مِنْهُمْ جَاءًا ، وَلَا يَرْكَبُونَ مِنَ الشُّبْهَةِ تَجَبُّجًا ؛ بِغَيْرِ دَلِيلٍ يَهْدِيهِمْ

(١٣٦)

(١) عِيْلَانُ : هُوَ أَوُّ الْحَارِثِ عِيْلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ نَهَيْسَ بْنِ مَسْعُودَ بْنِ حَارِثَةَ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ

١٥ بِذِي الرِّمَّةِ ؛ وَكَانَ مِنْ نَفُولِ الشُّعْرَاءِ ، وَهُوَ أَحَدُ عَشَاقِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ ، وَصَاحِبُهُ مِئَةُ مِثْقَالٍ مِنْ قِيسِ بْنِ عِيسَى بْنِ عَاصِمِ الْمَقْرِيِّ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّشْبِيهِ بِهَا فِي شِعْرِهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةِ مِائَةِ أَرْبَعِ مِائَةٍ مِنْ وَفَاةِ الْأَعْيَانِ تَرْجُمَةُ ذِي الرِّمَّةِ .

(٢) يَرِيدُ الْحَكْمَ بِأَيِّ الْعَاصِمِ بْنِ أَمِيَّةَ بْنِ عَدْنِ شَمْسٍ ، وَهُوَ وَالِدُ مَرْوَانَ ثَالِثَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ ؛ وَلَمْ يَرِدْ فِيهَا سَقْ صَدْرُ رِسَالَةٍ تَصِحُّ الْمُسَائَلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أُوْرِدَ

٢٠ هُنَا لِبَعْضِ الْكُتَّابِ الْمُتَقَدِّمِينَ . وَلَعَلَّهُ قَدْ سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيْنَا .

(٤) فِي الْأَصْلِ : «يَسْتَمْتَحِبُهُمْ» ، وَالْبَاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا لِدَيْنَا مِنْ كُتُبِ الْمَلِكِ أَنَّ هَذَا الْعَمَلُ تَعَدَّى بِالْحَرْفِ وَالتَّنَائُعِ بِالْيَاءِ الْمُنَادَاةَ : التَّهَافُتُ ؛ أَوْ هُوَ الْحَاجَةُ . وَيَرِيدُ قَوْلَهُ : «لِثَلَاثِ سِتْمَتِهِمْ» أَنَّ أَلْفَ الْحَاجَةِ فِي الْخُصُومَةِ تَسْأَلُ صُلْحَهُمْ بِتَمَاهِيمِهِمْ وَلَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ .

قصده المسالك، ولا مرشيد يذودهم عن دَرَكِ المهالك؛ أحده على نعمه التي لا يحصى
الواصفون إحصاءها، ومننه التي لا تحصى ألقاها، حمدا يتجدد على مَرَمَزِ الأزمان
والدهور، ويزيد على فناء الأحقاب والعصور؛ وإن أحق ما آستعمله العالمون
ولحق به التالون، وآثره المؤمنون، ونعاطى بينهم المسلمون؛ فيما ساء وسر، ونفع
وضر؛ ما أصبح به الشَّمْلُ ملثما، والأمرُ منتظما، والفتقُ مرتقبا، والسيفُ مغدودا
ورواقُ الأمن ممدودا، فحققت به الدماء، وسكنت معه الدهماء، وآفقت به الأعداء^(١)؛
واتصل به السرور، وأمنت معه الشرور؛ وليس بذلك أولى، وإلى إحراز الثواب
به أدنى من الصلح الذي أمر الله تبارك وتعالى به، وخَصَّ وعمَّ ورغب^(٢).

ولنعد إلى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبي

فمن ذلك ما كتب به أيضا إلى صاحب شرف الدين الفائزى جوابا عن كتاب
شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين، فأجابه الشيخ: يُخَدِّمُ الجَنَابَ الشَّرِيفَ - رفع الله
قدره بين أوليائه، وأطاب ذكره في مقام عليائه؛ وأطال عمره مقتنا بعزه، وأقره
في كنف سلامته وكهف حرزه - وردت الأوامر المطاعة، والمقابلة بالسمع والطاعة؛
وحق أنى المملوك مولانا نجم الدين، فتلقى راية طاعتها بيمينه، وأقرها من تعظيمه
في أسرة جبينه، وأحلها من شرف الأمتثال في مستودع دينه؛ وقابل حاملها بأوفر
ترحيه، وأقرب تقرب به؛ وواجهه بإجلال الأخوة، وخلال البنوة؛ وأحلّه كنف^(٣)
قلبه، وآودعه بين شغاف القلب وخِلبه^(٤)، وأعادته إلى معهود ولائه وحسبه؛ وقَرَّرَ له

(١) في الأصل: «له» باللام؛ وهو تحريف.

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذي س أيدنا؛ ولم نقف عليها فيما راجعنا
من المظان.

(٣) في الأصل: «وحلال» بالجيم؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله: «البوة».

(٤) الشغاف: عشاء القلب وغلافه، وهو حلدة ألبسها. والخلب: محاب الكبد.

في كل شهر عشرة دنائير وهي نهاية قدرته، وأعلمه أنها أعود نفعاً من ولايته وأقرب عوناً من إمرته؛ وعاهد الله ألا يتعزز لجندياً أبداً، ولا يمدّ لطلب ولاية يداً؛ ولا يقف بين يدي الأمراء بعدها، ولا يتجاوز بجلالة أبيه حدّها، ولا يهمل شرف نسبه التي لم تُصاعِرْ^(١) [لها] الأيام خدّها؛^(٢) وأخذ عليه عهود الله والمملوك في الوفاء مهما عهدّها؛ وقد توجه إلى المشارع الصحابيّة التي استعذب وِرْدُها^٥ والمكارم الشرفيّة التي ألّف حمدّها، والصنائع الإحسانيّة التي وجد في مرارة الفقر حلّوها وفي حرارة الغربة برّدّها؛ وعادَ عُشّ الفضل الذي منه درج، وبيت الكرم الذي إليه دَخَلَ^(٣) ومنه نَرَجَ^(٣)، وسماء الإحسان التي أطلعت نجم إمامه فعرّج عليها وإليها عرّج، وبحر المعروف الذي إذا أطنب لسان شائه قالت شواهد بيانه: « حدث عن البحر ولا حرج »؛ ومولانا يضعه تحت كنفه، ويرفقه الله^{١٠} ولسلفه، ويقابله الجنب الشرف بما عرفه من شرفه؛ ويعينه على جاريه الذي هو مادّة رفقّه، وأوّل ما أجزاه الله على يد مولانا من رزقه، بتحاب يُحْزَل له العزّات ويُنْمِيها^(٤)، ويسكن رُوح الحياة في جسد فاقته ويقيمها؛ فهو ذو ضراء لا تسدّها إلا القناعه، وذو فاقّة لا ترفعها إلا السعة التي تمدّ باعه؛ والله يجعل مولانا وقاية لمن لحا إليه، وإعانة لمن أعتمد عليه؛ إن شاء الله تعالى.

(١) صاعر حدّه وصعره تشديد الهمزة المهملة: أواله كبرا؛ وقرئ: (ولا تصاعر حدك للناس).

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها. والصمير غائد الموصول وفي قوله: « خدّها »

يعود إلى « الأيام ».

(٣) عبارة الأصل: « الذي منه دخل وإلى حرج » والصواب العكس كما أثبتنا.

(٤) في الأصل: « ويبيتها »؛ وهو تحريف.

١٧٧

وكتب إليه أيضا شفاعاً في بعض الأعيان فقال :

وُنِيبِي أَنْ اللَّهَ تَعَالَى مَتَوَلَّى سِرَائِرَ عِبَادِهِ ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَى مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِنْ كَانَ
عَلَى وَفْقٍ مَرَادِهِ ؛ أَعَدَّ دَارِي نَوَائِهِ وَعِقَابِهِ ، وَحَذَرَ أَوَّلَى الْعُقُوبَةِ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ ؛ ثُمَّ
عَمَّتْ رَحْمَتُهُ فَشَفَّعَ فِي الْعَصَاءِ ، وَعَفَا عَنِ الْجَنَاهِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ثُمَّ بُدِّلَتْ عَوَارِفُ الْإِحْسَانِ ، وَعَوَاطِفُ الْحَنَانِ ؛
حَتَّى شَفَّعَ إِلَى خَلْقِهِ ، فِي الْعَفْوِ عَنْ حَقِّهِمْ وَحَفَّهِ ؛ صِفَةَ كَرَمِ رَحْمَانِهِ ، وَصِلَةَ عَفْوِ
إِحْسَانِيهِ ، وَصَنَائِعِ لَطَافِ رَبَانِيهِ ، فَشَفَّعَ إِلَى الصَّدِيقِ فِي مِسْطَحٍ ، فَقَالَ :
﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلَا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوَّلَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْقُوا وَيَصْفَحُوا ﴾ فَقَدِمَ مُوجِبَاتِ الْعُطْفِ بِمَا قَدِمَ مِنَ الْقَرَابَةِ
وَالْمُسْكَمَةِ وَالْمَهَاجَةِ ، ثُمَّ تَلَقَّاهَا مِنْ أَجْرِ الْآخِرَةِ بِكَرَمِ الْمُجَازَاةِ وَرِيحِ الْمَعَامَلَةِ ، وَحُسْنِ
جِزَاءِ الْمَنْعَمِ ، تَعْرِيفًا بِمَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ ، وَتَكْرِيمًا لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ ؛ وَمَمْلُوكُ مَوْلَانَا فَلَانِ
الَّذِي أَنْزَلَ حَاجَتَهُ بَعِيدَكَ ، وَقَصَدَهُ قَبْلَ قَصِيدِكَ ؛ وَأَسْكَنَ حَرِيمَهُ مَجَاوِرَا لَحْرِيمِهِ
وَتَسَفَّعَ بِهِ إِلَى صَدْرِ الزَّمَنِ وَكَرِيمِهِ ، وَاسْتَوْهَبَهُ الذَّنْبُ وَإِنْ كَانَ مَعْتَرِفًا بِعَظِيمِهِ ؛ وَالصَّنْعُ
الْجَلِيلُ ثَمَرَةُ الْأَيَّامِ ، وَالْفَضْلُ أَثْبَتُهُ أَلْسُنُ الْأَفْلامِ ؛ وَلِلَّهِ لِحَظَاتٌ تَلَحُّظُ عِبَادَهُ وَيَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ، وَيَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ، وَلَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ ؛ وَإِنْ مَوْلَانَا عِقَالُ الشَّرَفِ
وَذُو الْفَضْلِ الْأَنْفُ ، وَالْعَارُفُ فِي صَنَائِعِ الْإِحْسَانِ كَيْفَ تُؤَكَّلُ الْكَتِيفُ ؛ وَقَدْ أَحْلَتْهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِعَبْدِكَ » بِاللَّامِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَفْتَضِي الْبَاءَ كَمَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَقَائِلُ » ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : « عِقَالُ الشَّرَفِ » أَنَّ الشَّرَفَ مُحْتَبَسٌ

عَلَيْهِ لَا يَفَارِقُهُ ؛ وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنْ عِقَالِ الْعَبْرِ ؛ وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ عَنْ النَّهْضِ .

(٣) الْفَضْلُ الْأَنْفُ : أَيْ الَّذِي لَمْ يَسْقِ إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مِنْ قَوْضٍ : « رَوْضَةُ أَنْفٍ » أَيْ أَنهَا

لَمْ يَرْحُ ، « وَكَأَنَّ أَنْفَ » أَيْ أَنهَا لَمْ يَشْرَبْ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

على ملاءة أياديك، وألبسته ملاءة معاليك، وأحلته بضمان الله كنف ناديك، وأنت
 الكريم أخلاقاً ونسباً، والطيب أعراقاً وأباً، والصدور الذي إذا سامته الأيام خُطّة
 ضيم ابى، وإذا أوطأته مهانة وخسفنا نبأ، وأحق من قبل هذه الشفاعة كرمك^(١)
 وأولى من رعاها شيمك، والمعالي جنود الشرف وأحق علم رُفيع عليها علمك، والله
 تعالى يقيه للأمان ملاذاً، وللأمل معاذاً، ويهب عزمه مضاء وقلمه نفاذاً ؛
 إن شاء الله تعالى .

وكتب الى قاضي القضاة تاج الدين بن خلف :

يخدم أَلجنابَ التاجي — أدام الله شرف الملة ببقائه، وأعلى كلمة الأئمة بعلائه
 وأجرى السنة الأفلام بثنائه، ورفع ألوية أوليائه بولائه — ويُنهي ورود مشرقه آلتى
 تجلّت في سماء السيادة حسناً، وسهلت لفظاً وجرّلت معنى، وغدا لسان الإحسان
 عليها يُنثى، وعنان الفضائل إليها يُنثى؛ وقد أخذت برقاب المعاني، وأطربت إطراب
 المثاني، وبعثت روح الحياة الى روح الأمانى، وثنت الى فضلها الأقول عنانَ الثاني
 حتى هلا بالمكرمات وبالعلا * وحتى هلا بالفضل والسؤدد المحض^(٢)

(١) الملاءة بفتح الميم : القدرة والعنى ، وهو مصدر ملأ الرجل مهو ملي : أى صار ثمة عينا .

(٢) فى الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « لومك » بلام بعدها واو ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « وقع » ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « اليه » ؛ وهو غير مستقيم .

(٦) يقال : حتى هلا بكذا بلا توسير : أى عليك به ؛ ويقال فيه أيضا : حتى هلا بالنويس وحى هل

بفتح الجزأين تحمسة عشر؛ وكلها يراد به الحث .

لَا جَرَمَ أَنْ الْمَمْلُوكَ سَجَدَ لِلَّهِ ثُمَّ لِحَلَالَةِ ذَلِكَ الْأَسْتِغْفَارِ ، وَقَبُولِ كَلِمَاتِ الْإِعْتِذَارِ ،
وَعَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا لِبَسِ حَلَّةِ التَّوَاضُعِ لِتَمَامِ شَرَفِ الْأَصْطِنَاعِ ، وَلِيَحْزُونَ أَقْسَامَ السِّيَادَةِ
بِالصَّدْرِ الرَّحْبِ وَالْخُلُقِ الْوَسَّاعِ^(٢)

سَجِيَّةَ نَفْسٍ شَرَفَ اللَّهُ مَجْدَهَا * بِمَا شَاءَ مِنْ فَضْلِ لَيْسَ مِنْ حِلْمٍ
وَسُؤْدُدِ آبَاءٍ وَكَسْبِ سِيَادَةِ * نَضَمَ إِلَى عَزِّ الْعِلَالِ شَرَفَ الْعِلْمِ
هَذَا مَعَ إِسَاءَتِنَا الَّتِي تَسْوَدُّ وَجْهَ الْأَمَلِ ، وَيَقْضِي كَفْرُهَا — لَوْلَا إِيمَانُ مَوْلَانَا —
بِإِحْبَاطِ الْعَمَلِ ، عَلَى أَنَّهَا مُلَازِمَةُ الْمَعْلُولَاتِ لِلْعَلَلِ

(١٣٨)

وَمَا كُنْتُ جَانِيُ فِتْنَةٍ غَيْرِهَا : إِذَا وَقَعَتْ أَرَدْتُ مُسِيئًا وَمَحْسِنًا
وَلَوْ رَشَقْتَنِي مُصْمِيَاتُ سَهَامِهَا * لَأَلْفَتْ لَهَا حُكْمًا مِنَ اللَّهِ بَيْنًا
وَإِنْ جَلَّالَ اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّي * بَدَلْتُ مِنَ الْوُسْعِ الَّذِي كَانَ مَكْمَا
وَحَدَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَتَحَرَّرًا * وَأَسْمَعْتُ لَكِنْ لَمْ أَجِدْ ثُمَّ أَذْنَا^(٥)
وَكُنْتُ صَعَابَ تَفْتِضِهَا مَشِيئَةً * وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ رُدُّ إِذَا دَنَا^(٦)

وَأَمَّا إِشَارَةُ مَوْلَانَا إِلَى الْحَاجِبِ الَّذِي هُوَ لَمَوْلَانَا أَشْرَفُ مِنْ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارِهِ
بِمَا أَوْدَعَهُ أَثْنَاءَ تِلْكَ الْكَلِمِ مِنَ اطِّيفِ الْإِنْشَارِ وَشَرِيفِ الْعِبَارَةِ ؛ فَجَزَاءُ مَوْلَانَا عَلَى
اللَّهِ فِي جَبْرِهِ لِقَلْبِ الْمَمْلُوكِ الْمُنْصَدِعِ ، وَصِلَّةِ أَمَلِهِ الْمُنْقَطِعِ .

(١) لعله : «لإجابه» كما يدل عليه قوله بعد : «وقول» الخ .

(٢) الوسع ههنا الواسع .

(٣) في الأصل : «تخيه» بالهاء المشددة والمهملية ؛ وهو تحريف صوابه ؛ لأننا كما يقتضيه السياق .

(٤) في الأصل : «متحررا» ؛ وهو تحريف إدا لم يبق عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .

(٥) الأذن بضم الهمزة وتشديد الدال : جمع آذن ، وهو المستمع ؛ يقال : أذنت إليه وله : إذا

استمعت إليه معجبا بما يقول .

(٦) في الأصل : «طباعا» ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى ؛ والفعل قلها تام لا يحتاج إلى منصوب

إدعى الكون ها ؛ الوقوع والحصول .

(٧) هذه الباء ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

وكتب إلى صاحب قاضي القضاة بدر الدين السنجاري -

وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضيء ببدره، والإيمان يَأْرُزُ^(١) إلى صدره، والشرف يتضاءل عند قدر جلالته وجلالة قدره، والآمال والآجال مصروفة بين بسطة نعمته وسطوة قهره، هذه على ذكره وهذه على شكره، والمكارم والمحامد تتعلّق وتنتالِق هذه بنشره ° وهذه بنشره، والعزم والرأي إذا قُلْ أو قال أستغاث وأستضاء هذا بنصره وهذا بفكره

ولا غرو أن تنبئ الوزارة جيدها * إلى ناظم في جيدها عقد فخريه
إلى أحوذى الرأي إن ناب معضل^(٣) * أراك جلّ الأمر إيحاء سره^(٥)
إذا استغزّر الذهن الذكي تضاءلت * له فكرنا قيس الذكاء وعميره^(٤)

١٠ (١) في الأصل : « بار » ؛ وهو تحريف . و يَأْرُزُ : يَأْوِي ويُلجأ .

(٢) قال الرأي يعيل كييع : ضعف وأخطأ . والذى في الأصل : « اذا قل أو قال » بالالف في كلتهما ؛ وهو تصحيف .

(٣) الأحوذى : هو الذى يسوق الأمور أحسن مساوٍ لعلبه بها .

(٤) في الأصل : « الدهر » ؛ وهو تحريف .

١٥ (٥) يريد : قيس بن زهير بن حذمة العبسى صاحب الحروب بين عمن وذبيان بسبب الفرسين :

داحس والفراء ؛ وكان فارساً شاعراً داهية ، يصرب به المثل فيقال : " أدهى من قيس " اه ملخصاً من مرجح العيون في شرح رسالة ابن ريدون . وعمرو : هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ ويكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند الحاشى ، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً ؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ ونعمه أنوبكر رضى الله تعالى

٢٠ عنه إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضى الله تعالى عنه فلسطين ، ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر فسار إليها وفتحها ، وولاه عمر إياها ؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان ؛ وقد ولاه معاوية مصر أيضاً فلم يرل بها والياً إل أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر ؛ انظر طبقات ابن سعد في القسم الثانى من الجرح الساع ص ١٨٨ طبع ليدن . وكان عمرو بن العاص يصرب به المثل في السياسة والدهاء .

فِيُطْلِع رَأْيَا وَاضِحًا مِنْ سَدَادِهِ * كَمَا أَنْشَقَ بُرْدُ اللَّيْلِ عَنْ ضَوْءِ جَفْرِهِ

إِلَى سَوْدُودٍ أَجَرَتْ مَعَالِيهِ خَيْلَهُ * سِوَابِقَ غُرَا فِي بَهِيمَاتٍ دَهْرِهِ ^(١)

وَكَمْ سَابِقٍ أَجْرَى إِلَى غَايَةِ الْعِلَا * وَلَكِنْ طَوَى سَبْقًا مُلَاءَةً حُضِيرِهِ

بِحِلْمٍ تَجَلَّى فِي أَسْرَةِ وَجْهِهِ * وَجُودٍ تَجَلَّى مِنْ طَلَاقَةِ بَشِيرِهِ

يَمِينًا لَقَدْ أَضْحَتْ جَلَالَةُ قَدَرِهَا * عَلَى شَرَفِ الْمَقْدَارِ مِنْ دُونِ قَدَرِهِ

سَطَرَهَا الْمَمْلُوكُ بَعْدَ مَا لَبَسَتْ الْوِزَارَةَ حَالَةً تَغْيَرُهَا ، وَتَحْبَتُ ذِيلَ اقْتَحَارِهَا ، وَبَدَا

مَعْصَمُ شَرَفِهَا فِي حُلِيَةِ سِوَارِهَا ، وَتَجَلَّتْ مَعَانِيهَا بَيْنَ شَمُوسِ فَضْلِهَا وَأَقْمَارِهَا ، وَجَنَيْنَا

أَلْفُضَّ مِنْ زَهْرِهَا ، وَالطَّيِّبَ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَحَمِدْنَا جَمِيلَ تَأْثِيرِهَا وَحَمِيدَ آثَارِهَا

وَحَيَّتْ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى نَفَثَاتُهَا * بِأَطْيَبَ مِنْ رَنْدٍ ^(٢) الرُّبَا ^(٣) وَعَرَارِهَا ^(٤)

وَأَجْتَلَى الْمَمْلُوكُ حَسَنَاءَ إِحْسَانِهَا فَمَا ضَارَعَتْهَا الْبَدُورُ مَذْفَارَقَتْ سَرَازَهَا ، وَلَا

الْأَنْجَمُ وَلَوْ نَظَّمَ الْقَلَكُ أَنْوَارَهَا ، وَلَا الرُّوضَةُ وَقَدْ عَقَدَتْ الْغَائِمُ إِزَارَهَا ، وَلَا أَطْلُلُ ^(٥)

مِيَّةَ وَقَدْ دَبَّحَتْ يَدُ الْأَنْوَاءِ أَزْهَارَهَا ، وَلَا أَرْدَانُ عَزَّةَ " وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ ^(٦)

(١) فِي الْأَصْلِ : «عَزَ» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْنَا كَمَا يَرُشِدُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : «فِي بَهِيمَاتٍ» .

(٢) الرَنْدُ : الْأَسْبُوحُ أَوْ هُوَ الْعُودُ الَّذِي يُبْجَرُ بِهِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ شَجَرٌ مِنْ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ طَلَبُ الرَّاغِبَةِ

يَسْتَأْذِنُ بِهِ ، وَلَيْسَ بِالْكَبِيرِ ، وَلَهُ حَبٌّ يُسَمَّى الْعَارُ . وَالْعَرَارُ : الرَّحْسُ الْبَرِّي .

(٣) يُرِيدُ تَشْبِيهُ الثَّبَتِ وَالْأَزْهَارِ حَوْلَ الرُّوضَةِ بِأَزَارِ عَقْدَتِهِ الْغَائِمِ عَلَيْهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

حَتَّى تَعْمَمَ صَلَاحَاتُ الرُّبَا * مِنْ بُورٍ وَأَزَارٍ الْأَهْصَامِ

وَالْمَدَى فِي الْأَصْلِ : «أَزْرَارُهَا» وَالرَّاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) عِبَارَةٌ فِي الْأَصْلِ : «دَبَّحَ يَدَ النَّوَارِ» ؛ وَهُوَ مَحْرُفٌ .

(٥) الْمَنْدَلُ وَالْمَدَلَى : الْعُودُ الَّذِي يُشْخَرُ بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهُوَ عِنْدَ رَبِّعِي لِأَنَّ الْمَدَى أَصْلِيَّةٌ

وَقَدْ أَشَارَ بِهِدُ الْعِبَارَةِ إِلَى قَوْلِ كَثِيرٍ :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنَا * وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا

وَالرُّوْيُ فِي هَذَا الشَّرْحِ مَرْفُوعٌ ، وَقَوْلُهُ : «أَوْقَدَتْ» مَبْنِيٌّ لِلْجَهْلِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

فَارُوضَةُ بِالْحَسَنِ طَبِيعَةُ الثَّرَى * يَمِجُّ النَّسْدُ حَنْجَاتُهَا وَعَرَارُهَا

الْأَعَادِي ح ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق و إنما حالف الكاتبها حركة الروي في شعر كثير لاقتضاء السجع نصب الرأ .

نَارَهَا" ؛ صلة جاءت كُبرد الشباب ، وَبَرَدَ الشَّرَابُ ؛ اقتضابا قبل السؤال ، وابتداء الآمال ؛ والمملوكُ يحضر عقيها ليحتلَّ وجه المنعم قريبا ، ويحتنَى غصنَ النعم رطيبا ومتى لم أَقُمْ بشكرك للناس * س خطيبا فلا وَقِيتُ الخطوبا

وكتب الى صاحب تاج الدين محمد بن صاحب بهاء الدين^(٨)

(١٣٩)

على بن محمد المعروف بابن حنّاء^(٣) :

رفع الله قدر الجناب الصاحب التاجي في شرف الأقدار ، وأجرى بإرادته وسعادته سوابق الأقدار ، وألبسه حلية الشرف التي هي على رأس رياسته تاج وفي معصم سيادته سوار ، وحلّة النعم التي ينكشف لأجلها ردن المساء وينسحب بمثلها ذيل المسار ، وأمضى عزائم آرائه التي اذا سَطَّت يوم البأس نفذت نفوذ

(١) في الأصل : « الشناء » ؛ وهو حريف .

(٢) كذا في الأصل ؛ والذي وجدناه في المصادر التي بين أيدينا أن صاحب بها ، الدين جد الصاحب تاج الدين ؛ وأما أبوه فهو نغر الدين بن صاحب بها ، الدين . فقد ورد في كتاب المنهل الصافي المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ في ترجمة الصاحب تاج الدين هذا : أنه محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن صاحب نغر الدين بن صاحب بها ، الدين بن حماد المصري ورير الديار المصرية ؛ وكان مولده في سنة أربعين وستمائة ؛ وتفقه وبرع ونظم ونثر ، وحدث بمصر ودمشق ، وابتهت إليه الرياسة في عصره بالقاهرة ؛ وتوفي في سنة سبع وسبعائة . وفي كتاب أعيان العصر وأحوال النصر المأخوذ منه بالنص وير الشنمسي بعض أحرار مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ : أن الصاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين ؛ ورأى من العر والوجاهة ما لم يره حده الصاحب بها ، الدين . وانظر (مستدرك التاج) مادة « سلم » فقد نص فيه على أن تاج الدين حميد الصاحب بها ، الدين .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز في مستدرك التاج مادة (سلم) .

(٤) الانكاش : التقلص .

السهم ومضت مضاء الغرار ، وإذا سرت في ليل الخطب هدت هداية النجم
 ووضحت وضوح النهار ، وأرضى همته التي اذا همت أغنت عن الأبيض المرهف
 والأسمر الخطار ، وإذا أمت شأت ناصية الحنفاء ^(٢) وبدت قاصية الخطار ^(٣) ، وأرهف
 أعلامه التي اذا أجراها أثبتت خال النفس ، في وجنة الطرس ، وطرزت بالظلماء
 أردية الشمس ؛ وإذا هزها أنست هن العوامل ، وأصاب من الأمر الكلي
 والمفاصل ، وإذا أمضاها نعمة أو لنقمة فللجاني لعاب الأفاعي القوائل ، وللعاقي
 أرى ^(٥) الجنى أشتارته أيد عواسل ؛ ولا زال ربه مربعا للجلال ومصيفا ، ومرتعا لسوام
 الآمال وخريفا ، ومشرعا وارد الظلال وريها ؛ وحرا أمنا تُجبي إليه ثمرات الحمد
 وتُجني منه ثمرات الرّفد ، وتقف المعالي عليه ”وقوف مطايا الشوق بالعلم الفرد“ ^(٦) ؛
 فإنه الربع الذي وقفت به الآمال وقوف غيلان ^(٧) بدارميّه ، وعكفت ^(٨) [عليه] المحامد ^(٩)

(١) الغرار بالكسر : حد السيف والرمح .

(٢) في الأصل : « شأت » ؛ وهو تحريف . وتأت : سبعت ؛ والمصارع يشأو ويمدعو .

(٣) الحفاء والخطار بتشديد الطاء المهملة : اسماء فرسيين لحذيفة بن بدر الغراري ؛ وفي الأصل :
 « الحيفا » بالياء المشاة ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولعله يريد قاصية الخطار : العاية التي ينتهي إليها في جريه .

(٥) في الأصل : « أرى » هاف مساة بعدها ياء ؛ وهو تحريف . والأردى : غسل السحل . يشير
 بهذه العبارة الى قول أبي تمام في صفة القلم :

لعاب الأفاعي القائلات لعانه * وأرن الجنى أشتارته أيد عواسل

واشتارته : جسته واستبحر حته من الورقة .

(٦) العلم : الجليل ، والمراد بالعلم الفردها : جبل فرد شرفي الجاجر يقال له : أبان ، فيه عيون ونخيل ومياه .

(٧) غيلان : اسم ذى الرمة الشاعر . وفي الأصل : « غيلان » ؛ وهو تحريف . وانظر الحاشية

رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

(٨) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٩) في الأصل : ”التجائل“ ؛ وهو تحريف لا معنى له .

عكوف تَوْبَةٍ عَلَى حَبِّ الْأَخِيلَةِ^(١) ؛ وَالْجَنَابُ [الَّذِي]^(٢) فَاءُ ظِلَالُهُ وَفَاضَتْ مَوَاهِبُهُ
وَجَاءَتْ مَدَانِبُهُ^(٣) ، وَجَادَتْ سَحَابُهُ ، وَجَلَّتْ شَيْهَةٌ وَتَجَلَّتْ غِيَابُهُ ؛ فِي رَوْضِ
الْمَعَالِي الَّذِي فَاحَتْ نِسَائُهُ ، وَنَاحَتْ حَمَائُهُ ، وَمَنْشَأُ الْمَجْدِ حَيْثُ شَابَ
فَأَرْخِيَتْ ذَوَائِبَهُ وَشَبَّ فَقُطِعَتْ تَمَائِمُهُ ، وَبَدَتْ الرِّيَاسَةُ الَّذِي إِذَا دَنَوْتَ حَبَاكَ
بِمَا كَرَامِهِ وَإِذَا بَأَيْتَ حَيْتَكَ مَكَارِمُهُ ، وَصَدَرَ السِّيَادَةُ الَّذِي خَضَعْتَ لَهُ الْأَعْنَاقُ
هَيْبَةً ” لِأَبْلِجٍ لَا تَيْجَانُ إِلَّا عَمَائِمُهُ “

- وَلَا زَالَ بَدْرًا فِي سَمَاءِ سَيَادَةٍ * يَشَارُ إِلَيْهِ فِي الْوَرَى بِالْأُنَامِلِ
بَسِيطِ مَسَاعِي الْمَجْدِ يَرْكَبُ مَجْدَهُ * مِنْ الشَّرَفِ الْأَعْلَى وَبَذَلَ الْفَوَاضِلِ
إِذَا سَسِيلٌ^(٤) أَغْنَى السَّامِعِينَ جَوَابُهُ * وَإِنْ قَالَ لَمْ يَتْرَكْ مَقَالًا لِقَائِلِ
مَحْدَدِ أَبْطَامِ الْحَيَاةِ فَكُلُّهَا * لَطَالِبِ عِلْمٍ أَوْ لِقَاصِدِ نَائِلِ
وَيُنْهَى وَلَاءَ مَجْبُوءٍ بِسُودِيَاءِ قَلْبِهِ ، مَوْضُوعًا بَيْنَ شَغَافِهِ وَحِلْبِهِ ؛ وَشَاءَ مَسْمُوعًا
فِي مَحَافِلِ الْأُنَامِ ، مَعْلَنًا فِي صَحَائِفِ الْحَمْدِ بِاللُّسَةِ الْأَقْلَامِ ، جَدِيدًا عَلَى ذَهَابِ اللَّيَالِي
وَإِخْتِلَافِ الْأَيَّامِ ؛ وَدَعَاءَ سَابِقِ أَرَاغِيلِ الرِّيَاحِ ، وَوَصْحَتِ أَنْوَارِ إِبْجَاتِهِ وَضُوحِ^(٥)
^(٦)

- (١) الأَحِيلَةُ : هِيَ لَيْلِي بَدَتْ عِبَادَةُ اللَّهِ بْنِ الرَّحَالِ وَقِيلَ : ابْنُ الرَّحَالَةِ بْنُ شَدَادٍ بَنِ كَعْبٍ مَعَافِيَةٌ ،
وَهُوَ الْأَحِيلُ ؛ وَهِيَ مِنَ النِّسَاءِ الْمُتَقَدِّمَاتِ فِي الشَّعْرِ مِنْ شَعْرَاءِ الْإِسْلَامِ ؛ وَكَانَ يَهْوَاهَا تَوْبَةً مِنَ الْحَمِيرِ بَنِ
حَرَمٍ مِّنْ كَعْبِ بْنِ حَفَاجَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَقِيلِ الْأَعَنَافِيِّ ح ١٠ ص ٦٧ طَبْعُ مَطْبَعَةِ بُولَاق . وَقَدْ أوردَها
أَبُو الْفَرَجِ أَحَادًا كَثِيرَةً فَانْظُرْهُ .
(٢) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي الْأَصْلِ .
(٣) الْمَذَابُ : مَسَائِلُ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ . أَوْ هِيَ الْجُدَاوِلُ سَسِيلٌ عَنِ الرُّوسَةِ بِمَائِهَا إِلَى سِيرِهَا ،
وَاحِدُهُ مَذْنَبٌ يَكْسِرُ الْمِيمَ وَفَتْحُ النُّونِ .
(٤) فِي الْأَصْلِ : « سَالٌ » بِالْأَلْفِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٥) فِي الْأَصْلِ : « مَقْلًا » بِالْقَافِ وَالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٦) أَرَاغِيلُ الرِّيَاحِ : أَوَائِلُهَا .

الصباح، وطار الى ملاٍ القبول بقادمة كقادمة الخناح، وتحية اذا واجهت وجه
 الجهمام امطر، واذا هزئت أعطاف الكهمام^(١) أثر؛ أرق من النسيم السحري، وأعطر
 من العنبر السحري؛ وأصفى من ماء المنافع، وأحلى من "جنى النحل ممزوجا بماء
 الوقائع"^(٢) يرى ذلك في شرع المروءة واصحا واجبا ... تحية من أولى النعمة فشكرها
 وعرف العارفة وما أنكرها، وآمن بيده البيصاء من غير سوء ومد آمن بها
 ما كفرها؛ كيف لا وقد أمتزج بحبها لحمه ودمه، وسبح بحمدها قلبه وفمه، وجرت
 شيم حمده على أعرق جيادها والخير من سبقت به إلى شكر المنعم شيمه؛ لا سيما
 وقد جنى الطيب من ثمارها، وورد العذب من أنهارها؛ فلا أعدم الله مولانا صنائع
 الإحسان الذي آنعقدت عليه كلمة الإجماع، وأنشده لسان المحامد عن شرف
 الأصطناع

(١٤)

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع^(٣)
 ولا زال اللطف صدق صوتيه إذا دعا، والنصح قرين مساعيه أئى سعى، وحاكم
 الفضل يصدق دعواه حوز كل فضيلة كيف ادعى؛ حضر المملوك مهنتا نفسه
 بهنائه، ساعيا في خدمته سعى الأجدل في هوائه، والنجم في سمانه؛ من ملازمة

(١) الكهمام من السيوف : الكليل الحدة .

(٢) المانع : محامد الماء . وفى الأصل : « الوقائع » وهو تحريف إدم بحمد معانيه ما ياسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقعة وهى مكان صلب يمسك الماء وكذلك القرة فى الأصل يستنقع فيها الماء وماؤها يصر به المثل فى الصفاء يقال : « أصفى من ماء الوقائع » ؛ وقوله : « جنى النحل » الخ عذريت لدى الرمة ، وصدره : ولما سقطا من حديث كانه * الخ كما فى كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الطاهر أن هاجلة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته هذه وغيره من رسائله وإن كان المعنى يستقيم بدونها . ولم تقف عليها فيما راجعناه من المطاوع .

(٥) فى الأصل : « شهادها » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه الدجج الذى التزمه الكاتب

فى رسالته . (٦) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى . (٧) الأجدل : الصقر .

وجهه الذى ألقى الله عليه محبةً منه فاستنار ، وأكسب حلة الحياة فلبسته حلة الوفا ، وأجتلته المقل فرأت رونق الخضر عليه بادية ، وأتممت به الهداة فآلفته نجما فى سماء السيادة هاديا ، وقالت الأمانى فى ظله فأنشأ جوده قائلا :

(١)
نزلت على آل المهلب شاتيا *

- و رأيته والناس مومنون من ليث عليه مهابة فكانوا الكروان^(٢) أبصرن بازيا ، أبهة^(٤) الجلالة ، وجلالة الأوصاله ؛ وأصالة الشرف ، وشرف الفضل الأنف ، ورياسة^(٣) وزتها خير سلف خير خلف ، وشيم علمته فى المعالي كيف تؤكل الكتف ؛ فصادف ركابه العالى قد استقل ، وحل من دارة العز حيث حل ؛ فأقام رجاء أن يعاين أسرة جبينه ، ويقبله كتقبيل الندى فى يمينه ، وحين جنبحت الشمس الى مستقر الأنوار وطوى^(٥) الفلك بيد القدرة رداء النهار ، وأشرف^(٦) اليوم من خشية طيه على شفا جرف^(٧) هارب ؛ وتوب داعى العصر وحبعل ، وعابن زبر الفلك فى وجه السماء كعين الأقبل ؛

(١) تمام البيت : « غريبا عن الأوطان فى زمن المحل » الأمالى لأنى على القال ح ١ ص ٤١ طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والظاهر أن صواب العبارة : « من كتب اليه مهابة » ؛ كما يرشد اليه قوله : « من » .

- ولم يقل : « الى » . والكلمة بفتحين : القرب ؛ وادن ف قوله : « مهابة » بقرأ بالصاى : « من مهابة » .
- (٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الزحلين أغبر دون الدجاجة فى الخلق ؛ وله صوت حسن ؛ يكون بمصر ، وهو من طيور الريف والقرى ولا يكون فى البادية .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول دى الرمة فى لبلاب أى بردة س أبى موسى الأشعرى :

- ٢٠ من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهم الكروان عابن بازيا

وبالبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عارة الأصل : « من حاشية طبعه » ؛ وهو تحريف .

(٦) الثوب : ترديد الصوت .

(٧) الأقبل ، من القبل بفتحين : وهو فى العمى : إقبال سوادها على الأنف ، أو هو مثل الحول .

فَتَى عِناهُ إِلَى مَسْوَى قَرارِهِ ، وَأَثْنَى يسابق أَدْهَمَ لَيْلِهِ بِأَشْهَبِ نَهَارِهِ ؛ وَعَلَى الرِّغْمِ
 أَنْخَفَقَ مَسْعَاهُ ، وَلَمْ يَقِلْ قَلْبُهُ الشَّوْقَ الَّذِي دَعَاهُ ؛ لَكِنْ سَارَ وَأَقَامَ حَالِصُ وَلَانَهُ
 وَعَادَ بَعْدَ مَا أَوْدَعَ الْحَفْظَةَ مَرْفُوعَ دَعَائِهِ ؛ فَعَزَفَ اللَّهُ مُولَانَا بِرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي
 سَارَتْ بِهِ إِلَى إِحْسَانِهِ مَطَايَا أَيَّامِهِ ، وَجَعَلَهُ مَثَبًا لِحَسَنَاتِهِ مَحْيَا لآثَامِهِ ، وَحَلَّاهُ بِالْمَقْبُولِ
 مِنْ صِيَامِهِ وَالْمَشْهُورِ مِنْ قِيَامِهِ ؛ وَأَرَاهُ صَدَرَ رِثَةِ أَتْلَحْ ، وَوَجْهَ بَدْرِهِ أَبْلَجْ ، وَثَغَرَ
 أَبْتَسَامِهِ عَنْ رِضْوَانِ الْقَبُولِ أَفْلَحْ ؛ وَرَقَاهُ دَرَجَ تَضَاعُفِ حَسَنَاتِهِ ، وَلَقَاهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ
 مَذْخُورَ إِحْسَانِهِ وَمَوْعُودَ هَبَاتِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْأَمَلَ فِي بَيْتِهِ ، وَأَرَانَا فِيهِمْ مَا رَأَيْنَا فِيهِ ؛ فَهُوَ
 غَابَ الْعِلْمُ وَهُمْ أَغْصَانُهُ وَشَجَرُهُ ، وَمُطَهَّمُ السَّابِقِينَ وَهُمْ مُجْبُولُهُ وَغُرْرُهُ ؛ وَإِنِّي لِأَلْمَحُ مِنْ
 تَحَايِلِ شَرَفِهِمْ وَشَرَفِ تَحَايِلِهِمْ ، وَشَتَائِلِ شِيمِهِمْ وَشِيمِ شَتَائِلِهِمْ ؛ نَجَابَةُ تَضُعُهُمْ مِنَ الرَّيَاسَةِ
 فِي أَنْفِهَا ، وَمِنْ السِّيَادَةِ بِمَكَانِ شَفِيفِهَا ؛ فَهُمْ جَذْوَةٌ فَضِيلِ مُبْرِقِهِ ، وَدُوحَةٌ عِلْمِ مُورِقِهِ
 وَنَبْعَةٌ سِيَادَةِ مُعْرِقِهِ ، وَشُمُوسٌ مَعَالٍ فِي أَفْقٍ كُلِّ شَرَفٍ مُشْرِقِهِ ؛ سَمَتْ بِهِمْ أَصَالَةُ
 النَّسَبِ ، وَفَضِيلَةُ الْأَدَبِ الْمَكْتَسَبِ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ شَرَفِ الْعُمُومَةِ وَالْخُؤُولَةِ فِي كَرَمِ
 الْمُنْتَسَبِ ؛ فَلِلْعَلَا أَلْسُنُ ثَنَى مُحَامِدِهَا عَلَى الْحَمِيدِ مِنْ فَعْلِهِمْ وَشِيمِهِمْ ، وَلِلنَّدَى مَوَاهِبُ
 عُزِيزَتِ مَزَاهِبِهَا إِلَى الْعَلِيِّينَ مِنْ كَرَمِهِمْ وَهَمِيمِهِمْ ؛ لَا زَالَتْ مُحَاسِنُهُمْ فَلَانَدَ الْأَجْيَادِ
 وَأَيَّامُهُمْ مَوَاسِمَ الْأَعْيَادِ ، وَحَرَمُهُمْ الْمَخْصَبَ بِالْمَكَارِمِ سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ ؛
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في الأصل : « يقل » ؛ والباء زيادة من الباسم . (٢) محيا بتشديد الحاء المهملة ،
 من محاة تحية : أى بالحق في محوه . (٣) عبارة الأصل : « بالتقبل في » أتلح ؛ وهو تحريف
 صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه قوله بعد : « والمشهور من » الح . (٤) في الأصل : « ناغ » ؛
 وفي حروفه قلب لا يظهر به المعنى . والعباب : الآحام ؛ وهو من الباء ، وقد جعلت جماعة الشجر غابة لأنه
 مأخوذ من العباة . (٥) في الأصل : « لأتلح » ؛ ولم يقف على هذا الفعل فيما لدينا من كتب
 اللغة . (٦) عبارة الأصل : « محابة بعضهم » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين لا يظهر له
 معنى . (٧) عبارة الأصل : « عدبت مواهبها على » ؛ وهو تحريف في الكلمات الثلاث ؛
 وسباق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

وكتب الى القاضي شمس الدين الأصفهاني الحاكم - وكان بالأعمال
القوصية - رحمهما الله تعالى - :

أوضح الله صنائع المجلس في بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديّه في أجياد الأيام
دررا ، وصنّى مشارع أمانيه إن كان مَشْرَعُ الأمانى كدرا ، ولا زال الإسلام
يشدو بحمده مفتخرا ، والأيام تتلو مجده سُورا ، والشرعُ الحمديُّ يكون بمضائه
في ذات الله متصرا

فقد نشرت يمينك أودية العلا : تُحَلِّي بلادَ الله بالدين والعلم^(١)
وأَمْضَيْتَ أمر الله في شرع أحمد * وقَيَّدَتِ شُكْر الله في مطلق الحكم
وَتَرْضَى كلا الخصمين في السخط والرضا * كأنك تُعْطِي آلِخصم ما كان لخصم
الى غير ذلك من محاسنَ وضحت وضوح النجم في الليل البهيم ، وسرت الى الحمد
سُرى المجد الى الشرف الصميم ، وحدثت عن مساعيه بغفات بالثر البديع والذر
النظيم ، وأثنت عليه ثناء وارِفِ الروض على واكِفِ الوَل بالسنّة النسيم
وهزّت جناحي فضله وجلاله * الى دَرَكِ العلماء من غاية المجد
وقالت معاليه لى المجد كُلّه : فما أبنَةُ ذى البردين والفرسِ الوردِ^(٢)

(١) في الأصل : « في الدين » : وهو تحريف .
(٢) ذوالبردين : عامر بن أحيمر بن هذلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عند
عمر بن المدرس ماء النساء فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب إليهما ، فقام عامر ، فقال له :
أنت أعز العرب ؟ قال : نعم ، لأن العركلة في معد ، ثم رار ، ثم مصر ، ثم تمم ، ثم سعد ، ثم كعب .
فن أكر ذلك فليناطر : فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أما
أبو عشرة ، وأحو عشرة ، وعم عشرة ، فأحد البردين وأصرف (سرح العيون في شرح رسالة ابن زبدون
لجمال الدين بن نامة) وقد أشار بهذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المقري لروحنه معوسة بنت
زيد القوارس الصبي - وكانت قد أتنه في الليلة الثانية من بائه بها طعام - فقال : أين أكلت ؟ فلم تههم
ما يريد فأنشأ يقول :

أيا أبنسة عبد الله وأبنسة مالك * ويا أبنسة ذى البردين والعرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتقى لنا * أكلنا فإني لست آكله وحدي

الأعلى ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا ، وحكما فاضلا ، وساعيا الى غايات الفضائل واصلا ، وفاعل حسنات صير الحاصل من ثنائه باقيا والباقي من عمله الصالح حاصل ؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مستنى بجد شباتها ، ورمتى عن قوس أذاتها ، وجنتى الحنظل من شجراتها ، والمر من ثمراتها ، وأضرمت من نار الى مالم تُطفئه مقلتي بفيض عبراتها

كأنى لم أطع بأفق سمائها * ولم أتقلب فى ثياب سمائها
ولم أك منها فى سويداء قلبها .. مخابِل من هدى العلا وهداتها

— أستغفر الله — فإنها استرجعت ما لم يكن مستحقا ، وأبقت إن شاء الله لمجلسه السامى ما كان حقا ، وأسكنته ^(١) — أدام الله نعمته — وفلك السعادة شرقا ومطلع الشمس أفقا ، وأحلته من كنف السيادة قلبا ومن رأس الرئاسة فرقا
وتطلع له آلام خير غمامة * فتكلمه برقا وتوكله ودقا
وتبقيه للدين الحنيفى عصمة * وللهدى والإضلال إن أهما فرقا
وتبرزه فى صدر كل فضيلة * كما بدّ شأوا الفاضلين بها سبقا

حضر مملوك مولانا الولد [وقد] رفع ^(٢) من المحامد الشمسية لواء ، والتزم العبودية والإخلاص ولآء ، وعمر الألفية ودادا والأندية شاء ؛ وقال : أحسن مولانا حين أساءت الأيام ، وأولى نعمة حامية وإنها أترف الإنعام

(١) فى الأصل : « وسقته » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « ومخله » ؛ والسياق يقتضى ما أنشأ .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد استنتاها لأن ذلك هو الأكثر فى كلامهم ؛ فان فى حلة الماضى المثلث الواقعة حالا أربع صور مرتبة فى الكثرة ، وهى : جاء زيد وقد قام أبوه ، ثم جاء زيد قد قام أبوه ، ثم جاء زيد وقام أبوه ، ثم جاء زيد قام أبوه وهذا خلاف مذهب البصريين ، فإن مذهبهم لزوم « قد » لهذه الجملة مطلقا ظاهرة أو مقدرة اطر شرح الأشتونى ج ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق .

ومالاً لا أني عليه بصلاح * وأشكره والشكر بعض حقوقه
وأملأ من حسن الناك كل مسمع * وإني لأخشى بعد إنم عقوقه

ثم سار قلبي يتبعه ، ودمعي يشيعه ، واسأني يستحفظه الله ويستودعه ؛ وعليه
من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلها ، والأعماد بمنصلها ^(١) ؛ لتوالي هذه
المغارم التي طم جدها ، والمظالم التي عم رداها ، والمحنة التي ملكنتي يداها ، من
خراج طمى بحر ظلمه ، وزاد على حد الجور رسمه ^(٢) وخصصت من بين هذا العالم
بوسمه ^(٣) ؛ للزوم قام بوصفي قبعه لازمه ، ومعنى وجب لذاتي فاستحال عدمه ؛ وقد
كان المملوك وولده فيما سلف يهودان بما يحسدان اتناع ومعتز ، وغنى ومضطر ^(٤) ؛
صيانة للأعراض من أعراض اللوم ، ورغبة في صلة حمد الأمس بفائد اليوم ؛
وسجية نفس تأنف من علاقة الدم ، وإن كان هذا فيما لا يجب فالقياس فيما يجب ^(٥) .
انبعاث النفس اليه من حتم المروءة أمضى ^(٦) ، والدين بأداء الواجب أقضى ؛ لانه

(١) المصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : « سم حدها » ؛ وفي كلا اللغتين تحريف لا يستقيم به المعنى . والجاء بضم الحيم
والمد : مبلغ حساب الضر ، كقولك : ثلاثة في ثلاثة حداؤها سعة ؛ يريد بقوله : « طم حدها » أنه
قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

(٣) في الأصل : « حذل » ؛ وفيه تصحيف وزباده لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الموسم للوسوم ؛ والوسم : أثر الكي . والدى في الأصل :
« برسمه » بالراء ؛ وهو مكرمع ما قبله .

(٥) القائد : المستمد ؛ يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصات .

(٦) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم
المروءة والدين أمضى بأداء الواجب » الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهرهما المعنى ؛ واستقامة الكلام تقتضى
اثباتها على هذا الوجه . وقوله : « انبعاث » فاعل « ليجب » ؛ وقوله : « من حتم » بيان لـ « بما » ؛
وقوله : « أمضى » حير المبتدئ في أول الجملة .

مؤيد بإبرام الشرع . وقد صح هذا القياس بجامعية الأصل والفرع ؛ لكن ضاقت
يد القدرة عن نفاذها ، واعتاضت من وابل الثروة بذادها ؛ وإذا توافرت القرائن
أفادت فوق ما تفيد غلبتُ الظنون من مدار الشرعيات عليها ، وانهاء غالب الأحكام
إليها ؛ وقد كان المملوك حرك عزائم سيدنا قاضي القضاة -- شرف الله قدره ، وأدام
على الإسلام أمره -- إلى تحزيمها العلوم الكريمة بما هي عالمه ، وحكمها بما هي حاكمه ؛
ليكون له مستند يدفع أقوال المتعرضين ، ويصرف اعتراض المعارضين ؛ وإثلاً يقف
له واقف فيجري قلمه الشريف بأمرٍ جازم يجب الوقوف على مثاله ، والمسارة إلى
أمثاله ، فيعز استدراك الأمر بعد إحكامه ، ويكون السعي في معارضته كالتقص
لأحكامه ؛ فكتب بما يقف مولانا عليه ، وتشير مروءته وديانته إليه ؛ ويقرر
مع نائبه ما يقف عنده ، ولا يتجاوز حدّه ؛ غير ذا كره عن مولانا منعا يفر عنه الرواد ،
ولا مشع بكتاب سيدنا قاضي القضاة ؛ بل يكون كالشافع ، اذا صمم الخصم
أعتذر بما هو لهذه المصالح كالجامع ؛ ليكون المملك في إرضائه بحسب الإمكان
ويرى الخصم . أخذته بعد اليأس نوعاً من الإحسان ؛ فالنفوس اذا مُنعت كل المنع
طلبت كل الطلب ، وتعلقت في درك أغراضها بكل سبب ؛ وإذا أخذت بالكلام

(١) في الأصل : « صابت » بالصاد المهملة والباء الموحدة . وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تحريك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٣) « يكون » أى ليحصل و ثبت ، فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب ، ويحمل حمله ناقصاً ،
واسمه ضمير يعود الى « تحزيمها » ، وجره قوله : « مستنداً » بالنصب .

(٤) في الأصل : « بما » والباء زائدة من الباع ؛ إذ لم يقف فيما لديها من كتب اللغة على أن

« قرر » يعتدى بالباء .

(٥) في الأصل : « الدرات » بالذال المعجمة ؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « مشيع » بالياء المشاة ؛ وهو تصحيف .

(٧) عبارة الأصل : « المالك في إرضائهم » ؛ وهو غير مستقيم ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أمثنا .

(١) البين ، وعولمت بالسهل اللين ؛ بعد ذرء سورتها بالمنع ، ودفع شهوتها بالدفع ؛ اتسقى
حكم الأشياء وانتظم ، وانشعب صدع هذا الجرح والتام ؛ وجرى الأمر على سداد
بمحافظة النظام وحفظ الحرمة والحفظ للشارع ، ولذلك قال : ” أقبلوا ذوى الهيئات
عثراتهم ” لا سيما مع شهادات ضروراتهم ؛ بسط الله يمين سيدنا فى المعالى كما بسط
لسانه فى المعالم ، وقيد عليه لسان المحامد كما أطلق يده بالمكارم ؛ وعليه تحية الله
التي توالى عليه نفحاتها ، وتهدى إلى آماله العالى [من] مقترحاتها .

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سموه من عمل قوص -

وكان بينهما مودة ، فاستدعاه للسلام عليه - فكتب :

إلىنا إنا قد حللنا بأرضكم * على فرط شوق لابن عثمان دائم

وزرناك محمودا كما زار أحنف * لنيل الأمانى ريع قيس بن عاصم

١٠

(١) فى الأصل : « اللين » اللام ، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتي بعده فى الجملة الآتية .
(٢) فى الأصل : « بالمثل » ؛ وهو تحريف . (٣) السورة : الحقة . (٤) عبارة الأصل :
« يد المكارم » سقوط الهاء والياء ، والسايق يقتضى إثباتهما . (٥) هذه الكلمة ساقطة من
الأصل ؛ والسايق يقتضى إثباتها . والهاء فى قوله : « مقترحاتها » تعود إلى « آماله » .

(٦) سمهود ، ويقال سمهود : قرية كنية على شاطئ عربى النيل بالصعيد دون فرسوط (ياقوت)
وقال فى تاج العروس : المشهور فى هذه القرية أمها ، فتح الدين ، وبالذال فى آخرها .

(٧) الأحنف : هو الصحاك ، وقيل : صحر . قيس بن معاوية بن حصين بن عباد ، انتهى نسبه إلى سعد
ابن زيد مناة بن تميم ؛ ويكنى أبا جحر ؛ وهو الذى يصبر به المثل فى الحلم . وكان من سادات التابعين ؛ وأدرك
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وروى عنه الحسن
البصرى وأهل البصرة ؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين ؛ وخرج مع مصعب بن الزبير إلى
الكوفة ، فمات بها سنة سبع وستين وقيل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس .

(٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن مضر بن عبيد ، انتهى نسبه إلى سعد بن زيد مناة
ابن تميم ؛ ويكنى أبا على ، وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مقلدا فى غزواته حليما ؛ أدرك الحاهلية
والإسلام فساد بهما ؛ وهو أحد من وأد بانه فى الحاهلية ؛ وأسلم وحسن إسلامه ، وأتى النبي صلى
الله عليه وسلم وصحبه فى حياته ، وعمر بعده زمانا ، وروى عنه عدة أحاديث ، وهو الذى قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” هذا سيد أهل الور “ (الأغانى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق)
أخبار قيس بن عاصم .

٢٠

ولسنا بغاةً للندى والتماسه . وان كنت معروف الندى والمكارم
ولكن وفاءً بالإخاء لمن وفى * وقد خان حتى حد سيفى وقائى
وجدتك ذخرى والزمان محارى * كما كنت عونى والزمان مسالى
فلا غرو أن أنى اليك أعتى * كما قد نلت يماى خيصر خاتمى

يُهدى الى المجلس السامى الشرف تحية الله التى تجمها أنفاس النسيم معطرةً بعرف
الرياض ، مكللةً بأندية الكرم الفياض ؛ تغاديه فى السحر والمقييل ، وتزأوجه
فى الطفل والأصيل ، وتشاهد محاسنه المقل أحسن^(١) من محاسن بثينة فى وجه جميل ؛
وأشيتته التى تنتظم فى الأجياد آتظام الفلاذد ، وترد على الأستماع وروود الهيم على^(٢)
عذاب الموارد ؛ ويوايه من حبه مزينة الاختصاص ، ومن مؤالاته السوانح التى^(٣)
لا تمتد إليها بد الاقتناص ؛ فهو نسيم الأنس ، ومسرّة النفس ، وذخر اليوم والأمس ؛
مصعبى الهمم ، مهلبى الشيم ، حاتمى الكرم ؛ فاق أخلاقا ، وراق أعراقا ؛ وسما^(٤)
نفسا ، وطلع فى سماء الشرف شمسا

وألفيته فى نفسه وولائه . وحسن معانيه كما أنتظم الدر
وصاع شذا أنفاسه فانتشفته . على النأى منه مثلما أبتمس الزهر
ولاحت معالبه بأفاق مجده . كما لاح فى ايل التمام لما بدر

(١) فى الأصل : « مجاشعه » ؛ وهو نهجيف .

(٢) الطاهر أب هذه الجملة التى بعدها مدمتان من نأحر ؛ واستقامة الكلام يقتضى نأحرهما
عن الجملتين اللتين بعدهما ، أى بعد قوله فيما سأتى : (بد الانصاف) . والأثنية : جمع ناه .

(٣) الهيم : الإبل العطاش . وفى الأصل : « الهيم » سقوط الباء .

(٤) عادة الأصل : « وله لأولى » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ؛ وسباق الكلام يقتضى

١. أميتنا .

(٥) فى الأصل : « النسيم » ؛ وهو تحريف .

(١) لا حُرِّمَ إتياني إليه، وإيثارَ تسليمي عليه، مع أني كنت أعهد له خلوةً حلوةً مع الله ووقفه على بابه، والتجاءً في جنح الليل إلى جنايه، ودمعةً يرسلها إذا أسترسل في محرابه؛ وضراعةً يتابعها خشوعه، وزفرةً يشتمل عليها قلبه وتفرق عنها ضلوعه

فيا ليت شعري هل أقامت بنية * على عهدها أم قد نثتها الشواغل

وهل ذلك الود الذي كان بيننا * بوادي الخزامى مثل ما كان أول^(٢)

وكتب إليه — رحمهما الله — يستدعي منه ثلاثة أسهم ومليات^(٣)

— وقد أوردنا بعض هذه الرسالة في الفن الأول في السواقي، ونوردها في هذا الموضوع بجلتها لتكون متتابعة يتلو بعضها بعضا — :

والسيف يُنَدَّب في الوغى فيهِزّه * نَدْبُ الكميّ الى مضاء غِرارِهِ

والحرأولى نانتداب خلاله * لمؤمِّل فيه قضا أوطارِهِ

فذلك حرَّكتُ العزائمَ العالِيَةَ المولويَّةَ الشرفِيَّةَ — أدام الله علاها، ورفع لواها وأودع أسمع الأنام ثناها؛ ولا زالت مرفهة السرائر، مورة الصائِر، سائرة في قطب المعالي سير القلَّك الدائر، آخذةً بحظها من شرف المفانِر، جامعةً بين دَرَكَ إحسان

(١) عبارة الأصل : « لا جرم إتياني » ؛ وهو تصحيف في كلا اللطيفين .

(٢) لم يلزمها ألف التأسيس وهي التي يكون بينها وبين الروى حرف متحرك، ويجب على الشاعر التزامها بها . انظر الحاشية الكبرى للمنهجوري على متن الكافي ص ١١٧ طبع بولاق .

(٣) كذا في الأصل والسمر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية ، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الباء ، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ « المليات » بالمعنى الذي يريد الكاتب في هذه الرسالة ؛ فإنه يريد بالمليات : ألوان من خرف يستخرج بها الماء من السواقي كما يفهم من وصفها الآن وتسمى هذه الألوان بالقواديس ؛ كما في مستدرك التاج مادة « قدس » .

الله في اليوم الأول واليوم الآخر — تحريك الطسمية عزائم الأسود بن عفار^(٢) وبعثتها إلى إنالة الأمل أنبعاث الهمم العربية يوم ذي قار^(٣)، وأستجشت عزائمها استجاشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائم الأنصار، واستجدها استجداد العثمانية بالهاشمية يوم الدار^(٤)، واستحثتها سرعة الإجابة استحثاث أدھم الليل أشهب النهار، فإنها

(١) كذا في الأصل ؛ ولعله : «الجديسية» نسبة إلى حديث ؛ فان الذي حرك الأسود بن عفار للدد عن شرفه وشرف قومه ، هي عميرة أخته ، وهما من حديث لا من طسم ؛ وقد بينا ذلك في الحاشية التي تليها .

(٢) كذا في الأصل ومستدرك الناح والكمال لابن الأثير (ح ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة والذي في تاريخ الطبري القسم الأول (ص ٧٧١ طبع أوربا) : «اس عمار» نالين المعجمة . وأشار هذه العارة إلى ما كان بين طسم وحديس — وهما قبيلتان من العرب البائدة — وذلك أن ملك طسم كان قد سام حديس أنواع الدل ، وأمر ألا ترف فتاة من حديس إلى زوجها حتى يفتنص هو بكارتها ، وفرت فتاة من حديس إلى زوجها ، وقيل زفافها أتى بها إلى ملك طسم ، فافتنصا ، وكاتب اسمها عميرة ، وهي الشمس أخت الأسود بن عمار هذا ، فخرجت على قومها في حالة تثير الحمية في قوسهم وخرصهم على أن يقوموا في وجه هذا الظالم ليحفظوا ترفهم وأعراصهم ؛ فخطب الأسود بن عفار في قومه وأثمروا بطسم وملكهم ليعوهم عن آحرم ويخلصوا من طلبهم ، فصعدوا طعاما ، ودعوا إليه ملك طسم ، قومه ودفعوا سيوفهم في الرمل فلما حصرروا وحلبوا إلى الطعام أحدثهم سيوف حديس فلم تنق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصة في الكامل لابن الأثير (ح ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذو قار : ماء ليكرس وائل قريب من الكوفة بنها وبين واسط ؛ و نه كاتب الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ، وهو أول يوم استدفع فيه العرب من العجم ، وهذه الوقعة من معارك بكر بن وائل (ياقوت) في الكلام على ذي قار وانظر تفصيل هذه القصة في كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه التي حوصرها وقته التواريخ في الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا في كتب التاريخ . ويشير بقوله : «استجداد العثمانية بالهاشمية» إلى كتاب قيل : ان عثمان مات به إلى نبي رضى الله تعالى عنهما يستجده على من حاصره جاء منه : أما بعد فقد بلغ السيل الزبي ، وتجاوز الحزام الطيبين ، وطمع في من لا يدع عن نفسه ؛ إلى أن قال : فأقبل إلى على أي أمر يك أحبب

فان كنت مأكولا فكأن حير آبل ، والا فأدرجكني ولما أمزق

”نمام المتن شرح رسالة ابن زيدون للصعدي“ .

- لَّتِي ثَبَّتْ عَلَيْهَا خِصَرَ الْإِعْتَادِ ، وَصَرَفَتْ إِلَيْهَا عَقِيدَةَ الْإِعْتِدَادِ ، وَجَعَلَتْهَا مِنَ الْقَلْبِ
فِي سَوِيدَانِهِ وَمِنَ الْمُقَلَّةِ فِي السَّوَادِ ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا آعْتَادَ بَكْرِ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ ؛
لَا جَرَمَ أَنَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى سَاعِيَةٌ لِّأَمَالِي مَتَى اسْتَسْعَيْتُهَا ، وَصَدَى صَوْتِي مَتَى دَعَوْتُهَا
وَفَاتِحَةُ كِتَابِ الْحَمَامِدِ مَتَى تَلَوْتُهَا ، وَأَعِيدُهَا بِاللَّهِ أَنْ تَنْكُبَ عَنْ قَضَائِهَا ، أَوْ تَقَفَّ دُونَ غَايَةِ
انْقِضَائِهَا ؛ وَإِنِّهَا لَأَوْرَقُ فِرْعَاوْنَ مِنْ أَفْنَانِ السَّامَةِ ، وَأَعْرَقُ أَصْلَافَ الْوَفَاءِ مِنْ أَصْلِ
السَّالِمَةِ ، وَأَرْشُقُ سَهْمَا فِي كُنَانَةِ سَلِيمِهِ ، وَأَوْثِقُ فِي حِفَاطِ الْمُوَدَّةِ مِنْ أَبْنِ شُبْرَمِهِ ؛ يَقِينُ

(١) في الأصل : « الاعتذار » بالذال المعجمة والراء ؛ وهو تحريف .

- (٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطي بصم العين في إحدى نسخ القاموس مادة " نعم " وهذه السحرة
محمولة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش . وضبط كذلك بالنقل في شرح التبريري على ديوان
أبي تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش عند قول أبي تمام :
١٠ كم وقعة لك في الهوى مشهورة ، ما كنت فيها الحارث بن عباد . والحارث بن عباد : هو أحد فرسان
بني بكر بن وائل ورؤسائهم ؛ وكان قد أعزل الحروب التي وقعت بينهم وبين بني ثعلبة ، وهي المماسة بحرب
السوس . ثم شهد بها بعد ذلك لما قتل مهلهل بن ديمه أس أخيه نجرا ، وقال مهلهل حين قتله : " يؤبشع
هل كليب " فصب عند ذلك الحارث بن عباد وقال :

- قربنا مربط النمامة متى * لقحت حرب وائل عن حبال
١٥ الأبيات - والعمامة : فرسه - فأتوه بها ، فركبها وولى أمر بكر وشهد حربيهم ، وكان أول يوم شهده
يوم قصة ، وهو يوم تخلاق اللم ، وإيماء قيل له : تخلاق اللم ، لأن بني بكر خلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم
بعضا ، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا ، فقتل في ثعلب قتلته عطية ، وفي هذا اليوم أسر الحارث
أس عباد مهلهل بن ديمه ثم أطلقه له ملخصا من نارخ ابن الأثير (ح ١ ص ٣٩٥ طبع ليدن) .
٢٠ (٣) عبارة الأصل : « أن تكتم عن نصائها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم له المعنى ؛ ولعل صوابه
ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق .

- (٤) هو من ورق الشجريق كوعد بعد والأكثر في هذا الفعل « أورك » ، الألف ؛ قاله الأصمعي .
(٥) السلبة : شجرة ذات شوك يبيع بورقها وقشرها وورقها يسمى الفرط ، ولها زهرة صفراء ، فيما حنة
حضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء وتحضر في الصيف . وقال أبو حبيبة : السلم سلب العبدان طولاً شبه
القصبان وليس له خشب وإن عظم وله شوك دقاق طوال حاذ . والكلام هنا على الاستعارة .
٢٥ (٦) السلبة تكسر اللام : الصخرة ؛ يريد أنه ثاب العهد على الأيام ثوث الصخر . (٧) سلمه
تكسر اللام ؛ بطن من الأنصار . (٨) لعل المراد من شبرمة : سعيد بن البصر بن شبرمة الحارثي الدوفي ،
من المخدئين انظر مستدرك الناج . وفي الأصل : « ابن أبي شبرمة » ؛ وقوله : « أبي » زيادة من السامع .

أَحَطْتُ بِأَنْبَاءِهِ ، إِحَاطَةً رَسُولُ ابْنِ دَاوُدَ يَوْمَ إِنْبَاءِهِ ؛ فَلَا أَشْكُ فِي شَرَفِ نَفْسِهَا ^(٢)
 وَسَمَوْنَجْمِهَا وَوَضُوحِ شَمْسِهَا ، وَزِيَادَةِ يَوْمِهَا فِي الْوَفَاءِ عَلَى أُمِّهَا ، كَمَا لَا تَشْكُ ^(٣)
 الْإِيَادِيَّةُ فِي فَصَاحَةِ قُسْمِهَا ، وَلَا الْعَامِرِيَّةُ فِي عِلَاقَةِ قَيْسِهَا ؛ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَامِلُهَا
 لِحَمْلِ السَّهَامِ الَّتِي أَسْهَمْتُ لَهُ مِنَ الْمَوَالَاةِ ^(٤) أَوْفَرَ أَقْسَامِهَا ، وَنَشَرْتُ رَدَاءَ ذِكْرِهِ عَلَى أَفْنَدَةِ
 قُلُوبِهَا وَأَلْسِنَةِ أَقْلَامِهَا ؛ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَجَرَ ثِقَلِ السَّوَاقِ عَلَيْهَا ؛
 وَحَرَكَةِ الْحَزَنِ الَّتِي حَلَّتْ شَمْسُهُ بُرْجَ حَمَلِهَا ، وَتَوَالَتْ جِيُوشُ جُنُودِهِ بَيْنَ صُدُورِ طُبَّاهَا ^(٥)
 وَأَطْرَافِ أَسْلِحِهَا ؛ تَحَقُّفَ أُنْدَاءِ الثَّرَى ، وَتُعْيِيدَ عَنَبِ الْأَرْضِ عَثِيرًا ، وَتُسْيِبَ مَفَارِقَ ^(٦)
 نَبَاتِهَا ، وَتُذَيِّقَ الْمَمَاتِ كِبَادَ حَبَاتِهَا ؛ فَاسْتَنْصَرَ الْعَزَائِمَ الْعَالِيَةَ الْمَوْلُوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ فِي إِطْفَاءِ لَهَبِهِ ^(٧)
 وَأَقْصَصْنَا إِمَاعَاتِهِ قَبْلَ آتِنَاءِ قَضِيهِ ^(٨) ، وَبَعَثْنَا لِحَلِّ الْهَمَةِ الشَّرِيفَةِ قَبْلَ سَطُوتِهِ عَلَى قَضِيهِ ^(٩)
 وَقَصَصِيهِ ؛ لَتَجْرَى حَدَاوِلُهَا عَلَى صَفْحَةِ الثَّرَى مُسْتَفِيضِهِ ، وَتُجْنِي ثَمَرَاتُ رِيَاضِهَا مِنْ

- (١) أَرَادَ رَسُولُ ابْنِ دَاوُدَ : الْمُهْدَدُ ؛ وَقَصْتُهُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ مَشْهُورَةٌ .
 (٢) فِي الْأَصْلِ : « إِنْ فِي شَرَفٍ » وَقَوْلُهُ : « إِنْ » زِيَادَةٌ مِنَ السَّامِ .
 (٣) فِي الْأَصْلِ : « أُمِّهَا » ؛ وَهُوَ مَحْرِيفٌ .
 (٤) الْمَوَالَاةُ ، مِنْ وَالَى فَلَانُ فَلَانًا ؛ إِذَا أَحْبَبَهُ وَصَادَقَهُ .
 (٥) الْحَمَلُ مِنْ بَرُوجِ السَّمَاءِ : أَوَّلُ الْبُرُوجِ ، وَأَوَّلُ هَذَا الْبُرْجِ الشَّرِطَانُ — وَهِيَ قُرْبَا الْحَمَلِ —
 ثُمَّ الطِّيْسُ ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ ، ثُمَّ الثَّرْيَا ، وَهِيَ أَوَّلُ الْحَمَلِ ؛ هَذِهِ النُّجُومُ عَلَى هَذِهِ الصَّهَةِ تَسْمَى حَمَلًا . قَالَ فِي اللِّسَانِ :
 وَهَذِهِ الْمَارِلُ وَالْبُرُوجُ قَدْ انْتَقَلَتْ ؛ وَالْحَمَلُ فِي عَصْرِهَا هَذَا أَوَّلُهُ مِنْ أَشْأَاءِ الْفَرْعِ الْمُؤَخَّرِ أَهْ كَلَامُهُ ؛ وَالْحَمَلُ
 مِنْ الْبُرُوجِ الرَّبْعِيَّةِ .
 (٦) عِبَارَةٌ الْأَصْلُ : « غَيْرِ الْأَرْضِ عَمْرًا » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي كَلَامِ اللَّطِينِ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى ؛
 وَالْعَثِيرُ : الْعَبَارُ .
 (٧) فِي الْأَصْلِ : « صَمَاتٍ » نَالِصَادٌ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَطْهَرُ لَهُ مَعْنَى .
 (٨) فِي الْأَصْلِ : « إِنْقِصَاءٌ » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٩) الْقَصَبُ كُلُّ نَبَاتٍ يَنْتَضِبُ فَيُؤْكَلُ طَرِيًّا أَوْ عَصَا .

أنداء همته أر يصبه ؛ وتغازل مقلُ النُموس لحظاتٍ أزهارها ، وتفتنُ أُنسَانُ فنونها ^(٢)
 بنوحٍ بلبلها وهزارها ، ويروح شذا الروض عن سرِّها وآثارها ؛ هذا مع أنها خطبتُ ^(٣)
 حُسْنِ إحسانه ، وتقلدتُ جميلَ رَهْ وجزِيلَ أمتنانه ؛ والربيعُ ممَنَّمُ العدار ، مُوشَى ^(٤)
 الإزار ؛ قد لبس رداء شسبايه ، وماسَ في خَضِرِ ترابه وخَضِلِ رَبَايه ؛ بهزَ أعطاف ^(٥)
 سنانه ، ويخطر في بُردِ هوائه وبردِ مائه ، فكَلَّ وجناتِ نوره يبردُ أندائه ؛ والثرى ^(٦)
 عنبرُ الأديم ، تحرى النسيم ، رَنَدَى الشميم ؛ موشَعٌ بقلائدِ غدرانه ، مغازلٌ بعيون ^(٧)
 نرجسه بسامِ بغيرِ أخوانه ؛ لا يغرد ذبابُه ولا يطرب ، ولا يصيرُ بسُحراته الجُنْدُب ؛ ^(٨)
 تطلعُ شمسُه محتجبةً في ضبابها ، مقنَّعةً مِن سحابها ؛ جاريةٌ في أُنْشاء حُيكها ، حائلةٌ ^(٩)
 في أدنى فلكِها بتسعى مُسرَّع ، وتكاد أن تغرب حينَ نَطْعٍ ؛ والجوُّ معقود الأزرار ، فاخى ^(١٠)
 ١٠

(١) الأربعة : المعجزة للعين .

(٢) الأفتان : الأعصاب ؛ واحد من « شمس » ويريد بالعين : صوت السات ، واحد من .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعدية « ناح » بهذا الرفع ، ولعله

صين يروح : معنى يكشف فسوق له هذا التصيين ذكر « عن » .

(٤) في الأصل : « وأسراها » ؛ وهو تخريف نكرر مع ما قبله .

(٥) في الأصل : « دبابه » ؛ الدال المعجمة ؛ وهو تخريف لا يستقيم له المعنى وانزياح : السحاب .

(٦) في الأصل : « تنابه » ؛ ولعل صوابه ما أشتا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية . إيدنه بتم السجع

الذى التزمه الكاتب في رسالته .

(٧) في الأصل . « لا يدر » وفيه تصحيف ونقص .

(٨) في الأصل : « ولا يصير بشعراته » ؛ وهو تصحيف في كلا اللغتين . والصريح والصرمرة :

صوت الجندب .

(٩) في الأصل : « صياها » ؛ وهو تخريف .

(١٠) حاك الشمس : طارقتها ؛ الواحد حينئذ .

(١١) الفاخى : دبه الى الفاحشة . وهى صرب من الحمام الملقوق لأن لونها يشبه الفحمت ؛ وهو

صوت القمر .



الإزار؛ غيمه منسكب، ونوره منسحب؛ وليله يضم أطراف نهاره، ويلف وجهه في حاشية إزاره؛ ينفى القداة^(١) عن مائه، ويجمع الحواس^(٢) على جلوائه، ويُعشى المقل من ضوء سنائه

فلو أن ليلي زارني طيف أنسها * وماء شبابي قاطر في ذوائبي
ضمت عليها البرد ضمة آلف * وألصقت أحشائي بها وتراحي
ولكن أتتني بعد ما شاب مرقى * وودعت أحبائي له وحبائي
والحاجة داعية إلى ثلاثة أسهم، كأنها هقعة الأنجم، ممتدة امتداد الرمح، مقومة
تقويم القدح، غير مشعثة الأطراف، ولا معقدة الأعطاف، ولا مسوسة الأجواف؛
تخاس العصور بقوامها، والقُدود بما بها؛ وتخالف هيقها بامتلاء خصوصها،
وأساوي [بين] هواديا وصدورها؛ معتدلة القدود، ناعمة الخدود؛ مع مليات
أخذت النار فيها مأخذها فاسودت، وتناولت عليها مذة الحفاف فاشتدت؛ وترامت
بها مذة العدم، كأنها في حيز العدم؛ صلاب المكسر، غلاظ المآزر؛ تسبه أخلاقه
في هيجاء السلم، ويحكي صلابه آرائه في نفاذ الرأي ومضاء العزم؛ تكلم على الماء
بقبضها^(٣)، فتجود على الأرض بقبضها^(٤)؛ تمتد يدايها في اقتضاء إرادتها^(٥)، وتطلع

- ١٥ (١) في الأصل : « يفر الدوات » ؛ وهو تعريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه سياق الكلام .
(٢) في الأصل : « ملوأي » ؛ وهو تعريف لا يظهر له معنى .
(٣) الحققة : ثلاثة كواكب فوق مكى الجوزاء كالأنثى ؛ إذا طلعت مع المجر أشتد حر الصيف .
(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن السمر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩
الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .
٢٠ (٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء .
(٦) في الأصل : « وتخل » ؛ وهو تعريف .
(٧) في الأصل : « ليعيضا » ؛ وفي السمر الأول من هذا الكتاب : « يعيضا » ؛ وهو تصحيح في كتابه .
(٨) الأيد : القوة .

طلوع الأنجم في فلك إدارتها ؛ وتعاين أخواتها معانقة التشيع ، فأخر التسليم أول التوديع ؛ على أنها تؤذن بحقائق الاعتبار ، وتجري جرى الفلك المدار في فناء الأعمار

تمتر كأنفاس الفتى في حياته * وتسعى كسعى المرء أشاء عمره

يفارق خلّ خلّه وهو سائر * على مثل حال الخلّ في إثر سيره

ويُعلمه التدوار لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمره

فمن أدركت أفكاره سرّ أمرها * فقد أدركت أفكاره سرّ أمره

ومن فاته الإدراك أدركه الردى * إذا جرعت أنفاسه كأس مره

هذه آخر خطّوات القلم ، ومنتهى خطّرات الكلام ؛ فقم في سرعة وصولها

وتعجيل رسوليها

بغزم [غدا] يُنسى مروان عزّمه * براهط^(١) إذ جاشت عليه القبائل

غير معتمد عليه ، ولا مفوّض أمرا اليه ؛ فلم أعتمد عليه أعتاد الصّوفه ، وإنما هو

العماد عند أهل الكوفة ؛ وإنما هو حمار سير ، وذنب طير ؛ يحمل ورقة مطوية عن

(١) راهط : موضع في العوطة من دمشق . (باقوت) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة .

وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد حلفاء بني أمية وأتباع

عد الله بن الزبير ، وهم القيسية ، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة :

” اعتاد آل صوفة “ . وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة ويتسكعون ؛ قال في الأساس : ولعل

الصوفية نسوا اليهم تشبيها بهم في السك والعبادة ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول

اعتاد الموص الى كل أمر ، كاعتاد أهل التمسك والعبادة على حلقهم وسلميهم اليه في جميع الأمور .

(٣) العماد عند أهل الكوفة : هو المسمى بصمير الفصل عد البصر بين مثل « هو » في قولك :

«ريد هو القائم» ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ ما بعده حتى لا يسقط عن الخبرة كالعماد في البيت الحافظ

للسقف من السقوط كما نص على ذلك في كتب الفوائد ؛ وأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح

إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله ، ولا يصلح لأن يوص اليه أمر آخر يحتاج الى وقطة ودقة نظر ، فهو كصمير

العماد الذي ليس له فائدة في الجملة لا كونه عمادا لما يليه .

عليه، مزويةً عن فهمه، "كما يحمل الزند الشرار إلى العظم" والله تعالى يحمله من السعادة أشرف آفاقها، ويحرسه في طفلة الشمس وإشراقها
ويُجريه من أطفانه نحو غاية * تبغى الألفاظ حلوم مذاقها
ويُلبسه غفر السيادة والعلا * كما لبست أسماء^(١) غفر نطاقها
إن شاء الله تعالى .



ذكر شيء من إنشاء المولى [القاضي الفاضل البارع الأصيل]^(٢)
الأجل محي الدين عبد الله [بن عبد الظاهر] رحمه الله تعالى

كان رحمه الله من أجل كتاب العصر، وفضلاء مصر، وأكابر أعيان الدول
والذي افتخر بوجوده أبناء عصره على الأول؛ له من النظم الفائق ما راق صناعة
وحسناً، ومن النثر الرائق ما فاق بلاغة ومعنى؛ فقصائده مدونة مشهورة، ورسائله
بأيدى الفضلاء ودفاترهم مسطورة؛ وكلامه كاد يكون لأهل هذه الصناعة وعليهم

(١) أسماء : هي بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما ؛ وكانت تلقب بذات الطاقين ، وأصح
الأقوال في تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل في الآخر الزاد الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأتى بكر رضى الله عنه وهما في الغار . وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى عصماً لقرنته ؛ وروى عن
عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أبي بكر مهاجرين صنعاً لها - مرة في حراب
فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فذلك كانت تسمى ذات الطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء
بعد قتل أنها عبد الله بن الزبير ليلاً ، وكان قتله يوم الثلاثاء . لسبع عشرة ليلة حلت من حادى الأولى سنة
ثلاث وسعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن .

(٢) هاتان العبارتان لم تردا في (١) وقد أثبتناهما عن (ح) .

(٣) في (١) : "مبينة" .

(٤) كذا في (ج) والذي في (١) «كاد أن يكون» زيادة «أن» والذي اختارناه هو الأكثر
في خبر «كاد» فإن اقتران خبرها «بأن» قليل ؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر ؛ ومنه قول الشاعر :
* كادت النفس أن تفيض عليه * الخ البيت .

تجّه ، وطريقه في البلاغة أسهل طريق وفي الفصاحة أوضح حجّه ؛ وهو رحمه الله
 ممن عاصرته^(١) ولسوء الحظ لم أشاهد عمّاه الوسيم ، ولم أفز بالنظر إلى طلاقة وجهه
 الكريم ؛ والذي أوردته من كلامه هو ممّا نقلته من خطّه ، وتلقّيته ممّن سمعه من
 لفظه ؛ فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملك الظاهر ركن الدين
 بيبرس الصالحى — رحمه الله -- إلى ملك الغرب ، كتب :

تحيات الله التى نتابع وفودها وتتوالى ، وتشرق نجومها وتتلالا ، وتتفق إسرافا
 ولا تخاف من ذى العرش إقلا لا ؛ تخصّ الحضرة السنية السرية ، العالمية العادائية
 المستنصرية ؛ ذخيرة أمير المؤمنين ، وعصمة الدنيا والدين ، وعدة الموحدين ؛
 لا زالت سماؤها بالعدل مغدقة الأنواء مشرقة الأنوار ، ورياضها بالفضل موروقة^(٢)
 الأغصان موفقة الثمار ؛ ولا برحت ضوأل الأمانى فى أبوابها تئشدا ، وقصائد القُصود^(٣)
 فى انصافها تئشدا ، وسرى الآمال عند صباح أمرها تجمد ، وأحاديث الكرم عن جودها
 تُرسل والى وجودها تئسد ؛ وسلامه الذى بكأثر نسيم الروض الأنيق ، ويفانح جديده^(٤)
 عتيق^(٥) ألمسك وأين الحديد من العتيق ؛ يغاديان تلك الأنداء المباركة مغادة الغوادى

(١) فى (١) : «عاجيته» بالحيم والزاي ؛ وهو تحريف .

(٢) القُصود : جمع قصيد . وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وأما جمع القصيد مع أنه مصدر —
 والمصدر لا يثنى ولا يجمع -- فظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على
 السماع ، وإن سمع الجمع غالوا لاختلاف الأنواع ، وإن لم يسمع غالوا أنه مصدر أى باق على مصدرية
 وعلى هذا يجمع القصد موقوف على السماع اه ملخصا من المصاح .

(٣) عتيق المسك : قديمه ؛ وفى كلا الأصلين : «عتيق» بالفاء ، وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أن
 مقابلته فى العبارة بالجديد مرتين يرجح ما أثبتنا . وعتيق المسك بالفاء : فاعيل بمعنى مفعول ، وهو من فتق
 المسك بعينه : إذا أخرج رائحته بشئ ، يدخله عليه .

(٤) الأنداء : جمع البادى ، وهى القوم المحتممون ؛ وفى حديث أنى سعيد : «نكأ أنداء» فنخرج عليها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) من وابل المطر ، ويراوحانها مُراوَحَه الرِّقَّة للأُصْل والبُكَرَ حيث العزة القعساءُ يمتد رواقُها ، والنعمَةُ الغَزاءُ تُخَصِّفُ (٢) أوراقُها ، والدَّيْمَةُ الوَطْفاءُ يَتَوَالى (٣) إِغْداقُها ، وَيَتَنَالى إِغْرِاقُها ؛ وحيث العدل منشور الجراح ، والحقُّ مشهور السلاح ، والإنصافُ مبرورُ الأقسامِ إِطالِهِ باقٍ لا يزاح ؛ سَجِيَّةٌ تُتَوَارَثُ تُتَوَارَثُ الفخار ، ومزِيَّةٌ تَسْتَأْتِرُ بالهساية أَسْتَنْتَارَ النجوم بالأنوار ، وَشَيْمٌ تُسْتَصْحَبُ أَسْتَصْحَبَ الأهلَةَ للإبْدَار ؛ فَلَذَلِكَ يَتَلَفَّتْ الأمل إليها تَلَفَّتْ السارى الى تَبْلُغِ الصباح ، ويرتاح الى تَلَقُّ إِحسانها آرتياح الظامى الى ارتشاف الماء القراح ؛ وَيَحْتَمِي بها فى المطالب آحتَاءَ اللَّيْث بِأَغابِه ، وَيَسْتَمِدُّ إِسعافُها أَسْتَمَدَّ الحديقة من السحابة ؛ وَيَهْزَعْدُهَا كَمَا هَزَّ الكَيُّ المُرْهَفَ ، وَيَنْبَهْ فضلُها تنبيهَ النسيم جَفْنَ الزهر الأَوْطَفَ (٤) ؛ فينأجى بالجُؤُور ، وَيَلْتَمِسُ لها حَسَنَ الصنع الذى لا يزال مبتسَمَ الثغور ؛ فَمَا قَصَّ عليه من مناجاته ، وَطَوَى عليه طَوِيَّةَ مفاوضاته ؛ أَتَ القاضى زَيْنَ الدين بنَ حَبَاسَةٍ من بَيْتِ أَسْلَفَ سَلَفُهُ جَمِيلاً ، وَغدا هو على مكارمه دليلاً ؛ وَكانَ لَهُ غلامٌ قد سِيرَ معه جَمَلَةً... (٥) وَالْإِحْتِفَالُ الْخَفِيُّ مُسْتَوْقُ (٦)

(١) لعله : « وابل » فإن السياق يقتضى الباء .

(٢) تخصف أوراقها : أى تنصل أجراؤها اتصالاً لا انقطاع فيه ، وحصف الورق : هو أن يوصل

بعضه ببعض للاستتار به .

(٣) الوطفاء من السحب : المسترحية لكثرة ماثها ؛ أو هى الدائمة السح الخفيفة .

(٤) الأوطف : المسترحى . والمصدر الوطف بالتحريك ؛ يريد تشبيه الزهر فى سكوه بالخص الذى

عشيته سة من الكرى فاسترحى .

(٥) فى كلتا السحتين : « بالأحور » بتقديم الهمزة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والجؤور :

جمع (حار) يسكون الهمزة مصدر حار يجار ؛ إذا دعا وتصرع ؛ وانما جمع المصدرها بطورا لاختلاف

أنواعه ؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السمر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ وهى غير واضحة المعنى ، والظاهر أن لها قبة تتم معها

سقطت من الأصول التى بين أيدينا ؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٧) الحمى بتشديد الياء : المبالغ فى البر والإكرام . وفى (ج) « الخفى » بالغاء المعجمة ؛ وهو تصحيف .

في تقديم يحجب النجاح دأبه ، ويغدو الفلاحُ مُراوِحه ومُغاديه ؛ وأعتاءٍ يستخلص
 حقه من عليه أعتدى ، ويرى من قبسه نورا يحده هدى ؛ فبإريقة يضيء لديه
 الخالك ، وبلمعة يهتدى "بحيث أهدت أم النجوم الشوايك" ^(١) ؛ وما هو إلا رسم
 يرسم به وقد قرب البعيد ، وآب الشريد ؛ وخاف الخائف ، وكف الخائف ؛ وجمعت ^(٢)
 الضوأل ، وضاق على أختزل واسع المجال ؛ مهابة قد سكنت القلوب ، وسياسة قوى ^(٣)
 الطالب بها وضعف المطلوب ، وعزة لا يزال الرجاء ينبإ إليها فيما ينوب ؛ وأى
 مطلب تُجآ فيهِ الآلاء المباركة فلا تُصحب قياده ، ويُستسقى له مُزَن ولا تُعاهد ^(٤)
 عهاده ؛ وأى ذاهب لا يُسترجع به ولو أنه عشبات الحمى ، وأى فائت لا يُرد ولو أنه ^(٥)
 زمن الشبية المعسول اللئى ؛ وحسبُ العانى أن يحط برحابها رحاله ، أو أن يوفد إلى
 أبوابها آماله ؛ وقد تبادرت إليه المناجحُ متسابقه ، وأنتظمت لديه المصالح متناسقه ؛
 فينشد يُفعم إناء تأمليه ، وليستوعب الإحسان الجملة قصده وتفصيله ؛ ويناديه

(٢)

(١) الشوايك : من شكت الحوم اذا دخل بعضها في بعض واختلطت ، وكذلك استبكت وتشابكت .
 وأم النجوم : المحزة . وهذا محرّيت لناط شرأ ، صدره : « برى الوحشة الأنس الأيس ويهتدى »
 بحيث اهدت الخ أنظر ديوان الحماسة . ومعنى الشطر الثانى من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل في أسفاره كما
 تستغنى المحزة ؛ والعرب تقول : هو أهدى من النجم .

١٥

(٢) الخائف : من الخف هتج الحيم والنون : وهو المبل والخور .
 (٣) المختزل : الخائر ؛ يقال : احتزل الوديعه : إذا حاح فيها . والاحتزال فى الأصل : الانقطاع .
 (٤) تعاهد بالناء للجهول ، من المعاهدة : وهى المعاهدة والمخالصة . والمعاهد ، جمع عهد : وهو
 المطر بعد المطر ؛ أو هو أول مطر الوسمى .

٢٠

(٥) يشير بهذه العبارة الى قول الصمة بن عبد الله بن طعيل القشيري :
 وليست عشبات الحمى برواحع * عليك ولكن حل عبيك تدمعا
 ديوان الحماسة (باب السيب) .

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين ، وقد أمتناها ليصح الإعراب بالكسر فى قوله : « وتفصيله » ؛
 كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .

السعد من تلك البقعة المباركة ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملها الملائكة ؛
أمتع الله ببركاتهما التي أمتدَّ رواقُها ، وأنارَ آلالُك إشرافُها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمٌ
عطرُ النفحة ، وتصالحها تحيَّاتٌ جميلة الصفحة ؛ بمنه وكرمه .

وكتب رسالة صَيِّدِيَّة ^(١) عن السلطان الملك الظاهر
إلى الأمير عز الدين الحلِّي نائِب السلطنة بالقلعة :

هذه المكاتبُ إلى المجلس لا توارث شُمُوسُ أنيسه ، ولا أذِلَّت ثمار غرِيسه
ولا برح غُدّه في السعد مُرَبِّيا على يومه ويومُه على أميسه ؛ لتتصنَّ إعلامه بأنا
خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحي الشمس منها فتستتر
في سحابها من كثرة الجبل ؛ تَسِير على الأرض منها جبال ، وتَأْوِي الرمال منها إلى
أورف ظلال ؛ وتوجهنا إلى جهة الطَّرَازَةِ ^(٣) وإذا بجشود الوحوش قد توافدتْ ، وعلى
مناهل المناهج قد تواردتْ ؛ والأجل يسوقهم ، والبيد تعقبهم ^(٥) ، والمنايا تعوقهم ؛

(١) في (١) : « إلى » ؛ وهو عمر مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلِّي الصالحى البحرى ؛ كان من أكار الأُمراء وأخطاهم عند
الملوك ، ثم عند المالك الظاهر بپرس ، وكانت يستند في عبته ؛ وكانت وفاته في سنة سبع وستين وستائة
تاريخ العيني المسمى بعمد الحان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ١٥٨٤ تاريخ والنجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطَّرَازَة مشددة الزاء : اسم لواءى هيب ، وهى كورة من حوف رمسيس ، وتعرف بيرية
شهاب ، و بيرية الأسقط ، وميزان القلوب ، وبها قبر أبى معاذ الكبير (مستدرك التاج) .

(٤) الجشود : الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين .

(٥) تعقبهم : أى تنبؤهم ، ونجافى عنهم .

ولم تزل أيدي الخيل تجمعهم في صعد، وتطوى بهم سطورا في طروس اليد؛ حتى أحاطت بهم إحاطة الفلك بالنجوم الزاهر، والأجفان بالعيون النواظر؛ وجردت السيوف فطنتها غدرا، ورُميت النبال خسيبتها شررا؛ وعزات الرماح بالسهم وحيثها السلام^(٢) بالسلام، وسكنت نهارا من العجاج في ظلام؛ وضافت عليها الأرض بما رحبت، وأدركت المنيئة منها ما طلبت؛ ورأسلتها المنايا، وأهدت إليها رياحين تحايا؛ فمن صريع وصديع وطريخ وطريد، وجريح ومقيل وشريد، وقائم وحصيد؛ ولم تسلم في هذا اليوم غير غزالة السماء فإنها استترت بالغيوم، وحافت أن يكون الهلال قد نصب فخا لصيدها وصيد غيرها من النجوم؛ والموت أسر كل مهاية^(٣) مهاية، ونال الحنف من كل طلاء طلابه؛ وفكت الطبا بالطبي، وقالت السهام لأجبادها: مرحبا؛ وثني الأئنة والشفار قد أنهلت، والظهور قد أثقلت؛ والكُنس^(٤) خاوية على عروشها، واليد قد أوحشت من وحوشها؛ وما نستعمل عليه من محبة المجلس وإيثاره، ونجده من الوحشة له مع دنو داره؛ وسروره بما عساه لنا يتجدد، وجوره بما يرد من جهتها وهذا لا نشك فيه ولا نتردد؛ أوجب أن نخصه به ونُثِّقَه، ونصفه له على جلته إذ كنا بالتخصيص به لن نصفه؛ وقد بعثنا إليه منه قسما، ولم ننس عند ذكرنا أنفسنا له آسما .

(١) لعله: «وعزت»، بالياء، للجهول من التعزير: وهو التقوية والإعانة. أول لعل المراد قوله:

«وعزت الرماح» الخ: أن العمل في الصيد كان بالسهم دون الرماح فسه ترك العمل به لعل.

(٢) السلام: المحاربة، واحده سلمة بكسر اللام.

(٣) في كلا الأصلين: «واللوقت»؛ وهو تحريف.

(٤) الطلا بالفتح: من أولاد الوحش من حير يولد إلى أن تشدد.

(٥) الكس: جمع كاس بكسر الكاف، وهو مولى الوحش من الغباء والقر تكث في من الحر.

وفي كلا الأصلين: «والكاس» بصيغة المرد؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق.



وكتب عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون
إلى صاحب اليمن جواب كتاب عزى فيه السلطان عن ولده الملك الصالح
علاء الدين على - وكان الكتاب الذى ورد فى ورق أزرق ، وسيه فى كيس
أطلس أزرق ، والعادة أن يكون فى كيس أطلس أصفر - :

أعز الله نصرته وأحسن بتسلية الصبر على كل فادح ، والأجر على كل مصاب
قرح القدرائح ، وجرح الجوارح ، وأوفد من تعازيه كل مسكن طاحت به من تلقاء
دفعاء اليمن الطوائخ ، وكتب له جراء المصبر عن جار من دمع طاح ، على جار
أسويداء القلب صالح ، المملوك يخدم خدمة لا يذود المواصل بها حادث ، ولا يؤخرها
عن وقتها أمر كارت ، ولا تقصصها عن تحسينها وترتيبها بواعث الاختلاف
ولا اختلاف البواعث ، ويطلع العلم الكريم على ورود مثال كريم أولا زرقه طرسه ،
وزرقه لبسه ، اقال : "وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" ، يتضمن ما كان
حدث من رزء تلافاه الله بناسيه ، وتوافتى هو والصبر فتوى التسليم تليين عاسيه

(١) كذا فى كلا الأصلين وتاريخ العيني المعروف بعقد الحمان ؛ والذى فى ابن إياس (ح ١ ص ١١٧)
(ورالدير) مكان (علاء الدين) فلهذه لقب آخر له . وكانت وفاة الملك الصالح هذا فى سنة سبع وثمانين
بعد أن مرض بالدرسونطارية الكبدية ؛ وكان أبوه قد عهد اليه فى الأمر من بعده ، وحط له معه على المنابر
فلم مات جعل أبوه والاية من بعده الى اسه الملك الأشرف خليل اطار تاريخ العيني المأخوذ منه نسخة
بالصورى الشمسى محمودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) طاحت به : أى أسرعت به ، وهو مستعار من قولهم : « طاح به فرسه » اذا أسرع به كالسهم .

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧ وفى كلا الأصلين : « صائح » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى كلا الأصلين : « تحيتا » ؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى .

(٥) العاسى : الشديد الظلمة ، يقال : عسا الليل : اذا اشتدت ظلمته ؛ قال فى شرح القاموس :

« والعين أعرف » .

﴿٣﴾

وتمرين قاسيه ؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحيدناه على ما أخذنا ، وما قلنا : هذا جَرعٌ
 قد آتبه إلا قلنا : هذا تثبتٌ قد آتبتُ^(١) ، ولا توهمنا أن فليدة كبدٍ قد أخطفتُ
 إلا وشاهدنا حولنا من ذريتنا — والحمد لله — فلذبا ، وأحسنا الأحساب ، ودخلت
 الملائكة علينا من كل باب ، ووفانا الله أجر الصارين بغير حساب ؛ ولنا — والشكرُ
 لله — صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسى على مفقود ، وإذا علم الله حُسن
 الاستئمانه إلى قضائه والاستكانة إلى عطائه عوض كل يوم ما يقول المبشر به :
 هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلط أبكادا ممن له قلب لا يبالى بالصددمات
 كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حُقرت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هي توالى
 أو تولت ، ولا بالجفون إن ألفت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلت ؛ ويتحاف
 من الدهر من لم يحلب أشطره ، ويأسف على الفائت من لا تتنابه الخطوب الخطره ؛
 ١٠ على أن الفادح بموت الولد الملك الصالح — رضى الله عنه — وإن كان منكبا^(٢)
 والناح بشجوه وإن كان مبكيا ، والناح بذلك الأسف وإن كان لدار الأسى مدكيا ؛
 فإن وراء ذلك من تثبيت الله ما ينسفه نسفا ، ومن إلهامه الصبر ما يجدد لتزيق
 القلوب أحسن ما به يُرفأ ؛ وبكتاب الله وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عندنا حُسنُ
 اقتداء نصرب به عن كل رثاءٍ صفحا ، وما كنا مع الله — والمنة لله — نعطى لمن يؤنب
 ١٥ ويؤنب أذنا ولا نُغيرها لمن ينجى ؛ إذ الولد الذهاب مَرَفٌ رضى رضوان الله تعالى سالكا

(١) اشتد : أى ترك الحزن والحزن ؛ من النذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد له دليلا من كتب الله أنه يقال : « أنكاه » من « نكأ » المهور
 ولا « أنكاه » من « نكح » المثلث الملام ؛ والظاهر أن الكاتب أراد المحاسبة بين قوله : « منكبا »
 وقوله بعده : « مبكيا » . ونكأ المرح بالهجر : أى قره وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) الناح بالهمز : الصاح ؛ يقال : ناح يناع : إذا صاح .

(٤) أبه : أى عليه بعد موته .

طريقا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتًا ، ^(١) وأنتقل سائرًا بازا صالحا وما هكذا كلُّ أَلَمَوتى نعيًا
ولا نعتًا ؛ وان كان نَفَعْنَا في الدنيا فيها نحن بالصدقات والترحم عليه نفعه ، وان
كان الولد عمل أبيه — وقد رَفَعَ الله روح ولدنا في أعلى عِلِّيِّينَ نَحَقُّقُ أَنَّهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
«وَأَلْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» ^(٢) ، وفيما نحن بصدد من اشتغال بالحروب ، [ما] يَهْوَنُ مَا يَهْوُلُ
من الكروب ؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكالمات الأعداء [ما] بين المرء وبين قلبه ^(٣)
يَحْوُلُ ، ومُلهٍ عن تَخِيلِ أسف في الخاطر يَحْوُلُ

^(٤)
إذا آعتاد الفتى خَوْضَ المنايا * فَأَهْوَنُ مَا يَمِيزُ بِهِ الْوُحُولُ

ولنا بحمد الله ذَرِيَّةٌ ذَرِيَّةٌ ، وعقودُ والشكر لله كلُّها ذَرِيَّةٌ

^(٥)
إذا سَيِّدٌ مِنْهُمْ حَلَا قَامَ سَيِّدٌ .. قَوْلٌ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولٌ ^(٦)

١ (١) الأمت : ما ارتفع من الأرض ؛ وقوله . « لا عوج فيها ولا أمتا » أى لا انحناس فيها ولا ارتعاع (اللسان) .

(٢) كذا في صبح الأعشى ح ٧ ص ٣٥٨ . والذي في كلا الأصلين : « نفعه » بالهاء .

(٣) هذان الكلمتان لم تردا في كلا الأصلين ، وقد أنقضاها من صبح الأعشى اد لا يستقيم الكلام بدونهما .

١٠ (٤) الوحول بالحاء المهملة جمع وحل بسكون الحاء . كملس وفلوس ؛ وأما بالتحريك فجمعه أوحال كما في المصباح ؛ والوحل بالتسكين لغة رديئة كما ذكره الجوهرى والصاعانى ، واقصرأ على ذكر الوحل بالتحريك (التاج) وفى (ج) «الوجول» بالميم ، وهو تصحيف ؛ والبيت لأبى الطيب المتبى .

(٥) درية مفتح الدال وتشديد الراء : نسبة الى الدر ، وهو اللين . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها من معنى الانتساب ومشابهة الدرية لانيها وأما في الأخلاق والصفات .

٢٠ (٦) البيت للسودى من عايداه من قصيدته المشهورة ؛ وفى بيت السدوى : «منا» فغيرها الكاتب بقوله : « منهم » تبعاً لسياق الكلام .

ما منهم الا من نَظَرَ سَعْدَهُ وَمَنْ سَعْدُهُ يُتَنَظَّرُ ، ومن يحسن أن يكون المبتدأ وأن تسدَّ حاله بكفائته وكفائته مسدَّ الخبر « والشمس طالعةٌ إن غيب القمر » لا سيما من الدين به إذ هو صلاحه أعرف ، ومن إذا قيل لبناء ملك هذا عليه فدوَّى قيل : هذا خير منه من أعلى بناء سعيد أشرف ؛ وعلى كلِّ حال لا عُدِم إحسانُ المولى الذى يتنوع في ربه ، ويعاجل قضاءَ الحفوق فتساعف مرسومه في توصيله طاعةً بحره وبره ؛ وله الشكرُ على مساهمة المولى في المرح والترح ، ومشاركته في الهاء إذا سَنَح ، وفي الدمع إذا سَفَح ؛ وما مثلُ مكارم المولى من يعزَّب مثلُ ذلك عن عليها ، ولا بُعِزَى الى غير حُكْمها وحاجتها ؛ وهو — أعزه الله — ذو التجارب التى تحضت له من هذه وهذه الزبده ، وعرضت عليه منهنما الهضبة والوهده ؛ والرغبة الى الله تعالى في أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمه وكما لم يجعلها للظهور قاصمه فلا يجعلها لعرا الشكر قاصمه ، وان يجعلها بعد حمل هذا الهم وفصله على عليه فاطمه ؛ وأن يحبب اليها كل ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزوه وجهاد ، وأن يجعلنا ليس يُحِبِّدَ لدينا على مفقود تأذبا مع الله غير السيوف فإنها تُعرَف بالحداد ، وآلا تُقَصِّف رماحنا إلا في قود أو في فؤاد ، ولا نُحَوِّل

١٥ (١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسدَّ الحال مسدده ، وذلك اذا كان المبتدأ مصدرا بعده حال لا تصلح ان تكون حبرا كمثلك : صرني العبد مسينا ؛ انظر تفصيل ذلك في كتب القواعد والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تعنى عن الإخبار بها .

(٢) أشرف على الشيء : أى أطل عليه . وقوله : « من أعلى » متعلق به ، وفي هذا اللفظ نورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المصور سيف الدين قلاوون ، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح على المتقدم ذكره ؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس دى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة أبيه قلاوون ؛ والملك الأشرف هو الثامن من ملوك انترك على الديار المصرية

(ناريخ ابن ياسين) ج ١ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٣) في (١) : « فاحه » ؛ وهو تحريف .

سروج خيلنا من ظهر جوادٍ في السرايا ألا إلى ظهر جواد ، وألا تُسَقِّ لدينا إلا
أكباد أكباد ، ولا تُجَزَّ عيرُ شعور ملوك التار تُتَوَّج بها رعوس الرياح ويصعد بها
على قِمَمِ الصَّعَاد ؛ والله يشكر للمولى سعى مرأثيه التي لولا لطف الله بما صبرنا به لأقامت
الجنائز، وأستخفت الجنائز، وهوت بالنفوس في آسستمال الجنائز من الأسف وغير
الجنائز، ولا شغل الله لب المولى [بفادحه] ، ولا خاطره بساخنة من الحزن ولا نارحه
ولا أسمع به غير المسرات من هواتف الإبهاج صادحه ؛ بمه وكرمه .



ومن إنشائه رحمه الله تقليدُ السلطان الملك الأشرف صلاح الدين
خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملك المنصور — سقى الله
عهدهما صوب الرحمة — وهو :



الحمد لله الذي لم يزل له السمع والطاعة فيما أمر ، والرضا والشكر فيما هَدَمَ
من الأعمار وما عَمَّر . والتفويض في النعويص إن غات الشمس وبقي القمر

(١) أراد بالأكباد : الحادين ، ولم يخذ هذا الجمع فما راجعاه من كتب اللغة ، كما أسلم يخذ
في كتب المواعيد . يسوعه ؛ وإن صيغه أفعال مغلردة في جمع الأسماء الثلاثة دون الصفات ، وأما سير ذلك
سماعى . ولعل الكاتب أراد الخاصة بس «أكباد» و «أكباد» .

١٥

(٢) في كلا الأصلين : «نجر» الراء المهملة ؛ وهو تصحيف .
(٣) في إحدى النسخين : (سوح) وفي الأخرى : «تنوح» وهو تصحيف في كليهما .
(٤) الصعاد : جمع صعدة ، وهي القنطرة التي تلت مستوى ولا تخارج إلى ثقيف .
(٥) كذا في (ج) وصح الأثنى ؛ والذي في (أ) «بها ميرنا» ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى .
(٦) في كلتا النسخين : «واستخفت» ؛ وهو تصحيف . والجنائز : جمع نخيرة وهي الطبيعة ، يريد
هنا : طليعه الصر والاحتال .

٢٠

(٧) كذا في (ج) وصح الأثنى ح ١٠ من ١٦٦ ؛ والذي في (١) : «أخذ» . كان «السمع» .

نحمده على أن جعل سلطاننا ثابتاً الاركان ، ثابتاً الأغصان ، كل روضة من رياضه ذات أفنان ؛ لا تُزعزعه ريحٌ عقيم^(١) ، ولا يُخرجه رزءٌ عظيم عن الرضا والتسليم ، ولا يُعَبِّط من جملته كريم^(٢) ، إلا ويُعَبِّط من أسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلها لله تفويضا ، وتُجْزِل له تعويضا^(٣) ، وتُحَسِّن له على الصبر الجميل في كل خطبٍ جليل تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبده الذي أنزل في التسليية به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والبيُّ الذي أوصح الله به المناهج وبين السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى آله ما تجاوزت المحابر والمنابر^(٤) في البكر والأصل ؛ وما بددت عقود ونظمت ، وسُيخت آيات وأحكمت ويُقِضت أمور وأُبرمت ، وما عزمت آراء فتوكلت وتوكلت فعزمت ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يدرك أحد في تسويد^(٥) النفس الحَصيفة ولا في تبييض^(٦) الصحيفة مدَّة ولا نصيفه ، ومنهم من يسره الله

(١) الريح العقيم : هي غير الريح ، أن لا تأنف ، بمطر إنما هي ريح الإهلاك ، كما قاله أبو اسحاق الزجاج . وقيل : لا تلحق الشجر ولا تنشئ سحابا ، عادلوها بها ضدها وهو قولهم : ريح لاخ : أى أنها تلحق الشجر وتنشئ السحاب .

- ١٥ (٢) اعتبط الموت فلانا : أحذه شابا صحيحا من غير علة ، كاعتبطه .
(٣) في إحدى السختين : «ع» ؛ وفي الأخرى : «عز» ؛ وهو تحريف في كلتاهما .
(٤) في كلتا السختين : «والبكر» بالواو مكان «في» ؛ وهو تحريف .
(٥) يقال : عزم الرأي بالياء للفاضل : أى عزم عليه ، وهو من قبل الغلب البالغة ، كما يقولون : هلك الرجل ، وإنما هو أهلك بالياء للجھول ؛ ويدل على أن الفعل هنا مبنى للفاعل قوله : «فتوكلت» بالياء للفاعل أيضا وفي قوله «توكلت» إسناد مجازى وهو المسمى بالمجاز العقل .

- ٢٠ (٦) يقال : حصف الرجل وزان «كرم» حصافة فهو حصيف : إذا كان جيد الرأي محكم العقل .
(٧) أشار بهذه العبارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تسوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق ما في الأرض جميعا ما أدرك مدَّ أحدكم ولا نصيفه» ؛ والنصيف كأمير : نصف الشيء ، كالعشير والتميم في العترة والتميم .
فال في التاج : «ومنه الحديث» وأورد الحديث السابق .

لتجهيز جيش العُسرة فعرف اللهُ ورسولُه معروَفَه ، ومنهم من عمل صالحا أَرْضَى رَبَه
فأَصْلَحَ في ذَرِيَّتِه الشَّرِيفَه ، وبعْد ، فإن من الطاف الله بعباده ، وأَكْتَنَفَ عَوَاطِفِه
بِإِلَادِه ؛ أن جعلنا كُلَّمَا وَهَى لَلْكَ رَكْنٌ شَدِيدٌ شَيْدَانَا رَكْنَا عِوَضَه ، وَكُلَّمَا آعَتْرَضَتْ
لِلْقَادِرِ جَمَلَةٌ بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَتَنَاسَيْنَا تَجَلُّدًا تِلْكَ الْجَمَلَةَ الْمُعْتَرِضَه ؛ فَلَمْ نُحَوِّجِ الْيَوْمَ
لَأَمْسِيهِ وَإِنْ كَانَ حَمِيدًا ، وَلَا الْغَارَسَ لَغَرِسِه وَإِنْ كَانَ ثَمَرًا يَانَعًا وَظَلُّهُ مَدِيدًا ؛
فَأَطَاعْنَا فِي أَفْقِ السَّاطِنَةِ كَوَكَبَ سَعِيدٍ كَانَ لِحُسْنِ الْإِسْتِخْلَافِ مُعَدًّا ، وَمَنْ لِقَبِيلِ
الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ، وَمَنْ يَبْشُرُ اللَّهَ بِهِ الْأَوْلِيَاءُ الْمُتَّقِينَ يُنْذِرُ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
قَوْمًا لَدَا ، وَمَنْ لَمْ يَبْقَ [إِلَّا بِهِ] ^(٤) أَسُنَّا بَعْدَ ذَهَابِ الَّذِينَ نَحْبُهُمْ [وَبَقِيَ] كَالسَّيْفِ ^(٥)

(١) جيش العسرة : هو الجيش الذي سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . قال ابن
عسرة : سمي بذلك لأنهم ندبوا اليها في حارة القبط فعسر ذلك عليهم وساط ، وكان إيمان إيباع الثمرة الخ
(تاح العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا ؛ وكان من جهز هذا الجيش ثمان م عفا رضى الله
تعالى عنه فانه أهق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقاربها ، وحسين فرسا ؛ وجاء
أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله ، وعبر همامن الصحابة رصوان الله تعالى عليهم ؛ وكانت هذه العزوة
آخر عزوة عزأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذي أراد قتاله . انظر تفصيل
ذلك في كتب السيرة ؛ وتبوك : موضع بين وادي القرى والشام .

(٢) كذا في كلا الأصلين ؛ ولم نجد فيها من أيدينا من كتب اللغة تعدية « اكنف » بالياء ؛ والذي
وقفنا عليه انه يقال « اكنفه » بلا واسطة حرف ؛ ولعله ضمنه معنى الإحاطة ؛ فسقوع له هذا التصمين تعديته
بهذا الحرف ؛ أوله : « بلاده » باللام .

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من السعة المشار اليها ب (ج) .
(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن صحيح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لا يستقيم
الكلام بدونها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصحح الأعشى ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ فإنه يشر بها الى
قول عمرو بن معديكرب الزبيدي :

ذهب الذين نحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

كما في ديوان الحماسة ؛ وفاعل «بق» ضمير يعود على « من » .

قَرَدًا، والذي مَا أَمْضَى حَذَّه [في] صَرِيصَة إِلَّا قَدْ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ قَدًا، وَلَا جَهْزُ^(٢)
رَايَةً كَتَبِيَّةٍ إِلَّا

أَعْنَى^(٤) غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ^(٥) وَعَدَّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا

وَلَا بَعَثَهُ جَزْعُ فَقَالَ : « كَمْ مِنْ أَيْحَ لِي صَالِحٌ » إِلَّا لِقِيَّهِ وَرَعُ فَقَالَ : « وَخُلِقْتُ^(٦)
يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا » ؛ وَهُوَ الَّذِي بِقَوَاعِدِ السَّاحِطَةِ الْأَدْرَى وَقَوَانِينِهَا الْأَعْرَفِ، وَعَلَى
الْأَوْلِيَاءِ الْأَعْطَفُ وَبِالرَّعَايَا الْأَرَأَفُ ، وَالَّذِي مَا قِيلَ لِابْنَاءِ مُلْكٍ : هَذَا عَلَيْهِ قَدَ وَهَى
إِلَّا وَقِيلَ : هَذَا بَنَاءٌ مِثْلُهُ مِنْهُ أَسْمَى مُلْكًا وَأَشْرَفَ، وَالَّذِي مَا بَرِحَ النَّصْرُ يُتَنَسَّمُ مِنْ مَهَابِّ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصحح الاعشى ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والصريصة : ما صربت به
السيف ، وإنما دخلته التاء وان كان بمعنى معول لأنه صار في عداد الأسماء .

(٢) البص بفتح الباء : جمع بيضة ، وهي من الحديد ما يلبس على الرأس في الحرب ، وقيل لها البيضة
تشبيها لها بيضة انعام . قاله أبو عبيدة في ثياب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لما فيها من الأسماء
والصناعات التي من غير لفظها ، ولها قائل وصفاخ كنبائل الرأس تجمع أطراف بعضها إلى بعض بمسامير يشد بها
طرفي كل قبيلتين ؛ قال : وربما لم تكن من قبائل وكانت مصمتة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .

(٣) في الأصل : « حهر » بالراء ؛ وهو بصحيف .

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب من القصيدة التي سبقت الإشارة إليها في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣
من هذا السمع وروايته في ديوان الحماسة : « أعنى » بصم الهمة وكسر اللون مسدا إلى صمير المتكلم ،
وأما أسند هنا إلى صمير العائب تبعاً لسياق الكلام .

(٥) روايته في الحماسة : « أعد » بصم الهمة والذال المشددة وفتح العين مسدا إلى صمير المتكلم
وأسده الكاتب هنا إلى صمير العائب لما قدما في الحاشية التي قبل هذه . ويريد بقوله : « وعد للأعداء »

أنه أن الأعداء يقولون فيه : خذوا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزي على ديوان الحماسة (ج ١
ص ٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التي سبقت الإشارة إليها في الحاشيتين رقم ٥ ، ٤ من هذه الصفحة

لعمرو بن معد يكرب ، أولها صدر بيت ، والثاني عمر بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كَمْ مِنْ أَحَ لِي صَالِحٌ * بِقَوَانِينِهَا الْأَعْرَفِ

أَبْسَدَهُ أَتْسَابِهِ * وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا

تَأْمِيلِهِ وَالْفَلَاحَ ، وَتَيْبَسَمُ ثَغْرُهُ فَتَتَوَسَّمُ الثَّغُورَ مِنْ تَبَسُّمِهِ النَّجَاحَ ، وَتِنْقَسِمُ نُورُهُ عَلَى
الْبَسِيطَةِ فَلَا مَصْرَمَ مِنَ الْأَمْصَارِ إِلَّا وَهُوَ يَشْرُتُ إِلَى مِلَاحِظَةِ جَبِينِ عَهْدِهِ الْوَضَاحِ
وَيَتَفَقُّ أَشْتَقَاقُ النُّعُوتِ فَيَقُولُ التَّسْلَى لِلتَّعَلَّى سَوَاءُ الصَّالِحِ وَالصَّالِحِ ؛ وَالَّذِي مَا بَرِحَ
لِشِعَارِ السُّلْطَنَةِ إِلَى تَوَقُّلِهِ وَتَقْلِهِ أَمُّ حَنِينٍ ، وَكَأَنَّمَا كُوشِفَتِ الْإِمَامَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بِشَرَفِ
مَسْمَاهُ فَيَا تَقْدَمُ مِنْ زَمَنِ مَنْ سَافَ مِنْ حِينٍ ، فَسَمَتْ وَوَسَمَتْ بِاسْمِهِ أَكْبَارَ الْمُلُوكِ
[وَأَخَايِرَ السُّلَاطِينِ] نَخُوطُ كُلِّ مَنْهُمْ مَجَازًا لَا كَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ بـ «خَلِيلٍ» أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
وَالَّذِي كَمْ جَلَاءُ جَبِينِهِ مِنْ بَيْمٍ ، وَكَمْ غَدَا الْمُلْكُ بِحُسْنِ رَأْيِهِ وَبِمِنْ آرَائِهِ بَيْمٍ
وَكَمْ أَرْأَى مَوْرَدُهُ الْعَذْبُ هَيْمَ عَطَاشٍ وَلَا يُنْكِرُ الْخَلِيلُ إِذَا قِيلَ عَنْهُ : إِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ؛
وَمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ لِكَمَالِهِ يَوْمَ رُكُوبِهِ حَسِيرِهِ ، وَتُلْقَى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ذَهْلًا
وَهِيَ لَا تَدْرِي لِكَثْرَةِ الْإِيْمَاءِ إِلَى جَلَالِهِ إِذَا بَيَدُو مَسِيرِهِ ؛ وَالَّذِي أَلْهَمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ
بِجُودِهِ وَوُجُودِهِ صَبْرًا جَمِيلًا ، وَأَتَانَهُمْ مِنْ نَفَاسَةِ كَرَمِهِ وَحِرَاسَةِ سَيْفِهِ وَقَلْبِهِ تَأْمِينًا
وَنَاطِيلًا ، وَعَظُمَ فِي الْقُلُوبِ وَالْعْيُونِ ، بِمَا مِنْ بَرٍّ سَيَكُونُ ، فَسَمَتْهُ الْأَبُوءُ الشَّرِيفَةُ
وَلَدَا وَسَمَاهُ اللَّهُ : خَلِيلًا ؛ وَلَمَّا تَحَمَّتْ مِنْ تَفْوِيضِ أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِ مَا كَانَ إِلَى

(١) تَوَقَّلَ فَلَانَ فِي مَصَاعِدِ الشَّرَفِ : إِذَا صَعِدَ فِيهَا ، وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنَ التَّوَقُّلِ فِي الْجَلِّ : أَيْ التَّصْعِيدِ فِيهِ .

(٢) عِبَارَةٌ صَحِيحَةُ الْأَعْنَى : « مَنْ مِنْ سَلَفٍ وَمِنْ حِينٍ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ بِهَا أَيْضًا .

(٣) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ صَبِيحِ الْأَعْنَى ؛ وَأَخَايِرُ : جَمْعُ أَحْمَرٍ ، وَهَذِهِ لَعْنَةٌ
بِجِي عَامِرٍ ؛ يَقُولُونَ : هَذَا أَحْمَرٌ مِنْ هَذَا وَأَشْرَمُهُ بِالْأَلْفِ فِيهَا ؛ وَاسْتَأْثَرْتُ عَنْهَا مِنْهَا فَتَقُولُ : هَذَا
خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَأَشْرَمُهُ (المصباح) .

(٤) الرَّأْيُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَرَامِ وَالْمَنْظَرِ ؛ فَلَا تَكَرَّرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ بَعْدَ : « آرَائِهِ » ، وَالَّذِي فِي صَبِيحِ الْأَعْنَى :

« رَوَانُهُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا ؛ وَالرَّوَاءُ : حَسَنُ الْمَنْظَرِ .

(٥) إِبْرَاهِيمُ : أَيْ إِبْرَاهِيمُ هَيْمٌ ، وَالْإِبْرَاءُ مِنَ الْبَرِّ : وَهُوَ الشَّقَاءُ . وَهَيْمٌ بِكَسْرِ الْهَاءِ : الْعَطَاشُ ؛ وَلَا يُجْعَى
مَا فِي قَوْلِهِ : « إِبْرَاهِيمُ » مِنَ التَّوْرَةِ .

(٦) كَذَا فِي صَبِيحِ الْأَعْنَى ح ١٠ ص ١٦٨ ؛ وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « أَبَا » ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ .

وقته المعلوم قد تأخر، وتُحِينُ حِينُهُ فَكَلَّ بِزِيَادَةِ الْهَلَالِ حِينَ بَادَرْتَمَاهُ فَأَبْدَرَ؛^(٢)
 اقْتَضَى حُسْنَ الْمُنَاسِبَةِ لِنَصَاحِ الْجُمْهُورِ، وَالْمُرَاقَبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ، وَالْمُصَاقَبَةِ لِمَنَاجِجِ^(٣)
 الْبِلَادِ وَالثَّنُورِ، وَالْمُقَارَبَةِ مِنْ فَوَاتِحِ كُلِّ أَمْرٍ مَيَسُورٍ؛ أَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ وَلَايَةَ الْعَهْدِ^(٤)
 الشَّرِيفِ بِالسُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُعْظَمَةِ، الْمَكْرَمَةِ الْمُفَخَّخَةِ الْمُنْظَمَةِ؛ وَأَنْ تُبَسِّطَ يَدُهُ

- الْمُنِيفَةُ لِمَصَاحِبِهَا بِالْعَهْدِ، وَتَحْكِيمِهَا فِي الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَفِي الْبُحُورِ وَالثَّنُورِ
 وَفِي الثَّمَاهِ وَالنُّجُودِ؛ وَأَنْ يُعَقَّدَ بِسَيْفِهَا كُلُّ قِطْعٍ وَوَصْلٍ، وَكُلُّ فَرْعٍ وَأَصْلٍ
 وَكُلُّ نَمْرٍ وَنُضْلٍ؛ وَكُلُّ مَا يَمُحَى سِرْحًا، وَيَهْيَى مَنَحًا، وَفِي الْمُثِيرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ^(٥)
 عَلَى الْأَعْدَاءِ نَقْمًا وَفِي الْمُغِيرَاتِ صَبْحًا؛ وَفِي الْمَنْعِ وَالْإِطْلَاقِ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ^(٦)
 وَفِي الْخَمِيسِ إِذَا سَاقَ، وَفِي الْخُمْسِ إِذَا أَنْسَاقَ، وَفِي السُّيُوفِ "إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي وَقِيلَ:
 مَنْ رَأَى"، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَلْتَفَتَ أَلْسَاقُهَا بِالسَّاقِ؛ وَفِي الْمَعَاهِدَاتِ وَالْهُدُنِ ١٠

(١) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والتعويض : الانتظار والطلب ؛ والذي في الأصل :

« ونحذر » ؛ وهو تحريف ياء لم تحذف هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة فالمعنى المناسب لسياق ما هنا .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « فكل زيادة » بدون ياء .

(٣) المصافحة : المقاربة والمواجهة .

(٤) في الأصل : « والمقارنة » بالباء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتناه بقرينة ذكر « من » بعده . ١٥

(٥) الإعداء بكسر الهمزة : مصدر أعداء إذا حمله على العدو بتحقيق الواو ، وهو الحزب .

(٦) الإرفاد بكسر الهمزة : الإعطاء ، واللام الزائدة بكسر الراء . والإرفاق بالكسر أيضا : التمعن ، يقال :

أرعى فلان فلانا ورفقه : أى نعهه .

(٧) إذا ساق : أى إذا ساقه ، فالمفعول محذوف ، وهو صير يعود الى « الخميس » .

(٨) أراد بالخمس : خمس ما يعنمه الجيش في الحرب ، وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنفال : ٢٠

(واعلموا أنما عنتم من شئ فأولاه الله نعمة والرسول) .

وفي الفداء بما عُرض من عَرَضٍ وبالبدن للبدن^(١) ، وفيما ظهر من أمور الملك
وما ظن ، وفي جميع ما تستدعيه بواعثه في السر والعلن^(٢) ، وتستدعيه نوافته من كبت
وكتب متفرقين أو في قرن ، عهدا مباركة عودته وتماثله ، وفواتحه وخواتمه ، ومواسمه^(٣)
ومواسمه ، وشروطه ولوازمه

[على عاتق الملك الأغرنججاه * وفي يد جبار السموات قائمه]

لأراد لحجه ، ولا ناقص لبرمه^(٤) ، ولا داحض لما أثبتته الأقلام من مكنون عليه .
ويزيده مر الليلي جدّة * وتقدّم الأيام حسن شباب^(٥)

(١) « وبالبدن للبدن » أى أنه متحكم في الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عاداتهم في تبادل
الأسرى ؛ والذى في الأصل وصح الأعشى : « بالبدن » نال به مكان اللام ؛ وهو غير طاهر ، اذ ليس فيما
سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تستدعيه : تستحضره ، والمراد بالواو هنا : الحواشي ، والواو في الأصل : الرواق جمع
نافذة من تحت الرافق في العقده هنا وهو دون الثعل . والكبت : مصدر كبت عدوه بكبته : أى رده بعينه
وأدله ، والظاهر ان المراد بالكبت والكبت في هذه العبارة : الحرب والكفارة ، إدهما من أسباب
حفظ الملك .

(٣) العود بضم العين وفتح الواو ، جمع عودة بضم العين : وهى الرقية يرقى بها الانسان من فرع أو جحون
لأنه يعاد بها وهى التى تكبت وتعلق على الإنسان . العين ونحوها : وأصلها : الرقية مما فيه «أعود»
ثم عمت .

(٤) المناسم جمع مسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .
(٥) لم يرد هذا البيت في الأصل ؛ وقد أشتبهه عن صحح الأعشى ومساك الألبصار قسم ٢ ح ٨ من
النسخة المأخوذة من تصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٨ ٢٥ تاريخ ؛ وهو من قصيدة
للأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن رذويه .

(٦) برم الأمر وإبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويستعطفه على قومه ،
ورواية البيت : « ويزيدها » بصمير المؤنث ، مراد به القصيدة .

وَتَلَزَمَ السَّنُونُ وَالْأَحْقَابُ ، إِسْتِدَاعَهُ حَتَّى الدَّرَارِيِّ وَالْأَعْقَابُ ؛ فَلَا سُلْطَانَ
ذَا قَدَرٍ وَقَدْرُهُ ، وَذَا أَمِيرٍ وَإِمْرَهُ ؛ وَلَا نَائِبَ فِي مَمْلَكَةٍ قَرَبَتْ أَوْ بَعُدَتْ ، وَلَا مُقَدِّمَ
جَبُوشٍ أَتَهَمَتْ أَوْ أَنْجَدَتْ ؛ وَلَا رَاعِي وَلَا رَعِيَهُ ، وَلَا ذَا حَكْمٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ ؛
وَلَا قَلَمَ لِإِنْشَاءٍ وَلَا قَلَمَ حِسَابٍ ، وَلَا ذَوِي أَنْسَابٍ وَلَا ذَوِي أَسْبَابٍ ؛ إِلَّا وَكُلُّ

- دَاخِلٌ فِي قَبُولِ عَقْدِ هَذَا الْعَهْدِ الْمِيمُونِ ، وَمَتَسَّكَ بِحَكْمِ آيَاتِ كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ
وَالْتَسْلِيمِ لِنَصِّهِ الَّذِي شَهِدَتْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبُونَ ؛ وَأَمَسَتْ بَيْعَتُهُ بِالرِّضْوَانِ
مُخْفُوفَةٍ ، وَالْأَعْدَاءُ يَدْعُونَهَا تَصَرُّعًا وَخَيْفَةً ، فَلْيَشْكُرُوا الصَّنْعَ الَّذِي بَعْدَ أَنْ كَانَتْ
الْخُلَفَاءُ تُسَلِّطُ الْمُلُوكَ قَدْ صَارَ سُلْطَانُهُمْ يَقِيمُ لَهُمْ مِنْ وُلَاةِ الْعَهْدِ خَلِيفَةً بَعْدَ خَلِيفَةٍ ؛
وَأَمَّا الْوَصَايَا فَانْتَ يَا وَلَدَنَا الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — بِهَا الدَّرَبُ
وَلِسَمَاجٍ شَدِيدٍ وَحُدُودِهَا الطَّرِيبُ ، الَّذِي لِلْفُغُولِ يَضْطَرُّ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا
مَلَاكُ سِدَادِكَ ، وَهَلَاكُ أَضْدَادِكَ ؛ وَبِهَا يُرَاشُ جَنَاحُ نَجَاحِكَ ، وَيَمَسُّنُ اقْتِدَاءُ
اِقْتِدَادِكَ ؛ فَاجْعَلْهَا دَفِينَ جَوَانِحِ تَأْمَلِكَ وَوَعِيكَ ، وَنُصَبَ عَيْنِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ؛
وَالشَّرِيعَ الشَّرِيفَ فَهُوَ قَانُونُ الْحَقِّ الْمَتَّبِعِ ، وَنَامُوسُ الْأَمْرِ الْمُسْتَمَعَ ؛ وَعَلَيْهِ مَدَارُ
إِعْيَاءِ كُلِّ إِيْعَازٍ ، وَبِهِ يَتِمُّكَ مِنْ أَشَارٍ وَأَمْتَاظٍ ، وَهُوَ جَنَّةُ وَالْبَاطِلُ نَارٌ ﴿فَمَنْ زُحِرَحَ

(١) كذا في الأصل . والذى في صبح الاعشى : « للدراى » باللام مكان « حتى » ؛ والمعنى
يستقيم على كذا الروايتين .

(٢) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وفي الأصل : « واحد » ؛ وهو تحريف
لا يستقيم به المعنى .

(٣) الناموس : الرعى .

(٤) في الأصل : « إيعاز » بالراء ؛ وهو تصحيف . والإيعاز مصدر أوعز إليه فى الشئ : أى
تقدّم إليه فيه وأشار به .

(٥) فى الأصل : « امتار وامتاز » ؛ وهو تحريف فى كذا الكلبيين ؛ والتصويب عن صبح الأعشى .

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَازٍ ۖ فَلَا تَخْرُجُ فِي كُلِّ حَالٍ عَنْ لَوَازِمِهِ وَشُرُوطِهِ
وَلَا تَتَكَبَّرَ عَنْ مَعْلَفِهِ وَمَنْوُطِهِ ۖ وَالْعَدْلُ ۖ فَهُوَ مُثَمَّرٌ غُرُوسِ الْأَمْوَالِ ۖ وَمُعَمَّرُ بَيُوتِ
الرِّجَاءِ وَالرِّجَالِ ۖ وَبِهِ تَزْكُو الْأَعْمَارُ وَالْأَعْمَالُ ۖ فَاجْعَلْهُ جَامِعَ أَطْرَافِ مَرَامِيكَ ۖ وَأَفْضَلَ
أَيَّامِ مَوَاسِمِكَ ۖ وَسَمِّ بِهِ فَعْلَكَ ۖ وَسَمِّ بِهِ فِرْصَكَ وَنَفْلَكَ ۖ وَلَا تُفْرِدْ بِهِ فَلَانًا دُونَ فَلَانٍ
وَلَا مَكَانًا دُونَ مَكَانٍ ۖ وَأَقْرِنْهُ بِالْفَضْلِ ۖ ^(١) بِإِذْنِ اللَّهِ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ۖ وَأَحْسِنِ
التَّخْوِيلَ ۖ وَأَجِلِ التَّنْوِيلَ ۖ وَكَثِّرْ لِمَنْ حَوْلَكَ النَّمْوِينَ وَالتَّنْوِيلَ ۖ وَضَاعِفِ الْخَيْرِ
فِي كُلِّ مُضَافٍ لِمَقَامِكَ ۖ وَمُسْتَضِيفٍ بِإِنْعَامِكَ ۖ حَتَّى لَا تَعْدَمَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ
زَمَانٍ مِنَ النِّعَاءِ ضِيَاغَةً الْخَلِيلِ ۖ وَالتَّمُورِ ۖ فَهِيَ لِلْمَالِكِ مِبَاسُهَا فَاجْعَلْ نَوَاجِذَهَا تَفْتَرِ
عَنْ أَحْسَنِ ثَنَائِيَا الصَّمُونِ ۖ وَمَرَّاشِفَهَا شَفِيبَةً الشَّفَافِ بِحُسْنِ الْعَوْنِ ۖ وَمُنْهَا بِمَا يَحْيَى
السَّرْحَ مِنْهَا ۖ وَأَعْنِهَا بِمَا يَدْفَعُ الْمَكَارَةَ عَنْهَا ۖ فَإِنَّهَا لِلنَّصْرِ مَقَاعِدُ ۖ وَبِهَا حِفْظُ الْبِلَادِ
مِنْ كُلِّ مَارٍّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَارِدٍ ۖ وَأَمْرَاءِ الْجِيُوشِ ۖ فَهَمَّ السُّورِ الْوَاقِي بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل في اللسان بكسر الراء وضمتها . وفي الأصل : «واقفه» بالصاد ؛ وهو

تخريف .

(٢) يقال : أحمل الصبيغة ، أى حسنها وكثرها .

(٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل - صلوات الله عليه - مع ضيوفه من الملائكة ؛ وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في غير موضع ، فقال تعالى في سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشبهة بفتح فكسر من الشب بفتحنتين : وهو برد الأسنان كما قاله التبرزى في شرح ديوان أبي تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدش) عند قول أبي تمام في قصيدته في فتح عمورية :

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَبَاها مِنْ سَنَاقِرٍ * وَتَحْتَ عَارِصِها مِنْ عَارِصِ شَب

والكلام هنا على الاستعارة والتبثيل .

(٦) في الأصل : «السقاد» بالسين والقاف ؛ وهو تصحيف .

سور ، وما منهم إلا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سيفه مشهور ؛ وهم ذخائر الملوك
وجواهر السلوك ، وأخايرُ الأكابر الذين خَلَصُوا من الشكوك ؛ وما منهم إلا من له
حُرُمَاتٌ سلفت ، وحقوقٌ عُرِفَتْ ، ومَوَاتٌ على استلزام الرعاية للعهد وُقِفَتْ ؛ فكن
لجنودهم متحبيًا ، ولمرابيعهم مُحَصِّبًا ، ولمصالحهم مرتبًا ، ولآرائهم مستصوبًا
والاعتضاد بهم مستصحبًا ، وفي حمدهم مُطِنًا ، وفي شكرهم مُسَبِّحًا ، والأولياء
المنصورين الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابقُ أَمَتْ من سوابق الإيجاد ؛ وهم من علمت
استكانة من قَرَبْنَا ، ومكانة من قَلَبْنَا ، وهم المساهمون فياناب ، وما برحوا للدولة الظفر
والناب ؛ فأسهم لكل منهم من أحترامك نصيبًا ، وأدم لهم آرتياحك ، وأن جماحك
وقو بهم سلاحك ، تجذ منهم ضروبا ، وتركلا منهم في أعدائك ضروبا ؛ وكأنا
نوصيك بجيوش الإسلام ، كذلك نوصيك بالجيش الذى له المنشآت في البحر
كالأعلام ، فهو جيش الأمواه والأمواج ، المضاف الى الأفواج من جيش الفجاج ؛
وهو الجيش السليمانى في إصراع السير ، وما سُمِّيت شَوَانِيهِ غِرَابًا ، إلا لِيُجْمَعَ بها لنا

(١) في صبح الأعشى ح ١٠ ص ١٧٠ : « خدمات » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) اطر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « لحومهم » ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالأسكانه هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل « استكن » على افعل من السكون ،
فزيدت الألف بعد الكاف فقليل : « استكان » وفي المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك
كثير في كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين في الشعر ، كقوله : « يباع من
ذفرى غضوب » الخ أى يبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه في اللسان مادة « سكن » .

(٦) لعله « إلى » كما تقتضيه تعدية « استكان » .

(٧) عبارة الاصل : « وأن لم آرتياحك وأدم جماحك » ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٨) الشوانى جمع شونة بفتح الشين : وهى مركب يمد للجهاد فى البحر ، لغة مصرية .

٦

ما أجمع اسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح والطير، وهى من أديار المصرية على شبح البحر الأسوار، فإن قَذَفَتْ قَذَفَتْ الرعبَ في قلوب الأعداء وإن أَقْلَعَتْ^(١) قَلَعَتْ منهم الآثار؛ فلا تُحْلَه من تجهيز جيشه، وسكن طيش البحر بطيشه؛ فيُصْبَح لك جيشان كلُّ منهما ذوكر وفتر، هذا في برِّ بحر وهذا يجر برِّ وبيوت العبادات فهى التى الى مصلّى سميكَ خليل الله تنتهى محاربها، وهى لنا ولك وللسلمين سُرَى الدعوات وتأوَّبهَا^(٢) فوقها نصيبها المفروض غير منقوص، ومُرُّ برفعها وذكر اسم الله فيها حسب الأمر المنصوص؛ وأخواتها من بيوت الأموال الواجبات الواجبات من حيث أنها كلُّها بيوت لله هذه للصلاة وهذه للصلوات؛ وهذه كهذه في رفع المنار، وجمع المباز، وإذا كانت تلك مما أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، فهذه تُرْفَع وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ حتى على الدرهم والدينار؛ فاصرف إليها أجهادك فيما يعود [عليها] بالتتميم، كما يعود على تلك بالتنوير؛ وعلى هذه بالتأخُّن^(٣) بأنواع الصروف، كالشَّحْن^(٤) تلك باستواء الصفوف؛ فإنها إذا أصبحت مصونة، احتملت بحمد الله المعونة

٥

١٠

(١) أقْلَعَتْ : أى سارت الى الأعداء؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإِفْلَاح بالسير تفسير مجازى . فقد ذكر ابن رى أنه ليس في قولهم «مقامة» ما يدل على السير من جهة اللفظ، إنما يفهم ذلك من حوى الكلام، لأنه قد أحاط العلم بأن السببية متى رفع قلعا فإنها سائرته، فهذا شئ حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الح (اللسان) وأيضا فإسناد الإِفْلَاح الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى، فقد ذكر ابن رى أيضا أن الإِفْلَاح ليس فعلا، وإنما هو فعل أصحاحا يقال أفلح القوم سفنهم : إذا دفعوا قلعا عند السير .

١٥

(٢) التأويب : السير بالهارة وعكسه الإسّاد والسرى : وهما السير عامة الليل .
(٣) الواجبات : الغيات، وهو من قولهم : وجد المال يجده وحدا بتلث الوار : اذا صار غنيا .
(٤) الشَّحْن بالهمز : الماء، كالشحن بـ وى القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالحليل : أى ملأها .

٢٠

(٥) فى الأصل : « كامنحان » ، وهو تعريف .

- وَكَفَلَتْ بِالْمُؤْنَةِ وَالزَّيَادَةِ عَلَى الْمُؤْنَةِ ، فَتُكَلَّلُ هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ دُنْيَاهُ كَمَا كَمَلَتْ تِلْكَ لِكُلِّ وَلِيٍّ دِينَهُ وَحُدُودَ اللَّهِ ، فَلَا يَتَعَدَّاهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَرَأُفُ فِيهَا وَلَدٌ بَوْلَادٍ وَلَا وَالِدٌ بَوْلَادٍ ، فَأَقْمُهَا وَقُمْ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أُنْمُ الضَّبْطِ ، وَلَا تَجْعَلَ يَدَ الْقَتْلِ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِهَا وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَلِكُلِّ مِنَ الْحَيَاتِ وَالْقِصَاصِ شَرْطٌ شَرْطُهُ اللَّهُ وَحَدُّ حَدٍّ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الشَّرْطِ ؛ وَالْجِهَادُ ٥
- فَهُوَ الدَّيْدُنُ الْمَأْلُوفُ مِنْ حِينَ نَشَأْتَنَا وَنَشَأْتِكَ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ وَعَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ فِيلٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ الْمَيْلِ ، وَصَبَّحَهُمْ مِنْ فَتَكَاتِكَ بِالْوَيْلِ بَعْدَ الْوَيْلِ ، وَأَرَمِهِمْ بِكُلِّ شَمْرِيٍّ (١) قَدْ شَمَّرَ مِنْ يَدِهِ عَنِ السَّاعِدِ وَمِنْ رِجْلِهِ عَنِ السَّاقِ وَمِنْ جَوَادِهِ (٢) الدَّيْلِ ؛ وَأَذْهَبَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَذْهَبٍ ، وَأَيْنَ بَنُجُومِ الْخِرْصَانِ كُلِّ غَيٍّ وَغَيْبٍ (٣) وَتَكَثَّرَ فِي غَزْوِهِمْ مِنَ اللَّيْلِ بِكُلِّ أَدْهَمٍ وَمِنْ الشَّفَقِ بِكُلِّ أَحْمَرٍ وَأَشْقَرٍ [وَمِنْ الْأَصِيلِ (٤) بِكُلِّ أَصْعَمٍ] (٥) وَمِنْ الصَّبِيحِ بِكُلِّ أَشْمَبٍ ، وَأَتَهَبُ أَعْمَارَهُمْ وَأَحْعِلُهَا آخِرَ مَا يُسَلِّبُ (٦) (٧)

(١) الشعري يفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ؛ و يقال أيضا بكسر الشين والميم المشددة كذلك : الرجل الماسي في الأمور .

(٢) كذا في صحيح الأعشى ح ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار قسم ٢ ح ٨ من السحرة المأخوذة بالصور الشمسية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ٠ والدى في الأصل : « على الدليل » وقوله : « على » زياده من النسخ وليست محذوفة عن لفظ : (عز) كما يتوهم فإن التشبيه لا يكون عن الدليل وإنما يكون للدليل عما تحته ؛ ولم نجد فيها راجعاً من كتب اللغة أنه يقال : « شرع ذيله » والذى وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلاً وأذرع ليللاً » بدون « ع » ، والكلام هنا على طريق التنبيل والمراد المصاء والجد في السير .

- (٣) في صحيح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأز » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
- (٤) الخرصان بكسر الخاء : أسنة الرماح ، واحده خرص بكسر فسكون ، ويضم أوله أيضا .
- (٥) التكثر : طلب الكثرة ، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : « تقلل من العلم لتحفظ وتكثر منه لتهم » .

(٦) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صحيح الأعشى ح ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار . (٧) في الأصل وصح الأعشى : « واستهز » ؛ ولم نجد فيها لدينا من كتب اللغة .

وأَوَّلُ مَا يُنْهَبُ ؛ وَنَزَجُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَبَأَ لَكَ مِنَ الْفَتْوحَاتِ مَا يَسْتَنْجِزُهَا لَكَ صَادِقٌ وَعِدُهُ ، وَأَنْ يَنْصُرَكَ جَيْشُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ إِنْجَادٍ وَإِتْهَامٍ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَبَيْتُ اللَّهِ الْمُحْجُوجُ مِنْ كُلِّ نَجٍّ ، الْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ نَهْجٍ ؛ يَسَّرَ سَبِيلَهُ ، وَوَسَّعَ الْخَيْرَ وَأَحْسَنَ تَسْبِيلَهُ ^(١) ، وَأَوْصَلَ مِنْ بَرِّكَ لِكُلِّ مَنْ الْحَرَمَيْنِ مَا هُوَ لَهُ ، لِتَصْبِحَ رُبُوعُهُ بِذَلِكَ مَا هُوَ لَهُ ؛ وَآخِرُهُ مَنْ يُرِيدُ فِيهِ بِالْخِلَافِ بَظْلَمٍ ، وَطَهَّرَهُ مِنْ كُلِّ مَكْنَسٍ وَغَرَمٍ ؛ لِيَعُودَ نَفْعُكَ عَلَى الْبَادِي وَالْعَاكِفِ ، وَيَصْبِحَ وَادِيهِ وَنَادِيهِ مُسْتَغْنَيْنِ بِذَلِكَ عَنِ السَّحَابِ الْوَكَافِ ؛ وَالرَّعَايَا ، فَهَمَّ لِلْعَدْلِ زُرُوعٌ ، وَلِلْإِسْتِمَارِ فُرُوعٌ ، وَلِلْإِسْتِزَامِ الْعِمَارَةُ شُرُوعٌ ؛ فَتَمَّ جَادَهُمْ غَيْثٌ أَعْجَبَ الزَّرَّاعَ نَبَاتُهُمْ ، وَتَمَّتْ بِالصَّلَاحِ أَقْوَانُهُمْ ، وَصَلَحَتْ بِالنَّمَاءِ أَوْقَاتُهُمْ ، وَكَثُرَتْ لِلْجُنُودِ مُسْتَغْلَاتُهُمْ ، وَتَوَافَرَتْ زَكَاةُكُمْ ، وَتَوَرَّتْ مُشَاكَلَتُهُمْ ” وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ “ ؛ هَذَا عَهْدُنَا لِلسَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْوَلَدِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، نَفِيرِ الْمَمْلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ — أَعَزَّنَا اللَّهُ بِبَقَائِهِ — فَلْيَكُنْ

(١) التَّسْبِيلُ : أَنْ تَجْعَلَ الشَّيْءَ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ .

(٢) هُوَ يَسْكُونُ الْوَاوِلَةَ فِي هُوَ ، مَتَّحُهَا ؛ وَقَدْ حَكِيَ هَذِهِ اللَّغَةُ الْكِسَانِيُّ عَنْ بَنِي أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ ، كَمَا أَنَّ مَعْصَمَ يَحْذِفُ الْوَاوِ إِذَا كَانَ قَبْلَ « هُوَ » أَلْفَ سَاكِمَةٍ فَيَذُولُ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ .

(٣) الْمَكْسُ : مَا يَأْخُذُهُ أَعْوَانُ السَّلْطَانِ طَلَبًا عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِثَارَةٌ * وَفِي كُلِّ مَانَعٍ أَمْرُ مَكْسٍ دَرَاهِمُ

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَصَبَّحَ الْأَعْيُنُ وَالسَّيْنُ وَالنَّاءُ . وَلَمْ تَخُذْ هَذِهِ الصَّبْغَةُ بِمَا رَاجَعَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّغَةِ

عِزَّ أَنْ فِي شَرْحِ الْأَشْيَاءِ وَحَاشِيَتِهِ عِنْدَ قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ فِي بَابِ النَّصْرِ يَف :

وَالنَّاءُ لِلتَّائِيثِ وَالْمَصَارَعَةِ * وَمَا الْإِسْتِمْعَالُ وَالْمُطَاوَعَةُ

مَا يَقْبَدُ أَنْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ مُطَرَّدَةٌ ، حَيْثُ قَالَ : وَأَمَّا رِيَادَتُهَا فَحُشْوًا فَلَا تَطْرُدُ إِلَّا فِي الْإِسْتِمْعَالِ وَالْإِفْتِعَالِ

وَفُرُوعُهُمَا أَخِي وَالَّذِي فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ : « وَلَا سِتْمَامَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٥) الشُّرُوعُ : مَصْدَرُ شَرَعَ فِي الْأَمْرِ إِذَا أَحْدَ فِيهِ ، وَقَدْ وَصَفَ الرِّعَايَا بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْمَالَغَةِ .

بعروته متمسكا، وبفتحته متمسكا^(١)؛ ولتقلد سيف هذا التقليد، ويفتح مغلق كل فتح منه بخير إقليد،^(٢) وها نحن قد كثرنا لديه جواهره فدونه ما يشاء تحليته : من تسويح مفرق ونختيم أنامل وتسوير زئد وتطويق جيد، ففي كل ذلك تجمل وتمجيد؛ والله تعالى يجعل أسخلافه للتقين إماما، ولالدين قواما، وللمجاهدين اعتصاما، وللمعتدين أنقصاما، ويطفئ بيماء سيوفه نار كل خطب حتى تصبح كما أصبحت نار سمية صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة، ويبد الناس من إنشائه ما لو استقصيناه لطلال وانبسط، وقد قدمنا في كتابنا هذا من كلامه في باب التهاني بالفتوح ما تجده في موضعه .

١٠ ونختم كلامه بشيء من أدعية الملوك، وهي :

ومكن الله له في الأرض، وجعل طاعته واجبة وجوب الفرض، وأيد آراءه بالملائكة في الحل والعقد والإبرام والنقض .



آخر : وأنجز له من النصر صادق وعده، وجعل الملوك من عبيده والملائكة من جنده، ومتمعه بما وهبه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده .

١٥ آخر : وحفظه بمعقبات من أمره، وحمل حمى الدين بقصار بيضه وطوال شمره، وجعل قدر مملكته في الدهر كلياى قدره، وألبس أولياءه من طاعته ما يحزون أذيال نخره .

(١) التمسك : المنطيط بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لمة يمانية . وقيل معرب .

آخر : ولا زالت الدنيا بعدله مخضرة الوهاد والرّبا ، والامال بفضلها قائلا لها
النجاح : مرحبا ، والأفدأ لنصره مستدة السهام مرهفة الطّبا ، والآيام لا تعدّم من
جميل أثره وجليل تأثيره فعلا مطربا ، ووصفا مطيبا . وجعلت ملكه موصولا
بجبل لا يحلّ عقده ، وحرّمه محروسا بسيف التوفيق لا يُسلّ حده . ولا زالت
راياته السنّة تنذر أعداءه بالفرار ، وتُبشّر أولياءه بالقرار ، وآراؤه أعلاما عالية المنار
واضحة الأنوار . وأنجز له عدائته في عدائته ، وجعل النصر والتوفيق مصاحبين
لآرائه وراياته . وأناله النصر الذي يغنيه عن الحيلة والحول ، وعقد السعد بعرا^(١)
ما يُمضيه من الفعل والقول ، و نوأ أولياءه جنة من النصر ما فيها غائلة وجنة من
العز ما فيها غول . وقسم بمهابته كلّ جبار عنيد ، وعصم كلّ من يَأوى من رجائه
إلى ركن شديد . وآتاه من التأيد سلطانا نصيرا ، وجعل جيشه أكثر قوى وأقوى
نصيرا . ولا زالت الآمال بسحابه مخضرة الرّبا والوهاد ، والتأييد بتكينه ماديا في كلّ
ناد ، والدنيا بملكه مسرورة الأسرار حالية الأجياد ، والأفدأ لأمره متكفلة بالنفاد .^(٢)
وطوّز بأيامه ملابس السّير ، وأحلّ أمره أعلى هضبات النصر والطّمر ، وحلّى أجياد
الممالك من عدله وبذله بأشرف الدّرر ، ولا برج القدر يوافق قصوده فيقول للقدر :^(٣)

(١) في الأصل : « يعزى بما » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالأسرار هنا : خطوط الوجه والهيئة ، الواحد سر تكسر السين وضعا ؛ وإما أسد السرور
الها لظهور أماراته فيها . يقال : برقت أسار يروجه إذا تهلل من الفرح .

(٣) كذا في الأصل بالبدال المهملة ؛ والذي يستعاد من كتب اللغة أن هذه الكلمة تأتي بمعنى العاذ
بالدال المعجمة : أى الحواز والمضي ؛ فقد جاء في اللسان مادة « نعد » بالمهملة في تفسير حديث ابن مسعود :
« إنكم مجموعون في صعيد واحد يفدكم البصر » ما نصه : يقال : ففدى بصره إذا ففنى وحاوزى . ثم قال :
وأفدت القوم إذا خرفتهم ومشيت في وسطهم ، فإن جرّتهم حتى تخلفهم قلت : ففدتهم بلا ألف هـ
ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالبدال المعجمة في مادة « نعد » .

(٤) القصود : جمع قصد ، وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وقد أوضحنا ذلك في الحاشية رقم ٢ من

صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره .

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ». وَأَتَمَّ بَعَثَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَمَّهَا، وَعَمَّرَ بَعْدَهُ الْآفَاقَ وَعَمَّهَا، وَأَوْضَحَ مَنَاجِحَ كَرَمِهِ لِمَنْ قَصَّدهَا وَأَمَّهَا، وَأَنْجَزَ عِدَاتِهِ فِي عُدَاتِهِ فَصَانَهَا وَأَصَتْهَا. وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَمَّهَا عَلَى أُنُوبِهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَحَمَى حِمَى الدِّينِ بِنَصْرِهِ وَفَضْلِهِ، وَكَسَا الدُّنْيَا بِمُلْكِهِ حِلَّةَ خِفَافٍ مُعَلِّمَةً بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ، وَجَعَلَ أَقَالِمَ الْأَرْضِ مَعْمُورَةً بِسُلْطَانِهِ مَغْمُورَةً بِعَطَائِهِ وَبَذْلِهِ.

- ذكر شيء من إنشاء المولى المأجد السالك من طريق الفضل
- والفضائل أَوْضَحَ الطَّرِيقَ وَأَنْهَجَ الْمَسَالِكَ، الْمَنْصَحَ بِلِسَانِ بَرَاعَتِهِ وَالْمُؤَضِّحَ بِأَنْوَارِ بِلَاغَتِهِ مَا أَبْهَمَ وَأَسْتَبْهَمَ مِنْ لَيْلِ الْيَمِّ الْحَالِكِ، الْمُتَصَرِّفَ بِقَلَمِهِ وَكَلِمِهِ لَوُثُوقِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ بِدَيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ وَأَصَالَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ فِي الْأَقَالِمِ وَالثُّغُورِ وَالْحِصُونِ وَالْمَمَالِكِ، الْعَامِرِ بِفَضْلِهِ وَفَضَائِلِهِ وَالْغَامِرِ بِجُودِهِ وَنَائِلِهِ بِاطْنٍ وَظَاهِرٍ مِنْ أَمَلِهِ وَأُمٍّ لَهُ مِنْ زَائِرٍ وَقَاطِنٍ وَمَارٍّ وَسَلَّامٍ، فَيَنْتَقِلُ هَذَا عَنْ بَابِهِ وَهُوَ بِجُودِهِ مَغْمُورٌ، وَهَذَا عَنْ مَجْلِسِهِ وَقَلْبِهِ بِوَلَانِهِ لِمَا أَوْلَاهُ مِنْ إِحْسَانِهِ مَعْمُورٌ، وَهَذَا وَهُوَ يُنْفِقُ الْجِبَالَ مِنْ مَالِهِ، وَذَلِكَ وَهُوَ يَجُودُ عَلَى الْمُعْدَمِ مِنْ فَضْلِ نَوَالِهِ وَالْآخِرُ وَقَدْ امْتَلَأَ صَدْرُهُ سُرُورًا، وَأَسْتَرْقَ وَجْهُهُ بِهَجَّةٍ وَنُورًا، وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ مِنْ عِقَالِهِ بَعْدَ تَقْيِيدِهِ، وَأَنْبَسَطَ أَمَلُهُ لَطَلَبِ الْفَضَائِلِ لَمَّا ظَهَرَ بِمَعْدِنِهَا بَعْدَ تَعْقِيدِهِ، فَتَجَدَّدَ وَقَدْ أَعْتَلَقَ مِنْهُ جَمَالًا وَأَعْتَقَ جَمَالًا، وَأَنْفَقَ الدَّرَرَ بَعْدَ ضَنْتِهِ بِالْأَصْدَافِ فَهُوَ لَا يَخْشَى عُدْمًا وَلَا يَخَافُ إِقْلَالًا، وَالْمَوْلَى الْمَعْنَى

(١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله: «على أُنُوبِهِ مِنْ قُلُوبٍ» أحدا من الآية الكريمة، وأما حذوه لِيَتِمَّ السَّجْعُ الَّذِي التَّرَمُّ فِي هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مَكْرُورَةً مَعَ مَا يَأْتِي، لِأَنَّهُ دَعَا آخَرَ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «لَوْثُوقٍ» بِقَافَيْنِ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «تَقْيِيدُهُ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِتَكَرُّرِهِ مَعَ مَا قَبْلَهُ فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ.

- (٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ؛ وَلَمْ نَحْدِثْ مُرَاجَعَةً مِنْ كِتَابِ اللَّمَّةِ أَنَّهُ يُقَالُ: «اعْتَلَقَهُ» بِمَعْنَى نَلَقَهُ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ أَيْ حَمَلَهُ، كَمَا هُوَ الْمُرَادُ هَاهُنَا؛ وَالَّذِي وَقَفْنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ يُقَالُ: «اعْتَلَقَهُ» أَيْ أَحْبَبَهُ؛ وَلَعَلَّ الْمُؤَلِّفَ قَصَدَ الْمِجَازَةَ بَيْنَ هَذَا اللَّفْظِ وَقَوْلِهِ بَعْدَهُ: «وَأَعْتَقَ».

بهذه المعالي التي آتستمت ثغورها ، وتحتل نخورها ، والمكارم التي جادت سحائنها
وأمتدت مذانها ، وترادفت مواهبها ، واتسعت مذاهبها ، والفضائل التي لجنابها
الكريم تُعزى ولفضله العيم تتسب ، والسيادة التي شادها لنفسه لأستغنائها عما
مهده له آباؤه النُّجب ، والمراد بهذه الأوصاف التي

خُلِّتَ والحسن تأخذ * تنقي منه وتنتخب^(١)

هو لسان الدولة ويمينها ، وسفير الملكة وأمينها ، وجامع أشات الفضائل ، وناظم
أخبار الأواخر وسير الأوائل ، وسيد الرؤساء وجليس الملوك ، ومؤلف كتاب نظم السلوك ،
المولى المالك علاء الدين علي ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن المولى المرحوم
محبي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، ذو الفضائل والمآثر ، والنسب العريق والأصل
الظاهر ، والسبب الوثيق والفضل الباهر ، فهذه نبذة من أوصافه أثبتناها ، ولعلمه
من محاسنه أوردناها ، أسام لم ترده معرفة وإنما لذّة ذكرناها ، وله — أعزّه الله
وأوفر نعمه لديه ، وأتم نعمته عليه كما أتمها على أبيه ، وأرانا في نجله الكريم ما رأياه
في سلفه وفيه ، وأنطق الواصف لمحاسنهم ببل فيه — من الرسائل البليغة ، والتقاليد
البديعة ، والعهود التي عاهدتها البلاغة ألا لتعدها فوفت بعهدها ، وأقسمت
معانيها أنها لم تقصّد سواه من قبل لعلمها أن غيره لا يوقها حق قصيدها ، وسورد
إن شاء الله من كلامه ما هو بالنسبة الى مجموعته نبذة يسيرة ، ونرّضع في كتابنا هذا من
فضائله لمعة خطيره ، ونرّبع بما نضعه فيه من كلامه قدر هذا التصنيف ، ونطرز به

(١) المذاب: مسایل الماء . واحده مذبة بكسر الميم وفتح النون . وفي الأصل: «مذاهبها» ، وهو

تحرّيف لتكرره مع ما يأتي بعده .

(٢) البيت لأبي نواس .

أردانَ هذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكنه من هذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير في الانتهاء إلى وصف محاسنه . ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه الشريفة وميامينه ؛ ونأخذ في ذكر كلامه لمحو دُنب التقصير بحسن الإخبار ، ونسأل الصفح عن اختصارنا واجب حقه ونرجوا قبول كلمات الاعتذار

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان — جمل الله به الدين ، وأيد ببقائه الإسلام والمسلمين — للسلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري في سؤال سنة ثمان وسبعائة ، ابتدأه بأن قال :

هذا عقدٌ شريف انتظم به عقودُ مصالح الممالك ، وأبتسمت ثغور الثغور ببيعته التي نهدت بصحتها الكرام الملائك ؛ وتمسكت الفوس بحكم عقده النصيد ومبرم عهده النظيم ، ووثقت الآمال ببركة ميثاقه فتقرأه الألسنة مستفتحة فيه بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الحمد لله الذي جعل الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركنٍ شديد ، وتحوى من مبايعة مظفرها كل ما كانت ترومه من تأييد التأييد ، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الحنيفي وإن ملّ الحديد من الحديد ؛ مؤقٍ ملكه من يشاء من عباده ومُلقي مقاليدِه للوليّ المُلِيّ بقمع أهل عادِه ؛ وما ينحى من لم يزل بعزائم ومكارمه

(١) الله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شيء من كلامه إخبار عن فضله وتمكنه من ناصية البلاغة .

أو لعل صوابه « الاختيار » .

(٢) في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : « عقده » بكسر العين .

(٣) في صبح الأعشى : « من متابعة » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) يقال : هو ملئ بهذا الأمر ؛ أى مصطلح به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُؤليه [ومؤليه^(١)] من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا
 وباسط أيدي الرغبات لمن حَكَمَ له كَمَلٌ وصفه ووصف كَمَلِه بأن يكون مسئولاً مخطوبا
 ومفوض أمره ونهيه إلى من طالبا صَرَفَ خطيئه عن حِمَى الدين أخطارا وخطوبا؛
 والحمد لله مجرى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهر سرِّ الملك فيمن أضحى عند الإمامة
 العباسية بحسن الاختيار من المصطفين الأخيار، جامع أشنات الفجار، ورافع لواء
 الاستظهار، ودافع لآواء الأضرار، بجمل الانتجاع إلى ركن أمسى بقوة الله تعالى على
 المسار وافي المباز، بادى الآثار الجميلة في الإيثار، والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة
 الشريفة لكافلها وكافها، وأسند عقدها وحلها لمن يدرك كرم فطنته وسليم فطرته
 عواقب الأمور من مبادئها، وأيد الكائب الإيمانية بمن لم تزل عواليه تبلغها من ذرا
 الأمانى معاليها، يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز
 نصرها بأركان تشييدها وتشييد أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 شهادة [لا] تبرح الألسن ترويا، والقلوب تنوياً، والمواهب تُجزل لقائلها تنويلا
 وتنوياً؛ ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكمل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مورث
 لأجل موروث، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمو بركاتها وتم، وتحص حسناتها
 وتعم؛ ورضى الله عن عمه العباس بن عبد المطلب جد أمير المؤمنين، وعن أبنائه
 الأئمة المهديين، الذين ورثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمت ووسمت باسمائهم ونعوتهم

(١) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أشتهاها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩

(٢) في الأصل: «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف.

(٣) الاستظهار: العلو والغلبة.

(٤) الآواء: الشدة والحجة.

(٥) في صبح الأعشى: «وإيثار» بالواو مكان «في»؛ والمعنى يستعجم عليه أيضا.

(٦) يقال: تم المسك إذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للتشعار والظهور.

دُرًا المنابر؛ أما بعد، فإن الله تعالى لما عَدَّقَ لمولانا أمير المؤمنين مصالح الجمهور وعَقَدَ له البيعةَ في أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرين إمامة خير أمه، وكَشَفَ بمصابرته من بأس العدا غمامَ كُلِّ غُمَّه؛ وأنزَلَ عليه السكينة في مواطن النصر والفتح المبين، وثَبَّتَه عند تَزَلُّزِ الأقدام وثَبَّتَ به قلوب المؤمنين؛ وأفاض عليه من مَهَابَةِ الخلافة ومواهبها ما هو من أهله، وأَتَمَّ نعمته عليه كما أَتَمَّها ٥ على أبويه من قبله؛ بايعَ الله تعالى على أن يَخْتَارَ للتمليك على البرايا، والتحكيم في الممالك والرعايا؛ من أَسَّسَ بنيانه على التقوى، وتمسَّكَ من خشية الله سبحانه بالسبب الأقوى؛ ووَقَّفَ عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحُكِّمَ، ونهض لأداء فرض الجهاد بمعالى عزِّه وحزِّه؛ وكان المقامُ الأشرفُ العالی المَولُوءُ السلطاني المَلِكُ المظفَرُ الركني، سلطانُ الإسلام والمسلمين، سيِّدُ الملوك ١٠ والسيلاطين؛ ناصرُ المِلَّةِ المحمَّديَّة، محيِ الدولة العباسيَّة (أبو الفتح بيبرس) قسيمُ أمير المؤمنين — أعزَّ الله تعالى بقاءه حمى الخلافة وقد فَعَلَ، وبلغ في دوام دولته الأمل — هو المَلِكُ الذي أَعَقَدَ الإجماعُ على تفضيلِهِ، وشَهِدَتْ مناقِبُهُ الطاهرةُ باستحقاقه لتحويل المَلِكِ [إليه] ^(٢) وتحويلِهِ؛ وحَكَمَ التوفيقُ والاتِّفَاقُ بترقيهِ إلى كَرَسِيِّ السلطنة وصعودِهِ، وقضتْ الأقدارُ بأن يُلقَى إليه أميرُ المؤمنين أُرْزَاقَةُ عهودِهِ؛ ١٥ والذي كَمَ خَفَقَتْ قلوبُ الأعادي عند رؤية رايات نصرِهِ، ونطقتْ ألسنةُ الأقدارِ بأن سيكونَ مَلِكُ عصرِهِ وعزيزَ مصرِهِ؛ وأهتَرَّتْ أعطافُ المنابر شوقا للافتخارِ بِاسْمِهِ، واعتَرَّتْ الممالكُ بمن زاده الله بسطةً في عِلْمِهِ وجَسَمِهِ؛ وهو الذي ما برح

(١) عَدَّقَ : أى جمع .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأمل؛ وقد أُنْمِئَها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٠

مذ نشأ يجاهد في الله حقَّ جهاده ، ويساعد في كل معركة بمرهفات سيوفه ومتلفات صعادته ، ويبدى في الهيجاء صفحته للصفاح فيقيه الله و يقيه ليجعله ظلّه في الأرض على عباده وبلاده ، فيردى الأعداء في مواقف تأييده فكم عسر من خد ملوك الكفر تحت سنايك جياده ؛ ويشفى بصدور سيوفه صدور قوم مؤمنين ، ويسقى ظمأ أسنته فيرويه من مورد وُرود المشركين ؛ ويطلّع في سماء الملك من غرر رأيه نيراتٍ لا تأقُل ولا تغور ، ويظهر من مواهبه ومهابته ما تحسّن به الممالك وتخصّن به الثغور ، فما من حصن أغلقه الكفر إلا وسيفه مفتاحه ، ولا ليل خطب دجا إلا وغرته الميمونة صباحه ، ولا عزّ أمل لأهل الإسلام إلا وكان في رأيه المسدد نجاحه ، ولا حصل خلل في قطرٍ من الممالك إلا وكان بمشيئة الله تعالى و بسداد تديره صلاحه ؛ ولا أتفق مشهد غزو إلا والملائكة بمضافته فيه أعدل شهود ، ولا تجدّد فتوح الإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد ، ”والجود بالنفس أقصى غاية الجود“ كم أسلف في غزى والأعداء من يومٍ أغرّ محجّل ، وأنفق ماله أبتغاء مرضات الله فحاز النصر المعجل والأجر

(١) الورود جمع وريد : وهو عرق في العنق ، ويقال له : حل الوريد ، وهما وريدان ؛ والطاهر أنه أراد بالورود ها : العروق التي فيها الدم لا جمع وريد بالمعنى المعروف ، فان كلام أهل اللغة يدل على أن الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم ينجر فيه الدم . قال أبو الهيثم : الوريدان تحت الودجين ، والودجان : عرقان عليطان عن يمين ثمرة البحر ويسارها ؛ والوريدان يصدان أبدا من الاسنان ؛ والوريد من العروق : ما جرى فيه النفس ولم ينجر فيه الدم الخ قال الأزهري : والقول في الوريدين ما قاله أبو الهيثم وفي المصباح نقلا عن الفراء : الوريد : عرق بين الخلقوم والعلباوين ، وهو يبض أبدا ؛ فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم ، بل هي محارى النفس بالحركات .

(٢) في الأصل : « من في سماء » ؛ وقوله : « من » زيادة من السامع .

(٣) في الأصل وصبح الأعشى : « استغلقه » ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال : استغلق الباب بمعنى أغلقته .

(٤) كذا في الأصل ، والذي في صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٧١) : « طرف » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

المؤجل، وأحيا من معالم العلوم ودوايس المدارس كل دأثر، وحثه إيمانه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعة لكل نال وذاكر، "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"؛ وهو الذي ما زالت الأولياء تحيّل غايل السلطنة في أعطافه معنى وصوره، والأعداء يرمون إطفاء ما أفاضه الله عليه من أشعة أنواره "وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِمْ نُورُهُ"؛ طالما تطاولت إليه أعناق الممالك فأعرض عنها جانباً، وتطفلت^(١) عليه فغدا لها رعاية لذمة الوفاء بجانب؛ حتى أذن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن ترتفع وحكم له بالصعود في درج الملك الى المحل الأعلى والمكان الأرفع، وأدى له من المواهب ما هو على اسمه في ذخائر الغيوب مستودع؛ فعند ذلك استخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (المستكنى بالله) — جعل الله الخلافة [كلمة] باقية في عقبه، وأتمع الإسلام والمسلمين بشريفي حسبه ونسبه — وعهد إلى المقام العالى السلطاني بكل ما وراء سرير خلافته، وقلده جميع ما هو متقلده من أحكام إمامته؛ وبسط يده في السلطنة المعظمة، وجعل أوامره هي النافذة وأحكامه [هي] المحككة؛ وذلك بالديار المصرية والممالك الشامية، والفراتية والحلبية والساحلية، والقلايع والثغور المحروسة والبلاد الحجازية واليمانية؛ وكل ما هو من الممالك الإسلامية الى خلافة أمير المؤمنين منسوب، وفي أقطار إمامته محسوب؛ وألّقى إلى أوامره أزمة البسط والقبض

﴿١٠﴾

(١) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٢؛ والذى في الأصل: «تطفلت»؛ وهو وإن كان

كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد: (عليه) يقتضى ما أثبتنا.

(٢) في صبح الأعشى: «عل قره»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى.

(٤) في صبح الأعشى: «والجبلية»؛ وهو أظهر، فإن الحلبية داخلية في الممالك الشامية التي سبق

والإبرام والنقض، والرفع والخفض، وما جعله الله في يده من حُكَمِ الأرض، ومن إقامة سنة وفرض؛ وفي كل هبة وتمليك، وتصرف في ولاية أمير المؤمنين من غير شريك؛ وفي تولية القضاة والحكام، وفصل القضايا والأحكام؛ وفي سائر التحكم في الوجود، وعقد الأولوية والبنود، وتجنيد الكُتَّاب والجنود، وتجهيز الجيوش الإسلامية في التأييد لكل مقام محمود؛ وفي قهر الأعداء الذين نرجوا بقوة الله تعالى أن يمكنه من نواصيهم، ويحكم قواضيه في استنزاهم من صياصيمهم، واستئصال شافة عاصيهم؛ حتى يحو الله بمصاييح سيوفه سوادَ خطوب الشرك المدهمة، وتغدو سراياه في اقتلاع قلاع الكفر مستهمه^(٢)؛ وترهبهم خيل بعوثة وخيالها في أليقظة والمنام، ويدخل في أيامه أهل الإسلام مدينة السلام بسلام؛ فهو أيضا ناقما عاتما منضدا منظمًا، مُحْكَمًا مُحْكَمًا؛ أقامه مولانا أمير المؤمنين في ذلك مقام نفسه الشريفه، واستشهد الكرام الكنايين في ثبوت هذه البيعة المنيفة؛ فلينقلد المقام الأشرف السلطاني — أعز الله نصره — عقد هذا العهد الذي لا تطمح لثلثه الآمال، وليست مسك منه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا انفصال؛ فقد عول أمير المؤمنين على يمن أرائك التي ما برحت الأئمة بها في العضلات تستشفي، وأستكفي بكفابتك وكفالتك في حياطة الملك فاضحي وهو بذلك (المستكفي)؛ وهو يقص عليك من أنباء الوصايا أحسن القصص، وينص لديك ما أنت آخذ منه بالعزائم إذا أخذ

(١) عبارة صبح الأعشى: «أمور الإسلام».

(٢) مستهمه بتشديد الميم: أى مهمة؛ قال في الأساس: سمعهم يقولون: استهم لي في كذا؛ ويجوز أن يقرأ: (مستهمه) بخفيف الميم؛ أى مقسمة، من الاستهم.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب، ولا يحى ما فيه من الالتفات لاختلاف الصائر بين ماها وبين ما سبق، وكان الكثرة في ذلك تأكيد احتصاصه بهذا العهد المذكور في الجملة السابقة.

غيرك فيه بالرخص ، فإن نُبِّهْتَ على التقوى فطالما تَمَسَّكَتَ منها بأوثق عروءه ،
وإن هُدِيتَ الى سبيل الرشاد فما زِلْتَ ترقى منه أشرف دُروءه ؛ وإن أَسْتَرْهَفْنَا عِزَمَكَ^(١)
الماضى الغرار ، وأَسْتَدَعَيْنَا حَزَمَكَ الذى أضاء به دهرُكَ وأَنَارَ وَأَسْتَنَارَ ؛ فى إقامة
منار الشرع الشريف ، والوقوف عند أمره ونهيه فى كل حكم وتصريف ؛ فما
زِلْتَ — خَلَدَ الله سُلْطَانَكَ — قائماً بسننه وفرضه ، دائباً فى رضى الله تعالى
بإصلاح عقائد عباده فى أرضه ؛ وما برح سَيْفُكَ المظفر للأحكام الشرعية خادماً ،
ولموادِّ الباطل حاسماً ، ولأنوف ذوى الزنغ والبِدَع مُرْعِماً ؛ وكلُّ ما نوصيك به من
الخير فقد جُبِّتَ عليه طباعُكَ ، ولم يزل مشتتاً فيه ساعدُكَ ممتداً إليه بأعك ؛ غير
أننا نورد لمعة اقتضاها أمر الله تعالى فى الاقتداء بالتذكرة فى كتابه المين ، وأوجبها
نصُّ قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ويندرج تحت أصولها
فروعٌ يَسْتَفْنِي بِدَقِّقِ ذَهْنِهِ الشريف عن نصِّها ، وبفكره الثاقب عن قصِّها ، فأعظمها
لللغة نفعاً ، وأكثرها للباطل دفعا ؛ الشرع الشريف ، فليكن — أعزَّ الله نصره —
عاملاً على تشييد قواعد أحكامه ، وتنفيذ أوامر حكايه ؛ فالسعيد من قرن أمره
بأمره ، ورضى فيه بحلو الحق ومُره ؛ والعدل ، فليشر لواءه حتى يأوى اليه الخائف
وينكف برُده حَيْفَ كُلِّ حائف ؛ وَيَسَاوَى فى ظِلِّه النفي والفقر ، والمأمور
والأمير ؛ ويمسى الظلم فى أيامك وقد تَحَدَّثَ ناره ، وعَفَّتْ آثَارُه ؛ وَأَهْمُ مَا أَحْتَقَلْتُ
به العزائم ، وأَشْتَمَلْتُ عليه همُّ الملوك العظام ، وأَشْرَعْتُ له الأُسْتُنَّةُ وأَرْهَفْتُ من
أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذى جعله الله سبحانه حصناً للإسلام وجُنة ، وأَشْتَرَى

(١) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل وصح الأعرشى بالنسبة واثنان ؛ ولم نجد هذه الصيغة فى لدينا من

كتب اللغة ، والذى وقعنا عليه أنه يقال : رَهَفَ وأَرْهَفَ ، أى رَفَعَهُ وأَحَدَهُ .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى صحيح الأعرشى .

(٣) العظام صفة للهم .

فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ ليجند له الجنود وجمع له الكتاب وأقيص في مواقفه على الأعداء من بأسك بالقواضي القواضب؛ وأغزهم في عقر الدار، وأرهف سيفك البتار، لتأخذ منهم للمسلمين بالنار، والتغور والحصون، فهي سرُّ الملك المصون، وهي معاقل النفوس "إذا دارت رحى الحرب الزبون"^(١)؛ فلتقلد أمرها لكفاتها، وتحصن حماها بجماتها، وتضاعف لمن بها أسباب قوتها ومادة أقواتها؛ وأمراء الإسلام، وجنود الإيمان، فهم أولياء بصرك، وحفظة شامك ومصرحك، وحزبك الغالب، وفريقك الذي تفرق منه قلوب العدو في المشارق والمغارب؛ فليكن المقام العالی السلطاني - نصره الله تعالى - لأحوالهم متفقدا وبسيط وجهه لهم متوددا؛ حتى نتأكد لمقامه العالی طاعتهم، ولتجند لسلطانة العزيز ضراعتهم؛ وأما غير ذلك من المصالح فما برح تديره الجميل لها ينقد رأيه الأصيل بها يسير، ولا يحتاج مع عامه بغوامضها إلى إيضاها «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» والله تعالى ينخص دولته من العدل والإحسان بأوفر نصيب، ويمنح سلطانه ما يرجوه من النصر المعجل والفتح القريب؛ بمنه وكرمه .

❦

وكتب تقليدا مظفريا للأمير سيف الدين سلال المنصوري بنبابة السلطنة

الشريفة في سنة ثمان وسبعائة، وهو :

الحمد لله الذي شيد ركن الإسلام بسيفه المستضى، وجدد للوك مزيد التأيد بكانله الذي ما برح وفاءه للوك الأواخر والأوائل مرتضى، وأنجز من وعده الإنفاق واتوفيق ما كان من ذمة الدهر مقتضى، جامع شمل الأوامر والنواهي بتفويضا

(١) الزبون، من الرز فتح فسكون : وهو الدع ومه قبل : حرب زبون ، لأنها تدفع الأبطال

الى مَنْ تبيت العدا من مهايته على حجر الغصَى ، ومُنيل المنى بمواهبه التي تحوز موادَّ الاختيار وتحوز أمدَّ الرضا ، ومُنقى مقاليد التدبير الى مَنْ أضحى جميل التأثير اذا تصرف في الرفع والخفض حكمَ القضا ، ومصرفِ أزيمة الأمور في يد من غدا ثابتَ العزَمات في الأزمات ، فما أظلمَ خطبُ إلا أنجلي بمصاييح آرائه وأصا؛ نحمده على أن عضد دولتنا بالكافل الكافي الذي اختاره الله لنا على علم ، ومنح أيا منا موالاة الولي الذي بُجعت فيه خلتان يجتهدا الله ورسوله : وهما الأناة والحلم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مشرقة الأنوار ، مفسدة سحبا بأنواء المنى الغزار ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان ، وخصَّ ملتَه في الدنيا والآخرة باليمن والأمان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضحى بفضل السبق للإيمان به صديقه وصديقه ، وأمسى لفرط الألفة أنيسه في الغار ورفيقه ؛
 ١٠ ومنهم من ضافره في إظهار النبوة ووازره ، وظاهره على إقامة منارها بإطفاء كل نائرة وإخماد كل نائرة ؛ ومنهم من ساعد وساعف في تجهيز جيش العسرة ، وأحسن وحسن مع إخوانه المؤمنين الصحبة والعشرة ؛ ومنهم من كان سيفه الماضي الحد ، ومهنده الذي كم قل بين يديه الجوع فما اعترض إلا قُط ولا اعتلى إلا قَد ، وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد ، فإن الله تعالى لما هنا لما مواهب الظفر ، وهيا لنا من الملك موادَّ إدراك المنى وبلوغ الوطر . وأيدنا من أنصارنا بكل ذي فعل أبر ووجه أغر ؛
 ١٥ وشدَّ أزرنا بمضافة سيف يُزهي الملك بتقليده ، وأمدنا بموازر نتصرف المنى وأمنون

(١) وازره : أعانه وقواه ، والأصل أزره بالهمز ، وفي القاموس وشرحه مادة «أز ر» أن الموازنة بالهمز أفصح ، والوار شاذ ؛ وقال الفراء : إنه عام .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة سور ، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السمر .

(٤) القط : القطع .

بين وعده ووعيدِه ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوق مودته بحسن
 الثناء حقيقه ، وعهود محبته في ذمام الوفاء متمكنة وشيقه ، وطريقته المثلى في المحاسن
 والإحسان مشهورة ولا نرى مثلاً لتلك الطريقه ؛ ونقلد كفالة ممالكنا للولى الذى
 ما برح يتلقى أمورنا بفسيح صدره ، ويتوقى حدوث كل مانكره فيمنض في دفعه بصائب
 رأيه وثاقب فكره ؛ وكان الجنب الكريم العالى الأميرى الكبيرى العالمى العادلى
 الكافى المؤيدى الرعيمى الغيائى^(١) المسندى المهدى المتاعرى المظفرى المنصورى
 السيفى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ؛ سد الممالك ، مدبر الدول ،
 مقدم العساكر ، أمير الحيوش ، كهف الله ، حصن الأمة ، نصره الملوك والسلاطين ،
 (سلار المنصورى) نائب السلطنة المعظمة ، وكافل الممالك الاسلامية ، - أعز الله
 نصره - هو واسطة عقد الأولياء ، وسيف الدولة الفاتك بالأعداء ، والذى
 أسلف في نصرة الإسلام حقوقاً غدت مرقومة في صحف الفخار ، واستأنف
 في مصالح الأمة المحمدية تديريات أظهر بها أسباب التأييد على الأعداء والاستظهار ؛
 كم أصلح بين سياسته ذات البين ، وكما أهبج ببركة تائبه وتائبه كل قلب وأقر كل
 عين ؛ وكما ساس من ملك فاضحى ثابت الأساس ، وجعل شعاره دفعا للباس ونفعا
 للناس ؛ ما عوهد إلا وأوفى ، ولا عوند إلا وعف وعفا ، ولا استسغنى في طب
 معضلة إلا وشفى ، ولا استدرك تديره فارط أمير كان على شفا ؛ ما يومه في الفضل
 بواحد ، ولا أحد لثمل محاسنه الجميلة بواجب ؛ لعزماته في مواقف الجهاد السوابق

(١) في الأصل : « الغيائى » بالعام والنون ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) الثانى للأمر : الترفق له والتلطف فيه .

(٣) الفارط : العاث ؛ يريد بهذه العبارة وضعه بالحزم وأنه لا يترك الأمور يمدخلها الخلل إليها

ثم يستدركها بعد فواتها ، بل إنه يتوقى الخلل فيها تديره قبل حصوله .

الْفَرْحُ الْمُحْجَلُّ ، وَلِتَدِيرَاتِهِ فِي مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ الْمُنَافِعُ الْمُعْجَلَةُ وَالْمُؤْجَلَةُ ؛ وَهُوَ الَّذِي خَافَتْ مَهَابَتَهُ الْكَتَّابُ ، وَأُمَلَّتْ مَوَاهِبُهُ الرِّغَابُ ، وَلَعَبَتْ سَطَوَاتُهُ^(٢) لِلْعِدَا خِيَالًا فِي الْمِرَاقِدِ وَخِيَالًا فِي الْمَرَاقِبِ ، وَأَمْتَطَى مِنَ الشَّهَامَةِ كَاهِلَهَا فَأَحْجَمَ عَنْهُ لَمَّا أَقْدَمَ كُلُّ مُحَارِبٍ ، وَصَدَقَ مَنْ نَعَتَهُ بِالسَّيْفِ ، فَلَوْلَمْ يُنْعَتْ بِهِ لَقِيلَ : هَذَا سَيْفٌ يَفْتِكُ بِالضَّرِيَةِ وَلَا تُفَلُّ لَهُ مَضَارِبُ ؛ وَكَمْ لَقِيَ بِصَدْرِهِ الْأُلُوفَ مِنَ التَّنَارِ — خَذَلَهُمُ اللَّهُ —
وَالْمَنَايَا قَدْ بَلَغَتْ مِنَ النُّفُوسِ الْمَنَى ، وَأَمَضَى سَيْفُهُ فِي الْحُرُوبِ وَمَا شَكَا الضَّرِيَّ ؛ وَحَمَلُ حَمَلَةٍ فَزَقَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ لِلْكَفَّارِ أَجْتَمَعَ ، وَقَطَعَ أَغْنَاكَ الْعِدَا فِي رَضَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يُنْكَرُ السَّيْفُ إِذَا قَطَعَ ؛ وَوَصَلَ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِلَى غَايَةِ تَزَاجِمِ الْكَوَاكِبِ بِالْمَنَاكِبِ ، وَتَفَرَّدَ بِأَمْرِ الْجَبِشِوشِ فَضَحَّى بِدَرِّ الْكَتَّابِ وَصَدَرَ الْمَوَاكِبِ ؛ إِذَا جَاشَ الْجَبِشُ ثَبَتَ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الرِّيحِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ لَيْسَ النَّقْعُ وَصَحَّتْ أَسَارِيرُ جَبِينِهِ وَضُوحُ الصَّبَاحِ ، وَإِذَا أَقْدَمَ فِي كَنِيئِهِ ”رَأَيْتَ الْبَرْبَحَاءَ مِنْ سِلَاحٍ“ وَإِذَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ يَوْمَ الْوَعَى كَبُرَتْ بِالظَّفَرِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرِّيحِ ، وَإِذَا كَانَ فِي جَحْفَلٍ كَانَتْ عِزَائِمُهُ لِقَلْبِ قَلْبًا وَصَوَارِمُهُ جَنَاحًا لِلْجَنَاحِ ، وَإِذَا قَدَّرَ فِي السَّلَامِ عِفَا لَكِنَّهُ فِي الْحَرْبِ قَلِيلُ الصَّفْحِ بَيْنَ الصَّفَاحِ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَا بَرَحَتْ أَيْدِي أَنْتَقَامِهِ تَهْدِمُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ الْعِبَائِرَ وَالْأَعْمَارَ ، وَبُرُوقُ سَيْوفِهِ تَذْهَبُ بِالنُّفُوسِ لَا بِالْأَبْصَارِ ، وَيَمْنُ يَمِينِهِ وَصَبْحُ جَبِينِهِ هَذَا يَسْتَرْبِلُ^{١٠} بِالْأَنْوَاءِ وَذَا بِالْأَنْوَارِ ؛ اقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوَفِّيَ حَقُوقَ مُوَدَّتِهِ الَّتِي أَسْلَمَهَا لَنَا فِي كُلِّ نُعْمَى وَبُؤْسَى ، وَأَنْ نَضَاعِفَ عُلُومَ مَكَانِهِ مِنْ أَخَوَاتٍ لِيَكُونَ مِنْهَا كَهْرُونَ

(١) الرِّعَافُ : الْعَافُ الْمَرْعُوفُ فِيهَا ، وَاحِدُهُ رَغِيْبَةٌ .

(٢) كَذَا وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ فِي الْأَصْلِ ؛ يَرِيدَانُ سَطَوَاتِهِ فِي تَشْكِيلِهَا لِأَعْدَائِهِ فِي النَّوْمِ بِالْخِيَالِ وَفِي الْيَقَظَةِ

بِالْحَيْلِ تَشْبِيهِ فَعْلِ التَّلَاعِبِ حِينَ يَتَشَكَّلُ لِلطَّارِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ . أَوَّلُهُ : « وَلَقَبْتُ » بِالْبَنَاءِ لِلْجَهْلِ ٢٠ أَيْ سَمِيتُ وَعَلَى الْأَوَّلِ فَقَوْلُهُ : « خِيَالًا » حَالٌ مِنْ سَطَوَاتٍ وَعَلَى الْآخِرِ مَعْنَى مَعْمُولٌ ثَانٍ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَتَعَدَّ إِلَيْهِ بِالْبَاءِ لِأَنَّهُ مُقْتَضَى اللَّفْظِ لِنَصْبِهِ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ .

من موسى ؛ فلهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى
الركنى - لا برج يوفى بعهود الأولياء و بنى ، ويمنع من أخلص النية فى ولائه البر
الحفى والفضل الحفى - أن تكون كلمة الجنب الكريم العالى الأميرى السيفى المشار
إليه - أعز الله نصره - نافذة فى كفاالة الممالك الإسلامية ، متحركة فى نيابة السلطنة
المعظمة ، وأوامره المطاعة فى إمرة الجيوش و حياطة الثغور التى غدت بدوام كفالته
متبسة على أجهل عوائده ، وأكل قواعده ؛ نيابة ثابتة الأساس ، نامية الغراس ؛
لا يضاهاى فيها ولا يشارك ، ولا يخرج شئ من أحوالها عن رأيه المبارك ؛ فليسط
نهيته وأمره فى التدبير والإحكام ، وليضبط الممالك حتى لا تسمى ولا تُسام ؛ وليطلع
من آرائه فى سماء الملك نجوما بها فى المصالح يهتدى ، وليرفع من قواعده ما يخفض
به قدر العدا ؛ وليضاعف ما ألفتة الأئمة من عدله ، وليجبر على أكرم عاداته من
نشر إنصافه وشمول فضله ، وليعضد جانب الشرع المطهر فى عقده وحله ، وتحريمه
وحله ؛ ولينفذ كلمته على ما هو من ديانته مألوف ، وليستكثر من الاقتداء بأحكامه
فى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف ؛ وأمرء الإسلام وجنوده ، فهم ودائع سره ،
وصنائع شكره ، وطلائع نصيره ، وما منهم إلا من عذى بلبان دره ، وغدا [من] شاء^(٢)
عصره متقلدا لعقود دره ؛ فليستدم حنوه عليهم وإشفاقه ، وليوال إليهم بره وإرفاده
وإرفاقه ؛ والوصايا كثيرة لكنها منه تستمل ، والتنبيهات على المصالح منه تستفاد
نقلا وعقلا ، وما زلنا نستضى فى المهمات بمن آرائه التى جمعت للصالح شملا ؛ فمنثله
لا يدل على صواب وهو المتفرد بالسداد ، والخير بتفريح كرب الخطوب والسيوف

(١) كذا فى الأصل ، وهو جمع عادة كفى المصباح ، ولم نخذه فى عيه من كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) اللبان بالكسر : الرضاع ، يقال : هوأ - وه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى اثباتها

(٤) فى الأصل : «ساء» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

غامضة الجفون في الإنماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالاته بالخَلِّ المُوَافِ والْأَخ
المواسي، ويشد أزْرَ سلطاننا من مضافته بمن أَمسى جِبلَ الحُلوم الرواسي^(٢) ؛ إن شاء
الله تعالى .

ومن انشائه أيضا أعزّه الله تعالى مقامة عملها في سنة اثنتين
وسبعمائة، على لسان من التمسها منه، فقال :

حَكَى أَلِفُ الْغَرَامِ ، وَحَلِيفُ السَّقَامِ ؛ وَقَتِيلُ الْعَيُونِ ، وَصَرِيعُ الْجَفُونِ ؛
وَفَرِيسَةُ الْأَسُودِ ، وَالْمَصَابُ بْنُ الْحَدَقِ السُّودِ ؛ عَنْ قَصَبِهِ فِي هَوَاهُ ، وَقَضِيَّتِهِ الَّتِي
كَانَ فِي أَوَّلِهَا غِنَاهُ ، وَفِي آخِرِهَا عَنَاهُ ؛ قَالَ : لَمْ أَزَلْ فِي مَدَّةِ الْعُمُرِ أَتَرَقَّبُ حَيِّياً
أَتَلَذُّ بِجَبَّةٍ ، وَأَتَتَمُّ بِقَرِيْبِهِ ؛ وَأَحْيَا بِإِنْعَافِهِ ، وَأَسْكُرُ مِنْ رِيْقِهِ بِسَلَاْفِهِ ؛ وَأَسْتَعِذُّ
الْعَذَابَ فِيهِ ، وَأَرْشُفُ نَحْمَ الرِّضَابِ مِنْ فِيْهِ ، وَأَقْطِطُفُ وَرْدَ السَّرُورِ مِنْ وَجْتِيْهِ
وَأَجْتَنِيْهِ ؛ وَأَكْنِيسِيْ بِهِ لَطْفًا ، وَأَكْتَسِبُ بِمَصَاحِبَتِهِ طَرْفًا ؛ حَتَّى ظَفِرْتُ يَدَايَ بِمِنْ
رَقٍّ وَرَاقٍ ، وَلَطَّقْتُ حَدَائِقَ مَعَانِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَنْخَفِيْ عَنِ الْأَحْدَاقِ
لَطَّقْتُ مَعَانِيَهُ فَهَبْتُ مَعَ الصَّبَا * وَرَقِيْبُهُ بِهِبُوْبِهِ لَا يَعْرِفُ

قد جمع أوصاف المحاسن والمعاني ، وفاق كلِّ مليح فليس له في الحسن ثاني ؛
أما قوامه ، فقد ملك الفؤاد فأضحي ملكاً عادلاً ، وأستباح النفوس من اعتداله
فلا غرو إن أضحي لها قاتلاً

(١) الموائ : من وافي يوافي : وهو بمعنى وافي ، يقال : وافي له بالهد يوافي ووافي بوافي كلاهما

بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) في الأصل : «الحلقوم» والقاف زيادة من الباسح . والحلوم : جمع حلم بالكسر : وهو الأناة

وعدم الخفة . والرواسي : صفة للحلوم .

(٣) في الأصل : «عناء» الفتن ؛ وهو تصحيف .

عَجِبَا لِقَدْكَ مَا تَرْتَحِمَ مَائِلًا * إِلَّا وَقَدْ سَلَبَ الْغُصُونَ شِمَائِلًا

وَأَمَّا لِحَاظُهُ فَقَدْ غَنِيَتْ عَنِ الْكُحْلِ بِالْكَحْلِ ، وَأَذَابَتْ حَبَاتِ الْقُلُوبِ فِي حُبِّ تِلْكَ الْمَقْلِ

وَإِذَا رَأَيْتَ الطَّرْفَ يَعْمَلُ فِي الْحِشَا * عَمَلِ الْأُسْتَةِ فَالْقَوَامُ مُتَقَفُّ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ كَالْبَدْرِ فِي تَمَامِهِ ، يَعْلُوهُ مِنْ شَعْرِهِ مَا يَصِيرُ بِهِ كَالْبَدْرِ تَحْتَ غَمَامِهِ
قَرَّ تَبْلُجُ وَجْهِهِ فِي حَنْدَسٍ * مِنْ شَعْرِهِ فَاضَاءَ مِنْهُ الْحَنْدَسُ

وَمَقْبَلِ أَشْمَى مِنَ الرِّاحِ ، وَأَعْطَرَ مِنْ زَهْرِ الرِّبَا فَتَفَتَّحَتْ أَكْلَامُهُ عَمْدَ الصَّبَاحِ
وَمَقْبَلِ عَذْبِ كَأَنَّ رِضَابَهُ بَرْدٌ وَرَاحٌ

وَحَدَّ أَمْسَى شَقِيقَ الشَّقِيقِ^(١) ، وَمَبِيسٍ يُرْشَفُ مِنْ شِفَاهِهِ الْعَقِيقُ الرَّحِيقُ
شَفَةِ كَمَحْمَرِّ الْعَقِي * قِ وَمَبِيسٍ مِثْلُ الْأَفَاحِ^(٢)

وَصُدِّغَ سَالٌ عَلَى خَدِّهِ الْقَانِي ، وَامْتَدَّ كَدَمِعَ مَحَبَّةِ الْأَسِيرِ الْعَانِي
صَبَّ لَهُ دَمْعٌ كَصُدْغِكَ سَائِلٌ * فَعَسَاكَ يَا مُثْرَى الْجَمَالِ تُوَايِسِي
وَحْصِيرَ لُطْفٍ وَدَقٍّ ، وَعَلَاهُ كَثِيبُ رَدِفٍ فَأَنْقَلَهُ حَتَّى صَنِيَّ وَرَقٍ
يَا رَدْفَهُ رَفَقًا عَلَى خَصْرِهِ * بَيْنَكَ حَرْمَةُ جِيرَانِ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ حَسَنِ قَصْرِ عَنْ وَصْفِهَا قَلْبِي ، وَعَجَزَ عَنْ حَصْرِهَا كَلْمِي ؛
وَأَشْفَقْتُ مِنْ شَرْحِهَا خَوْفًا أَنْ أُنَمَّ عَلَيْهِ ، أَوْ أَذْكَرَ مَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنَ الْحَسَنِ فَأَكُونُ

(١) يريد بالشقيق : شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر ، وإنما أضيف إلى النعمان لأن النعمان بن المنذر
حسب أرسا فكثرت فيها هذا النبات ؛ وقيل : النعمان اسم للدم ، وشقائقه : قطعه ، فشبهت حمرة هذه الزهرة
بحمرة الدم .

(٢) الأفاحى بضم الفاء ، وتشديد الهمزة : جمع أقحوا ، وهو من نبات الربيع ، دقيق البعدان . له نور
أبيض كأنه نمر جارية حديثة السن ؛ وهو المسمى بالبالبونج والبالبونك عند الفرس .

٥

١٠

١٥

٢٠

قد أشرتُ إليه ؛ وأنا قد تدرّعتُ ثوبَ الكتان ، وتسترتُ حتى غاض مني الدمعُ
وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذي مُتَّ في الهوى * به كَافَا يا ربَّ لا علموا الذي
غيرَأتى قد منعت بذكر ملاحته فؤادى ، ولا بدَّ أن أوردَها بمجَلةً ^(١) لا تُكِد بلفظها ^(٢)
المُعَادى

- ١٠ حكاه من الغصن الرطيبَ ورِيقَه * وما الخمرُ إلّا وجتاه ورِيقَه
هلالٌ ولكن أفقُ قلبي محله * غزالٌ ولكن سفحُ عيني عقيقَه
بديعُ الثننى راح قلبي أسيره * على أن دمي في الغرام طليقَه
أقرله من كل حسنٍ جليلَه * وواقفه من كل معنى دقيقَه
من الترك لا يصبيه وجدٌ إلى الحمى * ولا ذكرُ باناتِ الغويرِ ^(٣) يشوقَه
ولا حلٌ في حىّ تلوح قبابه * ولا ساق في ركبٍ يساق وسيقَه ^(٤)
ولا بات صبا للفریق وأهله * ولكن إلى حاقانٍ يُعزى فَرِيقَه
يهدد منه الطرفُ من ليس خصمه * ويُسكر منه الریق من لا يذوقَه
على خذه جمر من الحسن مضرَّم * يُسبِّ ولكن في فؤادى حريقَه
له مَبِسمٌ يُنبئى المدامَ برِيقَه * ويُنجِل نُوارَ الأفاقى برِيقَه
- ١٥

(١) في الأصل : « لا لهد » ؛ وهو تعريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى ذكرها ، فالمراد من اللفظ المصدر ، أى التلفظ .

(٣) الغوير : ماء لكب بأرض السبابة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكوني : إنه ماء بين
العقبة والقاع في طريق مكة .

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيق : الموسوق ، فعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسق
بفتح الواو وهو الحمل .

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بهامة ، كما في معجم البلدان والقاموس ، وهو فيها غير معزف بأداة
التعريف .

قال الراوى : فأعلمته ما خاصر قلبى من هواه ، وبذلت نفسى آبتغاء لرضاه
بثنتُ له سرى ونحن بروضة * فمالت لتصغى للحديث غصونُ
فتلقى ضراعتى بالرحب والإقبال ، وسفر عن وجه الرضا فبشرتُ نفسى ببلوغ الآمال ،
وقلت : ^(١)

تذلتُ فى الشكوى إليه فرق لى * حنوا الدمعى فى الهوى وتذلى
غزالُ ابستُ السقمَ خلعة جفنه * على أنى فيه خلعتُ تجلى
تعلل بالأعذار حتى خدعته * بسحر الرقى أفديه من متعلل
فراقب إغفاء الرقيب وجمعه الـ * مير وراعى حين غفلة عذلى
ووافى أخا الأشواق حلف صباية * أسير هوى من وجده فى تامل
فلم أر روضا كان أحسن بهجة * - لعمر الهوى - من وجهه المتهايل
فأعظمتُ مسراه وقلتُ خاضعا * ترى خطوه شكرا لفضل التطول

وأنعطف على أنعطاف الغصن الرطيب ، وتمازجت قلوبنا حتى أشكل على
أينا الحبيب ؛ وفزتُ منه ببديع جمال تلذ به الفوس ، ورشفتُ من رضاه أحلى
ما ترشفه الأفواه من شفاء الكؤوس

تعلقته صائدا للقلوب * بالحاظه سالبا للنهى
بديع الجمال إذا ما بدا * ترى فيه للعين مسترها ^(٢)
فكم فيه للعين من روضة * وكم فيه للنفس من مشهى

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما يأتى بعده من الشعر يقتضى ما أنشأ .

(٢) فى الأصل : « أتيا » ؛ وهو نصحيح .

(٣) قال المطرزي فى المغرب : الاستنزاه معنى التزهيه . مذكور إلا فى الأحاديث ١ هـ .

يا حسنه لما أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذاذة قريه ويا حراره ما ذقناه بعدها
من هجر وصد ؛ فلم نزل على ذلك مدّة أغفى الدهرُ عنا فيها ، أَقْصَى حَيَاة طابت
تلذذا وترقيها

رعى الله محبوبا نعمتُ بوصله * وقد بعدتُ عنا الغداة عيونُ

حتى شعرُ بنا الدهرُ الخوون ، ورماني بسهم فرقة أبعدتُ أمني وجلبتُ آلمنون ؛
وعلم بما كتمناه الرقيب ، وعجز عن داء قلبي الطيب

لو كان للعشاق حظُّ في الهوى * ما كان يُحقِّق في الزمان فراقُ

فتجزعتُ بعد الشهد علقما ، ولم أستطع أفتَح من الحزن فما ؛ وهمتُ في ساحة الشوق
والآلتياح ، وفضحتني الأدمع التي طال بها على المحبين الانفضاح^(١)

لا جزى الله دمعَ عيني خيرا * وجزى الله كلَّ خيرٍ لسانِي
ثمّ دمعِي فليس يكتم شيئا * ووجدتُ اللسانَ ذا كتمانِ
كنتُ مثلَ الكتاب أخفاه طيُّ * فأستدلُّوا عليه بالعنوانِ

فاذا هو مُرُّ المذاق ، وأمنع الدمعَ فيقول : وهل خباثتي لأعظمَ من يوم الفراق
أبى الوجدُ أن يُخفيه قلبٌ مقيمٌ * يكابده والدمعُ يُبديه والضنى

(١) يريد : أن أفتح ؛ فأني في هذه العبارة محدوفة . وقد أحرار الأ-مَش حذفها مع رفع الفعل بعدها
وجعل منه قوله تعالى : (أفغير الله تأمروني أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعبدى خير من أن تراه » برفع
« أعبد » و « تسمع » وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال في قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) :
أن « يريكم » صلة أن حدثت وبق الفعل مرفوعا . وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف تخدفيه يبتل
عمله اد . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذ عند البصريين في غير المواضع المخصوص
عليها في كتب القواعد .

(٢) في الأصل : « الارتياح » بالراء ؛ وهو تخريف إد لم نجد له معنى يناسب السياق . والالتياح
في الأصل : شدة العطش من الفوح بهتج اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش في شدة الغليل .

وكم ذاب القلب حسره، وتفتت الكبد في تلك القتره؛ على حلوة أثبت فيها حرنى،
وأنفح فيها المجال الذى ضاف به عطلى؛ فلم أطقر بخلوة في لمحة بصر، ولا فزت
بذكر كلمة أترج بها ما عرض من حصر

تعرضت من شوق إليه فأعرضا * ولولا الهوى لم أمنح الحب مبغضا
وبحث إليه أن عندى رياضة^(١) * عليه وما تلك الرياضة عن رضا
قصى حبه أتى إذا عز في الهوى * أذل وإنى قد رضىت بما قصى
لقلبي من عينيه سقم وصحة * فكم مرة في الحب دأوى وأمرضا
مضى لى به عيش بكيت لفقده * وهيات أن يرتد عيش إذا مضى

وبليت بريقب قد سلب الله من قلبه الإيمان، وسلطه على بغلط الطباع وفضالة
اللسان؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينه، لكنه أرزى عليه في بهتانه ومينيه؛ يحاق^(٣) على
الكلمة الواحده، ولا يسمح بأن طرفى يمتد إلى تلك المحاسن التى غدت القلوب بها
واجده؛ يود لو غطى على بصرى، ويبدلنى مغيبى من محضرى؛ لا يفتر عن اللوم
والعدل، ولا يرى أن يقضى ساعاته إلا فى بذل الحيل؛ يرغب فى شتات شمل،
وانقطاع وصل؛ وليس لى فى دفعه حيله، ولا فى الانتقام منه وسيله؛ وما زال
حتى أحال الحبيب عن وداده، وكدر ما صفا من حسن ظنه واعتقاده؛ وأنا أروض
نفسا كادت تذوب، وأتسلل بأيام وصاله وأقول : لعلها ترجع وتؤوب

لئن ذقت مر الصبر أو ملح أدمى * لقد أعذبت تلك المذاقات منهل

(١) يريد بالرياضة هنا : ملازمة هواه والاعراض عن كل ما سواه ، أخذنا من الرياضة عند
العباد وأهل التصوف .

(٢) فى الأصل : « وتلفت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يحاق ، من المحافة بتدديد القاف : وهى المحاصمة والممازعة لظهار الحق ؛ وفى الأصل :

« يحاقق » بقاءين ؛ وهو ما يجب فيه الإدعام .

فلم يقنع الدهرُ لى بذلك ، ولا رضى بالصدِّ والعذل والهجر الذى هو أعظمُ
المهالك ؛ حتى قضى بالفرقة والبعاد ، ورمى النوى بسهم فلم يخطئ الفؤاد ؛ وكنتُ
أَتَعَلَّ بالنظر ، وأقول : مشاهدةُ هذا الوجه القمرى عندى أكبرُ وطراً ؛ حتى
مِيتُ الوصالَ والمشاهدة ، وَنَدَبْتُ قَلْبِي القريحَ بأدمع عيني أَلْجَآمِدَه

(١٥)

أَحْبَابَ قَلْبِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بَعْدَكُمْ * نَوَائِبَ صَبْرَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلَا
وَقَدْ تَعَجَّبْتُ أُنَى بَعْدَ فَرْقَتِكُمْ * أَحْيَا وَأَيْسُرُ مَا لَاقَيْتُ مَا قَتَلَا

وَأَنْقَطَعْتُ عَنِّي الرِّسَالُ ، وَذَهَبَتْ لَذَاذُهُ مَا أَعَدَّتْهُ مِنْ تِلْكَ الْوَسَائِلِ

هَلْ تُحْبِرُ عَنْكُمْ بِعَيْشِ بَقَرِيهِ * مَيْتُ الرِّجَا وَالصَّبْرِ بَعْدَ إِيَّاسِ

أَحْبَابَنَا قَسَمًا بِسَاعَةِ وَصْلَانَا * لَمْ أَكْتَحِلْ مِنْ بَعْدِكُمْ نَعَاسَ

غَبْتُمْ فَعِنْدِي بِالْفِرَاقِ مَا تُمْ * فَنَحْنُ نَعُودُ بِعُودِكُمْ أَعْرَاسِي

وَدَوَى غَضَنُ السَّرُورِ بَعْدَ أَنْ كَانَ رَطِيبًا ، وَفَقَدْتُ لِنَدَاءِ أَلْمَى مَجْبِيًا ؛ وَأَغْلَقْتُ
بَابَ الدَّعَا ، وَأَسْبَلْتُ هَوَاطِلَ أَدْمَعِي قَائِلًا لِلْجَفَانِ : لَا تَخْشَى فَأَنْتَ مَنْقِفَةٌ
مِنْ سَعَةِ ؛ وَلَوْلَا التَّعَلُّ بِالذِّكْرِ ، وَالتَّأَمُّلُ فِي حُسْنِهِ الَّذِي تَسْكُلُ فِي مِرَاةِ الْقَلْبِ
فَسَّرَ سِرًّا ؛ لَقُلْتُ :

كَأَنَّكَ قَدْ خَتَمْتَ عَلَى ضَمِيرِي * فَغَيْرُكَ لَا يَمِرُّ عَلَى لِسَانِي

وَلِي عَيْنٌ تَرَكَ وَأَنْتَ تَسَاي * كَمَا تَرْنُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ دَانِي

وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ هَوَاكَ مِنِّي * إِذَا مَا غَابَ شَخْصُكَ عَنْ عِيَانِي

(١) في ديوان أبي الطيب المتنبي (ما قاسيت) والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ وهذا صدر بيت له من قصيدة

يلدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنجي ؛ وتمام البيت :

* وَالْبَيْنُ جَارٌ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا *

(٢) في الأصل : « والتأمن » البون ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « بحسنه » بالباء ؛ وهو تحريف .

١٥

٢٠

شَعَلَتْ عن الورى بصرى وسمعى * كأنهما يَجْبُك مَفْرَدَانِ
فَهَانَا لَا أَعَايِنَ مَا بَدَأَ لِي * سَوَاكَ وَلَا أَصِيحُ لِمَنْ دَعَانِ
ثُمَّ لَمَّا فَارَقْتُ الْحَيَاءَ ، وَبَذَلْتُهَا رَاغِبًا فِي هَوَاهُ ، وَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ آثَارُ
قَرِيهِ ، وَسَرَى النِّسِيمُ عَطِرًا فَعَلِمْتُ قَرَبَ رُكْبِهِ

وَأَذْكُرُنِي ذَاكَ الصَّبَا زَمَنَ الصَّبَا * وَمَا الشَّوْقُ إِلَّا مَا تَجَدَّدَ بِالذِّكْرِ
فَكَادَ قَلْبِي بِطَيْرٍ لِلْقَائِنِ ، وَلَوْلَا تَسْوِئَتُهُ بِحُجْبِ الْفُؤَادِ لَخَرَجَ مِنْ قُوَّةِ بَرْحَانِهِ ؛
وَتَذَكَّرْتُ كَيْفَ يَكُونُ اللَّقَاءُ وَالْإِجْتِمَاعُ ، وَالرِّقَابُ قَدْ أُرْمِعُوا عَلَى الْمَنْعِ وَالِدَّفَاعِ ،
وَقُلْتُ : فَارَقَنِي عَلَى غَيْرِ رِضَا ، وَجَفَانِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، وَنَأَى عَنِّي مِنْ غَيْرِ وَدَاعٍ ؛
وَهَانَا فِي غِيَابِهِ وَحُضُورِهِ ، وَسَخَطُهُ وَسُرُورِهِ ؛ لَا أَحُولُ عَنْ وَدِّهِ ، وَلَا أَرَى
إِلَّا الْوَفَاءَ بَعْدِهِ

هِيَاهُ مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بَزَائِلَ * فَلَا أَمَّ يُطَنِّبُ فِي الْمَلَامَةِ عَاذِلِي
نَاشِدَتِكَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَيَوْمَنَا * يَلْوِي الصَّرِيمَ وَبَابِنَا الْمَتَائِلِ ^(٢)
هَلْ تَعْلَمُنَّ سِوَى هَوَاكَ وَسِيلَةً * تَذْنِي رِضَاكَ وَقَدْ جَهَلْتُ وَسَائِلِي ^(٣)
أَدَيْتَنِي حَتَّى إِذَا تَيَمَّنْتَنِي * بِمَحَاسِنٍ وَمُعَاطِفٍ وَشَمَائِلِ ^(٤)
وَبِحَسَنِ وَجْهِهِ لَوْ تَجَلَّى فِي الدَّجَى * سَجَدَ الصَّبَاحُ لَضَوْوِهِ الْمُتَكَامِلِ ^(٥)
وَنَوَاطِيرَ تَحَارِيرٍ لِحَفْوَانِهَا * فَضْلُ الصَّنَاعَةِ لَا لِسَاكِنِ بَابِلِ ^(٦)

- (١) الصبا بالفتح : ربح منها من مطلع الثريا إلى بات نغش ؛ قاله ابن الاعراب ؛ وتنبأها صباوان
وصبيان ؛ وهى مؤنثة . وإنما أراد هنا النسيم فأوردتها بالذكور .
(٢) عبارة الاصل : « وبانة المتأمل » وهو تحريف .
(٣) أراد بالمعاطف : مواضع الانشاء من البدن كالحصرتين والجديد جمع معطف بفتح الميم وكسر
الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين في المضارع .
(٤) يريد : صناعة السحر .
(٥) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة يسبب إليها السحر والحر .

(١) ووقعت من قلبي بوذ قد جرى * تجرى دمي بجوانحي ومفاصلي
(٢) قاطعتني وسمعت قول حواسدي * وصرمت من بعد الوصال حباتي
ولرب ليل بث فيه مسهدا * فردا أسامر لوعتي وبلايلي
(٣) (٤) (٥) أطوى على حرّ الغرام أضالعا * يطوين فيه على قداح النابل
وهأنا أترقب وصله ، وأتوقع عدله .

أتراه من جَور الصبابة ينصف * ويرق للعاني عليه ويمطف
صبُّ يرى السلوان عنه محرّما * فله إليه تولّه وتلهف
(٦) يا أهل كاظمية وحقّ هواكم * قسما بكم وبغيركم لا يخلف
مشاقكم ألف الصبابة فيكم * فكانه لسواكم لا يعرف
فصدوه منكم بالوصال تعله * ولكم بأن تعدوا الوصال ولا تفوا
(٧) (٨) وحياتكم يرعاكم في بعدكم * ولقريركم في بعدكم يتشوف

(١) في الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحباتل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحباتل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أى من الغرام .

(٤) المراد بالقداح ها السهام على طريق التحوّز استعمال اللفظ ، فان القداح في الأصل :

هى السهام قبل أن تراش وتركب فيها الصال ، واحده قدح كسر القاف وسكون الدال ، فاستعلاها في السهام ذات الصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابل : الراى بالنبل ؛ والذي في الأصل : « البابل » بالياء في أوله ؛ وهو تصحيف ادم نجد له معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمه : حو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ،

وفيها ركابا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الطرفية ، أى أنه يرعاكم ويتشوف لقريركم ما حيتهم ؛ ولا يجوز الإعراب

بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم في قريركم » وفيها تقديم وتأخير مفسدان للمعنى .

وليس لي ما أمّت به إلا صدقُ الغرام، والإقدامُ في حبه على ارتكابِ الجِرام^(٢)

١٦

جدّدَ عهدَ تواصلٍ وتلاقٍ * وأستيق لي رمقا فليس بياق

وأشفّع إلى مارق من ترف الصبا * من وجنتك برقّة الأحلاق

ما حقّ ذى قلب صفا لك وده * تقطيعه بقطعية وفراق

مع ذا وذا كيف استهنّت فكُن أنا لـ * موثوقُ بي مولاي في الميثاق^(٣)

قال الراوي : فسمع شكواي وما أشكى^(٤) ، وقابل رقتي بحفوة بها القلب أنكى^(٥)

والطرف أبكى، ولفق أعذارا، وأقسمت عليه أن يزور فلم ير لقسمي إبرا

هذا ما آتفق إبرأه من كلامه — أدام الله علوه — في هذا الموضع ،

وسنورد إن شاء الله من كلامه أيضا ماتقف عليه في آخر فن الحيوان في السفر

الذي يليه إن شاء الله تعالى .

١٠

ذكر شيء من إنشاء المولى الفاضل

الصدر الكبير الكامل ؛ البارِع الأصيل ، الأوحِد النبيل ؛

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

هو الذي أتقن صناعة الأدب في غرة شبابه ، وبرز على من آكتهل في طلبها

وشاب في الترقّي إلى رتبها ، فما ظنك بأترابه ؛ وجارى ذوى الفضل في الأفطار اليمانية^(٦)

١٥

(١) في الأصل : « في حنة » بالجيم والوون ؛ وهو تصحيف .

(٢) يقال : ركه وارتكبه ، كلاما بمعنى واحد .

(٣) كذا في الأصل . وقوله : « أنا الموثوق بي » خبر لقوله : « كن » واسمها صير مستتر ، أى كن

أنت ، والعائد مقدر في جملة الخبر ، أى أنا الموثوق بي منك .

(٤) يقال : أشكى فلا فلا ، إذا أزال شكواه ، فاهمة للسلب .

٢٠

(٥) كذا ورد هذا الفعل في الأصل بالألف في أوّله ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة

بدون الألف في أوّله إذا قشرها بعد البرء وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « وجاذى » بالدال ؛ وهو تحريف .

(٧) عبارة الأصل : « بل في الأفطار » ؛ وقوله : بل زيادة من النسخ .

فطلع مجلّي الحلبه ^(١) ، وبارى نجباء الأفاضل بالملكة التّعزية ^(٢) وكان المؤمل ^(٣) منهم بالنسبة إليه أرفعهم رتبة ، وسما إلى سماء البلاغة فكان نجمها الزاهر ، وآرتقى إلى أفلاك البراعة فكان نيرها الباهر ، ورام من سواه الارتقاء إلى محله والمنأوة ^(٤) لفضله فغدا وهو في ذيول حيرته عاثر ، فعند ذلك علموا عجزهم عن إدراك غاياته ، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته ، وحين لم يجد لفضله مجاريا ، ولا عين لفضائله مباريا ؛ صار بها كالغريب وإن كان في أهله ووطئه ، والفريد مع كثرة أبنائه وإخوان زمنه ؛ فسمت ^(٥) به نفسه إلى طلب العلوم من مظانها ، والاحتواء عليها في إبانها ، والخلق بأعيان أهلها ، والاختلاط بمن آرتدى بأردية فضلها ؛ ورؤية من توشح بقلائدها ، وترشع لبذل فوائدها ونظم فرائدها ؛ ففارق الأقطار اليمنية وهي تسأله التآنى ، وتبذل لرضاه الرغبة والتنى ؛ وهو لا يجيب مناديا ولا يعرج على ناديا ، ولا يميل ^(٦) إلى حاضرها ولا ينظر إلى باديها ؛ وصرف وجهه عنها ، ونفض يده منها ؛ وألتحق بالديار

(١) المجلى من الخيل : الساق في الحلبه .

(٢) في الأصل : « التفريفة » بناء مثلثة بعدها عين معجمة وراءه ؛ وهو تصحيف إذ لم نحدد وجهها لتحصيل اليمين بهذه السية . والتعزية : نسبة إلى تعز بنج التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهى قاعدة اليمين كما في القاموس ؛ وقال في التاج : انها مدينة عظيمة ذات اسوار وقصور ، كانت دار ملك سى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اه . وقال أيضا في صبح الأعشى ج ٥ ص ٨ قلا عن كتاب تقويم البلدان : إنها مقر ملوك اليمن معنى من أولاد رسول . ثم قال : وهى حصن في الجبال مطلل على التهامم وأراضى زبيد الح .

(٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة : الثامن من خيل الحلبه .

(٤) المناوة بالهمز والنواء بكسر النون : المفارقة والمعارضة .

(٥) في الأصل : « والقرير » ؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فمت » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٧) قولهم . التحق به بمعنى لحق كلبة مولدة ؛ قال الصاعاني : لم أجده فيما دون من كتب اللغة فليجنب ذلك اطر تاح العروس مادة « لحق » .

المصريّة، وأنبت في طلب العلوم بأجل سريرة وأحسن سيرة وأخلص نيّة، فبلغ فيها مناه، وأدرك بها ما تمناه، وغدا وثغر فصاحته بالعلوم أشنب، وبرّد بلاغته بالأدب مُذهب

تَنَاهَى علاءَ والشبابُ رداؤه * فما ظنكم بالفضل والرأسُ أَشِيبُ

- ٥ ولما عاينه أعيانُ أهلِ هذا الوادى ، وشاهدوه يُبَكِّرُ في طلبِ المعلومِ ويُعَادِي ؛ تَلَقَّوه بالإكرامِ والترحيبِ ، وقابلوه بالتبجيلِ والتقريبِ ، وأنزلوه بالمحلِّ الأرفعِ والفناءِ الخصبِ ؛ وعاملوه بمحسِنِ الودادِ ، وساواه شُبابُهُم بالإِخْوَةِ ومشايخُهُم بالأولادِ ؛ وخلطوه بالفسِّ والمالِ ، وظهروا له في ابتداءِ أمرِهِ بقرائنِ الأحوالِ حسنُ المالِ ؛ فأصبحَ من عُدُولِ المصرِ ، وأمسى وهو من أعيانِ العصرِ ؛ فشكرَ عاقبةَ مسيرِهِ وَحَمِدَ صَبَاحَ سُرَاهِ ، وأجابَه لسانُ المضائلِ بالتَلْيِيَةِ لَمَّا دَعا ؛ ثم ارتحلَ الى الشامِ فجعلَ دِمَشْقَ مَقَرِّ وطنِهِ ، وموطنَ سَكْنِهِ ؛ ومحلَّ استِفادَتِهِ وإِفادَتِهِ ، ونهايةَ رحلتهِ وغَايَةَ إِرَادَتِهِ ؛ فعامله أهلُها بفوقِ ما في نَفْسِهِ ، فحمدَ يومَهُ بها على أَمْسِهِ ؛ وغدا لأهلِ المصرينِ شاكرًا ، ولِمَنَاقِبِهِمِ تالِيًا ولِحَاسِنِهِمِ ذَا كَرًا ؛ وله من الظَمِّ ما رَقَّتْ حَوَاشِيهِ ، وراقتِ معانيهِ ؛ ومن الثَرِّ ما عَدَّبَ وَصَفًا ، وَكَلَّ بلاغَةً ولطفًا ؛ وحسُنَ إعْجَازًا ، وتَنَاسَبَ صدورًا وأعْجَازًا ؛ وقد قَدَمْنَا من كلامِهِ في هذا الكتابِ ما بِأَسْمِهِ تَرْجَمَناه ، وَلِفَضَائِلِهِ نَسَبَناه ؛ مما تَقَفَ عليه في مواضِعِهِ ، وتَغَنَّى بِلِبانِ مَرَضِعِهِ ؛ فلنوردَ له
- ١٠
- ١٥

(١) انبت : اقطع ، أى اقطع عن الشواغل في طلب العلوم .

(٢) في الأصل : « بها » ، وهو مكرر مع ما بعده في الجملة الآتية .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل محرورا بالياء . والذى في كتب القواعد أن « هو » و « تحت »

٢٠ من الطروف غير المنصرفة بـ هـم بالياء . كما هنا غير سائع ، وأحاز بعض الحويز تصرفهما في نحو فوقك رأسك وتحثك رحلك رفع فوق وتحث على الابتداء ، والذى يحكاه الأحفش عن العرب في هذا المثال هو نصبهما .

في هذا الباب غير ما تقدم إيرادُه وما تأخر ، وتأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب
الأوفى والخطّ الأوفر .

فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستنفي بالله أمير المؤمنين
أبي الربيع سليمان ^(١) ملك اليمن — عمله تجربة لخاطره عند ما رُسم بمكاتبته ،
ابتدأه بأن قال :

أما بعد حمد الله مانح القلوب السليمة هداها ، ومرشد العقول إلى أمر معادها
ومبتدأها ، وموفق من آخاره إلى محجة صواب لا يضلّ سالكها ، ولا تُظلم عند
اختلاف الأمور العظام مسالكها ؛ وملهم من أصطفاه آفتاء آثار السنن النبوية ،
والعمل بموجب القواعد الشرعية ؛ والانتظام في سلك من طوّقه الخلافة عقودها ،
وأفاضت على سُدته الجليسة برودها ؛ وملكته أفاصي البلاد ، وناطت بأحكامه
السديدة أمور العباد ؛ وسارت تحت خوافق أعلامه أعلام الملوك الأكاسره ، وسرت ^(٢)
بأحكامه التيرة مناجح الدنيا ومصالح الآخرة ؛ وتجتزئ كل منبر من ذكره في ثوب من
السيادة مُعلم ، وتهلّت من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم ، بحمد أمير المؤمنين
على أن جعل أمور الخلافة ببنى العباس منوطه ، وجعلها كلمة باقية في عقيه إلى يوم

(١) في صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢٤ : أن المكتوب إليه هذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين
داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول ، وأن هذه الرسالة كتبت في دولة الملك الناصر محمد
ابن قلاوون في سنة سبع وسبعائة ، وذلك حين مع صاحب اليمن الهدية التي جرت العادة بارسالها إلى
الأبواب الشريفة بالديار المصرية .

(٢) في الأصل : « وسدت » بالذال ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام
بالنيرة ؛ وبعبارة صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢٤ : « وشيدت بأحكامه مناجح » الخ بدون كلمة « النيرة »
والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٣) كذا في صبح الأعشى ؛ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهملة من النقط .

القيامة مَحْطُوه ؛ وَيَصَلِّي عَلَى أَبْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَحْمَدُ اللَّهِ بِمَجْعَتِهِ مَا نَارُ مِنَ الْفَتَنِ ،
وَأَطْفَأَ بَرَسَاتِهِ مَا أَضْطَرَمَّ مِنْ نَارِ الْإِحْنِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ
حَمَّوْا حِمَى الْخِلَافَةِ فَذَادُوا عَنْ مَوَارِدِهَا ، وَتَجَهَّزُوا^(١) لِنَشِيدِ الْمَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ فَأَقَامُوهَا
عَلَى قَوَاعِيدِهَا ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الْغَدُوَّ وَالرَّوَاحَ ، مُتَّصِلًا أَوَّلًا بِطُرُقِ اللَّيْلِ وَآخِرُهَا بِجَمِينَ
الصَّبَاحِ ؛ هَذَا وَإِنْ الدِّينَ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْكَافَّةِ الْأَنْضَامَ إِلَى شِعْبِهِ ، وَأَطْلَعَ فِيهِ
شَمْسَ هِدَايَةِ تَشْرِيقٍ مِنْ مَشْرِقِهِ وَلَا تَغْرُبُ فِي غَرْبِهِ ؛ جَعَلَ اللَّهُ حُكْمَهُ بِأَمْرِنَا
مَنْوُطًا ، وَفِي سَلَكِ أَحْكَامِنَا مَخْرُوطًا ؛ وَقَلَّدَنَا مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ سَيْفِنَا طَالَ نَجَادُهُ ،
وَكَثُرَ أَعْوَانُهُ وَأَنْجَادُهُ ؛ وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أَمْرَ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلِإِ حَرَمِنَا تُجْبَى مِمْرَاتُهَا ،
وَبُرُقُهَا إِلَى دِيْوَانِنَا الْعَزِيزِ فِيهَا وَإِثْبَاتُهَا ؛ يَخْلَفُ الْأَسَدُ إِنْ مَضَى فِي غَايَةِ شِبْلِهِ ، وَيُلْقَى
فِي الْخُبْرِ وَالْخَبَرِ مِثْلَهُ ؛ وَلَمَّا أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا حِلَّةَ الْخِلَافَةِ ، وَجَعَلَ حَرَمًا الشَّرِيفَ مَحَلًّا
الرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ ؛ وَأَقْعَدَنَا عَلَى سُدَّةِ خِلَافَةِ طَالَمَا أَشْرَقَتْ بِالْخِلَافَةِ مِنْ آبَائِنَا ، وَأَبْتَهَجَتْ^(٢)
بِالسَّادَةِ الْغَطَارِيفِ مِنْ أَسْلَافِنَا ؛ وَأَلْبَسْنَا خُلْعَةً هِيَ مِنْ سَوَادِ السُّوَدِّ مُصْبُوغَةٌ ، وَمِنْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالَّذِي فِي صَبِيحِ الْأَعْيُنِ : « وَعَمِدُوا » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كُلِّمَا مِنَ الرَّوَايَتَيْنِ
وَالْتَّجَهُّزُ لِلْأَمْرِ : التَّيَّزُ لَهُ .

(٢) قَالَ فِي مُسْتَدْرَكَ (التَّاج) مَادَّةُ « حَرَطَ » فَقَالَ عَنْ شَيْخِهِ مَا صَحَّ : اسْتَعْمَلَ النَّاسُ كَثِيرًا الْإِنْخِرَاطَ
بِمَعْنَى الْإِنْضَامِ وَالِدَحُولِ ، كَالْخَطِّ فِي السَّلَاقِ إِذَا انْتَضَمَ فِيهِ وَقَدْ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْمَصْحَفِ الْفَتَاتُ مِنْ عِلَاسِ
اللِّسَانِ كَالسَّكَاكِ وَالزَّمْعَشْرَى وَأَصْرَابِهِمَا ، وَلَا يَكَادُ يَوْجَدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَفُصُوصِ أَهْلِ اللُّغَةِ مَا يُؤَيِّدُهُ
ثُمَّ رَأَيْتُ الشَّهَابَ وَقَعَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ، وَاصْكَنَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَعَ فِي حَامِغِ اللُّغَةِ لِأَنَّ عِبَادَ عَلَى قَوْلِهِمْ : خَرَطَتْ
الْجَوَاهِرُ ، جَمَعَتْهَا فِي الْخَرِيطَةِ ؛ قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ تَجَوَّزُوا بِهِ عَنْ جَعْلِهَا فِي الْعَقْدِ الْخ .

(٣) الْأَنْجَادُ : الشُّجْعَانُ الْمَاصُونَ فِيمَا يَعْجِزُ عَنْهُمْ ، وَاحِدُهُ : « مَجِيدٌ » بِفَتْحِ النُّونِ مَعَ كَسْرِ الْحِيمِ
وَضَمِّهَا وَزَانَ كَتَفَ وَرَجُلٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْعَصَارِيفُ » بِالْعَيْنِ وَالصَّادِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفُ ؛ وَالْغَطَارِيفُ مِنَ النَّاسِ :
أَشْرَافُهُمْ وَسَرَائِهِمْ .

سوادِ العيون وسويداواتِ القلوب مَصُوغُهُ ، وأمضينا على سُدَّتنا أمورَ الخاصِّ والعامِّ ،
وقلَّدنا أربابَ الكفاية كلَّ إقليمٍ من عملنا ممن تَصَلَّحُ سياستُهُ على الدوامِ ، وأسْتَكفينا
بالْكُفَّة من عمالنا على أعمالنا ، واتخذنا مصرَ دارٍ مُقامنا ، وبها سُدَّةُ مقامنا لما
كانت في هذا العصر قبةَ الإسلام ، وفِيئةُ الإمام ، وثانيةُ دارِ السلام ؛ تَعَيَّن علينا أن
تتصَفَّح جرائدِ عمالنا ، وتتأَمَّل نظامَ أعمالنا ؛ مكانا فكانا ، وزمانا فزمانا ؛ فنصَفَّحناها
فوجدنا قطرَ اليمن ، خاليا من ولايتنا في هذا الزمن ، والعادةُ مستمرةٌ بأن لم تزل نوابنا
في بلاد اليمن ؛ عَرَفْنَا هذا الأمرَ من آتخذناه للمالك الإسلامية عينا وقلبا ، وصدرا ولبا ؛
وفوضنا إليه أمرَ الممالك الإسلامية فقام فيها قياما أقعد الأضداد ، وأحسَّن في ترتيب
ممالكنا نهايةَ الإصدار وعنايةَ الإيراد ؛ وهو السلطان الأجلُّ السَيِّدُ الملكُ الناصر ، لا زالت
أسبابُ المصالح على يديه جارية ، وبحائبُ الإحسان من أفق راحتِه سارية ؛
فلم يُعَدَّ جوابا لما رسمناه ، ولا عذرا عما ذكرناه ؛ إلا تحييزَ شَرِذمةٍ من مجافله
المصوره ، ونعيينَ أناس من فوارسه المذكوره ؛ يقتحمون الأهوال ، ولا يعبأون

(١) وبيعة الامام : أي محل فيته ؛ والبيعة : الرجوع كالمى من فاء ، يفر إذا رجع ؛ يريد أن
مصر هي التي رجعت إليها الامامة العباسية ؛ وكان ذلك بعد سقوط بغداد في يد هولاكو ملك التتار في سنة
ست وخمسين وستائة كما في تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ٢٠٢ طبع القسطنطينية ، وكان رجوع الامامة العباسية
ثانيا في سنة سبع وخمسين وستائة على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — وهو الرابع من ملوك الترك
بالديار المصرية — وكان أول خليفة نايه الملك الظاهر هو الامام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله ، ولقب
بالمستنصر بالله ؛ ولم يقيم بمصر ، والذى أقام بها هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن علي بن أبي بكر ابن
الخليفة المستنصر بالله الملك الظاهر أيضا في سنة ستين وستائة وأسكته في مناظر الكباش التي أشأها الأمير
أحمد بن طولون ؛ والحاكم بأمر الله هذا هو حذ الخلفاء الذين تولوا الخلافة بمصر انظر بدائع الزهور
لابن عباس في حوادث سنة تسع وخمسين وستائة وستين وستائة .

(٢) في الأصل : «ووجدناها» ؛ والهاء زيادة من النسخ .

(٣) لم ترد هذه الجملة في صحيح الأعشى .

بتغيرات الأحوال ؛ يرون الموت مغنا إن صادفوه ، وشبا المهف مكسبا إن
 صافوه ؛ لا يشربون سوى الدماء مدامه ، ولا يلبسون غير التراك عمامه ؛
 ولا يعرفون طربا إلا ما أصدره صليل الحسام من غنا ، ولا يزلون فقرا إلا وأنبت
 ساعة نزولهم عن صموات خيلهم فنا ؛ ولما وثقنا منه بإنقاذهم راجعنا رأينا الشريف
 فاقضى أن نكتب من بسط يده في ممالكها ، وملك جميع ممالكها ؛ واتخذ أهلها
 خوولا ، وأبدى في خلال ديارها من عدم سياسته خلا ؛ فبرز مرسومنا الشريف
 النبوي أن نكتب من قعد على تحت مملكيتها ، وتصرف في جميع أمور دولتها ؛
 فطولع بأنه ولد السلطان المظفر يوسف بن عمر الذي له شبهة^(٣) تمسك بأذيال
 المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمه ، أو ما علم الفرق بين
 الأحياء والأموات ؟ أو ما تحقق الحال بين النفي والإثبات ؟ أصدرناها
 إلى الرحاب التعزية ، والمعاليم اليمنية ؛ تُشعر من تولى فيها فاستبد ، وتولى كبره
 فلم يعرج على أحد ؛ أن أمر اليمن ما برحت حكامنا ونوابنا تحكم فيه بالولاية
 الصحيحة ، والتفويضات التي هي غير جريحه ؛ وما زالت تمج إلى بت المال
 المعمور ما تمشى به الجمال وثيدا ، وتقذفه بطون الجوارى الى ظهور^(٨)

١٨

- (١) التراك جمع تريكة ، وهي بيضة الحديد التي تلبس على الرأس في الحرب .
- (٢) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل وضح الأعشى ح ٦ ص ٢٤ .
- (٣) كذا في صبح الأعشى ؛ والذي في الأصل : « سه » بسين مهملة وهامين ؛ وهو تحريف لامتني له .
- (٤) المستعصمية : نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، وهو الذي قتله هولاءكو ملك التتار في سنة ست وخمسين وستائة .
- (٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .
- (٦) في الأصل : « صريحة » وهو تحريف بقصد المعنى ؛ والتصويب عن صبح الأعشى ح ٦ ص ٢٤ .
- (٧) مشى مشيا وثيدا ، أى على تودة وأن ؛ يريد أن تغل ما تجمله هذه الجمال قل من حطوها .
- (٨) أراد بالجوارى : السفن .

١٥

٢٠

- (١) الِيعَمَلَات وليدا ، وتطالُعنا بأمر مصالحه ومفاسده ، وبحال معاهده ومقاصده ؛
ولك أسوةً بوالدك السلطان الملك المظفر ، هَلَا آفَقَيْتَ ما سَنَّه من آثاره ،
ونقلت ما دَوَّنَه أيدي الزمن من أخباره ؛ واتصل بمواقفنا الشريفة أمورٌ صدرت
منك : منها ^(٣) — وهى العظمى التى تَرَبَّت عليها ما تَرَبَّت — قطعُ الميرة عن البيت
الحرام ، وقد علمت أنه وإد غيرُ ذى زرع ، ولا يحلُّ لأحد أن يتطرق إليه بمنع ؛
وكفتك الآيةُ دليلاً على ما صنعت ، وبرهاناً على ما فعلت ؛ ومنها أنصبابك على تفرغ
مال بيت المال فى شراءٍ لهو الحديث ، ونقضُ العهود القديمة بما تبديده من حديث ؛
ومنها تعطيلُ أجياد المنابر من عقود آسَمِنا ، وخلوُ تلك الأما كن من أمرٍ عَقَدنا
وحَلَلنا ؛ ولو أَوْضَحْنا لك ما آتصل بنا من أمرك لَطال ، ولا آتسَعْتُ فيه [دائرة]
المقال ؛ رسمنا بها والسيفُ يودُّ لو سبق القلمَ حدّه ، والعلمُ المنصورُ يجب لو فات
القلمُ وأهترَ بتلك الروابي قُدّه ؛ والكاتبُ المنصورةُ تختار لو بدَّرتْ عنوانَ الكتاب
و[أهل] العزم والحزم يودُّون اليك إعمالَ الرِّكاب ؛ والحوارى المنشآت قد

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الافة النجيسة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ، وإنما هو اسم ، والباء فيه رائدة .

- (٢) عبارة صبح الأعشى : « وبحال دياره ومعاهده » .
(٣) فى الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .
(٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إني أسكنت من دريتي نواد غير ذى زرع) الخ الآية .
(٥) يقال : انصب البازى على الصيد إذا انقض عليه ، وماها مستعار منه .
(٦) فى الأصل : « فى سرى » ؛ وهو تحريف .
(٧) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ .
(٨) « لو بدرت عوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلاناً إلى الأمر وبادرته ، إذا سبقته إليه .
(٩) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى إذ بها يستقيم الكلام .

تَكُونُ من ليلٍ ونهارٍ، وَبَرَزَتْ كَصُورِ الْفِيلَةِ لِكُنْهَها عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَالْأَطْيَارِ،^(١)
وَمَا عَمَدُنَا إِلَى مَكَاتِبِكَ إِلَّا لِلْإِنْذَارِ، وَمَا جَنَحْنَا لِمُخَاطَبَتِكَ إِلَّا لِلْإِعْذَارِ؛ فَأَقْلِعْ عَمَّا^(٢)
أَنْتَ بِصَدْدِهِ مِنَ الْخِيَلِ وَالْإِعْجَابِ، وَاتَّعِظْ فِي سُلُوكِ مَنْ اسْتَخْلَفْنَاهُ عَلَى أَعْمَالِنَا
فَأَخَذَ بِمِيزَانِهِ مَا أُعْطِيَ مِنْ كِتَابٍ؛ وَضُنْ بِالطَّاعَةِ نَفُوسَ مَنْ زَعَمَتْ أَنَّهُمْ مُقِيمُونَ
تَحْتَ لَوَاءِ عِلْمِكَ، وَمُنْتَظَمُونَ فِي سُلُوكِ أَوْامِرِ كَلِمِكَ، وَدَاخِلُونَ تَحْتَ طَاعَةِ قَلَمِكَ؛
فَلَسْنَا نُنْشِئُ الْغَارَاتِ عَلَى مَنْ نَطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ لِسَانَهُ وَقَلْبُهُ، وَأَمْتَلِ أَوْامِرَ اللَّهِ
الْمُطَاعَةَ عَقْلَهُ وَلَبَّهُ؛ وَدَانَ اللَّهُ بِمَا يَجِبُ مِنَ الدِّيَانَةِ، وَتَقَلَّدَ عَقْدَ الصَّلَاحِ وَالتَّحَفِ
بِمُطَارَفِ الْأَمَانَةِ؛ وَلَسْنَا مَنْ يَأْمُرُ بِتَجْرِيدِ سَيْفِ الْإِلَهِ مِنْ عِلْمِنَا أَنَّهُ خَرَجَ عَنْ^(٣)
طَاعَتِنَا، وَرَفُضَ كِتَابَ اللَّهِ وَزَعَّ عَنْ مَبَايِعَتِنَا؛ [فَأَصْدَرْنَا] مَرْسُومَنَا هَذَا إِلَيْهِ^(٤)
يَقْصُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ حَالِنَا مَا أَطَالَ مَدَّةَ دَوْلَتِهِ، وَشَيْدَ قَوَاعِدَ صَوْلَتِهِ، وَيَسْتَدْعِي
مِنْهُ رَسُولَنَا إِلَى مَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ، وَرَحَابِ مَمَالِكِنَا الْمُنِيفَةِ؛ لِيُنِوبَ عَنْهُ فِي قَبُولِ
الْوِلَايَةِ مَتَابَ نَفْسِهِ، وَلِيَجْنِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَارَ شَفَقَاتِنَا إِنْ غَرَسَ شَجَرَ طَاعَتِنَا وَمِنْ
سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَجْنِيَ ثَمَارَ غَرَسِهِ؛ بَعْدَ أَنْ يُصَحِّبَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَمْوَالِ مَا كَثَرَ
قِيَمَةٌ وَخَفَّ حِمْلُهُ، وَتَعَالَى فِي الْقِيَمَةِ رَتَبَةٌ وَحُسْنٌ مِثْلًا؛ وَأَشْرُطَ عَلَى نَفْسِكَ فِي كُلِّ^(٥)
قِيَمَةٍ وَخَفَّ حِمْلُهُ، وَتَعَالَى فِي الْقِيَمَةِ رَتَبَةٌ وَحُسْنٌ مِثْلًا؛ وَأَشْرُطَ عَلَى نَفْسِكَ فِي كُلِّ^(٦)

١٥ (١) فِي الْأَصْلِ وَصَحَّ الْأَعْمَى: «الافيلة»؛ وَلَمْ يَجِدْ هَذَا الْجَمْعَ فَمَارَحَاهُ مِنْ كِتَابِ اللَّغَةِ، وَأُذَكِّرُهُ
ابْنَ السَّكَيْتِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «عَهْدًا» بِالْهَاءِ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) دَانَ اللَّهُ: أَيُّ اطَّاعَهُ، يُقَالُ: دَنَتْ دَنَتًا، وَهُوَ مِنَ الدَّيْسِ بِمَعْنَى الطَّاعَةِ (انظر اللسان).
وَقَالَ فِي الْأَسَاسِ: دَانُوهُ، أَيُّ اتَّهَادُوا لَهُ.

(٤) هَذِهِ الْبَاءُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ وَصَحَّ الْأَعْمَى؛ وَاللُّغَةُ تَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا.

(٥) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ صَبِيحِ الْأَعْمَى ج ٦ ص ٢٥٥؛ أَدَاهَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ.

(٦) تَعَالَى: أَرْتَفَعَ وَفِي الْحَكْمِ: كُلُّ مَا أَرْتَفَعَ فَقَدْ عَلَا وَتَعَالَى انْظُرْ تَاجَ الْعُرُوسِ. وَالَّذِي فِي صَبْحِ الْأَعْمَى:
«وَتَعَالَى» بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا.

(٧) عِبَارَةٌ صَبِيحِ الْأَعْمَى: «وَتَعَالَى رَتَبَةٌ». الْحَبْدُونُ قَوْلُهُ: «فِي الْقِيَمَةِ» وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا.

سنة قطيعة^(١) ترفعها الى بيت المال، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ؛ ورَّتب جيشاً مقيماً تحت لواء علم السلطان الأجلَّ الملكِ الناصرٍ للاقاء العدوِّ المخذولِ التتار، ألحق الله أولهم بالهلاك وآخريهم بالبوار؛ وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة، وتواريح سيرهم المذكورة ؛ وأحترض^(٢) على أن ينخصك من هذا المشرب السائح أوفى نصيب، و [أن تكون]^(٣) ممن جهز جيشاً في سبيل الله فرمى بسهم فله أجرٌ .

كان مصيباً أو غير مصيب ؛ ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملاً أهلةً أعلامنا المنصورة، شاكرًا برَّ موافقنا المبرورة ؛ وإن أبى حالك إلا أن آسمرت على غيِّك، وآسمرت مرعى بغيِّك ؛ فقد منعناك التصرف في البلاد، والنظر في أحكام العباد ؛ حتى تطأ خيلنا العتائق مشمخزات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ؛ ونمسي لموادى قلاعك عقوداً، ولعرائس حصونك نهوداً ؛ وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ؛ فلا تكن كالصغير تزيد كثرة التحريك نوماً، ولا ممن غره الإمهال يوماً فيوماً ؛ وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موثقاً إن شاء الله تعالى ؛ والحمد لله وحده .

(١) القطيعة : الصرية والوظيفة .

(٢) يقال : احترض واحرص ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) الكلمة عن صحيح الأئشي ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور في كتب اللغة أن الحال تذكر كما هنا وتؤنث ، فيقال : حال حسن ، وحال حسنة

(المصباح) .

(٥) حدس : طن ظناً مؤكداً ، « المصباح » والمراد بالحدس هنا : اليقين . كما يستعمل الظن في معبر

اليقين أيضاً كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

❶

ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية وأقام بالكرك^(١) - وكتب له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفر ركن الدين، فلم يمكن الكاتب الإطنا ب، ولا وسعته غير الاختصار^(٢)، فلم يرضه الكتاب، وعمل جماعة منهم في ذلك تجربة لخواطهم ولم يكتب بشيء منها فعمل هو - :

- ٥ الحمد لله مدبر الأمر على ما يشاء في عبادته، ومنقل الحلال على حكم اختياره ووفق مراده، ومجرب أسباب الممالك على يد من اختاره من عبادته لإصدار الأمر وإيراده، ومحبيب من أصبح قاصداً بابه الشريف والزهادة فيما حوله من اعتقاده، ومعز من أضحى له من حقونا ركن^(٣) استند إليه الدهر في استناده، يلبي دعوة مرأه حيث كان من بلاده، ويحب داعي نداه وإن بعد فيكون أقرب من سره إلى فؤاده؛ يذب عن حوزة نسائه ببيض مرهفاته وسمير صغاده، ويحي بيضة جاهه بالغلب من أشياعه والجرد من جياده؛ نحمده على أن جعل مؤالناً لهذا البيت الشريف المنصوريّ تستديم عهوده، وتلتحف من المحافظة على مراضيه الشريفة في كل حال بروده؛ وترد من القيام بواجب حقه أعذب منل سرعه الصفاء وسننه، وأكد مؤالاته أوفاء وحسن أوفاء من شعار أهل السنة؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترنغ أعلام الهدى بكلمها، ونحمد نار الشرك بنور هداية
- ١٥

(١) الكرك بنح الكاف والراء كما ذكره ياقوت: اسم لقلة حصية جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القزم والبيت المقدس، وهي على سن جل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الرض.

(٢) في الأصل: «عن»؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «جقونا» بالميم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا. والمراد بالحقو ها: الحباب الذي يستجار به ويلتجأ إليه، وهو مجاز، والعرب تقول: عدت بحقوه إذا عدت به لينحك قال الشاعر:

سماع الله والعلماء أنى * أعوذ بحقو حالك يابن عمرو

٢٠

- عَلَيْهَا وَعَلَيْهَا ، وَتُظَهَّرُ أَدِيمَ الْبَسِيطَةِ مِنْ أَرْجَاسِ الْكُفْرَةِ بِالْحَدِيثَيْنِ مِنْ غَرَبِيٍّ^(١)
صَمَامِهَا وَقَلْبِهَا ، وَتُرَوَّى كُلُّ قُطْرٍ أَصْبَحَ مَاحِلًا مِنْ قُطْرَى عَدْلًا وَنَعِيمًا ؛ وَنَشْهَدُ
أَنْ مَجْدَ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي كَانَتْ الزَّهَادَةُ مَلَاكَ أَمْرِهِ وَ [الْمَلُوكُ]^(٢) تَحْتَ وَطْأَةِ
أَقْدَامِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَحْفَوْنَهُ مِنْ حَوْلِهِ وَمِنْ أَمَامِهِ ، وَمَعَادُنُ الذَّهَبِ تُعَرِّضُ عَلَيْهِ
فِي سَائِرِ لَدِيهِ لَزَاهَدَتِهِ بَيْنَ نُصَارِهِ وَرَغَامِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً
تُحَاكِ أَرْجَ الصَّبَا وَقَدْ سَرَى عَنْ خَزَامِهِ ، وَتُضَاهِي قَتِيقَ الْمَسْكِ وَقَدْ تَنَفَّسَ عَنْ
خَتَامِهِ ، مَشْفُوعَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِرُضْوَانِهِ وَسَلَامِهِ ؛ وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ
الْمَقَامُ الْعَالِي الْمَلَكِيُّ الْغَلَانِيُّ هُوَ الَّذِي رَبَّتْهُ الْمَالِكُ فِي حَجَرِهَا وَلِيدًا ، وَخَوَّلَتْهُ السُّلْطَنَةُ
الشَّرِيفَةُ مِنْ نَفَائِسِ ذَخَائِرِهَا طَارِفًا وَتَلِيدًا ؛ وَبَوَّأَتْهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ أَفْصَى غَايَةِ
لَا تَرَامُ ، وَأَبَادَتْ بِمَرْهَفَةِ الْبِتَّارِ جَمَعَ التَّارِ الطَّغَامَ ؛ وَاسْتَعْدَمَتْ لَطَاعَتَهُ جَيْشَيْنِ :
جَيْشَ نَهَارٍ بَكَرَ فِيهِ مَوَالِيَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ بِسَائِقِ خَيْلِهِ وَمَرْهَفِ حَسَامِهِ ، وَجَيْشَ لَيْلٍ
تَبَسَّطَ أَوْلِيَاءُ دَوْلَتِهِ أَكْفَهُمُ لِلدَّعَاءِ بِبَقَائِهِ فِي جَنَحِ ظِلَامِهِ ؛ طَالَمَا هَزَّتِ الْمَنَابِرُ
أَعْطَافَهَا طَرَبًا عِنْدَ ذِكْرِ أَسْمِهِ ، وَأَزْدَادَاتِ وَسَامَةِ الدِّينَارِ حُسْنًا لَمَّا شَرَفَهَا بِحَسَنِ

(١) فِي الْأَصْلِ : «عَزَى» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا .

(٣) لَعَلَّهُ : «مَنْ خَلَعَهُ» كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مَقَابِلَتُهُ بِالْأَمَامِ .

(٤) يَرِيدُ بِالْحِزَامِ : الْخُرَامِ ، وَانْمَا أَسْقَطَ الْأَلْفَ لِمُرُورِهِ السَّجْعِ الَّذِي التَّرْمَةُ فِي هَذَا التَّقْلِيدِ ؛

أَوَّلَمَلِ الْحِزَامِ بِدُونِ الْأَلْفِ لَعْنَةً فِي «الْخُرَامِ» ، وَلَمْ تَجِدْهُ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِيَا مَنْ كَتَبَ اللُّغَةَ غَيْرَ كِتَابِ أَقْرَبِ

الْمَوَارِدِ وَالْخُرَامِ : حَبْرَى الْبَرْ وَهِيَ عَشْبَةٌ طَوِيلَةُ الْعِيدَانِ ، صَغِيرَةُ الْوَرَقِ ، حَمْرَاءُ الزَّهْرَةِ ، طَيِّبَةُ الرَّيْحِ ،

لَهَا بَوْرُكُنُورُ الْبَنْتَسَجِ ؛ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَلَمْ نَجِدْ مِنَ الزَّهْرِ زَهْرَةً أَطْيَبَ نَفْثَةً مِنَ نَفْثَةِ الْخُرَامِ ؛ وَوَاحِدُ

الْخُرَامِ خُرَامَةٌ .

(٥) الْفَتِيقُ — هَبِيلٌ بِمَعْنَى مَعْمُولٌ ، مِنْ فَتَقَتِ الْمَسْكَ بِغَيْرِهِ : إِذَا اسْتَخْرَحْتَ رَأْسَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ

تَدَحَّلَ عَلَيْهِ .

وسميه ورنميه ؛ وتلت أوصاف بأسه السنة خرصانه ^(١) ، ورجعت سوابق الهمم عن
التطاول للطاولة في ميدانه ، وقالت فوارس الحروب لما رأت كره : هذا سباق
لسنا من رهانه ؛ كم فرق يجيشه اللهم جيشا أرمَدَ جفنَ الشمس بقتامه ، ونصر
الأحزاب يوم الكريهة بالعاديات من خيله والمرسلات من سهامه ، فالدهر يشكر
مواقف إقدامه ، والعدل ينشر منشور فضله وسديد أحكامه ؛ والممالك تُثنى على
عليائه بالسداد ، والممالك تُهدى لسالكها ما خصها به من أمنها المعتاد ؛ والناس
في ظل عدل لياليه [حُلَّتْ ^(٢)] كما شاءوا أسحارا ، والوحش والغنم كل منهما قد جعل
صاحبه جارا ؛ ومواطن العلوم أُمست تطرز بحاسن أوصافه ، وحكام الشرع
الجليل أضحت تُميس في حلل عدله وإنصافه ؛ والأماكن التي تشد لها الرحال يفتّر
نفرها عن عدله ، والمشاعر المعظمة قد حُمى حوزتها بالسهم من نصله والشهم من
رجله ؛ تنقل في مراتب الملك صغيرا الى أن آشتد بالعزم القوى كاهله ، وأستوطن
ربع العزم مذكنا يحتل بدوره ويحتليه عقائله ؛ فلم تبق له مآربة إلا قضائها ،
ولا حالة إلا ابتلاها ، ولا غمة إلا جلاها ، ولا آية شكر إلا تلاها ؛ الى أن قع بحذ

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وصحها ، وهو سان الرح .

(٢) اللهم : الجيش الكثير ، كأنه يلهم كل شئ .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب في قوله « أسحارا » ،
وينصبه يتم السجع الذي التزمه الكاتب في هذا التقليد ؛ وقد استسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده
في بعض رسائل القاضي العاضل إذ قال : واليالي التي طالت فكأنم خلقت جميعها أسحارا انظر صمعة ٢٠
سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عديبويه للراحل ، وهو ضد الزاك .

سيفه كلُّ مجترى، وقال للسحابة كما قيل : أمطري؛ رأى أن المواردَ الدنيوية لا بد لها من مصادر، وأن أوائل الأمور تستدعي الأواخر، وأن للزهادة في الدنيا وإن عظم قدرها الشأن الكبير، وأن الانقطاع إلى الله تعالى منهلٌ صفو لا يقبل شوائب التكدير؛ وقوى عزيمته في الرحلة عن مقر ملكه إلى أعز حصونه المنيعه، بل إلى أجل معافله الشاخنة الرفيعه؛ فاصدا بها الآنفراد، عالما بأن الله يطلع على خفيات الفؤاد؛ فرحل ركابه العالى ونظام المملكة من حُسن الهيئة قائم على ساق، وقلوب كقال الممالك الشريفة متفقة على الاتفاق؛ وانقا بأن للملك من أولياء بيته الشريف كلٌّ ولى عهد لا تخفى لديه الذم، وكلُّ سلطان أفي تَضُول دون عزيمه المزمع؛ ينجي بيضة خدره من كل متناول إليها، ويقصر أسباب الحرص من كل شان^(١) عليها؛ واختار الآنفراد، وتيقن أنا لا نعدل عما أراد؛ ونصب عمداً خيامه الشريفة على سفح روض الكرك الضمر، وحل منه رأس شاهمة نبها خضر؛ ورغب في الزهادة وشعارها، وأستوت عنده الدنيا في حالتها وإقبالها وإدبارها؛ فافتضى اعتناؤنا الشريف أن نبلغه من مآربه الشريفة أقصى المرام، وأن نساعد في كل أمر يعرف منه الموافقة منا على الدوام؛ وأن ننظم الأمر في سلك الإرادة على مراده، وأن نبادر إلى راحة سره الشريف وفؤاده؛ ولسوف نعامل مقامه العالى بكل احترام يصل

(١) يشير بهذه العبارة إلى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى صحابة يسير في الأفق ملأى بالمطر فقال :

امطري حيث شئت فإن ما تنبتنه سيحى الينا . يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تجاوزها السحابة مهما أبعدت في المسير .

(٢) رأى : جواب لل سابقة في قوله : « لما كان المقام العالى » الخ .

(٣) المراد بالأفق ها : الناحية من الأرض ، وتضم فاؤه وتسكن .

(٤) الشأن تشديد النون : اسم فاعل من تن العارة على القوم إذا صلبا عليهم من كل وجه .

(٥) في الأصل : « واستهوت » ؛ والهاء زيادة من التامع .

إليه تفصيلاً وإجمالاً ، وزاعى معه أدب أسلافه الكرام حالا خالاً ، وإباً لا نخليه من تجهيز مثال يتضمّن من محاسنه سبراً وأمثالا ، ولولا عرف السلطنة ونظام المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزنا إلى بابهِ الشريف مثالا ، فلذلك خرج الأمر الشريف بكذا وكذا .

هذا ما اتفق إيرادُهُ في هذا الفصل من رسائل الكتاب ، وكتاب العصر — أعزّهم الله تعالى — كثير ، وكلامهم مشهور ، ومدونٌ بأيدي الناس ومحفوظٌ في صدورهم ، ولم نشتِطْ أن نورد لجميعهم فلتتم الشرط ، ولو فعلنا ذلك لطلال الكتاب وخرج عن شرطه ، وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلّقنا بهم ، وأصل سببنا في الوداد بسببهم .

١٠ ذكر شيء من الأبيات الداخلة في هذا الباب^(١)

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إني لعظيم تشوّق * وشديد وجدى واكتئابى
أصبحتُ أحسّد من يفو * ز بقربكم حتى كُلابى

وقال آخر :

وما تأخّر كُنتي عنك من ملل * طوبى لؤدك يابن السادة الثّجب^(٢)
لكن حسدتُ كلابى أن يراك وما * أراك فاخترتُ إمساكى عن الكتُب

(١) المراد بالبابها : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها في السمر السابع من هذا الكتاب

ص ٢١٣ إذ قال : « وأما الرسائل الإخوانية وما يجدد من الأودرو يطراً من الحوادث » .

(٢) طوبى وزان فعل ، من الطيب ، كأن أصله طيبى بضم الطاء مقلّبوا الياء واوا للضمّة قلّها .

(١) [وقال آخر :

عَقْتُ الرِّسَالِ طامعا أَن نَلْتَقِ * فَأَبَى الزَّمَانُ يُبَيِّحَ لِي مَا أَطْلُبُ
وَتَأَخَّرْتُ كُتُبِي فَقُلْتُ أَعَاتَبُ * فِي ذَلِكَ أَنْتَ عَلَى أُمِّ مَتَعَبٍ^(٢)
فَإِذَا وَجَدْتُكَ فِي الضَّمِيرِ مَثَلًا * أَبْدَا تَسَاجِينِي إِلَى مَنْ أَكْتُبُ^(٣)

وقال آخر :

الْكُتُبُ تُكْتَبُ لِلْبَعِيدِ * مَدَّ وَانْتَ مِنْ قَلْبِي قَرِيبِ
فَإِذَا وَجَدْتُكَ فِي الْفُؤَادِ * دَفَنْ أَكْتُبُ أَوْ أَجِيبُ

وقال آخر :

لَوْ أَنَّ كُتُبِي بِقَدْرِ الشَّوْقِ وَاصِلَةٌ * كَانَتْ إِلَيْكَ مَعَ الْأَنْفَاسِ تَتَّصِلُ
لَكُنْتِي وَالَّذِي يَبْقِيكَ لِي أَبْدَا * عَلَى جَمِيلِ اعْتِقَادِي فِيكَ أَتَكَلُّ

وقال آخر :

وَفِي الْكُتُبِ نَجْوَى مَنْ يَعْزِلُ لِقَاؤَهُ * وَتَقَرِّبُ مَنْ لَمْ يَدُنْ مِنْهُ مَرَارُ
فَلِمَ تُخْلِي مِنْهَا وَتَعْلَمُ أَنَّهَا^(٤) * لَعِينِي وَقَلْبِي قُورَةً وَقَرَارُ^(٥)

وقال آخر :

سَأَلْتُكَ عَوْدَتِي بِكُتُبِكَ إِنْ لِي * شَيَاطِينُ شَوْقٍ لَا تَفَارِقُ مَضْجَعِي
إِذَا اسْتَرَقَتْ أَسْرَارَ فِكْرِي تَمَرُّدًا * بَعَثْتَ إِلَيْهَا فِي الدُّجَى شُهْبًا أَدْمَعِي

(١) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٢) التَّعَبُ : التَّجَنُّ ، يقال : تَعَبَ عَلَيْهِ وَتَحَنَّى عَلَيْهِ ، كَلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٣) ورد هذا البيت في صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ

والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل في الأصل بخذف الياء ، ولا يرى مقتضيا لجزمه غير ضرورة الوزن ، أولعله :

« فلا تخلي » واذن فهو مجرور بلا الناهية .

(٥) في الأصل : « أني » ؛ والسياق يقتضي الهاء كما أثبتنا .

وقال آخر :

أَتَجَلَّ بِالْقِرَاطِيسَ وَالْخَطَّ عَنْ أُنْجٍ * وَكَفَّاكَ أُنْدَى بِالْعَطَايَا مِنَ الْمَزِينِ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَوَّى جَفَاؤُكَ ظَنِّي * وَأَوْهَنَ تَأْمِيلٍ وَمَا كَانَ ذَا وَهْنٍ

وقال آخر :

أَظُنُّ الْقِرَاطِيسَ فِي مَصْرُكُم * تَحْشَوْنَهَا رَيْبُ دَهْرٍ خَوْوَنٍ
فَلَوْ أَنَّهَا صَفْحَاتُ الْخُلْدِ * دُمُكْتُبَ فِيهَا بَمَاءُ الْجَفْوَنِ
لَمَا أَعَوَزْتُكَ وَلَكِنْ جَفَوْتُ * فَالْقَيْتَ شَأْنِي خِلَالَ الشُّؤُونِ



وقال المتنبي في جواب كتاب وَرَدَّ عَلَيْهِ :

بِكُتُبِ الْأُنَامِ كِتَابٌ^(١) وَرَدَ * فَدَتَّ يَدَ كَاتِبِهِ كُلَّ يَدٍ
يَعْبَرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا * وَيَذْكُرُ مِنْ شِسْوَاقِهِ مَا نَجِدُ

وقال أبو الفتح البُستِيُّ :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابُكَ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ * عَنْ كُلِّ فَضْلٍ وَبَرٍّ غَيْرٍ مَحْدُودِ
حَكَّتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أُسْطَرِهِ * أَنَارَكَ الْبَيْضُ فِي أَحْوَالِ السُّودِ

وقال آخر :

طَلَعَ الْفَجْرُ مِنْ كِتَابِكَ عِنْدِي * فَمَتَّى بِاللِّقَاءِ يَبْدُو الصَّبَاحُ

وقال آخر :

وَلَمَّا أَتَانِي بَعْدَ هَجْرِ كِتَابِكُمْ * وَفِيهِ شِفَاءُ الْوَالِدِ الدَّنِفِ الْمُضْنِيِّ
سُرِرْتُ بِهِ حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ * كِتَابِي وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ بِيَدِي الْيَمْنِيِّ

(١) قوله : « كِتَاب » بالرفع على الابتداء ، أى كِتَابٌ وَرَدَ مَفْدًى كِتَابُ الْخَطِّ وَيَعُوزُ أَنْ يَقْرَأَ

بِالنَّصَبِ عَلَى الْمَفْعُولَةِ ، أى أَمَدَى بِكُتُبِ الْأُنَامِ كِتَابًا ، وَقَدْ جَوَّزَ الْعَصْكَرِيُّ الْوَجْهَيْنِ عِنْدَ شَرْحِهِ لِقَوْلِ الْمُنْتَبِي

أَيْضًا : * بِأَيِّ الشُّعُوسِ الْجَالِحَاتِ غَوَارِبًا *

انظر شرحه لديوان المتنبي ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسى الفداء لغائب عن ناظرى * ومحله فى القلب دون حجابيه
لولا تمتع . تلتى بلفائه * لوهبتها لمبشرى بكتابه

وقال آخر :

ورث الكتاب مبشرا * نفسى بأوقات السرور ^(١)
وفضضته فوجدته * ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والحدو ^(٢) * د البيض زينت بالشعور
أنزله . ه منى بم . ن زلة القلوب من الصدور
وقال آخر فى كتاب عديم فلم يصل إليه :

١٠ بُنْتُ أَنْ كُتِبَا * أُرْسَلَتْهُ مَعَ رَسُولٍ
مَلَأَتْهُ مِنْكَ طَبِيبَا * فِضَاعٌ قَبْلَ الْوَصُولِ
ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به . ويحتاج الكاتب إلى معرفته
والإطلاع عليه المحجة البالغة والأجوبة الدامغة .

١٥ فَمِنْ ذَلِكَ فِي التَّنْزِيلِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ^(٣) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .
وقوله تعالى : ﴿ ائْتَحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنًى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فجعل منه الزوجين الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ .

وقال تعالى في الدلالة على إثبات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يُعرف في قريش بالصادق الأمين

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” يا معشر قريش لو قلت لكم إن خيلاً تطلع عليكم من هذا الجبل كتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، قال :

(١) روايته في صحيح البخاري من طريق يوسف بن موسى : أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكرم تصدق ؟ الخ ورواية أخرى من طريق محمد بن سلام : أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكرم تصدقوني ؟ الخ وحذف بن الزرع من قوله : تصدقوني تخفيها ؛ ويروي تصدقوني بإثباتها انظر ارشاد الساري ج ٩ ص ٢٩٥ طبع الأستانة .

”فلما نذيرُكم بين يدي عذابٍ شديدٍ“ فلما أقروا بصدقه خاطبهم بالإندار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه جميعٌ من الكتاب والسنة لا جواب عنها

ولما انتهى إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم السقيفة أن الأنصار قالت : منا أميرٌ ومنكم أمير ؛ قال علي : فهلا أحتججتهم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يُحسن إلى محسنهم ، ويُجاوز عن مسيئهم ؛ قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم .

ولما قال الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ فِي يَوْمِ السَّقِيْفَةِ أَيْضًا : أَنَا جُدِيلُهَا الْمُحَكَّمُ ^(١) وَعَدِيْقُهَا الْمُرْجَبُ ^(٢) ، إِن شِئْتُمْ كَرَرْنَاهَا جَدْعَةً ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَإِنْ عَمِلَ الْمُهَاجِرِيُّ شَيْئًا فِي الْأَنْصَارِيِّ رَدَّهُ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَإِنْ عَمِلَ الْأَنْصَارِيُّ شَيْئًا فِي الْمُهَاجِرِيِّ رَدَّهُ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرِيُّ ؛ أَرَادَ عَمْرُ الْكَلَامِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَلَى رِسَالِكَ ^(٤) ، ١٠
نَحْنُ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ حَسَبًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً ^(٥) فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسُهُمْ رَحِمًا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ

(١) الحليل : تصغير حذل بكسر الجيم قال يعقوب : عن الجذيل هنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فنشئ به ، أى قد جرى تنقّى الأمور ، ولما رأى وعلم يشئ بهما كما تشئ هذه الإبل الجربى بهذا الجذيل ؛ وصعره على جهة المدح .

(٢) العذيق : تصغير تعظيم للعذق بالفتح ، وهو النحلة . والمرج : من الترجيب ، وهو أن تدغم النحلة من جانب لينعها ذلك من السقوط ؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب ها بـنى التعظيم .

(٣) قال في اللسان : اذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : ان شئتم أعدناها حدة : أى أول ما يبتدأ فيها اه .

(٤) الرسل : التؤدة ، يقال : على رسلك ، أى اتد ، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا في الأصل وعبود الأَخْرَاج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية ، يريد بهذه العبارة أنهم أكثر عددًا وأعز رسلًا ؛ وبمقتل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أباؤهم في قبائل العرب أكثر من سواهم ، أى أن اتصالهم بالعرب أوثق ، وأشياءهم من القبائل أكثر .

عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، وأتمم إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفى ، وأنصارنا على العدو ، وأبائكم وواسيتكم ، بخزائنكم الله خيرا ، نحن
الأمراء وأتم الوزراء ، لا تدن العرب إلا لهذا الحى من قريش . قالوا : قد
رضينا وسلمنا .

قال بعض اليهود لعللى رضى الله عنه : ما دفتكم نبيكم حتى آخلفتم ؛ فقال : إنما
آخلفنا عليه لا فيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلم لنبيكم : ﴿ أَجْعَلْ
لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ .

وقال حاطب بن أبى بلتعة : لما بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك
الإسكندرية بكتابيه ، أتته وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب الى صاحبك
يسألنى أن أتبعه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعو الله فيسلط على البحر
فيغرقى فيكتفى مؤنتى ، وأخذ ملكى ؟ قلت : ما منع عيسى عليه السلام إذ أخذته
اليهود فربطوه فى جبل ، وحلقوا وسط رأسه ، وجعلوا عليه إكليلا من شوك ، وحملوا
خشبته التى صلبوه عليها على عاتقه ، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة
ثم طعنوه حيا بحربة حتى مات — على زعمكم — فما منعه أن يدعو الله فينجيه
ويهلكهم ، ويكتفى مؤنتهم ، ويظهر هو وأصحابه عليهم ؟ وما منع يحيى بن
زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله فقتله وبعث برأسه الها حتى وضع
بين يديها أن يسأل الله أن يحياه ويهلكهم ؟ فأقبل على جلسائه وقال : والله إنه
لحكيم ، وما تخرج الحكيم إلا من عند الحكماء .

(١) كذا فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ والذى فى الأصل : « وى » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « ما دفتكم » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق خلافة قرابته أم غيره ؟ لا فيه : أى لا فى صدق رسالته .

وخطب معاوية بن أبي سفيان ذات يوم وقال : إن الله تعالى يقول :
 ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ فما نلام نحن ؛ فقام
 إليه الأحنف بن قيس فقال له : يا معاوية ، إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله ،
 وإنما نلومك على ما آثرك الله [به] علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونَه .
 (١) (٢)

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أحقّ قومك حين ملكوا عليهم امرأة !
 قال : قومك أشدّ حماقة إذ قالوا : "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ
 عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" أفلا قالوا : اهدنا له .

وقيل : مرّت امرأة من العرب يجلس من مجلس بني ثُمير ، فرماها جماعة منهم
 بأبصارهم ، فوقفت ثم قالت : يا بني ثُمير ، لأمر الله تعالى أطعتم ، ولا قول الشاعر
 سمعتم ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ﴾
 وقال الشاعر :
 (٣)

فَغَضَّ الطرفَ إلك من ثُمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما اجتمع منهم بعد ذلك آثان في مجلس .

وقيل : استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من أهله على الطائف ، فظلم رجلا
 من أزد شنوءة ، فأتى الأزدى عتبة فقال :

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم * فقد أنا كم غريب الدار مظلوم

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٢) في الأصل : « عليك » ؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير ؛ والبيت من قصيدته له يهجو الراعي الثميري انظر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة

ثم ذكر ظلامته ، فقال عُتْبَةُ : إِنِّي أَرَى أَعْرَابِيًّا جَافِيًا ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُكَ تَدْرِي
كَمْ تَصَلَّى فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ فَقَالَ : إِنْ أَنْبَأْتُكَ ذَلِكَ تَجْعَلُ لِي عَلَيْكَ مَسْأَلَةً ؟ قَالَ :
نَعَمْ ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

إِنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ * ثُمَّ ثَلَاثٌ بَعْدَهَا أَرْبَعٌ

* ثُمَّ صَلَاةُ الْفَجْرِ لَا تُضَيِّعُ *

قَالَ : صَدَقْتَ فَاسْأَلْ ؛ فَقَالَ : كَمْ قَرَأْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ؛ قَالَ : أَتَحْكُمُ
بَيْنَ النَّاسِ وَأَنْتَ تَجْهَلُ هَذَا مِنْ نَفْسِكَ ؟ فَأَصْرَ بَرْدٌ ظَلَامَتِهِ عَلَيْهِ .

وَقَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي : بَلَّغْنِي أَنْتَ تَشْبِهُ لِإِبْلِيسَ
فِي قَبْحِ وَجْهِكَ ؛ قَالَ : وَمَا يَكْرَهُ الْأَمِيرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَيِّدُ الْإِنْسَانِ يُشَبِّهُ سَيِّدَ الْحَقِّ ؟ .

وَقَالَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَيْ قَتَلْتُ شَيْئًا ؛ قَالَ : اخْتَرْتُ أَنْتَ فَإِنَّ
الْفَصَاصَ أَمَامَكَ .

وَحَكَى أَنَّ حُوَيْطَ بْنَ عَبْدِ الْعَزَى بَلَغَ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ ، سَتِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَسَتِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا وَلَّى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْمَدِينَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ حُوَيْطٌ ، فَقَالَ لَهُ
مَرْوَانُ : لَقَدْ تَأَخَّرَ إِسْلَامُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَتَّى سَبَقَكَ الْأَحْدَاثُ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ

(١) قَالَ الْمُبَرِّدُ : أَنَّهُ الْعَاصِي بِالْيَاءِ لَا يَحُوزُ حَذْفَهَا ، وَقَدْ لَحِثَ الْعَامَّةُ بِحَذْفِهَا . قَالَ الْحَاسِ : هَذَا خِلَافُ
جَمِيعِ الْحَاةِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَوَصِّةِ وَيَحُوزُ فِيهِ إِثْبَاتُ الْيَاءِ وَحَذْفُهَا مُسْتَدْرَكُ النَّاحِ مَادَّةُ «عَصَى» .
(٢) فِي الْأَصْلِ : «حُوَيْطٌ» بِالْهَاءِ الْمَعْمُومَةِ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ «وَحُوَيْطٌ» وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْقَامُوسِ وَنَحْوِهِ .
وَهُوَ حُوَيْطُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ ، رَجُلٌ نَسَبُهُ إِلَى غَامِرِ بْنِ لُؤَى ؛ وَيَكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ؛ وَأَسْلَمَ
يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ؛ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَنَحْمِيسٍ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ . كَتَبَ الطُّلُقَاتُ الْكَبِيرُ لِابْنِ سَعْدٍ ج ٥
ص ٣٣٥ طَبْعَ لَيْدَن .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «تَعَنَّتْ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .
(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَطْمُوسَةٌ الْحُرُوفُ تُعَدُّ رَفْرَفَاتِهَا ؛ وَقَدْ أُنْتَهَا عَنْ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢
ص ١١٧ طَبْعُ الْمَطْبَعَةِ الشَّرِيفَةِ بِمَكَّةَ .

بالإسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاني ، ويقول : أتدع دين آباءك^(٢) [لدين محدث] ؟ ! أما أخبرك عثمان ما كان قد لقي من أبيك حين أسلم .

وقيل : لما ظفر الحجاج بأبن الأشعث وأصحابه أمر بضرب أعناقهم ، حتى أتى على رجل من تميم ، فقال التيمي : أيها الأمير ، والله لئن أسأنا في الذنب ما أحسنت في العقوبة ؛ فقال الحجاج : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاكُ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ فوالله ما مننت ولا فاديت ؛ فقال الحجاج : أف لهذه الحيف ، أما كان منهم من يُحسن مثل هذا ؟ وأمر بإطلاق من بقى وعفا عنهم .

وحكى أن الرشيد سأل موسى بن جعفر فقال : لم قلت لآنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجوزتم للناس أن ينسبوكم اليه ويقولوا : يا [بنى] نبي الله وأتم

(١) في الأصل : « به » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، وانظر العقد الفريد .

(٢) في الأصل : « امامك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٧ طبع المطبعة الشريفة .

(٤) في الأصل : « أمرنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تدل عليه مقابلته بقوله :

ما أحسنت .

(٥) في الأصل : « لما أحسنت » واللام زيادة من الباسم فان الجملة جواب للقسم السابق وليس

جوابا للشرط لتقدم القسم عليه ؛ وفي كتب القواعد أن جواب القسم إذا سئ « بما » لم يقترن باللام وما

ورد من اقترابه بها شاذ لا يقاس عليه ، ومنه قول الشاعر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الورى * لئن غبت عن عيني لما عبت عن قلبي

انظر حاشية الصبان ح ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

(٦) يقال : فاديته . ناداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) في الأصل : « ان » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ ولا يستقيم الكلام بدونها ، ويرشد إليها قوله بعد : « وأنتم بو » الخ .

بنو علي، وانما يُنسب الرجل إلى أبيه دون جدّه؛ فقراً: ^(١) ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
وَإِلْيَاسَ﴾ وليس لعيسى أب، وانما لحق بذرية الأنبياء من قبيل أمّه؛ وكذلك أُلحقنا
بذرية الرسول صلى الله عليه وسلم من قبيل أمتنا فاطمة — عليها السلام — وأز يدك
يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ
تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولم يدع صلى الله عليه وسلم في مباهلة البصري غير فاطمة
والحسن والحسين، وهما الأبناء ^(٣) ^(٤).

قيل: لما ولي يحيى بن أكرم قضاء البصرة استصغر الناس سنّه، فقال له
رجل: كم سن القاضي — أعزّه الله —؟ فقال: سنّ عتاب بن أسيد حين ولّاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء مَكّة. بفعل جوابه احتجاجاً.

قال يزيد بن عروة: لما مات كثير لم يتخلف بالمدينة امرأة ولا رجل عن
جنازته، وغاب النساء عليها، وجعلن يبكينه ويذكرن عزّة في نذهبن له؛ فقال

(١) في الأصل: «فقداء»؛ وهو تحريف.

(٢) المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم ما.

(٣) لم يذكر علياً رضى الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المباهلة انظر
روح المعاني عند تفسير الآية المتقدمة.

(٤) وهما الأبناء: أى وهما المقصودان بلفظ الأبناء في الآية وإذن فالخير مطابق للبدا في الثانية.

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة إلى حنين استعمله على مكة وصلى بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة،
— وهى سنة ثمان — وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامه على مكة الطبقات الكبير

- أبو جعفر محمد بن علي الباقر: أفرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها، فجعلنا ندفع النساء عنها ومحمد بن علي يقول: تتحين يا صويحبات يوسف؛ فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يا بن رسول الله، لقد صدقت، إنا لصويحباته، ولقد كآله خيرا منكم له؛ فقال أبو جعفر [لبعض مواليه] ^(٢): احتفظ بها حتى تتحيني بها إذا أنصرفت ^(٣)؛ قال: فلما أنصرفت أتت بها وكأنتها شررة النار؛ فقال لها محمد بن علي: إياه، أنت القائلة: إنك ليوسف خير منا؟ قالت: نعم، تؤمني غضبك يا بن رسول الله؟ فقال: أنت آمنة من غضبي فأنبئني؛ فقالت: نحن دعوانا إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتعم والتعم، وأتم معاشر الرجال ألقيموه في الحب وبعموه بأنجس الأئمان، وحبستموه في السجن؛ فأينا كان عليه أحنى، وبه أرأف؟ فقال محمد: لله درك! لن تغاب امرأة إلا غلبت؛ ثم قال لها: ألك بعل؟ فقالت: لي من الرجال من أنا بعله؛ فقال أبو جعفر: ما أصدقك! مثلك من تملك الرجل ^(٤) ولا يملكها؛ فلما أنصرفت قال رجل من القوم: هذه فلانة بنت معقب.

وقال المأمون ليحيى بن أكرم: من الذي يقول:

فايض يري الحد في الزناء ولا يري على من يلوط من باس

- (١) في الأصل: «أفرحوا لي»؛ بانقاف المثانة والهاء المهملة؛ وهو تصحيف.
- (٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل؛ وقد أنبأها عن الأعاني ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق.
- (٣) في الأصل: «تحنني»؛ وهو تحريف.
- (٤) إيه بكسر الهاء ويجوز سوينها: كلمة استزادة واستنطاق.
- (٥) في الأعاني ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق: «بعلاها»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.
- (٦) كذا في الأصل بلا تعيين لأسمها؛ وذكر أبو الفرج أنها زين.
- (٧) كذا في الأصل؛ والدي في الأعاني: «معقب» ولعله معقيب بن أبي فاطمة الدوسي؛ اطر ترجمته في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا.

فقال : يا أمير المؤمنين ، هو الذى يقول :^(١)

شاهدْنَا يَرْتَشَى وَحَاكُمُنَا * يَلُوطُ وَالرَّاسُ شَرُّ مَا رَاسَ^(٢)
لَا أَحْسَبَ الْجَوَدَ يَنْقُضَى وَعَلَى الْأَقَمَةِ وَالِ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ^(٣)
قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [أبى] نعيم ؛ فَأَمَرَ بِنَفِيهِ إِلَى السَّنَدِ .^(٤)
^(٥)

وَحِكِي أَنْ أَهْلَ الْكَوْفَةِ تَظَلَّمُوا إِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ وَلَّاهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ :
مَا عَلِمْتُ فِي عَدَدِ عَمَلَى أَعْدَلَ وَلَا أَقْوَمَ بِأَمْرِ الرِّعْيَةِ وَلَا أَعْوَدَ بِالرَّفَقِ عَلَيْهِمْ مِنْهُ ؛
فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَحَدٌ أَوْلَى بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ مِنْكَ ،
فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْدِلَ فِي وَلايَتِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْبُلْدَانِ ،
وَتُسَوِّىَ بَيْنَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، حَتَّى يَلْحَقَ أَهْلَ كُلِّ بَلَدٍ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ مِثْلُ الَّذِي
لَحَقْنَا ، فَإِذَا فَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ فَلَا يَخْصُنَا مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ سَنِينَ ؛ فَضَحِكَ
الْمَأْمُونُ وَعَزَلَ الْعَامِلَ عَنْهُمْ .

وَلِنُصِلَ هَذَا الْفَصْلَ بِذِكْرِ هَفَوَاتِ الْأَمْجَادِ وَكِبَوَاتِ الْحَيَادِ^(٧) — وَقَدْ
رَأَيْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْأَدَبِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْأَدَبَ تَعَرُّضَ فِي هَذَا الْفَصْلِ إِلَى ذِكْرِ قِصَصِ

(١) فى الأصل : « من هو » وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : « أميراً » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضها .

(٤) كذا فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني
ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذى فى الأصل : « ابن نعيم » باسقاط لفظ أبى ؛ ولم نجد
فيما راجعناه من المطان .

(٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسمجستان ؛ وقد فتحت فى أيام الحاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) فى الأصل : « به » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد فى الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من
صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخليل وانظر هذه الترجمة أيضا فى المستطرف ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥
طبع بولاق .

الأنبياء — صلوات الله عليهم — كآدم ويوسف وداود وسليمان فكُهِتْ ذلك منه، ونَزَّهَتْ كُتَابِي عنه —

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَولُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فكانت هذه هفوة من المسلمين غفرها الله وعفا عنها .

وقال الأحنف بن قيس : الشريف من عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ .

وقال النابغة :

ولست بمسْبِقٍ أَحَا لَا تُلْثَمُهُ * على شَعْبٍ أَى الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ
وقالوا : كُلُّ صَارِمٍ يَنْبُو، وَكُلُّ جَوَادٍ يَكْبُو .

١٠ وكان الأحنف بن قيس حليماً سيّدا يصرب به المثل ، وقد عُدَّتْ له سَقَطَاتُ
فمن ذلك أنه نظر الى خيلٍ لِنِي مازن فقال : هذه خيل ما أَدْرَكْتُ بالنار ، ولا نَقَصَتْ
الأوتار ؛ فقال له سعيد بن القاسم المازني : أَمَا يَوْمَ قَتَلْتُ أَبَاكَ فَقَدْ أَدْرَكْتُ
بِنَارِهَا ؛ فقال الأحنف : لشيءٍ ما قيل : ” دَعِ الْكَلَامَ حَذَرَ الْجَوَابِ “ — وكانت
نَوَ مازن قَتَلْتُ [أَبَا] الأحنف فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

١٥ ومنها أنه لما خرج مع مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَائَةٌ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ولم يرسل
إِلَى زَبْرَاءَ جَارِيَتِهِ بَشِيءَ ، بَغَاةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ الأحنف ، ثم أَرْسَلَتْ عَيْنِيهَا ؛

(١) « لَا تَلْهَ عَلَى شَيْءٍ » : أَى لَا تَحْتَمِلْهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ زَلَلٍ فَتَلْهَ وَتَصْلَحْهُ وَتَجْمَعَ مَا تَشْتَمُ مِنْ أَمْرِهِ
« اللسان » .

(٢) الأوتار جمع وتر تكسر الواو ، وهو الذحل ، أَى النَّارُ ؛ يقول : ان هذه الخيل لم تقلل عدد
الدحول والنارات التي لمرسانها عند عيرهم من القباثل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضي إثباتها .

(٤) في الأصل : « دِرا » بالبدال والياء المشاة ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يُسيِّك؟ فقالت : ما لي لا أبكي عليك إذ لم تبك على نفسك ، أفعذتها وتذر مرو الروذ^(١) تجتمع بين غارين من المسلمين ، فقال : نصحتني وآله في ديني إذ لم ألتبه لذلك ؛ ثم أمر بفسطاطه ففُوض ، فبلغ ذلك مُصعباً فقال : ويحكم ، من دهاني في الأحنف؟ فقبل : زبراء ، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم ، فجاءت حتى أرخت عينها بين يديه ؛ فقال : مالك يا زبراء؟ قالت : عجبت لأحوالك في أهل البصرة ، تزفهم كما تُزف العروس ، حتى إذا ضربت بهم في نخور أعدائهم أردت أن تفت في أعضادهم ؛ قال : صدقت والله ، يا غلام دَعِ الفساطيط ؛ فأضطرب العسكر بجي زبراء مرتين .^(٤)

ومن سقطاته التي عُدَّت عليه أن عمرو بن الأهتم دَسَّ إليه رجلاً ليسفّهه ، فقال له : يا أبا بحر ، من كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ، لم يُسْذمهم ولم يتخلف عنهم ؛ فرجع إليه ثانية ، ففطن الأحنف إلى أنه من قِبَل عمرو ، فقال :

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو ؛ افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه ؛ وأكثر ما يُقال فيه : مروذ كنفود التاج مادة (روذ) وهي على نهر عظيم ؛ والروذ بالعربية : النهر ، فهذا سمي بذلك (ياقوت) .

(٢) في الأصل : غاذين بالعين المهملة والدال ، وهو تحريف صوابه ما أُنشأ ؛ والعار : الجيش الكثير ، ومنه قول الأحنف في عهد الله بن الربيع عند انصرافه من وقعة الجبل : وما أصعب به إن كان جمع بين سارين من الناس ثم تركهم وذهب ، والصمغ في قولها : « تجتمع » يعود إلى مرو الروذ ؛ ومعنى العبارة أنها بلومة على قعوده مع مسعد بن الزبير وتركه المسير إلى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين بخاران — وهما جيش الحوارج وجيش المهلب — فهي تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه إلى مرو الروذ ويترك مصعباً .

(٣) في الأصل : « من » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) في الأصل : « يمتحن » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر .

ما كان مال أبيك ؟ قال : كانت له صِرمَةٌ يَمْنَحُ منها وَيَقْرِى ، ولم يكن أهتم سَلاَحًا .

وقيل : إن الحسن سئل عن قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾^(٢١) فقال : إن كان لَسَرِيًّا ، وإن كان لَكَرِيًّا ، ففيل له : من هو ؟ قال : المسيح ؛ فقال له حميد بن عبد الرحمن : أَعِذْ نظراً ، إنما السرى : الجدول ؛ فَأَنعَمَ^(٢٢) له ، وقال : يا حميد ، غَلَبْنَا عليك الأمراء .

ومات وَلَدٌ طفلاً لِسُلَيْمَانَ بنِ عَلِيٍّ ، فَأَتَاهُ الناسُ بِالْبَصْرَةِ يَعِزُّونَهُ وفيهم شَيْبٌ بنُ شَيْبَةَ وَبَكْرٌ بنُ حَبِيبِ السَّهْمِيِّ ؛ فقال شَيْبٌ : أليس يقال : إنَّ الطفل لا يزال

(١) في الأصل : « حمة » بالخاء ؛ وهو تحريف . والصِرمَةُ : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٢) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم .
وجمع كل من من علم وزهد وورع وعادة ؛ وأبو عبد الله مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه وأمه حيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الخياط بن يوسف ؛ ففيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ؛ وكانت ولادته لسنتين فقيماً من خلافة عمر بن الخطاب ؛ وتوفى بالبصرة مستملاً رحب سبعة عشر ومائة رضى الله تعالى عنه اهـ ملخصاً من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق .

(٣) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن سعد عوف ، ينتهى نسبه إلى زهره بن كلاب ؛ وكنيته أبو عبد الرحمن ؛ روى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة والنعمان بن بشير ؛ وكان ثقة عالمًا كثير الحديث ؛ وتوفى بالمدينة سنة خمس وتسعين اهـ ملخصاً من كتاب الطلفات الكبير لأن سعد ج ٥ ص ١١٤ طبع مديّة ليدان .

(٤) أنعم له : أى قال له نعم . والذى في الأصل : « مع له » بدون ألف ؛ ولم نجد له ما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المراد هنا .

(٥) كذا في الأصل ؛ وألحق في العقد الجديد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق أن الذى مات ولده هو سحاق بن عيسى ؛ وسبقه : ودخل شريب بن شبة على إسحاق بن عيسى يعزّيه عن طفله أصيب به .

(٦) لم يرد هذا الاسم في العقد الجديد من هذه الحكاية .

(١) مُحْبِطًا بَابِ الْحَنَةِ حَتَّى يَدْخُلَ أَبْوَاهُ . بقاء بقاء معجمة ؛ فقال له بِكَرْبُنْ (٢) حبيب : مُحْبِطًا ، بقاء مهملة ؛ فقال شَيْب : إِلَّا أَنْ مَنْ بَيْنَ لَابِتْيَا يَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْلَ (٣) كَمَا أَقُولُ ؛ فقال بكر : وَخَطَأُ نَائٍ ، مَا لِلْبَصْرَةِ لَابِتَانِ ، أَذْهَبْتَ إِلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ؟ . (٤) (مَنْ بَيْنَ لَابِتْيَا : أَى حَرَّتِيهَا) . (٥)

٥ . قيل : جلس مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمًا لِلظَّالِمِ ، وَحَصَرَ فِي جَمَلَةِ النَّاسِ رَجُلٌ زَيْهٌ زَى الْكُتَّابِ ، جَلَسَ بِإِزَاءِ مُحَمَّدٍ ، وَحَمْدُ يَقْدُ الْأُمُورِ وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ ، وَمُحَمَّدٌ يَتَأَمَّلُهُ ؛ فَلَمَّا خَفَ الْمَجْلِسُ قَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ — أَصْلَحَكَ اللَّهُ — مُتَظَلِّمًا ؛ قَالَ : مِمَّنْ ؟ قَالَ : مِنْكَ ، ضَيْعَةٌ لِي فِي يَدِ وَكِيلِكَ يَحْمِلُ إِلَيْكَ غَلَّتَهَا ، وَيَحْمِلُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ؛ قَالَ : فَمَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : تَكْتُبُ بِتَسْلِيمِهَا إِلَيَّ ؛ قَالَ : هَذَا يُحْتَاجُ فِيهِ ١٠ إِلَى شَهُودٍ وَبَيِّنَةٍ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : الشُّهُودُ هُمُ الْبَيِّنَةُ ، وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ عِني مِنْكَ ؛ فَجَلَّ مُحَمَّدٌ وَهَابَ الرَّجُلَ ، وَكُتِبَ لَهُ بِمَا أَرَادَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « مُحْبِطًا » وَ « مُحْتَبِطًا » ، الْإِتَاءُ وَالْإِتَاءُ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ ؛ وَهُوَ تَضْعِيفُ صَوَاهِ مَا أَشْتَقْنَا أَنْطَرُ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ح ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق ؛ وَبَصْرَ هَذَا الْحَدِيثِ فِي اللِّسَانِ : « أَنْ السَّقْفُ لِيضِلَّ مُحْبِطًا عَلَى بَابِ الْحَمَةِ » قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْجَةِ . الْمُحْبِطُ بِالْهَدَرِ وَتَرْكِهِ : الْمُنْتَعَصِبُ الْمُسْتَطَقُّ لِلشَّيْءِ . ١٥

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : قَالَ بِخَفَ مِنْ عِيْنِي . (٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَغَارَهُ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ . أَلَى يُقَالُ مِلَّ هَذَا وَمَا بَيْنَ لَابِتْيَا أَعْلَمُ مِثْلَ هَذَا ؟ . وَمَعْنَى الْعِبَارَةِ مُتَخَفٌّ ؛ وَكَلَامُ الْعَمِيصِ يَسْتَقِيمُ بِهِ الْكَلَامُ .

(٤) عِبَارَةُ الْعَقْدِ : فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَلْبَصْرَةُ لَابِتَانِ بِالْكَعْ ؟ . (٥) إِلَيْهِ : أَى إِلَى سَلِيحِ بْنِ عَلِيٍّ ؛ وَيُرِيدُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ اللَّابِتَيْنِ إِنَّمَا هُمَا لِلدِّينَةِ لَا لِلْبَصْرَةِ . ٢٠ (٦) فِي الْأَصْلِ : « إِلَى » ؛ وَهُوَ مُخَرِّفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى . (٧) أَنْطَرُ الْحَاشِيَةِ رَقْم ٥ مِنْ صَفْحَةِ ٧٣ مِنْ هَذَا السَّهْرِ .

ووصف ذو الرقة لعبد الملك بن مروان بالذكاء وحسن الشعر، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه أنشده قصيدة افتتحها بقوله : ”ما بال عينك منها الماء ينسكب“ وكانت عينا عبد الملك تدمعان دائماً، فظن أنه عرّض به، فغضب وقال : مالك ولهذا السؤال يا بن الخنء ؟ وقطع إنشاده، وأمر بإخراجه .

ودخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته التي أولها :
”الحمد لله الوهوب المحجل“ حتى انتهى إلى قوله يصف الشمس عند الغروب :
”وهي على الأفق كعين الأحول“، وأستدرك سقطه لسانه ، وقطع إنشاده ، وعلم أنها زلة ، لأن هشاماً كان أحول ، فقال له هشام تكمل إنشادك ويحك وأنتم البيت ، وأمر بوج، عنقه وإخراجه من الرصافة .

٢٥

- (١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر .
- (٢) كذا في الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة في محاسرات الأدباء للراعي ح ١ ص ١١٨ طبع جمعية المعارف بين دي الرمة وهشام بن عبد الملك ؛ ويؤيد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت في سنة ست وثمانين كما في كتب التاريخ وسنن الرمة إذ ذاك تسع سنين فإنه ولد في سنة ثمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته في وفيات الأعيان ، فقد ذكر في وفاته ما نصه وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى ، ولما حصرت الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة أهـ
- (٣) أبو النجم : هو المفصل . وقيل : الفصل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبيدة ينسب نسبته إلى دبيعة بن نخل بن لجم ؛ وهو من رعايا الإسلام المفضلين ، وفي الطبقة الأولى منهم ، وكان أبلغ في المنة من العجاج انظر الأغاني ح ٩ ص ٧٧ طبع بولاق ؛ وكانت وفاته في آخر دولة بني أمية كما في معاهد التصبص ص ١٢ طبع بولاق .
- (٤) كذا في الأصل والأغاني ح ٩ ص ٨٠ طبع بولاق ؛ وروايته في معاهد التصبص ص ٩ طبع بولاق : ”الحمد لله العلي الأجل“ ، وبعده : ”الواهب العفص الوهوب المحجل“ .
- (٥) الوج : المكر ، يقال : وجأ عنقه وفي عنقه .
- (٦) يريد بالرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك ؛ وهي في عرني الرقة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف النهرية ؛ ساءها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسلم في الصيف ؛ ثم أورد ياقوت بعد هذا الكلام ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالتصغير .

قال المدائني: كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سُمرة أراد الوثوب بالشام في زمن المهدي، فأخذ وحل إليه، فلما مثل بين يديه اعتذر، فرأى منه المهدي نبلا وفضلا، فعفا عنه وخلطه بجلسائه؛ ثم قال له يوما: أنشدني شيئا من شعر زهير، فأنشده قصيدته التي أولها: «لَمِنَ الدِّيارِ بَقْعَةُ الْحَجَرِ»^(١) حتى أتى على آخرها؛ فقال المهدي: مضى من يقول مثل هذا؛ فقال السعري: وذهب والله من يقال فيه مثله؛ فاستشاط المهدي غضبا، وأمر أن يجزَّ برجله، وألا يُؤدَّن له بعدها.

وليتختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشيء من الحكم.

ذكر شيء من الحكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن».

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: لكل جواد كبوة، ولكل حكيم هفوة؛ ولكل نفيس ملة^(٢)، فاطلبوا لها طرائف الحكمة.

ومن الحديث النبوي — صلوات الله تعالى وسلامه على قائله — مما يدخل في هذا الفصل قوله صلى الله عليه وسلم: «كرم الرجل دينه، ومروءته عقله، وحسبه عمله». «خير الأمور أوسطها»^(٣). «كل ميسر لما خُلق له».

(١) قبة الحجر: جبل ليس بالشام خداء الحجر. والحجر: قرية بخدائها قرية يقال لها: الرحبة للأصبار وبي سليم من محمد (ياقوت) وقال في مستدرك النجاشية مادة قنن: قبة الحجر: قرب معدن بي سليم.

(٢) في الأصل: «يقول» بالبناء للفاعل؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا.

(٣) استشاط: التهب.

(٤) في الأصل: «ملة»؛ والميم زيادة من السامع.

(٥) رواه ابن الأثير في النهاية: «أوسطها» بصيغة الجمع.

”زُرْ غِبًّا تَرَدَّدْ حَبًّا“ . ”الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ“ . ”الْبَرَكَةُ فِي الْحَرَكَةِ“ .
 ”صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ“ . ”مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ“ . ”مَا قَلَّ وَكَفَى
 خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى“ . ”إِيسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ“ .
 وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — : صَنَعْتُ الْمَعْرُوفَ تَقَى مَصَارِعَ السُّوءِ .

وقال علي بن أبي طالب : اسْتَغْنِ عَمَّنْ شَتَّتَ بَظِيرُهُ ، وَاحْتَجَّ إِلَى مَنْ
 شَتَّتَ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ ، وَأَفْضَلُ عَلَى مَنْ شَتَّتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ .
 قال بعض الشعراء :

وَإِذَا مَا الرِّجَاءُ أُسْفِطَ بَيْنَ الدَّ * سَاسَ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ أَكْفَاءُ

وقال لقمان لابنه : ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ
 إِلَّا وَقْتُ الْغَضَبِ ، وَلَا الشَّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ إِذَا لَاقَى الْأَقْرَانَ ، وَلَا أَخُوكَ
 إِلَّا عِنْدَ حَاجَتِكَ .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : أَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَخْتَبِرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ
 صَمْتًا ، إِذَا تَكَلَّمْتَ فَأَبَيْنُكُمْ مِطْقًا ، فَإِذَا اخْتَبَرْنَاكُمْ فَأَحْسَنُكُمْ فِعَالًا .

وفي رواية : أَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا أَحْسَنُكُمْ أَسْمًا ، فَإِذَا رَأَيْنَاكُمْ فَأَجْمَلُكُمْ مَنْظَرًا ، فَإِذَا
 اخْتَبَرْنَاكُمْ فَأَحْسَنُكُمْ مَخْبَرًا .

وخطب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : وَأَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ
 قَلْبُهُ ، لَهُ أَمْدَادٌ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا ، فَإِذَا سَنَحَ لَهُ الرِّجَاءُ هَاجَ بِهِ

(١) المشهور في روايته « تكن » في المواضع الثلاثة مكان قوله : « فأنت » ؛ والمعنى يستقيم على كلنا
 الروايتين .

(٢) في الأصل : « نحر كم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : « فإذا آحبرناكم » .

(٣) الأمداد : الأعوان ، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمعُ أهلكه الحرص . وإن ملكه اليأسُ قتله الأسف ، وإن عَرَضَ له الغضبُ اشتدَّ به الغيط ، وإن أسعدَ الرضا نسيَ اتَّحِفُظُ ، وإن ناله الخوفُ شغله الحزن ، وإن أصابته مصيبةٌ قصمه الجزع ، وإن أفاد إلا أطفاه الغنى ، وإن عضته فاقةٌ شغله البلاء ، وإن جهده الجوعُ أضعفه الضعف ، فكلُّ تقصيرٍ به مُضِرٌّ ، وكلُّ إفراطٍ له مُفسِدٌ .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : فَرَضَ الله تعالى الإيمانَ تطهيراً من الشُّركِ ، والصَّلَاةَ تنزيهاً عن الكِبَرِ ، والزَّكَاةَ سبباً للرزقِ ، والصَّيامَ ابتلاءً لإخلاصِ الخلقِ ، وآلَجَ تقويةً للبدنِ ، والجهادَ عزّاً للإسلامِ ، والأمرَ المعروفَ مصلحةً للعوامِ^(١) ، والنهيَ عن المنكرِ ردعاً للسنهاءِ ، وصِلَةَ الرَّحِمِ مناةً للعددِ ، والقصاصَ حقاً للدماءِ ، وإقامةَ الحدودِ إعظاماً للمحارمِ ، وتركَ شربِ الخمرِ تحصيلاً للعقلِ ، ومجانبةَ السرقةِ إيجاداً للعفةِ ، وتركَ الزنى تصحيحاً للنسبِ ، وتركَ اللواطِ تكثيراً للنسلِ ، والشهاداتِ استظهاراً على المجاحداتِ ، وتركَ الكذبِ تشريفاً للصدقِ ، والسلامَ أماناً من المخاوفِ ، والإمامةَ نظاماً للأمةِ ، والطاعةَ تعظيماً للإمامةِ .

وقال قرفور يوس^(٢) : لو تميزت الأشياءُ بأشكالها لكان الكذبُ مع الجبنِ . والصدقُ مع الشجاعةِ ، والراحةُ مع اليأسِ ، والتعبُ مع الطمعِ ، والحرمانُ مع الحرصِ ، والعزمُ مع الفناعةِ ، والأمنُ مع العفافِ ، والسلامةُ مع الوحدةِ .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصاح) .

(٢) في الأصل : «إبخازا» بالراء ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) في الأصل : «الأمانة» بالواو في كلتا الكلمتين ؛ وهو تحريف صوابه «أمننا» كما يقره السياق .

(٤) كذا في كتاب إخبار العلماء بأحوال الحكماء للنفطلى ص ٦٥ طبع لاسك ، والذي في الأصل :

« فرفوريس » . ورفور يوس هذا من أهل مدينة صور من ساحل الشام ؛ وكان بعد زمن «إليانوس» وله الباهة في علم الفلك والتقدم في تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) في الأصل : «والأمر» بالراء . وهو تحريف .

وقال آخر: الشكرُ محتاجٌ إلى القبول ، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب ، والسرورُ محتاجٌ إلى الأمن ، والقرابةُ محتاجةٌ إلى المودة ، والمعرفةُ محتاجةٌ إلى التجارب ، والشرفُ محتاجٌ إلى التواضع ، والنَّجدةُ محتاجةٌ إلى الحِلْد .

وقال حكيم يوناني : السعاداتُ كلها في سبعة أشياء : حُسْنُ الصورة ، وصحَّةُ الجسم ، وطولُ العمر ، وكثرةُ العلم ، وسعةُ ذات اليد ، وطيبُ الذكر ، والتمكُّنُ من الصديق والعدو .

وقال بعض الأدباء — وقد سئل عن العيش — فقال : في الغنى فإنِّي رأيتُ الفقير لا يلتذُّ بعيش أبداً ؛ فقال له السائل : زدني ، قال : في الصحة ، فإنِّي رأيتُ المريض لا يلتذُّ بعيش أبداً ؛ فقال له : زدني ، قال : في الأمن ، فإنِّي رأيتُ الخائف لا يلتذُّ بعيش أبداً ؛ قال : زدني ؛ قال : لا أجد مزيداً . وهذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

”من أصبح آمناً في سربه ، مُعافٍ في بدنه ، عنده قوتُ يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها“ .

وقال فيلسوف : كثيرٌ من الأمور لا تصلحُ إلّا بقُرأتها : لا ينفع العلمُ بغير ورع ، ولا الحفظُ بغير عقل ، ولا آجالُ بغير حلاوة ، ولا الحسبُ بغير أدب ، ولا السرورُ بغير أمن ، ولا الغنى بغير كفاية ، ولا الاجتهادُ بغير توفيق .

(١) في الأصل : ”الأمر“ بالراء ؛ وهو تحريف .

(٢) السرب بكسر السين : النفس .

(٣) كذا في الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٢ طبع

جمعية المعارف بمصر ، والذي في الأصل : « له » بدل قوله : « عده » ؛ ولم نقف على هذه الرواية فيما بين

أيدينا من المطالع .

وقالوا : المنظر يحتاج إلى القبول ، والحسب إلى الأدب ، والسرور إلى الأمن ،
والقربى إلى المودة ، والمعرفة إلى التجارب ، والشرف إلى التواضع ، والنجدة
إلى الجسد^(١) .

وقال علي رضي الله عنه : يغلب المقدر على التقدير ، حتى تكون الآفة
في التدبير .

أخذه ابن الرومي فقال :

غَلَطَ الطَّيِّبُ عَلَى غَاطَةِ مُورِدٍ * نَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الْإِصْدَارِ
وَالنَّاسَ يَلْحَوْنَ الطَّيِّبَ وَإِنَّمَا * غَلَطَ الطَّيِّبُ إِصَابَهُ الْمَقْدَارِ
وقال : اذا انقضت آلمته ، كان الهلاك في العُته .

وقال القدماء : لا خير في القول إلا مع الفعل ، ولا في المنظر إلا مع الخبر ،
ولا في المسال إلا مع الجود ، ولا في الصديق إلا مع الوفاء ، ولا في الفقه إلا مع
الورع ، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية ، ولا في الحياة إلا مع الصحة ، ولا
في السرور إلا مع الأمن .

قال بعض بني تميم : حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الكرم ، منع الحرَم ؛ ما أقرب النعمة من أهل
البنى ! لا خير في لذة تعقب دما ؛ لن يهلك من قصد ، وإن يفتقر من زهد ؛ رب
هزل قد عاد جدًا ؛ من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ؛ دعوا المزاح فإنه

(١) تقدّم هذا الكلام في صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير في عبارته .

(٢) كذا في وفيات الأعيان ح ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التي بين أيدينا ؛ والذي

في الأصل : « محانيه » ؛ وهو تحريف .

يُورَثُ الضَّغَائِنُ ؛ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْفَعْلُ ؛ احْتَمِلُوا مَنْ أَدَّلَّ عَلَيْكُمْ ، وَأَقْبِلُوا
عِذْرَ مَنْ آتَعَذَرَ إِلَيْكُمْ ؛ أَطْعَ أَحَاكَ وَإِنْ عَصَاكَ ، وَصِلْهُ وَإِنْ جَفَاكَ ؛ أَنْصِفْ مِنْ
نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْصَفَ مِنْكَ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَمَشَاوِرَ النِّسَاءِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ
لَوْثٌ ، وَصِحْبَةُ الْجَاهِلِ شَوْمٌ ؛ وَمِنَ الْكُرَمِ ، الْوَفَاءُ بِالذِّمِّ ؛ مَا أَفْبَحَ الْقَطِيعَةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؛
وَالْجَفَاءُ بَعْدَ اللَّطْفِ ، وَالْعِدَاوَةُ بَعْدَ الْوُدِّ ! لَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى
الْإِحْسَانِ ، وَلَا إِلَى الْمَخَلِّ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى السِّدْلِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ،
مَا أَصْلَحَتْ بِهِ مَشَاوِكَ ، فَأَنْفِقْ فِي حَقِّ دَلَا تَكُونَنَّ حَازِنًا لغيرِكَ ؛ وَإِذَا كَانَ الْغَدْرُ
مَوْجُودًا فِي النَّاسِ فَالْثِقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ؛ اعْرِفْ الْحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لَكَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ
قَطِيعَةَ الْجَاهِلِ ، تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ . قَالَ : مَا رَأَيْتُ كَلَامًا أُبْلَغَ مِنْهُ ، فَقَمْتُ
وَقَدْ حَفِظْتُهُ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالْصَّوَابِ .

١٠

وَمِنْ كَلَامٍ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ
غَيْرِهِ ؛ وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ حَمَلَ لِأَخِيهِ ثَرًا وَقَعَ فِيهَا ؛ وَمَنْ هَتَكَ
حِجَابَ أَخِيهِ أَهْنَكَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ^(٢) ؛ وَمَنْ نَسِيَ حَظِيئَتَهُ اسْتَغْطَمَ خَطِيئَتَهُ غَيْرَهُ ،
وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ زَلَّ ؛ وَمَنْ سَفِهَ عَلَى النَّاسِ شُتِمَ ؛ وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وَقَّرَ ،
وَمَنْ خَالَطَ الْأُنْدَالَ حَقَّرَ ؛ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ
بِغَيْرِهِ ؛ وَلَيْسَ مَعَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ثَقًى ، وَلَا مَعَ الصَّغُورِ غِنًى ؛ رَأْسُ الْعِلْمِ الرِّفْقُ ،
وَأَقْبَهُ الْخُرْقُ ؛ كَثْرَةُ الزِّيَارَةِ تَوْرَثُ أَلْمَلَّةُ .

١٥

وَقَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ : مَا نَسَبَ أَشْأَنَ إِلَّا أَنْحَطَ الْأَعْلَى إِلَى مَرْتَبَةِ الْأَسْفَلِ .

(١) يُقَالُ : أَوْرَثَ الْبَارِتَارِثَا ، إِذَا أَوْقَدَهَا ؛ وَمَا هِيَ بِمُتَعَارِفَةٍ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بَيْتُهُ » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيرُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَا أَشْبَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

٢٠

وقال آخر : ما تَسَابَ آثَانُ إِلَّا غَلَبَ الْأُمَهُمَا .

وقال الحسن بن علي بن موسى الرضى : ^(١) اعلم أن للحياء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف ، وللحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو جبن ، وللإقتصاد مقداراً فإن زاد عليه فهو بخل .

قال مَهْدِيُّ بن أبان : قُلْتُ لَوَلَادَةِ الْعَبْدِيَّةِ — وَكَانَتْ مِنْ أَعْقَلِ النِّسَاءِ — :
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَ فَاوَصِيئِي ، قَالَتْ : أَوْ جَزْ فَاوَصِيئِي ، أَمْ أَطِيلُ مَا أَحْكُمُ ؟ فَقُلْتُ : مَا شِئْتِ بِهِ
فَقَالَتْ : حُدِّ تَسُدُّ ، وَأَصْبِرْ تَفُزْ ، قُلْتُ : أَبْصَابُ ؟ قَالَتْ : لَا يُبْعِدُ غَضَبُكَ حَامِلَكَ ،
وَلَا هَوَاكَ عِلْمَكَ ، وَقِ دِينَكَ بِدُنْيَاكَ ، وَقِ عِرْصَكَ بِعَرَضِكَ ، وَتَفَصَّلْ تُحْدِمُ ، وَأَحْلُمُ
تُقَدِّمُ ، قُلْتُ : فَبِمَنْ أَسْتَعِينُ ؟ قَالَتْ : بِاللَّهِ ، قُلْتُ : مِنَ النَّاسِ ؟ قَالَتْ : الْجَلْدُ
النَّشِيطُ ، وَالصَّالِحُ الْأَمِينُ ، قُلْتُ : فَمَنْ أَسْتَشِيرُ ؟ قَالَتْ : الْمَجْرِبُ الْكَائِسُ ،
أَوِ الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ ، قُلْتُ : فَمَنْ أَسْتَصْحَبُ ؟ قَالَتْ : الصَّدِيقُ الْمُسْلِمُ ، أَوِ الْمُؤَاخِي ^(٢)
الْمُتَكَرِّمُ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا بَنَاهُ ، إِنَّكَ تَفِدُ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ فَانْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ مَقَامُكَ
بَيْنَ يَدَيْهِ .

وقال حكيم : مَنْ الَّذِي بَلَغَ جَسِيماً فَلَمْ يَبْطُرْ ، وَاتَّبَعَ الْهَوَى فَلَمْ يَعْطَبْ ، وَجَاوَرَ
النِّسَاءَ فَلَمْ يَفْتِنَنَّ ، وَطَلَبَ إِلَى اللَّثَامِ فَلَمْ يُفْنِ ، وَوَاصَلَ الْأَشْرَارَ فَلَمْ يَنْدَمْ ، وَصَحِبَ
السُّلْطَانَ فَدَامَتْ سَلَامَتُهُ .

(١) الحياء بالكسر : العطاء .

(٢) في الأصل : « المداخى » بالدال والهمزة ، وهو تحريف مقصد للمعنى ، فإن المداخاة : المداواة
ومسألة العداوة .

(٣) في الأصل : « ينظر » ؛ وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى .

وقال : الاعتبارُ بيدك الرشاد ، وكفالك أدنا لنفسك ما كرهت من غيرك .

وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ في السفر ، ومؤنسٌ في الوحدة ، وجمالٌ في الخفيل ، وسببٌ إلى طلب الحاجة .

وقال بعضهم : إحدركلّ الحذر من أن يخذلك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة التوكل ، ويورثك الهويجى بالإحالة على القدر . فإن الله تعالى أمر بالتوكل . عند انقطاع الحيل ، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار ، فقال تعالى : « خُذُوا حِذْرَكُمْ » وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .

وقال آخر : لا تجاهد أطلب جهاد الغالب ، ولا تستكل على القدر آتكال المستسلم ، فإن ابتغاء الفضل من السعة ، والإحمال في الطلب من العفة ، وليست لعفة بدافعة رزقا ، ولا أحرص مجالب فضلا .

وقالوا : عشر خصال في عشرة أصناف أقيح منها في غيرهم : الضيق في المملوك ، والعذر في الأشراف ، والكذب في القضاة ، والخديعة في العلماء ، والغضب في الأبرار ، والحرص في الأغنياء ، والسفه في الشيوخ ، والمرض في الأطباء ، والزهو في الفقراء ، والفجور في القراء .

(١) في الأصل : « يعتدك » بالعين والياء ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « يدعك » بسقوط الخاء ، والنصوب عن محاصرات الأدناء للاراءح ١ ص ٣٠٥ طبع حمية المعارف بمصر .

(٣) كذا في محاصرات الأدناء ؛ والذي في الأصل : « يك تهوياً » ؛ وهو تحريف في كذا الكلمتين .

(٤) في الأصل : « بالفصل » ؛ والياء زيادة من النسخ .

(٥) لعله : « في الأمراء » .

(٦) في الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .

(٧) المراد بالقراء : حفلة القرآن والتلاوة له .

وقالوا : ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الآتي طعاما لم يُدْعَ إليه ،
والتأمر على رب البيت في بيته ، وطالب المعروف من غير أهله ، وراج من
الفضل من اللثام ، والداخل بين اثنين لم يدحلاه ، والمستخف بالسلطان ، والجالس
مجلسا ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه .

ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قول الأضبط بن قريع :

لكل صيق من ألهوم سعه * والمشي والصبح لا بقاء معه
فصل جبال البعيد إن وصل آل حبل وأقص القريب إن قطعه
وخذ من الدهر ما أذاك به * من قتر عينا بعيشه نفعه
لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
وقال أحيحة :

فما يدرى الفقير متى غدا . ولا يدرى الغنى متى يعيل^(٥)
ولا تدرى إذا أزمعت أمرا * نأى الأرض ياتيك المفيّل

(١) في الأصل : « هيتوا » وهو جرير .

(٢) في الأصل : « المعروه » نالها . وهو جرير .

(٣) في اللسان مادة « رصع » ولاتين الح . وقال : أراد « ولاتين » جعل النون ألما ساكنة

فاستقبلها ساكن آخر سقط .

(٤) يقال : راع الزرع ، إذا فصره من راحته حاله .

(٥) يعيل : يعنقر .

(١) وقال الصِّلَتَانِ العبدَيَّ :

أشَاب الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ * رَكَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا * أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتَى
نُورٌ وَنُفُودٌ لِحَاجَاتِنَا * وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَقْضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ * وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

وقال المتنبي :

ذَكَرْتُ الْفَتَى عُمرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ * مَا قَاتَهُ وَفُضِّلَ الْعِيشُ أَشْغَالُ

وقد جُمِعَ مِنْ شَعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ فِي ذَلِكَ مَا وَافَقَ كَلَامَ أَرِسْطُوطَالِيَسَ
فِي الْحِكْمَةِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَرِسْطُوطَالِيَسَ : إِذَا كَانَتِ الشَّهْوَةُ فَوْقَ الْقُدْرَةِ كَانَ هَلَاكُ
أَجْسَمٍ دُونَ بُلُوعِ الشَّهْوَةِ .

قال المتنبي :

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا * تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وقال أَرِسْطُوطَالِيَسَ : قَدْ يَفْسُدُ الْعَضْوُ لِصَلَاحِ أَعْضَاءٍ ، كَالْكَلَى وَالْفُصْدِ
الَّذِينَ يُفْسِدَانِ الْأَعْضَاءَ لِصَلَاحِ عَيْرِهَا . نَعْلَهُ الْمَتْنِيُّ إِلَى شَعْرِهِ فَقَالَ :

(١) كذا في الأصل ومعاهد التصحيح ص ٣٥ طبع بولاق ؛ وهو صاحب «معاهد التصحيح» أيضا
من الملاحظ في كتاب الحيوان نسبة هذه الأبيات إلى الصِّلَتَانِ العبدَيْنِ ، وول — من الملاحظ — :
هو غير الصِّلَتَانِ العبدَيْنِ .

(٢) كذا في «معاهد التصحيح» ؛ والذي في الأصل : «لواء» ولعله مقبول «ولاء» بتقديم الواو
المكسورة ، وهو المتابعة ، مصدر وإلى الشيء : أى تابعه ، فإن المعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) في الأصل : «هزمت» ؛ وهو تصحيف صوابه ما ثبتت كذا في النسخ ؛ ويدل عليه أيضا مقابله
بقوله في آخر البيت : «يوم فتى» .

(٤) في الأصل : «الهم» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

لعلَّ عَنَّاكَ محمودٌ عواقِبُهُ * فربَّما صَحَّتْ آلُجَسَادُ بِالْعِلِّ

وقال أرسطوطاليس : الطلم من طبع النفوس ، وإنما يُصَدِّها عن ذلك إحدى
عتين : إمَّا علة دينية خوف معاد ، أو علة سياسية خوف سيف
قال المتنبي :

والظلمُ من شِمْ النفوس فإن تَحِدْ * ذا عَقَةٍ فلعلَّةٍ لا يَظْلُمُ

هذا ما اتفق إيرادُهُ في هذا الباب من أمر كتابة الإنشاء ، وكلام الصحابة
وآلخلفاء ، وذوى الفصاحة من الأمراء ، وبلاغات الخطباء والفصحاء ، ورسائل
الفضلاء والبلغاء ، وفِصْرِ الكُتُب والأدباء ، وحِكَمِ أوائل الحكماء ؛ وهو مما يُضطرُّ
الكاتبُ إليه ، ويعتمدُ في الأطلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ؛ وهى
إشاراتٌ إلى مجموعِها ، ورشحاتٌ من يَبْوَغِها ؛ وبابٌ يتوصَّلُ منه إلى رحابِها ،
وسلمٌ يرنقُ عليه إلى هضابِها ، ومَسِيلٌ عذبٌ يتصلُّ بعبابِها ، فقد وصَّح لك أيُّها الطالبُ
السبيلُ ، وظهر لك أيُّها الراغبُ قيامُ الدليل ؛ وفيما أوردناه كفايةً لمن تَمَسَّك بهذه
الصناعة ورغب فيها ، وغُبِيَّةٌ لمن تأملَ مقاصدها وتدبَّرَ معانيها ؛ فلنذكر كتابة الديوان
والتصرف .

٥

١٠

ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك

١٥

قد ذكرنا في أوَّل هذا الباب في السفر السابع من هذا الكتاب اشتقاقَ الكتابة ،
ولم نسمِّ ذلك ، وذكرنا أيضا أصلها وشرفها وفوائدها ، فلا حاجة إلى إعادته
في هذا الموضع ، فلنذكر الآن ما يتعلق بقلم الديوان والتصرف والحساب ؛ وإن
كنا قد منادَ كُتَّابَ الإنشاء لما هم بصدد من الصدارة والوجهه ، والنبالة والنباهه ؛
والفصاحة والصباحه ، والنزاهة والسماحه ؛ والأمانة والديانة ، والسيادة والصيانة ؛

٢٠

وَلَا تَصَدُّوا لَهُ مِنْ كَيْتِمِ أَسْرَارِ الدُّوَلِ ، وَتَرَدُّوا بِهِ مِنْ مُحَاسِنِ الْأَوَانِرِ وَمَآثِرِ الْأَوَّلِ ،
وَالْتَحَفُوا بِهِ مِنْ مَطَارِفِ الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ ، وَتَحَلَّوْا بِهِ مِنْ صِهَاتِ الْأَفْضَالِ
وَالْأَكْرَامِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ أَجْمَعِ ، وَأَيَادِيهِمْ أَلْتِي وَصَحَتْ غُرُرًا فِي لِيَالِي
الْخُطُوبِ الْمَدْلُومَةِ ، بِكُتَّابِ الْحِسَابِ أَكْثَرَ تَحْقِيقًا ، وَأَقْرَبُ إِلَى ضَبْطِ الْأَمْوَالِ طَرِيقًا ،
وَأَدْلُ بَرَهَانًا ، وَأَوْضَحُ بَيَانًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
وَلَتَعْمَلُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴾ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ
لِكُتَّابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ، أَيْ كَاتِبٌ حَاسِبٌ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : " اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سَلِيمٍ يُدْعَى ابْنَ اللَّثْيَةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسِبَهُ " فَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاسِبَ ، وَبِكُتَّابِ الْحِسَابِ تُحْفَظُ الْأَمْوَالُ
وَتُضَبَّطُ الْغُلَالُ ، وَتُحَدَّدُ قَوَائِنُ الْبِلَادِ ، وَتُمَيَّزُ الطَّوَارِفُ مِنَ الْبِلَادِ ، لَمْ يَفْخَرْ كُتَّابُ
الْإِنْشَاءِ بِمَنْقَبِهِ إِلَّا لَخَرُوا بِمَنَاقِبِ ، وَلَا سَمَّوْا إِلَى مَرْتَبَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَفَعُوا إِلَى مَرَاتِبِ ،
وَلَا تَمَيَّزُوا بِرِسَالَةٍ إِلَّا وَلَهْوَلَاءَ فِيهَا الْفِدْحُ الْمَعْلَى ، وَلَا نَسَبُوا إِلَى نَبَاهَةٍ إِلَّا وَمَحَلُّهُمْ فِيهَا
(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِالسَّيْنِ ، وَهُوَ أَفْضَحُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : " الْأَزْدُ " ، الْإِزْي ، وَهُوَ أَوْحَى مِنَ الْبَيْنِ ،
وَمِنْ أَوْلَادِهِ الْأَبْصَارُ كَالْهَمِ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَعْلُومَةٌ مِنَ الْحُرُوفِ مِنَ النُّعْطِ ، وَقَدْ أَثْنَاهَا هَكَذَا هَلَاغٌ عَنْ مَحْبِجِ الْبُخَارِيِّ ح ١
ص ٣٨٢ طبع أَيْدِي وَاللَّيْبَةِ : أَمَهُ ، نَسَبَهُ إِلَى حَيْثُ نَسَبَ ، وَهُوَ حَيْثُ مِنَ الْأَزْدِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْتَحُ اللَّامَ
وَالنَّاءَ الْمُنْتَهَا ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : « الْأَثْيَةِ » ، نَالَهُمْ ، وَفِي : وَابَةِ أُخْرَى بِمَعْنَى يَفْتَحُ ، وَأَسْمَى ابْنَ اللَّثْيَةِ
هَذَا : عَبْدُ اللَّهِ أَنْطَرُ شَرَحَ الْقَامُوسَ مَادَّةَ (لَتَبَ) .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ فِيهَا تَحْرِيفًا مِنْ رِسَائِلِ الْمَشْتَبِهِينَ لَيْسَ لِكُتَّابِ
التَّصْرِيفِ فِيهَا الْقَدْحُ الْمَعْلَى ، كَمَا قَالَ إِلَّا إِذَا كَانُوا مَشْتَبِينَ أَيْضًا ، وَلَعَلَّ صَوَابَهُ « بِبَالَةٍ » ، وَيَرْجَحُهُ حَصُولُ
الْجُنَاسِ بَيْنَهُمَا مَعَ قَوْلِهِ فِي الْجُمْلَةِ الْآتِيَةِ « نَبَاهَةٍ » ، وَالْمُؤَلَّفُ يَمِيلُ إِلَى هَذَا الدَّوْعِ فِي كِتَابَتِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ جُمِعَ
بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ فِي صَفْحَةِ ١٩١ س ١٩٠ .

الحل الأرفع ومقامهم المقام الأعلى ؛ ولا أتصفوا بكتان سرِّ إلا أتصف هؤلاء بمثله ،
ولا شهروا ببذل برِّ إلا وهؤلاء هم أعيان أهله ؛ ثم أختصَّ كُتَّابُ التصرف بأمورٍ
مُنِعَ أولئك منها ، وأُطْلِقَتْ أَقْلَامُهُمْ فِي أَقْلَامِ حُسَيْتٍ ^(١١) أَقْلَامُ أولئك عنها ؛ وأرتقوا
إِلَى قُلُلِ مَرَاتِبِ كَبَتْ جِيَادُهُمْ عَنْ إِدْرَاكِ عَالِيَتِهَا ، وَتَسْتَمُوا ذُرَا مَنَاصِبَ لَا تَمْتَدُّ
الْأَمَالُ ^(١٢) إِلَى أَكْثَرِ مِنْ نَهَايَتِهَا ؛ وَلَسْنَا نَقِيمُهُمْ فِي مَحَلِّ الْمُنَاطَرَةِ ، وَلَا نَوْقُهُمْ فِي مَوْقِفِ
الْمُكَاثَرَةِ وَالْمُفَاخَرَةِ ؛ بَلْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ فَضْلٌ لَا يَنْكَرُ ، وَفَضَائِلُ هِيَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَمَلَى
وَتَسْطَرَّ ؛ وَلَمَّا أَتَيْتُ فِي كِتَابِي هَذَا إِلَى بَابِ الْكِتَابَةِ ، أَرَدْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَنْ
ذِكْرِ كِتَابَةِ النَّصْرِفِ صَفْحًا ، وَلَا أُعِيرَهَا مِنَ النَّظَرِ لِحَا ، وَأَقْتَصِرَ عَلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ جَرِيًا
عَلَى عَادَةٍ مِنْ صَنَفٍ ، وَقَاعِدَةٍ مِنْ أَلْفٍ ؛ فَسَأَلَنِي بَعْضُ إِخْوَانِي أَنْ أَضْعَ فِي ذَلِكَ
مُلَخَّصًا يَعْلَمُ مِنْهُ الْمُبَاشِرُ كَيْفَ الْمُبَاشَرَةِ ، وَيَسْتَصِيءُ بِهِ فِيمَا يَسْتَرْفَعُهُ أَوْ يَرْفَعُهُ ^(١٣)
مِنْ ضَرْبِيهِ وَمَوَاقِفِهِ ؛ فَأُورِدْتُ هَذِهِ التَّبَيُّدَةَ ^(١٤) إِزَالَةَ لِسْوَالِهِ ^(١٥) ، وَتَحْقِيقَ لَأَمَالِهِ ؛
وَذَكَرْتُ مِنْ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ مَا هُوَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعِهَا قَطْرَةً مِنْ بَحْرِهَا ، وَشَدْرَةً
مِنْ عَقُودِ دَرَاهِمِهَا ؛ مِمَّا لَا يَبْدُو لِلْمُبْتَدِئِ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِعِلْمِهِ ، وَالْوَقُوفِ عِنْدَ رَسْمِهِ ؛
وَحِينَ وَضَعْتُ مَا وَضَعْتُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَمْ أَقِفْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى كِتَابٍ فِي فَنِّهَا

❦

- (١) المراد بالأقلام هنا : أنواع كتبه الديوان كقول المصطلح عليه عند كتاب الدواوين في زمانها ؛
وبالتي قلها والي بعدد : جمع القلم بالمعنى المعروف .
(٢) في الأصل : « الأمثال » ؛ والثناء زيادة من السامع .
(٣) يسترفعه : أي يطلب من غيره أن يرفعه إليه . ويرفعه : أي يرفعه هو إلى غيره .
(٤) في الأصل : « موارمه » بالميم ؛ وهو تحريف .
(٥) في الأصل : « فأردت » بسقوط الواو ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .
(٦) في الأصل : « إرادة » وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .
(٧) في الأصل : « فيما » ؛ وهو تحريف .

مصنّف ، ولا أتّيْتُ إلى فصل مترجم بها أو مؤلّف ؛ ولا لمحت في ذلك إشاره ،
 ولا سمعت من لخص فيها عبارده ؛ ولا من تفوه فيها بينت شفة ولسان ، ولا من
 صرّف بنان بلاغيته في ميادينها العنان ؛ حتى أقتدى بمثاله ، وأنسج على منواله ؛
 وأسلك طريقه في الإجادة ، وأخذ حذوه في الإفاده ؛ بل وجدتها مقفلة آلباب ،
 مسبلة الحجاب ؛ قد أكتفى كل كاتب فيها بعلمه ، وأقصر على حسب فهمه ؛
 فراجعت فيها الفكره ، وعطفت الكره بعد الفره ؛ ثم قرعت بابها ففتّح بعد علقه ،
 ورفعت حجابها ففتّح بعد رتبه ؛ وأمتطيت صهوتها فلانت بعد جاحها ، وآرتفت
 ذروتها فظهر للفكره طريق نجاحها ؛ فشرعت عند ذلك في تأليف ما وضعته ،
 وترصيف ما صفتته ؛ وبدأت بأشتقاق تسمية الديوان ، ولم سمي ديوانا ، ثم ذكرت
 ما تفرع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات ، وأول ديوان وُضع في الإسلام ،
 وسبب وضعه ، ثم ذكرت ما يحاح اليه كل مباشر من كيفية المباشرة وأوضاعها ،
 وما استقرت عليه ألقواعد العفيه ، والقوانين الأَصْطِلَاحِيَّة ، وما يرفعه كل مباشر
 ويسترفعه ، والأوضاع الحسابية ، على ما ستقف إن شاء الله تعالى عليه ، وترجع فيما
 أشكل من أمورها إليه .

- (١) في الأصل : « لعل » ؛ وهو تحريف لا يسميه به المعنى . ومترجم بفتح الجيم : أى مسمى .
 (٢) في الأصل : « نبيان » ؛ وهو تصحيف .
 (٣) في الأصل : « ونسج » ، وهو تحريف .
 (٤) العلق . مصدر علقت الباب دون ألف ، وهي لمة قلبه قال الشاعر : « ولا أقول لباب الدار معلق » .
 (٥) في الأصل : « صهوتها » ، بالراء ؛ وهو تحريف .
 (٦) لعله : « وصفته » ، بد به مع فوله : « صفته » في الجملة الآتية يستقيم الدجج الذى التزمه المؤلف .
 (٧) الترسيف : التجميع والتقصيد ؛ يقال : رصف الحجارة و رصفها بخفيف الصاد وقصديدها .
 (٨) انصرا حاشية رقم ٣ من صفحه ١٩٣ من هذا السور .

ذكر اشتقاق تسمية الديوان ولم سمي ديوانا ومن سماه بذلك

قد اختلف في تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أن كسرى
أطلع ذات يوم على كتاب ديوانه ، فراهم يحسبون مع أنفسهم ، فقال : ديوانه :
أي مجانين ؛ فسمى موضعهم بهذا الاسم ، ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال
تخفيفا للاسم ، ف قيل : ديوان . والثاني أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ،
فسمى الكتاب باسمهم لحدوثهم بالأمر ، ووقوفهم على الجلى والخفى ، وجمعهم لما
شد وتفرق ، وأطلعهم على ما قرب وبعد ، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم ، ف قيل :
ديوان . هذا ما قيل في تسميته على ما حكاه الماوردي في الأحكام السلطانية ؛
والله أعلم .

ذكر ما تفرع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائف : أصول وفروع ، وهى : مباشرة الجيوش ،
ومباشرة الخزانة ، وبيت المال ، وأهراء الغلال ، ومباشرة البيوت ، ومباشرة
الهلالي ، ومباشرة الجوائى ، ومباشرة الخراجى ، ومباشرة الأقبصاب والمعاصر
ومطابخ السكر ؛ ويحتاج مباشر كل وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعد يأتى
ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ وليبدأ بذكر مباشرة الجيوش .

(١) كذا فى الأصل وصرح الأعتى ح ١ ص ٩٠ بابا ، ولعله « فى الأمور » ، فإنه بعد ما لدينا
من كتب اللغة أنه يقال : حدثت بالنبي ، والذى وقعنا عليه أنه يقال : حدثه ، وحدثت فيه .

(٢) فى الأصل : « تتدد » بدالين مهملة ؛ وهو بحر يرف .

(٣) فى الأصل : « تسميتهم » والميم زيادة من التامخ ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هري » بصم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء ، وهو بيت كبير تجمع فيه الغلال
الى السلطان ؛ قال الأهرى : لا أدري أعزى هو أم دحيل .

(٥) سبأى شرح أهلال والجوائى ضد الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

ذكر مباشرة ديوان آلخيش وسبب وضع الدواوين

وأول من وضعها في الإسلام

وديوان آلخيش هو أول ديوان وُضع في الإسلام، وضعه عمر بن الخطاب ^(١) -

رضي الله عنه - في خلافته ؛ وقيل : بل وُضع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،

ويدل على ذلك أن البخاري - رحمه الله - ترجم على هذا بقوله : باب كتابة

﴿٣٠﴾

الإمام الناس، قال : حدثنا محمد بن يوسف، قال : حدثنا سفيان عن الأعمش

عن أبي وائل عن حذيفة : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " اكتبوا لي من

تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وحمسمائة رجل " وقد روى البخاري أيضاً

بسند عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " جاء رجل إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فقتل : يا رسول الله، إني آكتبت ^(٢) في غزوة كذا وكذا، وأمراني حاجة ؛

قال : ارجع فأحجج مع امرأتك "

وآختلف الناس في سبب وضعه في أيام عمر، قال قوم : سببه أن أبا هريرة -

رضي الله عنه - قدم بمال من البحرين، فقال له عمر رضي الله عنه : ماذا

(١) في صحيح الأعمش ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الإنشاء ؛ قال :

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم
ويكتاتوبه الخ ثم قال أيضاً : وهذه المكتوبات متعلقة بديوان الإنشاء .

(٢) كذا في اللسان مادة كت ، والدس في الأصل : « إني اكتبت » ؛ وهو تحريف ؛ وفي صحيح

البخاري ج ٤ ص ٧٢ صغ بولاق سنة ١٣١١ : « كتبت » ، وقد روى البخاري هذا الحديث أيضاً

في ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق رواية أخرى ، وهي : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تسافر المرأة

إلا مع ذي محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم » فقال رجل : يا رسول الله ؛ إني أريد أن أخرج

في جيش كذا وكذا وأمراني تريد الحج ؛ فقال : اخرج معها « ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال :

« إني أريد أن أخرج » ولم يقل : « إني كتبت » .

جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم ، فاستكثره عمر^(١) وقال : أتدري ما تقول ؟ قال : نعم ، مائة ألف خمس مرات ؛ فقال عمر : أطيب^(٢) هو ؟ فقال : لا أدري ؛ فصعد عمر^(٣) رضى الله عنه المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، قد حاءنا مال كثير ، فإن شتم كلنا لكم كيلا ، وإن شتم عدونا^(٤) [لكم عدا] ؛ فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم ، فدون أنت [لنا] ديوانا .

وقال آخرون : بل سببه أنت عمر . رضى الله عنه — بعث بعثا وعنده الهرمزان^(٥) ، فقال لعمر : هذا بعث قد أعطت أهله الأموال ، فإن تخلف رجل منهم وأخل بمكانه^(٦) فمن ابن بعلم صاحبك ؟ فأثبت لهم ديوانا ؛ فسأله عن الديوان حتى فسر له .

وروى [عابد بن يحيى] عن [الحارث] بن قنيل أن عمر رضى الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين ، فقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : تقسم في كل سنة ما أجمع إليك من المال ولا تميمك منه شيئا ؛ وقال عثمان بن عفان — رضى الله عنه — : أرى مالا كثيرا يسع الناس . وإن لم يخصوا حتى يعرف من أخذ من لم يأخذ خشيئت أن ينتشر الأمر ؛ فقال خالد بن الوليد : قد كنت بالشام

(١) الطيب : الحلال ، وهو ضد الحديث ، أى هل أكتبه دافعه من حلال ؟ .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٣٤ طبع ليبيا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .

(٤) كذا في صبح الأعشى ح ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية ؛ والذى في الأصل : « العير زان » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « آخر » وفي الأحكام السلطانية : « وأجل » وهو تحريف في كليهما والنتويب عن صبح الأعشى ح ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .

(٦) يريد بقوله : « صاحبك » أمير الجيش ؛ وراد في الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله : به .

(٧) هاتان التكتلات ساقطتان من الأصل ؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

فَرَأَيْتُ مَلُوكَهَا دَفَنُوا دِيَوَانًا ، وَجَسَدُوا جُنُودًا ، [فَدَفَنُوا دِيَوَانًا ، وَجَسَدُوا جُنُودًا] فَأَخَذَ
 بِقَوْلِهِ ، وَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمُحَرَّمَةَ بْنَ نُوفَلٍ وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعَمٍ — وَكَانُوا مِنْ
 كَتَّابِ قُرَيْشٍ — فَقَالَ : اكْتُبُوا النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَبَدَعُوا بَنِي هَاشِمٍ فَكَتَبُوهُمْ ،
 ثُمَّ أَتَبَعُوهُمْ قَوْمَ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ عَمَرَ وَقَوْمَهُ ، وَكَتَبُوا الْقَبَائِلَ وَوَضَعُوهَا عَلَى الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ
 رَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ قَالَ : لَا ، [مَا] وَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ هَكَذَا ،
 وَلَكِنْ أَبْدَعُوا بِقِرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبَ وَالْأَقْرَبَ ، حَتَّى نَضَعُوا عُمَرَ
 حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ ، فَشَكَرَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْحَزْمِ سَنَةَ
 عَشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ . — وَاللَّهُ أَعْلَمُ — ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ
 تَرْتِيبُ النَّاسِ فِي الدَّوَاوِينِ عَلَى قَدَرِ النَّسَبِ الْمَتَّصِلِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَضَّلَ بَيْنَهُمْ فِي الْعِطَاءِ عَلَى قَدَرِ السَّابِقَةِ فِي الْإِسْلَامِ . وَسَنَذَكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي خِلَافَةِ
 عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا فُرضَ مِنَ الْعِطَاءِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ عَلَى مَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى — فِي مَوْضِعِهِ مِنْ فَنِّ التَّارِيخِ ، وَهُوَ فِي السِّفَرِ السَّامِعِ عَشْرَ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، فَهَذَا
 كَانَ سَبَبَ وَضْعِ دِيَوَانِ أَلْبَيْشِ .

وَأَمَّا دَوَاوِينُ الْأُمُورِ -- فَإِنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ

عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ دِيَوَانُ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ مَمَالِكِ

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع ألمانيا .

(٢) كذا في مستدرك الناح ، والذي في الأصل والأحكام السلطانية : « محجمة » ، الحاء المهملة والراء
 المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) لعله يريد بقوله : وَوَضَعُوهَا عَلَى الْخِلَافَةِ ، أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْتِيبَ الْقَبَائِلِ فِي الدِّيَوَانِ عَلَى حَسَبِ
 قَرَابَتِهِمْ فِي النَّسَبِ مِنَ الْقَبِيلَةِ الَّتِي فِيهَا الْخِلَافَةُ .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ، وقد أمنتها عن الأحكام السلطانية لإذنها يستقيم الكلام .

(٥) كذا في الأحكام السلطانية ، والذي في الأصل : « تعدد » ، وهو تحريف .

الروم ؛ وكان ديوان العراق بالفارسية لأنه كان من ممالك الفرس ؛ فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان ، فنقل ديوان الشام إلى العربية في سنة إحدى وثمانين من الهجرة ؛ وكان سبب نقله — على ما حكاه المدائني — أن بعض كتّاب آروم في ديوانه أراد ماء لدواته ، فقال في الدواة ، فبلغه ذلك فأذبه ، وأمر سليمان بن سعد أن ينقل الديوان إلى العربية ، فسأله أن يعينه بخراج الأردن سنة ، ففعل وولاه الأردن ، وكان خراجه مائة ألف وثمانين أمة دينار . فلم تنقضى السنة حتى فرغ من الديوان ونقله . وأتى به عبد الملك ودعى سرجون كاتبه فعرضه عليه فغمه وخرج كثيرا ، فلفيته قوم من كتّاب الروم . فقال لهم : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

١٠ وأما ديوان العراق — فكان سبب نقله إلى العربية أن كاتب الحجاج بن يوسف كان زاذان فروخ^(٣) . وكان معه صالح بن عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربية والفارسية ، فأوصله زاذان فروخ^(٣) إلى الحجاج . فخف على قلبه ، فقال صالح لزاذان فروخ إن الحجاج قد قزى ولا آمن أن يقدمني عليك ؛ فقال : لا تظن ذلك فهو إلى أحوج مني إليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري . فقال له صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لفعلت ؛ فقال : خولّ منه ورقة أو سطرا حتى أرى ، ففعل ؛ ثم قُتل زاذان فروخ في حرب عبد الرحمن بن الأشعث ، فاستخلف

(١) الأردن بصم الأهمية وتشديد النون : كدرة واسعة . مذهب الغور وطة ية وصور وعكا وما يس ذلك .

(٢) كذا في تاريخ الطبري قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن ؛ والدي في الأصل . « مرجون » بالحاء المهملة .

(٣) كذا في مقدمة ابن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبري قسم ٢ ص ٥٨ طبع ليدن ؛ والدي في الأصل : « راذا فروخ » . وهو تحريف .

الاحتجاج صالحا مكانه ، فَذَكَرَ له ما جرى بينه وبين زاذان فَرُوخ فأمره أن ينقله ، فأجابته إلى ذلك وأجله فيه أجلا حتى نقله إلى العربية ، فلما عرف مَرْدَانِشَاه بن زاذان فَرُوخ ذلك بذل له مائة ألف درهم ليُظهِرَ لِلْحَاجِّ العَجَزَ عنه ، فلم يفعل ؛ فقال له : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية .

وكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ! .

هذا ما حكي في ابتداء نقل الدواوين ، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشرة .

ذكر ما يحتاج إليه كاتب الجيش على ما استقر

١٠ في زماننا^(١) هذا من المصطلح

يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصع^(٢) أسماء أرباب الإقطاعات والقود والمجالات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم ، والممالك السلطانية ، وأجناد الخلفاء ، وأمراء التركان والعربان ؛ ويضع لذلك جريدة مقفاة على حروف المعجم يثبت فيها أسماءهم ، ويذكر الأسماء وأبتداء إمرته أو جنديته في أي سنة كانت من السنين الهلالية لاستقبال ما يكتب من مغل السنة الخراجية ، وعن أنقل إليه الإقطاع ؛

١٥

(١) في الأصل : « في مكاننا » ، ويرجح ما أئناه قوله في سياق في صفحة ٢٠٨ س ١١ فهذه

هي القواعد التي استقرت في زماننا .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في مواضع كثيرة من هذا الباب ؛ ولعل كتاب الدواوين إذ ذاك كانوا يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم ، كما يفهم من سياق الكلام ؛ وفي كتب اللغة أنه يقال : رصع العقد بالجوهر ترصيعا إذا نظم فيه وضم بعضه إلى بعض ، والمعنى أن كاتب الجيش يضم أفراد كل طائفة إلى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها .

٢٠

وَيُرْمِزُ قُبَالَةَ كُلِّ أَسْمٍ إِلَى عِبْرَةِ إِقْطَاعِهِ رَمْزًا لِاتَّصِرِيحِهَا ، وَيُشِيرُ فِي جَنْدِيَّ الْحُلُقَةِ إِلَى مَقْدَمِهِ ، وَيَعَيِّنُ فِي أَسْمِ التُّرْكَانِيَّ أَوِ الْبَدَوِيِّ مَا قَدَّمَهُ إِلَى الْإِصْطِبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْمُنَاخَاتِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْجَمَالِ ، وَفِي عَرَبَانَ مَصْرَ الْمَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ فِي مَقَابِلَةِ الْإِقْطَاعَاتِ مِنَ التَّقَادِمِ ، وَإِقَامَةَ خَيْلِ الْبَرِيدِ فِي الْمَرَاكِزِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَقْلِ الْغُلَالِ ، وَمَا هُوَ مَقَرَّرٌ عَلَيْهِمْ فِي أَبْتَدَاءِ أَمْرِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِقْطَاعَاتِ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى جَارِي الْعَادَةِ ، ٥
فَإِنْ أُنْتَقَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ إِقْطَاعٍ إِلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ بَعِينَهُ وَضَعَ تَحْتَ إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ مَا صَوَّرْتُهُ : ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهِ بِمَقْتَضَى مَنْشُورِ تَارِيخِهِ كَذَا عَنْ فُلَانٍ الْمُنْتَقِلِ إِلَى غَيْرِهِ ، أَوِ الْمَتَوَقَّى ، أَوِ الْمَفَارِقِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَإِنْ كَانَ عَلَى سِيَاقَتِهِ فِي إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ قَالَ : عَلَى سِيَاقَتِهِ ؛ وَضَبَّطَ تَارِيخَ الْأَوَّلِ ، وَإِنْ كَانَ لَأَسْتِقْبَالِ مُغَلٍّ أَوْ شَيْءٍ مِنْ مُغَلٍّ مِيزَهُ ، وَاحْتِاجَ إِلَى مُحَاسَبَةِ رَبِّ الْإِقْطَاعِ عَلَى إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ ؛ وَالْمَحَاسِبَاتُ ١٠
غَالِبًا لِنَمَّا تَقَعُ بَعْدَ وَفَاةِ الْأَمِيرِ أَوِ الْجَنْدِيِّ ، أَوْ أَنْفَصَالِهِ بَوَاجِهٍ مِنْ وَجْهِهِ الْأَنْفَصَالَاتِ ، وَأَمَّا مَا دَامَ فِي الْخِدْمَةِ فَهِيَ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ؛ وَصُورَةُ الْمُحَاسَبَةِ أَنْ يُقِيمَ تَارِيخَ مَنْشُورِهِ إِلَى تَارِيخِ أَنْفَصَالِهِ أَوْ نَقْلِهِ ، وَيَعْقِدَ عَلَى ذَلِكَ جَمْلَةً ، وَيُوجِبُ لَهُ عَنْ نَظِيرِ خِدْمَتِهِ أَسْتَحْقَاقًا ، وَيَنْظُرَ إِلَى مَا قَبَضَهُ مِنَ الْمُغَلَّاتِ فَيَجْمَعُهَا ، فَإِنْ كَانَ قَبَضَهُ نَظِيرَ خِدْمَتِهِ فَلَا شَيْءَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ زَادَ قَبَضَهُ عَلَى مَدَّةِ خِدْمَتِهِ أَسْتَعَادَ مِنْهُ مَا زَادَ بِنِسْبَتِهِ ، ١٥
وَإِنْ كَانَتْ خِدْمَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ قَبْضِهِ أَفْرَجَ لَهُ عَنْ نَظِيرِ مَا فَضَّلَ لَهُ ؛ وَمِنْ الْعَادَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يُسْقَطَ مِنْ أَسْتَحْقَاقِ أَرْبَابِ الْإِقْطَاعَاتِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَحَدُ عَشَرَ يَوْمًا وَرَبِيعَ يَوْمٍ ، وَهِيَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ أَلْسِنَةِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْقَمَرِيَّةِ ، وَيُرِزَلُهُ مَا بَقِيَ

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَتَحَابُّ التَّحْمَةِ السَّيِّئَةِ لِابْنِ الْجَلِيعَانَ ؛ وَالطَّاهِرُ أَنْ الْمُرَادَ بِهَا مَا يَقْدَرُ عَلَى الْإِقْطَاعَاتِ ، أَخَذًا مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ ؛ وَسَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبرُونَ الدَّرَاهِمَ الْمُتَحَصِّلَةَ مِنَ الْبَلَدِ ، أَيْ يَقْضُونَهَا بِذَنَانِيرٍ جَيْشِيَّةٍ كَمَا يَفْهَمُ مِنَ التَّحْفَةِ السَّنِيَّةِ .
(٢) الْمُرَادُ بِالتَّقَادِمِ : الْهَدَايَا ، وَهُوَ جَمْعُ تَقْدِمَةٍ .

وَيُعْطِيَهُ الْمِثْلُ مِنْ نِسْبَةِ الْبَارِزِ، وَقَدْ سَوَّحَ بِذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ دُونَ بَعْضٍ ؛
وهذه الْجَرِيدَةُ تَسْمَى الْجَرِيدَةُ الْجَيْشِيَّةُ .

وَيَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ جَرِيدَةِ إِقْطَاعِ صَوْرَتِهَا : ^(١) أَنَّهُ يَرْصَعُ الْأَعْمَالَ
كُلَّ عَمَلٍ وَبَلَادِهِ وَضِيَاعِهِ وَكُفُورِهِ وَقِرَادِهِ وَجَزَائِرِهِ وَجُرُوفِهِ وَجِهَاتِ الْهَلَالِيِّ
وَالْجَوَالِي ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهِ وَحُدُودِهِ وَالْجِهَاتِ الْمُسْتَظْهِرِ بِهَا وَالْبِدُولِ ، وَسَائِرِ ^(٢)
مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِذَلِكَ الْمَكَانِ ؛ وَيَذْكُرُ عِبْرَةَ الْبِلَادِ الْجَيْشِيَّةِ . وَمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ حَالُ ^(٣)
مُحْصَلِهَا أَخِيرًا ، وَإِنْ كَانَ بِالشَّامِ ذَكَرُ الْعِبْرَةِ الْجَيْشِيَّةِ وَمُتَحَصِّلُ الْبِلَادِ لثَلَاثَ سِنِينَ : ^(٤)
مُبْقَلَةً وَمَتَوَسِّطَةً وَمَجْدِبَةً ، ثُمَّ يَشْطَبُ ^(٥) الْآلَةَ كُلَّ جِهَةٍ أَسْمَاءَ مُقْطَعِيهَا ، وَمَا هُوَ بِاسْمِ كُلِّ ^(٦)
وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، لِيَتَحَرَّزَ لَهُ بِذَلِكَ هَلْ اسْتَوْعَبَ الْإِقْطَاعُ جَمْلَةَ النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ ، ^(٧)
وَيَتَمَيَّزُ لَهُ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَحْلُولَاتِ ؛ وَإِنْ اسْتَقْلَ رَبُّ إِقْطَاعٍ مِنْ إِقْطَاعٍ إِلَى غَيْرِهِ ^(٨)
بَادَرُ بِشَطْبِهِ لَوَقْتِهِ فِي مَوْضِعِهِ لَثَلَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَالْإِخْتِلَافُ .

(٣٢)

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « حقوقه » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل ؛ وقد نجد من معاني هذه الكلمة ما ياسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) في الأصل : مقبلة . وفيه قلب صوابه ، أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه ؛
والمقبلة : التي كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة في عدة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمتد خطاً على اللفظ الواقع
في الكلام كما في شفاء الغليل ، وليس هذا مراداً هنا ؛ والظاهر أن كتاب الدواوين في عصر المؤلف
اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والعلل من المستندات إلى الدوائر ، كما هو مصطلح كتاب الدواوين
عندنا في استعمال هذه الكلمة ، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب ، وهذا المعنى هو المراد بالشطب في هذا
الباب ، كما يفهم من السياق .

(٧) في الأصل : « ليتحرز » بالزاي المحممة ؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : العلط .

ويحتاج إلى أن يتعاهد مباشرة بالمعاملات والبرور بطلب
الكشوف الجيشية في كل ثلاث سنين ويشطبها على ما عنده لتحتجز عنده العبر،
ويتميزه ما تعين من الزيادة والنقص .

ويحتاج أيضا إلى بسط جريدة ثالثة بأسماء أرباب النقود
والمكيلات خاصة، لأنه يحتاج أن يفرج لكل منهم في كل سنة عن نقده ومكيله
بمقتضى ما شهده منشوره، وعادة قبضه وجهته، أو مما تعين بقلم الاستيفاء إن كان،
فإذا أفرج لكل منهم شطب تاريخ إفراجه قبالة اسمه لتتضبط له بذلك تواريج
قبوضهم ويأمن من التكرار والغلط، وهذه الجريدة هي فرع من الجريدة الجيشية،
فإنه يسطها منها .

ويحتاج في أجناد الحلقة السلطانية إلى أن يضيف كل جماعة منهم
إلى مقدم مشهور من أعيانهم ممن هو متميز الإقطاع، ويقيم عليهم نقيباً يعرف
مساكنهم ومظانهم، فإذا طلبوا جمعهم، أو طلب أحد منهم أحضره، ويسمى هذا
المقدم : مقدم الحلقة، ويضيف كل جماعة من أمراء الطبلخانة وأمراء العشرات،

(١) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما ياسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « لتحتجز » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالنط هنا : التقييد ؛ كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « من أخبار » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخانة : أي بيت الطبل ؛ وحاناه : لفظ فارسي معناه البيت إلا أنهم يؤخرون المضاف عن
المضاف إليه على عادة العم في ذلك، وقال في صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخانة : إنها
طبول متعددة معها أبواق وزنارات تحلب أصواتها على إيقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة
المغرب وتكون صحبة الملك في الأسفار والحروب ، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك .

ومَقْدَمِي الحَلَقَة، ومضاهيهم إلى مَقْدَم كبير من أمراء المائة^(١)، ويسمى هذا الأمير :
مَقْدَم الألف ؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين جريدة عِدَة، يضع فيها اسم مَقْدَم
الألف وعِدته من غير تفصيل لأسمائهم وقبالة اسمه عِبْرَة إقطاعه^(٢)، ما هو لحاصه،
وما هو لأصحابه ؛ ثم أمراء الطبلخاناه كَل أمير وعِدته ، وعِبْرَة إقطاعه ،
على ما تَقَدَّم في مَقْدَم الألف ، ويرتبهم في التقديم والتأخير على مراتبهم ؛ ثم أمراء
العشرات كذلك ؛ ثم ذكر مَقْدَمِي الحَلَقَة فيعين اسم المَقْدَم ونسبته وأتباعه إن
كان له أتباع، وعِبْرَة إقطاعه، ثم يذكر مضاهيه من الحَلَقَة على هذا الحكم، ويرتبهم
بحسب مراتبهم، يبدأ في كَل تَقْدِيم اسم المَقْدَم ، ويختتم اسم النقيب، ليسهل
عليه طلب كَل جندي من مقدمه، ويطلبه مقدمه من نقيبته ؛ وإن أنتقل أمير
أو جندي من مَقْدَم ألف أو مَقْدَم حَلَقَة وأنضاف إلى مَقْدَم آخر نقله لوقته لثلاً
يضطرب عليه حالهم ، ويلتبس أمرهم ؛ وكذلك أيضاً يفعل في ألبمالك السلطانية
من إضافة كَل جماعة منهم إلى مَقْدَم من أعيانهم ، ويميز أرباب الوظائف
منهم : من السلاحدارية والحربدارية والرُحدارية والجُمقدارية والزردكشية^(٣)
^(٤) ^(٥)

(١) يريد الطائفتين : الأمراء وأجناد الحَلَقَة .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السمر .

(٣) السلاحدارية : نسبة إلى السلاحدار وقد ذكر في صح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ أن دار لفظه
فارسية معناه ممسك ، فاعل من الإمساك ؛ وكثير من كتاب الرمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ
دار في ذلك عربي بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير ؛ وهو خطأ الخ ما قال ؛ معنى سلاحدار : ممسك
السلاح ؛ وكذا يقال فيما يأتي بعده .

(٤) الجمقدارية : نسبة إلى الجمقदार وهو الذي يكون دائماً حامل الدبوس ، كما في كتاب معبد العم
وميد النعم ص ٥٠ طبع أور ١ .

(٥) الزردكشية : هم لباسو الدروع ؛ وكش بالغة الفارسية ، معناه لابس انظر المعجم الفارسي
الانجليزي تأليف ستاين حاس مادة « كشيدن » .

(١) والبُندقدارية ومن السقاة والجمدارية والخزندارية (٢) والخراس والبشمقدارية (٣) وغيرهم ؛ ويضيف كل جماعة من كل طائفة منهم إلى متعين من جملتهم ، ويجمع عدة كل طائفة ويقدم عليهم أمثلهم ؛ وأما الممالك الكتابية (٤) أرباب الجاهلييات (٥) فينسب كل جماعة منهم إلى طبقة مُقدمها من الطواشية ، وينسب الممالك البرجسية (٦)

(١) البندق : الذى يرى به ، وهو معروف ؛ والبندقدارية : هم الذين يحملون هذا البندق حلف السلطان أو الأمير . انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٨ ٤ فى تفسير البندقدار .

(٢) السقاة : جمع ساق ، قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤ ٥ هو لقب على الذى يتولى مد السباط وتقطيع اللحم وسق المشرب بعد رفع السباط ونحو ذلك ، وكأنه وضع فى الأول الساق المشروب فقط ثم استحدث له هذه الأمور تبعاً الخ .

(٣) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ ٤ عند الكلام على الجمدار : إنه الذى يتصدى للإلباس السلطان أو الأمير نيابة ؛ وأصله : « جامادار » خدو ألف بعد الجيم وبعد الميم استغلا وقيل : جمدار وهو فى الأصل مركب من نطين فارسى أحدهما حاماً ومعناه الثوب والثاني دار ومعناه ممسك .

(٤) فى الأصل : « والخرندارية » وهو تخرىف لتكرره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٢ ٤ فى الخزندار بكسر الخاء . وفتح الزاى المعجمة : هو لقب على الذى يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ .

(٥) فى الأصل : « والخران » بالو ؛ ولم نخذه فيما راجعناه من المطان .

(٦) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ ٤ فى تفسير البشمقدار : إنه الذى يحمل عمل السلطان أو الأمير ؛ وقال : إن الشمق باللغة التركية معناه العمل ؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئية : أن الصواب فيه « بصبق » بالصاد بدل الشين ؛ ثم قال : والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدم والذى فى الأصل : « السمقدارية » بالسين ، ولم نخذه فيما راجعناه من المطان .

(٧) الكتابية : أى الذين يشتغلون بالكتابة .

(٨) الجاهلييات : الرواتب والأجور ، واحده جاهلية ؛ وأصله باللغة الفارسية : « جامكى » بفتح الميم وكسر الكاف . انظر المعجم الفارسى الإخلى تأليف ستاين جاس .

(٩) سميت هذه العدة بهذا الاسم نسبة إلى الأبرار التى كانوا ينادونهم فى القلعة ، ومنهم كانت دولة المماليك الثانية التى حكمت الديار المصرية .

إلى مساكنهم ومقدمهم ، والبحرية إلى مراكزهم ومقدمهم ، والأوشاقية الذين إقامتهم بالإسطول إلى المقدم عليهم من الطواشية ، ويرجع سائر الممالك السلطانية إلى مقدمهم الكبير ، ولا يكون في الغالب إلا من الطواشية الأمراء .

ويحتاج أيضا إلى أوراق أخر تتضمن أسماء أمراء الميمنة وأمراء الميسرة ، والخالس - وهو المقدم - أمام قلب الجيش ، وهذه الأوراق تكون جُمْلَةً يُستغنى فيها بذكر مقدمي الألوف دون مضافيهم .

(٣٣)

ويتلو هذه الأوراق أوراق أخر - تتضمن أسماء الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان في الصيد والركوب للمنتزهات وفي الميادين للعب بالكرة ، وفي غير ذلك ؛ هذا ما يحتاج إليه في الأمراء والممالك السلطانية ورجال الحلقة .

وأما أجناد الأمراء فإن مباشر الجيش ^(٢) يسترفع من دواوينهم أوراقا بعدة أجناد كل أمير منهم ، يُصَدِّرُها كاتب عدّة الأمير على عدّة نسخ بحسب المباشرين للجيش ، ويقول في صدرها ما مثاله : عَرَضَ رَفَعَهُ أَمْلُوكُ فُلَانٍ الْفُلَانِيُّ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أَحْالٌ إِلَى آخِرِ كَذَا ، وَالْعِدَّةُ خَاصَّتُهُ ، وَكَذَا كَذَا طَوَاشِيَا ، وَيُشْرَحُ أَسْمَاءُ

(١) قال في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ : ومن الأحاد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون بالقلعة وحول دهاية السلطان د لحرس ؛ أول من ربههم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أي كبري أيوب . اه كلامه وإنما سمي هذه الطائفة بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون بجزيرة في النيل وهي جزيرة الروسة ؛ ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما في كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أي يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « هذه » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسبق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « رقعة » ؛ وهو تحريف .

أجلخند، وما أقطع بآسم كل منهم من إقطاع ونقد ومكيل، مبتدئاً برأس المدرج ومن يليه في أجلخند، ثم ممالك الأمير وألرايمه، ويختتمهم بالنقيب، ثم يعين في آخر المدرج ما بقي لخاخص الأمير من الواحي وألجهاث، وما عليه منه لأصحابه من نقد ومكيل إن كان؛ ويلزمه عمل مسير على نواحي الإقطاع ^(١) يشطب كل جهة بأسماء من أقطعت لهم، وما بقي منها للخاص إن كان؛ فإن كان منشور الأمير قد عين فيه ما هو لخاصه وما هو لأصحابه فليس له أن يفتطع من المعين لخصه ما يضيفه لخاصه، ولا يمنع أن يقطع من خاصه زيادة لأصحابه؛ وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه، فإن له التصرف في ماله دون مال غيره، وله أن يميز بعضهم على بعض بحسب أحوالهم ومراتبهم؛ فإذا رفعت إليه هذه الأوراق عرض جند كل أمير في مجلس ولي الأمر بمشهد من الأمراء وغيرهم، فمن أجاز ولي الأمر عرضه ^(٢) حلاه قبالة اسمه، ويعين في حلاه سنه ولونه وقامته، ثم يذكر حلية وجهه، ويصف ما يميز به عن غيره من أثر في وجهه أو غير ذلك؛ ومن رده ولي الأمر من العرض طوبى الأمير بإقامته غيره، فإذا أقامه وعرضه وأجاز ولي الأمر عرضه حلاه عند ذلك، وعين تاريخ عرضه إن كان عرض به بعد يوم العرض الشامل؛ ويرقم المباشر بقلمه على رأس أوراق العرض تاريخ عرضه وأجلخند؛ وتستحق هؤلاء أجلخند الإقطاعات والبقود والهلالي من تاريخ عرضهم وتدوينهم في الديوان، والأمير من تاريخ منشوره؛ فإن مات جدي منهم أو فارق الخدمة أقام الأمير عوضه، وعرضه على ولي الأمر، وأثبت اسمه بالديوان، وإن قطعه الأمير فلا يخلو قطعه؛ إقاماً أن يكون لسبب كالعجز ونحوه فله ذلك، وإما أن يكون بغير سبب فلا يخلو:

(١) يشطب: أي يفيد كما في باب ذلك في الخاتبة رقم ٦ من صده ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) حلاه: أي وصفه والحلية: الهيئة والصمة.

إما أن يكون قَطْعُهُ له في قرب زمن إدراك المَغْل فلولى الأمر منعه من ذلك ،
أو في غير وقت المَغْل ، فإن عَرَض من هو أَكْفَى منه وأَقْدَر على الجندية أُجِيزَ ،
وإن عَرَض من هو دونه مُنِيع أميره من ذلك ، وألزم باستمرار الكفاي أو إقامة من يمثله
في الكفاية والقُدرة ؛ وإذا عرض الأمير أصحابه في السنة الثانية جَدَّد كتابه أوراقا
بالعرض نظير الأولى ، وشطب ^(١) كتاب الجيش ^(٢) حلى الجند من أَلْعَرَض الأول ، ثم يقابلها
بالصورة الجديدة في وقت العَرَض الثاني ، فإن وافقت وطابقت أجازته ، وإن
اختلفت أَلْحَلَّى وتباينت ردّه وطالع ولّى الأمر به ليقع الإنكارُ على من تجاسر
على فعل ذلك لما فيه من التلبس ؛ فهذه هي القواعد التي آسستقرت في زماننا
والله أعلم .

- ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهده وحفظها ، فإن كان بين يدي
السلطان ورسم له بإقطاع أمير أو جندي كتب مثالا بالإقطاع ، وكتب السلطان
أو نائبه بقلمه أعلى المثال ما مثاله : يُكْتَب ؛ وعين ناظر الجيش بقلمه تحت خط
السلطان أو نائبه ما مثاله : رُسم أن يُكْتَب بِاسْمِ فلان لآستقبال مُغْل سنة كذا ، ولآستقبال
كذا من مُغْل سنة كذا ؛ وخَلَّد الكاتب هذا الشاهد عنده ، وكتب مثالا ثانيا مريعا
بما مثاله : رُسم بالأمر الشريف العالي المولوى السلطانى المَلِكُ الفلانى — ويدعو
للسلطان — أن يُقْطَع ويُقرَّر بِاسْمِ فلان الفلانى — وينعته بما يستحق — ما رُسم
له به الآن من الإقطاع والنقد والمكيل إن كان فيه نقد أو مكيل في السنة ، خارجا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « جدا » بالحم والدال ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الجندى » ؛ وهو تحريف .

عن الجواهر والمواريث الحشرية ^(٢) والرزق الإحسانية ^(٣)، إن كان الإقطاع بالديار المصرية؛ وإن كان بالشام قال: خارجا عن الملك والوقف، ثم يقول: ^(٤) خبّر فلان الفلاني، إن كان عن أحد؛ وإن كان من أخصاص أو مستجدا أو مستظها به عيّنه، ويذكر خاصته وعدته وأتباعه، أو بمفرده، ثم يعين جهات إقطاعه، ويثبت هذا المثال الثاني في الديوان، وتسمّله علامة السلطان ونائبه، ثم يخلّد بديوان الإنشاء، وهو شاهد الموقع، ويكتب منشوره بمقتضى ذلك المثال، وتسمّله علامة السلطان وخط نائبه ووزيره بالامثال، ويثبت بديوان آبلش ثم بالدواوين، وإن كان الكاتب في جهة خارجة عن باب الملك من الممالك الشامية وأمره النائب بإقطاع أحد كتب مثالا بالإقطاع، وكتب النائب بأعلاه: يكتب، ثم يكتب عليه الناظر نحو ما تقدم، وهو شاهد الكاتب، ثم يكتب المثل الثاني في ورقة مربعة بما مثاله: رُسِم بالأمر الشريف العالي المولوى السلطاني المملكي الفلاني أن يقطع ويُقرّر باسم فلان ما رُسِم له به الآن من الإقطاع، ويُعيّن ^(٥) خبّر من كان وسبب حاله عنه، إما بوفاة، أو بمفارقة، أو بانتقال إلى غيره، أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لإخراج الإقطاع عنه،

(١) الجواهر: جمع جالية، وهي الجزية التي تؤخذ من أهل الذقة؛ وسيأتي الكلام عنها في ذكر الجزية.

(٢) المواريث الحشرية: هي مال من يموت وليس له وارث حاص بقراءة أو غيرها؛ أو الباقي بعد العرص من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٤.

(٣) في الأصل: «الورق» وهو تحريف بالرزق بكسر هـ وفتح زان عب: جمع رزفة بكسر الراء، وهي الجزية: يقال: كم رزقتك في الشهر: أى جرايتك. (مستدرک التاج) والإحسانية بكسر الهمزة: نسبة إلى الإحباس، وهو مصدر أحست المال: إذا وقفته.

(٤) كذا في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ و ١٥٦؛ والذي في الأصل: «خبّر»؛ وهو تصحيف.

- وَيَكْتُبُ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ عَلَيْهِ بِالترجمة، ويترجم عليه الناظر بقلمه تحت خط النائب بما مثاله : المملوك فلان يقبل الأرض ويُهيئ أن هذا مثلاً كَرِيمٌ بِاسْمِ فلان المرسوم إثباته في جملة الأمراء والمالِكِ السلطانية، أو البحرية، أو رجال الحماقة المنصورة، أو رجال التركمان، أو العربان، أو الجبلية بالمملكة الفلانية، أو بالجهة الفلانية بما رُسِمَ له به الآن من الإقطاع عن فلان ، والعِدَّة خاصته، وكذا كذا طواشياً، أو بحسب ما يكون لاستقبال ما عيَّن فيه على ما سُرح بإطنه، والأمر في ذلك معدوق بإمضائه أو بما يؤمر به من الأبواب . ثم يُثَبَّت بديوان الجيش، ويُجهَّز إلى باب السلطان، فإذا وصل إلى الباب كُتِب عليه الناظر ومن معه من الرفاق بالمقابلة، وقول به، ثم تَسَمَّله علامة السلطان أو نائيه بالكتابة ، ويخلده كاتب الجيش بالباب عنده ، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل إلى تلك المملكة شَمِلَ خطَّ نائبها بالامثال، وكتب عليه ناظر الجيش ورُقَّتُهُ بالثبوت تحت خط ناظر الجيش بالباب ورفاقه، ثم يُثَبَّت بالدواوين، ويفرج لرب الإقطاع على حكمه، ويُثَبَّت إفراجه، ويُسَلَّم إليه إقطاعه؛ فهذه شواهد المناشير والأمثلة .
- وأما غيرها من شواهد الكشف فعمل حسب الوقائع ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

١٥

(٤)
ويحتاج إلى ضبط أَسْمَاء من تَوَجَّه بِدُستور إلى جهة من
أُلجَهاَت، ويراعى آنقضاء مدة الدستور، ثم يكشف عنه، ويطالب مقدِّمه به ،
(١) في الأصل : « ما رسم » بدون الباء ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما في صبح الأعشى ج ١٣
ص ١٥٥، أى هذا مثال بما رسم الخ .

٢٠

(٢) كذا في صبح الأعشى ح ١٣ ص ١٥٩ ؛ والذى في الأصل : « خاصة » بدون ها .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

(٤) المراد بالدستور : الإذن . واطلاعه على هذا المعنى إطلاق عامي، انظر شرح القاموس .

وكذلك من تَوَجَّه إلى أَلْجَاز وغيره، وكذلك من تَخَلَّف عن العَوْد مع أَلْجِش المَجْرَد
 في المَهْمَات، فِرَاعِي ذلك حَسَب الطَّاقَةِ والإِمْكَان، وإن تَعَدَّرَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَةٌ مِنْ
 (١١) تَأَثَّرَ بَعِينُهُ يَسْتَعْلِمُ أَخْبَارَهُمْ مَجْمَلَةً مِنْ مَقَدِّمِهِمْ وَنَقَائِمِهِمْ.

ويحتاج إلى أنه مهما أنحل من الإقطاعات ، أو تَعَيَّنَ مِنْ تَفَاوُتِ
 المَدَدِ عَمَنْ دَرَجَ وفارق وانتقل ،^(٢) أو ما تَعَيَّنَ فِي خِلَالِ المَدَدِ بين منفصل ومتصل
 يَحْرُورُ ذلك ، وَيَكْتُبُ بِهِ حَوَاطَةَ جَيْشِيَّةٍ يَضُمُّهَا اسْمُ رَبِّ الإِقْطَاعِ المتصل ونواحِ
 إقْطَاعِهِ ونَقْدَهُ وَمِكْلَهُ إِنْ كَانَ ، وَيَعَيَّنُ اسْتِقْبَالَ الحَوَاطَةِ ، وَيُمَيِّزُ مَا اسْتَحَقَّهُ الدِيَوَانُ
 مِنَ المَغْلِّ ، وَتُصَدَّرُ إِلَى دِيَوَانِ التَّصَرُّفِ بِعَدَشْمُولِهَا بِالْعِلَامَةِ وَشُبُوتِهَا ، وَيَطَالِبُ المَسْتَوْفِ
 بِكَتَابَةِ رُجْعَةٍ بِوَصُولِ ذَلِكَ إِلَيْهِ لِيَبْرَأَ مِنْ عَهْدِهِ ، وَيُلْزَمُ المُنْتَبِتُونَ التَّعْرِيفَ بِذَلِكَ
 وَإِضَافَةَ مَا يَتَحَصَّلُ مِنْهُ ، فَإِنْ أَتَى كَاتِبُ أَلْيَشِ إِصْدَارَ الحَوَاطَاتِ إِلَى دِيَوَانِ التَّصَرُّفِ
 حَتَّى يَفُوتَ الزَّمَنُ الَّذِي يُمْكِنُ فِيهِ تَحْصِيلُ مَا فِيهَا ، كَانَ تَحْتَ دَرَكِهِ وَتَبَعِيَّتِهِ ،^(٧)
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) في الأصل : « يستعمل » ؛ وفي حروفه قلب لا يستقيم به المعنى .

(۲) درج : ای مات .

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة .

(٤) المراد بالانتقال : الانتقال من إقطاع الى إقطاع آخر .

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه تكتاب الدواوين في زماننا بالحوطة ، أحدا من السياق ، وفي كتب اللغة أن الحوطة أسم من الأحباط ، وهو الأخذ بالحزم والثقة ؛ والحوط : الحفظ .

(٦) المستوفى: هو الذى يضبط الديوان ، ويبنه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك ؛ وفى بعض المباحثات قد ينقسم المستوفى الى مستوفى أصل ، ومستوفى مباشرة ؛ وكل واحد منهما أعمال تخصه.
 صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧) الدرك بالتحريك والتبعة كلاهما بمعنى واحد ، ومنه ضمان الدرك في اليمين ، وتسكن راؤه أيضا .

ويحتاج مباشر الجيش إلى مراجعة جرائده : الجيشية والإقطاعية وأوراق العدة في كل وقت من غير احتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماء الجند ونواحي إقطاعهم ، فإنه بصدد أن يُسأل عن شيء من ذلك بين يدي ملك أو نائب ، فإن أخرّ الجواب بالجملة إلى أن يكشف عنه ربما يُسبب إلى عجز فيتعين أن يكون على خاطره من جليات الأحوال ما يجيب به في المجلس على الفور ، ولا يتأتى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه ، والنظر إلى ذلك أحوج من غيره من المباشرين ، لأنه المسؤول والمخاطب في غالب الأوقات ؛ والله أعلم بالصواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة الحلي^(٢) واختلافها على ما ذكره في فصل الوراقة^(٣) ولا بد له من معرفة الأوضاع التي اصطلاح عليها كتاب الجيوش في كتابة الحلي من الاختصار ؛ فهذه أمور كلية لا بد لمباشر الجيش من معرفتها وإتقانها .

ويتجنب مباشر الجيش أن يرُقم بقلمه عدة جيش تصرّحاً ، لما يتعين من إخفاء عدته وذكر تكثيره ، فإنه إن وُضع ذلك بقلمه لا يأمن من الاطلاع عليه

(١) لعله : « الحالة » كما يرشد إليه قوله بعد : « من جليات الأحوال ما يجيب به » .

(٢) الحلي : جمع حلية ، وهي الصفة والمهيئة واطر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السمر .

(٣) في كتب اللغة أن الوراقة هي حرفة من يورق ويكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التي اصطلاح عليها الكتاب فيما يكتبونه من الأوراق . كما يستفاد مما يأتي في كتابة الحكم والشروط ، فإنه ذكرها يحتاج إليه كاتبها أن يكون قد أتقن صناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب في كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعد ذلك ما نصه : وأما معرفة صناعة الوراقة في الأمور التي ذكرناها فذلك من العوائد ما لا يخفى على ذي لب لأن الكاتب إذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرّره ألغاه على ما استقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومنا بعة الكلام وسياقه وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألغاه الخ .

(٤) في الأصل : « ويتجنب » ؛ وهو تصحيف .

(١) فَيُشِيعُ وَيَذِيعُ ، وقد يَتَّصِلُ بالعدوِّ والمعاندِ والمُنَاوِي فَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ من الفساد ما يَتَرْتَّبُ وهذا بَابٌ يجب على كاتب الجيش الاحتفال به ، والاحترازُ من الوقوع فيه ، وكنهه عن سائر الناس ؛ وإن دعت الضرورة الى تسطير ذلك خشيةً أن يسأله ولَّى الأمر عن شئ منه ، فليكن وضعه لذلك رمزاً خفياً بصطاح عليه مع نفسه لا يعرفه إلا هو ، أو من له دُرْبُهُ بمباشرةِ الجيش .

ويتجنب أن يكشف عِبرةً إقطاع أو متحصّلة ، أو يذكر ذلك لأحد إلا برسوم ولَّى الأمر ، ثم يذكره باللفظ دون الخط ، ووجه الاحتراز كثيرة ، وهى بحسب الوقائع ، فيعين على مباشر الجيش ملاحظة ذلك والاحتراز من الوقوع فيما يُنْقَدُ عليه ، أو يصلُ سببُ ضررٍ منه إليه ؛ هذا ما أمكن إirاده مما يحتاج مباشر الجيش إلى آتماده ؛ والله أعلم .

(٣٦) وأما مباشرة الخزانة — فالعمدة فيها على العدالة والأمانة ، لأن خزان الملك في هذا العصر اسمها ، وكثرة حواصلها ، وعظم ذخائرها لا تضبط بسياقة ، فإنه لو طول كاتب الخزانة بعمل سياقة لحواصلها عن سنة احتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنة كاملة لا يشتغل فيها بغيرها ، فإذا تحزرت سياقة السنة في آخر السنة الثانية وكشفها مباشر الأصل وحررها في مدة أخرى من السنة الثالثة فانت المصلحة المستقبلية ، وتعطل على المباشر ما بعد تلك السنة ، لأشغاله بنظر تلك السياقة . فإذا تقرر عجز

(١) في الأصل : « نيسج » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) في الأصل : « بالعدد والمعاند » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٣) الاحتفال به : أى الاهتمام بأمره .

(٤) في الأصل : « حسة » ؛ وهو تصحيف .

(٥) اطرا الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « بطم » بالميم ؛ وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أمبنا .

الكتاب عن عمل السَّيَاقَةِ بهذه المقدِّمة فقد تَعَيَّنَ ^(١) أنَّ العمدَةَ في مباشرتها على الأمانة والعدالة ؛ ومع ذلك فيحتاج كاتبها إلى أمور :

- (٢) منها ضبط ما يصل إليه من حمول الأموال والأصناف ، ويقابل ما يصل منها على رسائله ، ويحزِّره بالوزن والذِّرع والعدَد والأحمال على اختلاف أجناسه وأنواعه وأوصافه ، ويميّز ما يصل إليه من الأقاليم والثغور والأعمال والممالك ، وما يصل ٥ من الهدايا والتَّقديم ^(٣) على اختلافها ، فيضيف كلَّ نوع إلى نوعه ، وصنِّف إلى صنفه ؛ وكذلك يحزِّر ما يتناعه من الأصناف التي تدعو الضرورة إليها وجرت العادة بآبئِباعها .

- (٤) ومنها معرفة عوائد أرباب الصَّلات والإنعام ، ومصاريِف أرباب المناصب عند ولاياتهم ، وما جرت عليه عوائدهم من الإنعام في خلال مباشراتهم بالأسباب ١٠ الموجبة لذلك وغير الأسباب ، وعوائد أرباب التَّقديم والصَّنَاع وغيرهم .

ومنها ضبط ما يصل إلى الخِزانة من تَقادِم الملوك والنواب ، ويقابل ما يصل منها في الوقت الحاضر على ما تَقَدَّم ، ويحزِّر زيادته من نقصه ، ويكون ذلك على خاطره ،

(١) في الأصل : «لأن» ؛ واللام زيادة من النسخ .

(٢) في الأصل : «فضل» ؛ وهو تحريف . ١٥

(٣) التقديم : جمع تقدمه بكسر الدال ، وهي الهدية ؛ فعمله على الهدايا من قبيل عطف المرادف .

(٤) المراد بالعوائد هنا : الصلات ، واحده عائدة .

(٥) في الأصل : «وتصاريِف» بالناء ؛ وهو تحريف .

(٦) المراد بالعوائد جمع عادة ، كما في المصباح المسير ، ولم نجد هذا الجمع في غيره من كتب اللغة ؛

وقد سبق أن نهينا على ذلك في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ من هذا السفر . ٢٠

فإن سألته ولي الأمر عنه أجابه، وإلا فلا يبدؤه، ويضبط عادات مُهاداة الملوك وما جُهِزَ إلى كلٍّ منهم في السنين الخالية، وما كان قد وصل من هداياهم، وما جرت عليه عاداتُ رسلهم وقُصَادِهِمْ من التّشاريّف والإِنعام .

ومنها ضُبُط ما جرت به العادة من كُسا أرباب العوائد المقرّرة في كلّ سنة (٢) على اختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والممالك السلطانيّة وغيرهم، وتوارىخ صرف الكسوة اليهم .

ومنها تجهيز ما جرت ألعادة بأن يُجهز في خزائن الصّحبة عند استقلال ركاب السلطان من مقرّ ملكه، إما إلى الصيد والزّهة، وإما لكشف ممالكه عند أنتقاله من مملكة إلى أخرى، أو في حروبه عند ملاقاته الأعداء، فيجهز ما جرت به العادة في ذلك، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم وليّ الأمر، ولا يستكثر من استصحاب صنف من الأصناف عند توجّهه إلى معدن ذلك الصنف ومطّنته، ولا إلى الخزانة منه بحمله، بل يستصحب منه ما يكون معه ذخيرة واحتياطاً، إذ لو طلب الملك ذلك الصنف في مسيره قبل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يسدّ به الضرورة، ولا يعتذر بأنه ما استصعبه معه بحكم توجّهه إلى معدنه، وأنه فعل ذلك للصّلة الظاهرة، فإن الملوك لا تحتمل مثل ذلك، ولا تصبر على أن يفقد

(١) في الأصل : « وصادم » ؛ وهو تحريف .

(٢) العوائد : الصّلات .

(٣) في الأصل : « ماليك » والياء زيادة من اللامع .

(٤) في الأصل : « بالجملة » ؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة، والمعنى على ما أثبتنا :

أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة، بل يحمل منه إليها ما تدعو الحاجة إلى حمله .

من ذخائرها ما تطلبه ؛ ويستكثر من استصحاب الصنف المعلوم في ذلك الوجه الذى يتوجه إليه ؛ ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه في مسيره وعويدة ؛ والله أعلم .

ومنها ضبط ما ينسب إليه الصنّاع من مراكش وخباط وقوّاء ونجّاد وسراج^(١) وخرْدَفُوشى^(٢) وغيرهم بالوزن والدّرع والعدد ، ويُحرّزه عند استعادته من صانعه .

- ومنها تحرير ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يُحمل منها في كلّ مُدّة ليطالب به إن تأخر عن وقته ؛ وإن قلّ صنف من الأصناف عنده يبادر بمطالعة وزير المملكة أو مدبرها بذلك ليخلص من عهده . وعلى وزير المملكة ومدبرها طلب ذلك الصنف من مظانه وحمله إلى الخزانة .

وأما ملبوس الملك المختص بنفسه وعادته في التفصيل والحبس والطول والسعة^(٤) فهو أمر متعلّق برأس نوبة الجندارية^(٥) ، وهو المقدم عليهم ، فعليه أن يحضّر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافق لغرضه ، فيفصل مسه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل . وعلى معلّم الخياطين الدرك في طوله وسعته وهندامه ، ولا يستغنى المباشر عن معرفة ذلك ، ولا يستغنى أيضا عن معرفة

(١) في الأصل : « ومها » ؛ وهو تحريف .

١٥ (٢) النجاد تشديد الجيم : من يعاح العرش والوسائد ويخطها .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم في كتاب المغرب والدخيل للبدنى المحفوظ مسه سبعة محطوة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة ورد في هذا الكتاب في تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يقولها أهل الحرمين لصانعي السروج ونحوها ، وليس له أصل في اللغة العربية اهـ والذى في الأصل « خرد قوسى » باللقاف والسين ، ولم نخذه مما راجعناه من المطان .

٢٠ (٤) كذا في الأصل ؛ ولعله يريد بالحبس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

قِيمَ الأشياء على اختلافها وعادة التفصيل والترفية^(١) والجندرة^(٢) والحشو ليشارك رب كل صنعة في صناعته بنظره ولسانه، ولا يكون في ذلك مقلدا جملة، بل يشاركونهم فيما هم فيه، وعليهم الدركُ دونه فيما لعله يعرض في ذلك من خالٍ إن وقع، لأن هذه الصناعات زائدة على وظيفته ولازمة لأوائك^(٣) فأثما رجل اجتمعت فيه هذه الأوصاف تعين على ولي الأمر ندبه لمباشرة الخزانة، وقرر له كفايته، وألزمه إن امتنع.

وأما مباشر بيت المال — فعمدته على ضبط ما يدخل إليه وما يخرج منه، ويحتاج في ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقيم لكل عمل من الأعمال وجهة من الجهات أوراها مترجمة باسم العمل أو الجهة، ووجود أموالها، فإذا وصل إليه المال وضع الرسالة الواصلة قريبة من ذلك العمل، ثم شطبها بما يصح عنده من آواصل إليه، وذلك بعد وضعه في تعليق المياومة، فإن صح الواصل صحبة الرسالة كتبت لمباشر ذلك العمل رُجعة بصحته، وإن نقص ضمن رُجعته : من جملة كذا؛ وأستثنى بالعجز والرد، وبرز بما صح، وأعاد الرد على مباشر ذلك العمل وأثبت في بيت المال ما صح فيه، فإن كان العجز عن اختلاف الصنيع عينه في رُجعته

(١) في الأصل : الترقية ؛ وهو تحريف إذ لم نلحده مما راجعاه من المطاوع والترقية . مصدر رقا الثياب بتشديد الماء : إذا لم حرقوها والتشديد في هذا الفعل للتكثير والمبالغة . وهو وإن لم يوحدهما في أيدينا من كتب اللغة فقد ورد في شعر أبي العلاء المعري . قال : ألقى عليها جليسي في الدجى حمما * فقام عنها ثواب يرفها
انظر هذا البيت في لروم ما لا يلزم ص ٥١ طبع مطبعة المحروسة بمصر .

(٢) في الأصل : « الجندرة » ؛ وهو تحوير إذ لم نلحده فيما بين أيدينا من المطاوع والجندرة : من جندرت الثوب ، إذا أعدت وشبه بعد ذهابه قال الجوهرى : وأطنه معرب .

(٣) من ذلك العمل : أى من أرواى ذلك العمل .

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السمر .

(٥) الصنيع : جمع « نعمة » بفتح فسكون ، وهو ما يؤزن به ؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح « مادة « صنع » والسين فيها أفصح من الصاد ؛ وهو معرب .

ولا شيء على مباشر العمل ، وإن كان مع اتفاقها فلا يعتد لمباشر العمل أو أوجهة إلا بما صح في بيت المال .

ويحتاج كاتب بيت المال إذا عمل جامعة سنة إلى أن يضم كل مال وصل إليه إلى ما هو مثله ، من الخراج والجوالي والأخماس وغير ذلك بحسب ما يصل إليه ، ويفصل جملة كل مال بنواحيه التي وصل منها ، ويستشهد فيه برسائل الجول ، ويضيف إلى جملة ما انعقد عليه صدر الجامعة من الأموال ما أنساق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التي قبلها ، ويُفذلِك ^(١) [بعد ذلك] ^(٢) ، ويعرف ما لعله صرفه من نقد بنقدي في تواريخه ، ويستقر بالجملة بعد ذلك ؛ ثم يشرع في الخصم ، فيبدأ منه بما حله إلى المقام على يد من حل على يده وتسلمه ، من الخزنديارية والجداريّة وغيرهم إن كان ، ثم يذكر ما نقله إلى الخزانة ويستشهد فيه برجعاته ، وما نقله إلى الخواارج خاناه والبيوت والعمائر وغيرها بمقتضى استدعاءات هذه الجهات ووصولات مباشرها ، وفي أبواب الحكام مكبات والرواتب والصّلات بمقتضى الاستئارات والتواقيع السلطانية ؛ فإذا تكامل الحبل والمصروف عقد عليهما جملة وساق ما بقى إلى الحاصل ، والله أعلم .

وطريق مباشر بيت المال في ضبط المصروف أن يسط جريدة على ما يصل إليه من الاستدعاءات والوصولات من الجهات ، وأسماء أرباب الاستحقاقات

(١) يقال : فذلِك الحاسب حسابه . إذا أنهاه وفرغ منه ، وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب : فذلِك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .

(٢) موضع هاتين الكلمتين في الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر تفسير الخرنديارية والجداريّة في الحاشيتين رقم ٣ و ٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٤) في الأصل : « استبدعات » وهو تحريف .

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « الاستئار » ؛ بالثاء ، وفيه تصحيف ونقص ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

وبالجامعات والرواتب والصلوات، وما هو مقرر لكل منهم في كل شهر بمقتضى
تواقيعهم أو ما شهدت به الاستمارات القديمة المخلدة في بيت المال، ويشطب
قبالة كل أسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقدا من بيت المال، أو حوالة
تُفَرِّع على جهة تكون مقررة له في توقيعه، ويوصل إلى تلك الجهة ما فزعه عليها،
وكذلك إذا أُنْحَال رَبَّ استحقاق غير ثمن مبيع أو غيره على جهة عادت بها تجل إلى بيت
المال سَوَّغ ذلك المال في بيت المال، وأوصله إلى تلك الجهة، والتسوية
في بيت المال هو نظير المجرى؛ وإذا وصل إليه استدعاء من جهة من الجهات
أو وصول وضعه في جريدته، وخصمه بما يقبضه لربه، ويُشهد عليه بما يقبضه،
ويُورد جميع ذلك في تعليق المياومة.

وأما مباشر أهراء الغلال (٧) — فبني أمره أيضا على ضبط ما يصل
إليه، وما يُصرف من حاصله، ويحتاج في مبدأ مباشرة إلى تحرير ما أنساق من
حواصل الغلال بأصنافها، وإن أمكنه تمييز ذلك بينه، ويكون أقرن لعمله ثم ييسط
حريدة يرصع فيها أسماء نواحي الخااص السلطاني التي تصل الغلال منها إلى الأهراء

(١) يشطب: أى يفيد كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) في الأصل: «بقرع»؛ وهو تحريف. (٣) في الأصل: «متبع»؛ والثواب؛ وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «صزع» بالصاد؛ وهو تحريف اذ لم ينف على معنى له ياسب السياق. ولعل

صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال في نظرية بيت المال ما نصه: «وهو صوعها
حمل حول الملكة الى بيت المال والصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسوية محصرا وصرفا الخ.
والتسوية: التجوز، يقال: سوعه له، أى جوزه». والمراد به هنا: الإذن في تناول الاستحقاق
من جهة معينة تيسيرا وتسجيلا على الآخذ (التاج).

(٥) في الأصل: «والتصويغ» بالصاد؛ وهو تحريف اطار الحاشية السابقة.

(٦) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل. (٧) اطار الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥

من هذا السفر. (٨) اطار الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

فإذا جاءت رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت أسم الجهة ^(٢) وعبر ما وصل قريتها، فإن صح صحتها كتب لتلك الجهة رُجعة بالصحة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المركب أو الظاهر الذي حمل ذلك الصنف قد سُفر من ديوان الأصل، أو سُفره مباشر العمل من جهته، فإن كان قد سُفر من ديوان التفسيرات طالب مباشر الأهرام مقدّم رجال المركب والأمين المسفر عليه بالعجز، وألزمهما بحمله، فإن كان قد سُفر من الأعمال كان درك ذلك على من سُفره، ومباشر الأهرام بالخيار بين أن يطالب محضر الغلة بالعجز، أو يرجع على مباشر العمل به، ويكون مباشر العمل هو المطالب لمن سُفره، والأولى طابُ محضر الغلة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المباشر الذي سُفره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يعد كان مباشر الأهرام قد أَصَرَ بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغرم ^(٣) مع قدرته وتمكنه من استرجاعه ممن عدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك في التفريط، وإن وصلت إليه الغلة متغيرة تغيراً ظهر له منها أنها خلطت بغيرها، إما بوصول عين تلك الغلة إليه، أو بقرينة الحال التي يعلم منها أن تلك الغلة لا يوجد مثلها من فلاح، ولا يُعتد بها من خراج السلطنة ^(٤) اظهور غلتها، أو وصلت إليه الغلة مبلولة بلا ظاهراً لتريد عند الكيل ^(٥) وتتميز نظير ما أخذ منها، فله أن يعمل لذلك معدلاً، وهو أن يكيل منها جزءاً معلوماً ويغبرله حتى يصير مثل العين التي عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالته

(١) في الأصل: «هذه» وهو تحريف.

(٢) يقال عبرت الشيء: إذا نظرت كم هو كذا أو وزناً.

(٣) في الأصل: «الغرم»؛ والياء زيادة من النسخ.

(٤) الغلت بفتحين: اسم لما تخلط به الحنطة، يقال: غلت الحنطة بالشعير: أي خلطتها به.

(المصباح).

(٥) تمير: أي ترتفع، وهو من الميز بمعنى الرفعة، كما في مستدرك التاج.

٣٩٠

الأولى، ويجرر العجز على هذا الحكم، وبطالب به مُحْضَر الغلة؛ وينبغى له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخطئها بغيرها، فإنها بعدد بللها لا تحمل طول البقاء؛ هذا ما يعتمد في القبض،

وأما في المصروف، فإن كان لصاحب جربة أو صلة أو إناعم أو تقا^(١) لفلأح صرف ذلك من عرض حاصله، ويراعى في صرف التقاوى أن تكون من أطيب الغلال وأفضلها، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند استيفاء الخراج، وإن كان ما بصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم الخبز، أو للإسطبلات والمناخات برسم العليق غرسه، وحرر نقصه، وأورده في جامعته من الفذلكة واستقرار الجملة؛ ومباشرة الأهرام مناسبة في أوضاعها لمباشرة بيت المسال.

ذكر مباشرة البيوت السلطانية

وهي الخوانج خاناه، والشراب خاناه، والطشت خاناه، [والفراش خاناه]^(٤)، والسلاح خاناه؛ وأمر البيوت معذوق بأستاذ الدار.

فيحتاج مباشر الخوانج خاناه إلى أمور: منها ما يحتاج إليه من راتب السباط العام والطارئ—وهو الطعام الثاني الذي يمتد بعد قيام السلطان من المجلس العام، ويأكله

(١) التقاوى من الحبوب: ما يعزل لأجل البذر؛ وهي عامة (مستدرك التاج).

(٢) في الأصل: «وأن»؛ والواو زيادة من التامع.

(٣) الفذلكة: حاصل الحساب، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السهم.

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التي سيذكرها فيما يأتي.

(٥) في الأصل: «وأمرأ»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) معذوق: أي منوط ومرتبطة كما يناط العذق بكسر العين—وهو القنو—مالتجة؛ وقد ورد

هذا اللفظ في مواضع من هذا الكتاب وفي مؤلفات أخرى مراداً به هذا المعنى.

خواصّ الملك ومن يحضره بين يدي السلطان ، وهو أخصّ من السّمات الأول -
وطارئ الطارئ وهو الطعام الثالث الذي يُمدّ بعد رفع الطارئ. ومنه يأكل الملك
وخواصّه، وقد يأكل السلطان من الطارئ الذي قبله ؛ فيحترز ما يحتاج إليه
من لحوم وتوابل وخضراوات وأبازير وتحال^(١) وقلوب^(٢) وطيب وخبور وأحطاب
وغير ذلك ؛ ولذلك عندهم معدّل^(٣) قد عرفوه فلا يتجاوزوه ، فإنه إن صرف زيادة عنه
بغير سبب ظاهر خرج عنه وكان تحت درّكه .

ومنها معرفة مقادير الأسمطة في أوقات المهمّات والأعياد ليجرى الأمر فيها
على العادة ، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تعاهد أسماء الحوائج خاناه ، فيستدعى ما يراه قد قلّ عنده منها قبل
نفاده بوقت يمكن فيه تحصيله ، فإن أئّر طلب ذلك إلى أن ينفد ، أو طلبه في وقت
ولم يبقَ عنده منه ما يكفيه إلى أن يأتيه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشر تحت
درّك إهماله ، ومتى طلب ذلك في وقته وطالع ولى الأمر به فقد خلّص من عهده .^(٤)
ويحتاج إلى بسط أسماء من يعامل بالحوائج خاناه من قصاب وحيواني^(٥)
وطيور وغيرهم ، ويحصر لكلّ منهم ما أحضره في كلّ يوم ، فإذا اجتمع له من ذلك
وحيواني^(٦)

١٥ (١) الأمازير : جمع أمار ، وهو جمع بزوبالفتح والكسر ، فأبازير جمع الجمع .

(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والعسق وغيرها مما يؤكل قلبه ، كما يستفاد من خطط
المقريري ح ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق في الكلام على دار العطرة .

(٣) «عه» : أى عن المعدّل .

(٤) في الأصل : «اشتهاله» ؛ وهو تحريف .

٢٠ (٥) من يعامل : أى من يعاملهم ، وهم الذين يشتري منهم الأصناف المطلوبة للحوائج خاناه ؛ والذي

في الأصل : «من العامل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٦) في الأصل : «ويحصر» بالضاد ؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبته جَرَّد له محاسبةً ضَمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثَمَّنَه ، إما بتعريف الحِسْبَةِ ، أو بعبادة استقرَّت له ، وأحاله بمبلغ ما وجب له على بيت المال ، أو استَدَعَى من بيت المال ما يُنفِق منه ^(١) وأشْهَد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسماء أرباب الرواتب السلطانية وأرباب الصَّلَّات ، وما لكلِّ منهم في كلِّ يوم ، وخصِّمه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة ، صنفاً أو حَوَالَةً ؛ ويراعى حال مَنْ مَرِض من الممالك السلطانية ويُقِل من ^(٢) اللحم إلى المَزَاوِيْ أو المسالِق فيقطع مُرْتَبَه من اللحم في مدَّة مرضه ، ونظير ذلك من التوابل في مدَّة مرضه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسُل الواردين ، والأضياف المتردِّدين ، ومرتب الصدقة في شهر رمضان ، وعادات الأصاحي والصَّلَّات في عيد النحر ، فيجرى الأمر على حكم العادة ؛ ويضبط جميع ما يصل إليه من ديوان المتجر ومطابخ السكر وغيرها ، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف ؛ ويضبط أيضا ما استقرَّ في كلِّ ليلة من الوقود من شَمْع وزيت ، ويصْرِف على ما استقرَّ عنده ، وإذا سَلَمَ شَمْع الوقود إلى الطَّشْتَدَارِيَّة وزنه عليهم ، وعَبَره عند إعادته في بُكْرَةِ النهار لِيَتَمَيَّزَ له البَقْص ؛

(١) عبارة الأصل : « ما نفق فيه » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا ، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولعله يريد جمع "مزورة" بتشديد الواو المفتوحة ، وهي مرقعة يضعها المريض ، وهي مولدة ، كما في شفاء الغليل ، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعنا من المطان .

(٣) في الأصل : « المصاليق » بالصاد ؛ وهو تحريف إذ لم نجد فيما راجعنا من المطان . والمصاليق : جمع مسلول ، وهو من سلقت البقل ونحوه ؛ إذا أعليته بالار ؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة ، وهو ما طيخ بالما ، وحده .

(٤) في الأصل : « والأصناف » ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره : أى نظر كم وزنه .

وَيَضِطُّ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَصِلُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ عَنْهُ مِنْ عَادَاتٍ مِّنْ قَنِعٍ وَتَبَلٍّ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَرِدُ وَمَا يُرْتَّبُ وَيَزَادُ وَيُقَطَّعُ .

وأما الشراب خاناها — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكر والأشربة والدرياقات والسفوفات والمعاجين والأقراص والأقسما^(٣) والفقاق^(٤) والبلج^(٥) والأبقال^(٦) والحلويات^(٧) والجوارشات^(٨) والفواكه ، وما يجرى هذا المجرى ؛ وأمر هذا البيت الخاص معذوق بأمير مجلس ، والعام بأستاذ الدار ؛ فيحتاج مباشرة هذه الوظيفة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف ،

(١) عبارة الأصل : « من دامت ما بقى » وهو تحريف صوابه ما أمتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الرواب التى حملت للزهاد والمنقطعين إلى العادة من طعام وشراب .

(٢) الدرياق والة ياق بالذال والتاء . : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسى معرب .

(٣) الأقسما : شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون ويطرح فى ذلك يسر من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء العليل أن الأقسما : قبح الزبيب ، قال : وأطسه معرب « ألبها » .

(٤) الفقاق : شراب يتخذ من الشعير ، وسعى بذلك لما يرتفع فى رأسه ويعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يبقل ويخفف ويطحن ويضاف إليه من دقيق الحطة قدر مثليه إلى آخره ذكر فى كيمية صعه .

(٥) الحلويات : جمع حلوى . فتح فسكون : نسبة إلى الحلوى بقصر الألف .

(٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ؛ وفى المعجم الفارسى الانجلى تأليف ستانجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر ، وأنه يساعد على الهضم .

(٧) فى الأصل : « خاص » بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : « والعام » .

(٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك في عقد الأشربة والحلويات، وما يعقده للشروب وما يصرفه من ذلك، ومعرفة عادات الأسمطة والطوارئ والرواتب المقررة في كل يوم، فيجري الأمر فيها على العادة المستقرة، وما يستدعيه السلطان على حسب الاتفاق، وما يصرف للرضى من المال كسلطانة من أنواع الأشربة والمعاجين وغيرها بمقتضى أوراق الأطباء؛ هذا ما يعتمد عليه مباشرها والله أعلم.

وأما الطشت^(١) خاناه — فهي بيت تكون فيه آلة الغسل والوضوء، وقماش^(٢) السلطان البياض الذي لا بد له من الغسل، وآلة الحمام، وآلات الوقود؛ فيكون في هذا البيت من الآلات: الطشت^(٣) والأباريق والسخانات والطاسات والكراشي^(٤) والستائر واللآبيد المختصة بالحمامات والسجادات والثمرقات^(٥) والمناشف وفوط الخدمة ومقاعد الجلوس من الجوخ والبسط، وغير ذلك، والمباخر وأنواع البخورات والطيب والغوالي وماء الورد والمسك، وغير ذلك من الأصناف التي تلائم هذا البيت؛ ويستدعى ما يحتاج إليه برسم هذا البيت من الحوائج خاناه والخزانة؛ والله أعلم.

(١) الطشت بالشين المعجمة لعة في الطشت بالسين المهملة؛ وقد نقلت هذه اللفظة في شروح الشفاء، فقيل: هي خطأ، وقيل: بل هي لعة.

(٢) الذي يستفاد من مستدرك الناج وكتاب المعزب والدخيل للذوق المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لفة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عام.

(٣) البياض: أي ذو البياض، فوجه الوصف به ظاهر.

(٤) كذا ورد هذا الجمع في الأصل؛ ولم نجده فيما راجعنا من كتب اللغة؛ والمراد بها هنا: اللبود، وهي البسط من الصوف الملتد، واحده لبد بكسر اللام.

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا «المرلقات»؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا. والفرقات بضم النون والراء: الوسائد.

(٦) الغوالي: جمع عالية، وهي ضرب من الطيب؛ وإنما سميت بهذا الاسم لأنها أخلاط تغل على النار مع بعضها، وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك (انظر تاج العروس).

وأما الفراش خاناه - فيكون فيها أنواعُ القُرُشِ والنجيامِ والخروكاهات والتخخوت^(١) وقصور الخشب التي تُصَبُّ في الدهاليز، وحمامات الخشب التي تُثَقَّلُ على الظهور في الأسفار، وما يتعلق بذلك من اللبابيد^(٢) وشلائت^(٣) النوم وغير ذلك؛ وهو بيت متسع فيه حواصل كثيرة لها قيمٌ جليلة تحتاج إلى ضبط ومعرفة، فإن مباشر هذا البيت يحتاج إلى معرفة ما يحتاج إلى استصحابه في أسفار السلطان لخاصيته ولما يليكه على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُصَبُّ برسم آذر السلطان^(٤) ومن يتبعه من الخُدّام وما يُصَبُّ برسم البيوت السلطانية الخزانين فما دونها، وما يُصَبُّ لأرباب الوظائف من المباشرين الذين يكونون في صحبة الركاب السلطاني، ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية والكلابزية^(٥) والحواري؛ ويميّز بين خيام الصيد والنزّه والأسفار والحروب، وغير ذلك من الحركات التي يحتاج فيها إلى استصحاب النجيام

(١١)

(١) في الأصل: «الحزكاهات»؛ وهو تصحيف اذ لم تقف عليه في ارجعناه من المطان. والخروكاهات: جمع خروكا. وأصله بالعارسية «خرجاه»، ومعناها: القبة؛ كما في المعجم العارسي الانجليزي تأليف ستينجاس.

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.

(٣) الثلاث: لفظ يستعمله العامة ويريدون به القُرش المحشوة. ولم نجده فيما راجعناه ١٥ من كتب اللغة التي بين أيدينا.

(٤) في الأصل: «قال»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٥) في الأصل: «الخاصة»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده.

(٦) الآدر: جمع دار.

(٧) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا: «ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير المباشرين حتى الكلابزية» وفيها تكرار وقع من النسخ؛ واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا؛ والكلابزية: هم الذين يكفون بمجدة الكلاب والقيام عليها، كما يستفاد من كتاب معبد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدت. وفي شفاء الغليل: أن الكلبزة هي المعرفة بحال الكلاب السلوقية.

(٨) في الأصل: «خادم»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق.

ولكل حركة منها ما جرت به العادة من خيام المُقام والسَّفر^(١)؛ ويعرض ما يسمَّه
للفَرَّاشين عليهم، ويضبط صفاته عند السَّفر، ويستعيده منهم عند العود بعرض
ثانٍ، وكذلك ما يسمَّه لأرباب الوظائف؛ ويضبط أيضا ما يسمَّه الصَّنَاع الذين
يفصلون ألحام الحديد وغيره من آلات الفِراش خاناه : من فُماش بياض ومصبوغ^(٢)
وغزل وجلود ومشمَّعات وشعر وأخشاب، وغير ذلك، ويعرف عوائدهم في الآخر^(٣)،
ويحاسبهم على ما يستحقونه من الأجر بحسب أعمالهم فيحلبهم بمبلغه .

وأما السلاح خاناه - فهي من أعظم البيوت وأهمها، وأمرها راجع
إلى أمير سلاح؛ وعلى المباشر فيها حفظ ما يدخل إليها، وضبط ما يخرج منها^(٤)
مما يسمَّه السلاح دارية والزَّرد كشيبة والحرب دارية والرُّمَح دارية من أنواع السلاح
وأصنافه إذا ركب السلطان أو جلس في المجلس العام، وأستعاده منهم، وإعادته لهم،
والاعتدَاد لهم بما أنعم به السلطان وذهب مما كان بأيديهم؛ ويوصل ما يصل إلى
السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرها، وما يصل إليه من سيوف الأمراء الذين يرسم
باعتقالتهم، وما يحمل إليه من سلاح من تُوفَّى من الأمراء على جاري العادة . « ويميز ذلك^(٥)
من غيره » وعليه أن ينبّه أمير سلاح على ما عنده من العدد التي يُخشى عليها التلف

(١) في الأصل : « والسبق » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالياض : ذو الياض ، كما سبق في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر .

(٤) لعله : « لها » .

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « وبين » ؛ وهو تحريف . وقد وردت هذه الجملة في الأصل قبل قوله :

« وما يحمل إليه » سياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أئمتنا .

بتطاول المدة ليأمر بكشفها وإصلاحها : من مسح ودهانٍ وصقلٍ وجلالٍ وتخيذ^(١) وتثقيب وتحرز، وغير ذلك .

وجميع ما قدمنا ذكره من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلمية ، بل العملية خاصة ، فإن علوم الكتابة إنما تظهر في نظم الحسابات ، ولا نُظَم فيما قدمناه ؛ والعمدة في صناعة الكتابة على مباشرة الهلالى والخراجى على ما أتى بيان ذلك .
إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات أموال الهلالى ووجوهها وما يحتاج إليه مباشرها
والهلالى عبارة عما تُستأدى أجوره مشاهرة ، كأجر الأملاك المسقفة من الآذر^(٣) والخوانيت والتمامات والأفران وأرجية الطواحين الدائرة بالعوامل ، والراكبة على المياه المستمرة الجريان ، لا الطواحين التى تدور بالمياه الشتوية في بعض نواحي الشام ،
فإنها تجرى تجرى الخراجى ، وسندكر ذلك إن شاء الله في موضعه ؛ ومما نورد في أبواب الهلالى عداد الأغنام والمواشى ، ومن الهوائى الجهات الهلالية المضمونة والمحولة ؛
والذى يعتمد عليه مباشرة أن يختير لكل جهة من يستأجرها بقيمتها ، وما لعله يتعين

(١) فى الأصل : « ونجد » بالون والبال ؛ وهو تحريف .

(٢) يريد بالوجوه ها : الطرق ، أى طرق الكباب واصطلاحاتهم فى كتابة هذه الأموال ، فلا تكرار بينه وبين قوله : « جهات » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السمر .

(٤) الأرجية : جمع رعى ، وهذا الجمع نادر ، بل نقل الأزهرى عن أبى حاتم أنه خطأ وأن الصواب فى جمعه أرحاء .

(٥) العوامل : البقر .

(٦) المراد بالهوائى : ما ليس له سقف ؛ وعبارة المقرئ فى الخطوط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق :

« والجهات الهوائية المضمونة والمحولة » .

من الخِطَّة، ويُزِم المستأجر بكتابة إجارية شرعية لمدة معلومة بأجرة معينة؛ ويخلدُها في ديوانه؛ وإن كانت الجهة هوائية ألزم ضامنها بكتابة مُتجة بمبلغ الضمان، وطالبه بن يكفله من الضمان الأملاء القادرين بالمال في الذمة، فإن تعدد فيالوجه؛ فإذا خُلدت الحجة عنده كتب له من ديوانه تقريراً عين له فيه استقبال مدة ضمانه، ومبلغ الضمان وأقساطه مبسوبة أو منجّمة، ويذكر فيه ما يستأديه من رسوم تلك الجهة على ما تشهد به الضرائب المخددة في الديوان، وسُلم إليه؛ فإذا تكلمت عنده إجازات الأُملاك وُحجَّ الضمان بسط على ذلك جريدة يشرح فيها الجهة، وأسم مستأجرها أو ضامنها، واستقبال مدة إيجاره أو ضمانه، ومبلغ الأجرة أو الضمان في السنة والشهر واليوم؛ وإنما ذكرنا اليوم لما يتحصل من أقساط أيام سلوخ الشهور الناقصة، ولما كانت العادة جارية به من استخراج قسط يوم التعديل من سائر ضمان الجهات

٤٢

(١) في الأصل : «الذمة» بالعين والياء الموحدة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ والخطئة اسم من الأخطايط؛ والمعنى أنه يلزم القيام بما يتعين عليه من الأخطايط والأخذ بالثقة في إجارة كل جهة .

(٢) «الأُملاء» بهجرتين : جمع ملي، وهو الثقة العني، وقد أولع الناس فيه ترك الهمة وتشديد الياء .

(٣) «بالمال» متعلق بقوله : يكفله .

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : البقاء، أي أن تصدر الكفيل دوامال والعني قلت الكفالة بدى الجاه وإن لم يكن غنيا .

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا : المدفوعة مرة واحدة، كما تدل عليه مقابله بالمنجّمة؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، فاعلمه اصطلاح لكتاب الدواوين في زمن المؤلف لأن دافع المال يسطه في المجلس ولا يؤجله .

(٦) المنحة : هي التي يقدر عطاؤها في أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساماة؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها، فنقول : إذا طلع النجم حل عليك مالى .

(٧) الإيجار مصدر آجر، يقال : آجرت زيدا الدار مثلاً إذا أكرمتها .

(٨) في الأصل : «لوح» باللام والحاء؛ وفيه نقص وتصحيف .

- الهوائية، وهو قسطن يوم واحد في سائح ثلاث سنين يُؤخذ من الضمان خالصا للديوان
زيادة على الأقساط، وهذا يُستأدى في بعض أقاليم الشام؛ وإنما أوردناه خشية
الإخلال به؛ ويكون بسطه لذلك في يمنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذي
يتخلله خيط الجريدة؛ فإن اتفق في جهة زيادة في أثناء السنة فزرها في تعليق المياومة،
ووضعها في الجريدة بما صورته : ثم استقرت بأسم فلان لاستقبال التاريخ الفلاني^٥
بكذا وكذا، العبرة^(١) كذا، والزيادة كذا؛ ويحاسب المستأجر أو الضامن المنفصل
عما استحق عليه إلى حين انفصاله، ويلزمه بالقيام به، وذلك بعد أن يعرض
على الضامن المستقر ما زاد عليه، فإن اختار قبول الزيادة على نفسه قبل ذلك منه،
وكان ذلك له، فإن زيدت عليه في الوقت زيادة ثانية لم يكن له الاستمرار في الجهة
إلا بزيادة على تلك الزيادة الثانية؛ وإذا انقضت مدة مستأجر أو ضامن وأراد
الخروج من تلك الجهة، فإن كان قد غلق^(٢) ما عليه من الأجرة أو الضمان لم يكن
للباشر إلزامه بالاستمرار بها، وإن أنطرد عليه باقي كثيرا كان أو قليلا لزمه استئناف
عقيد جديد نظير العقد الأول؛ هذا أصطلاحهم في الديوان، ولهم أصطلاحات
أيضا نحن نذكر ما تيسر منها، إذ لا تمكن الإحاطة بجميعها لاختلاف أحوال
المباشرات، ولو أبتقصينا ذلك لطال؛ فمن أصطلاحاتهم أن المباشري سلم للمستأجر
الطاحون عند أذان المغرب من اليوم الذي حصل فيه الإيجار أو الزيادة لاستقبال

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٢) في الأصل : « غلق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما ياسب سياق

الكلام ؛ وغلق بالعين المعجمة وتشديد اللام : أي تم وكل ، وهذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة

في زماننا ؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر إذا دفع كل ما عليه فقد

أغلق باب المطالبة .

(٣) في المصباح وغيره أنه لا يقال انطرد إلا في لغة رديئة .

اليوم الثاني، ويسلم الحام من وقت التسبيح، ويسلم بقية أجهات لاستقبال غرة
النهار؛ وإذا دخل ضامن نيلة^(١) قوم^(١) للمنفصل ماله بالحواي من مياه الأصباغ المختلفة
بالقيمة العادلة، ولا يمكن من أخذ ذلك من المصبغة لما فيه من الإضرار بهما،
أما ضرر المنفصل فلفساد المياه، وأما ضرر المتصل فلأنه يتعطل مدة إلى أن
تختمر له مياه غيرها، ولا يمكن ضامن المصبغة المنفصل من أخذ خابية وإن كانت
ملكه، بل القيمة عنها؛ هذا اصطلاحهم؛ وليحترز مباشر أجهات الهالية من قبول
زيادة بسطا في جهة منجمة قد مضت أقساطها الخفيفة وبقيت الأقساط الكبار،
لما يحصل في ذلك من التفاوت والنقص على الذبوان مع وجود الزيادة الظاهرة،
مثال ذلك أن تكون جهة مضمونة في كل سنة بأربعة آلاف درهم منجمة، قسط
سنة شهور ألف درهم، وقسط الستة شهور الثانية ثلاثة آلاف، فأنةضت الستة
الأول، وحصلت زيادة في الجهة في أول الستة الثانية مبلغ خمسمائة درهم في السنة^(٢)
على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسط الستة شهور الثانية ألفين ومائتين
وخمسين درهما، وهي على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على
هذا الحكم نقصا؛ فيراعى المباشر ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا
لازما؛ ومهما أستخرجه المباشر من مستأجر أو ضامن أو أجراه بوصول^(٣) لرب استحقاق
أو ثمن صنف، أو غير ذلك من وجوه المصارف أوردته في تعليق المياومة، وصورة
وضعه لذلك أن يرصع^(٤) المحضر أو المجرى عن يمنة القائمة، ويخصم عن يسرتها قبالة

(١) في الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٢) في الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: «السدة»؛ وهو تصحيف.

(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين الناس في معاملاتهم بالإيصال. وروى شعاب

الغليل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر بحسن إلا أنها وقعت في الأشعار البازلة كثيرا.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

المُجَرَّى، فيقول في يَمْنِهَا : من جهة فلان كذا، وفي مَقَابَلَتِهِ : ينصرف في كذا؛
ثم يَسْتَبْطِ^(١) الْمُحْضَرَ والمُجَرَّى من تلك الجهة في يَسْرَةٍ قَائِمَةٍ الْجَرِيدَةِ التي بَسَطَهَا قُبَالَةَ كُلِّ
أَسْمٍ أَسْتَخْرِجَ مِنْهُ أَوْ أَجْرَى عَلَيْهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي مَدَّةِ السَّنَةِ، وَيَرْمِزُ عَلَى تَعْلِيْقِهِ إِشَارَةً
أَلْخَدَمَةَ عَلَى الْجَرِيدَةِ، وَصَوْرَتُهُ [له]^(٢)، وكذلك إِذَا كَتَبَ وَصُولًا رَمَزَ عَلَيْهِ إِشَارَةً
الْكُتَابَةِ، وَصَوْرَتُهُ لَهُ ؛ فَإِذَا أَقْبَضَتِ السَّنَةُ عَمِلَ مُحَاسَبَةً كُلِّ جِهَةٍ بِمَا أَسْتَخْرِجَهُ
من مُسْتَأْجَرِهَا أَوْ ضَامِنِهَا وَأَجْرَاهُ عَلَيْهِ، وَعَقَدَ عَلَى ذَلِكَ جُمْلَةً، فَإِنْ كَانَ الْمُسْتَخْرِجُ
وَالْمُجَرَّى نَظِيرَ الْأَجْرَةِ أَوْ الضَّيَانِ فَقَدْ تَغَلَّقَتْ تِلْكَ الْجِهَةُ عَنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وَإِنْ زَادَ
الْمُسْتَخْرِجُ عَلَى الْأَجْرَةِ أَوْ زَادَ فِي حِسَابِهِ مَضَافًا، وَيُسَمِّيهِ : زَائِدًا مُسْتَخْرِجًا، عَلَى مَا بَاقِيَ
بَيَانُهُ فِي كَيْفِيَةِ الْأَوْضَاعِ الْحِسَابِيَّةِ، وَأَعْتَدَّ لَهُ بِذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ؛ وَإِنْ تَعَيَّنَ
لِلضَّامِنِ أَوْ الْمُسْتَأْجَرِ أَعْتَدَّ بِمَا يَجِبُ الْأَعْتَادُ بِهِ كِبَطَالَةِ الْجَمَامَاتِ مِنْ أَنْقِطَاعِ الْمِيَاهِ عَنْهَا
أَوْ وَقُوفِهَا فِيهَا، وَإِصْلَاحِ الْقُدُورِ، وَعُطِّلَ الْعَائِرُ، وَبَطَالَةُ الطَّوَاحِينِ لِأَنْقِطَاعِ الْمِيَاهِ
وَأَنْكَسَارِ الْأَشْجَارِ أَوْ الْمِهَامِ أَوْ الْعُدَدِ، أَوْ حَصُولِ جَائِحَةٍ أَرْضِيَّةٍ أَوْ سَمَائِيَّةٍ كَأَنْقِطَاعِ
الْأَجْلَابِ عَنِ الْجِهَاتِ الْهَوَائِيَّةِ بِسَبَبِ مَدَاوِمَةِ الْأَمْطَارِ، أَوْ سَقُوطِ الثَّلُوجِ، أَوْ طُرُوقِ
عَدُوِّ الْبِلَادِ، أَوْ حَادِثَةٍ عُطِّلَتْ تِلْكَ الْجِهَةُ بِسَبَبِهَا أَعْتَدَّ لَهُ بِقِسْطِ تِلْكَ الْمَدَّةِ مُحْسُوبًا

(٤٣)

- ١٥ (١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا المرفق .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .
(٣) في الأصل : « تعلقت » ؛ والعين ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد من معانيه ما ياسب السياق .
« وتعلقت » الخ : أي تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الصان ، كما يرشد إليه السياق ؛ وهو استعمال
عام كما سبق توضيح ذلك في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .
٢٠ (٤) في الأصل . « وامتد » ؛ وهو تحريف . وفي المصاح انه يقال : اعتددت بالشيء ، أي أدخلته
في العد والحساب .

(٥) في الأصل : « حاجة » ؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والبالغة .

(٦) الأجلاب هتج الهمرة : جمع جلب بالتحريك ، وهو المجلوب .

(١) "هذا إذا شرط ذلك في تقريره" على ما يأتي شرح ذلك؛ هذا ما يعتمد عليه المباشر للجهات الهلالية في أصولها .

وأما مضافاتها فلا فرق بينها وبين سائر الأموال ، وسيرد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصلاً ؛ وقد اصطلح بعض مباشري الجهات على إيراد أحكار البيوت والخوانيت ، ورَّيع البساتين التي تُستخرج أجورها مشاهرة ، ومصايد السمك ، ومعاصر الشَّيرج والزيت في مال الهلالي ؛ ومنهم من يوردها في أبواب الخراجي ، وهو الأليق ، وإنما نهَّنا عليه لبيان الاختلاف فيه ، ولا أرى في إيراد رَّيع البساتين في مال الهلالي وجهاً ، بل يتعيَّن ألاَّ يردَّ إلا في أبواب الخراجي ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون في أرض البستان مَسْكَنٌ يستحقُّ أجرة ، قلنا : إن أمكن إفراؤ ذلك المَسْكَن بأجرة معينة تُقَيَّد أمواله في أموال الهلالي دون البستان ، وإن تعذَّر إفراؤه وأوجر بعقد واحد فالمَسْكَن هنا فرعُ البستان ، والفرع يُتبع الأصل ولا ينعكس ، هذا ما لخصناه من حال مال الهلالي ، فلنذكر الجوالي .

(١) وردت هذه الجملة في الأصل قبل الجملة السابقة ، أي نل قوله : «اعتد» الخ ؛ والسياق يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) في الأصل : «تقليبه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه قوله في صفحة ٢٢٩ س ٤ : «كتب له من ديوانه تقريراً» الخ .

(٣) في الأصل : «أصولها» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، كما في خطط المقرئى ح ٢ ص ٩٣ طبع المعهد الفرنسى .

(٤) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة في مستدرک الناج مادة «شرح» بالمعجمة ، وذكر أن العوام ينطقون به بالسین المهمله مكسورة ؛ وهو دهن السمسم .

(٥) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطموسة تعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمة وما ورد فيها من الأحكام الشرعية
وأول من ضربها وقررها على الرعوس وما اصطلح عليه
كتاب التصرف في زماننا من استخراجها وموضع إيرادها
في الحساب ونسبتها في الإقطاعات الجيشية وما يلزم
مباشرها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

أما الأحكام الشرعية فالأصل في وجوبها قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾
وقد ورد في هذه الآية تأويلات ذكرها أفاض القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن
حبيب الماوردي - رحمه الله - في الأحكام السلطانية ، نحن نذكرها على
ما أورده ، قال : أما قوله : « الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » فأهل الكتاب [وإن]
كانوا معترفين بأن الله سبحانه واحد ، فيحتمل [نفى] هذا الإيمان بالله تأويلين ،
أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثاني : لا يؤمنون برسوله
محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن تصديق الرسل إيمان بالمرسل ؛ وقوله : « وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ » يحتمل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيد اليوم الآخر وإن كانوا
معترفين بالنواب والعقاب ، والثاني : لا يصدقون بما وصفه الله تعالى من أنواع
العذاب ؛ وقوله تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » يحتمل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أمنتها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن نسخة الأحكام السلطانية طبع ألمانيا ، وقد أمنتها

من نسخة الأحكام السلطانية طبع مصر إذ بها يستقيم الكلام .

أحدهما : ما أمر الله سبحانه بنسخه من شرائعهم ، والثاني : ما أحله لهم وحرّم عليهم ؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» فيه تاويلان ، أحدهما : ما في التوراة والإنجيل من أتباع الرسول — وهو قول الكلبي — ، والثاني : الدخول في دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ، وقوله : «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» فيه تاويلان ، أحدهما : من أتباع^(١) الذين أوتوا الكتاب ، والثاني : من الذين ملّتهم الكتاب ، لأنهم في أتباعه كإتباعه ؛ وقوله : «حَتَّى يُعْطُوا آخِزِيَّةً» فيه تاويلان ، أحدهما : حتى يدفعوا الجزية ، والثاني حتى يضمنوها ، لأنه بضمانها يجب الكف عنهم ؛ وفي الجزية تاويلان ، أحدهما : أنها من الأسماء المجلّمة التي لا يعرف منها ما أريد بها إلا أن يرديان ، والثاني : أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل ؛ وأسمها مشتق من الجزاء ، وهو إما جزاء على كفرهم ، أو جزاء على أماننا لهم ؛ وفي قوله : «عَنْ يَدِ» [تاويلان ، أحدهما : عن غي وقُدرة ، والثاني : أن يعتقدوا أن لنا في أخذها منهم يداً وقُدرة عليهم ؛ وفي قوله] : «وَهُمْ صَاحِرُونَ» تاويلان ، أحدهما : أدلاء مساكين ، والثاني : أن تُجرى عليهم أحكام الإسلام . وقال غيره : الصغار أن يضرب على فكّ الذمّي برءوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضرباً لطيفاً غير مؤلم . وقال المسوردي :

٤٤

(١) انما قدر هذا المصاف لأن الذين أوتوا الكتاب أجمع لم يكونوا في زمن الإسلام فتؤخذ منهم الجزية ؛ والذي في نسخ الأحكام السلطانية « من أبناء » وكذلك في كتاب الحارثي الكبير للمسوردي المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ دقه شامي ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) في الأصل : « كلياته » ؛ وهو تحريف صوابه ما أمنتنا فان الإيتاء هو مصدر « أوتوا » لا « الإيتان » ؛ والمعنى أنهم في أتباعه كأنهم أوتوا الكتاب ؛ والذي في الأحكام السلطانية : « كتاباته » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تروتان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أمنتنا ، كما في الأحكام السلطانية ص ٢٤٧ طبع ألمانيا .

(٤) هذه النكلة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) في الأصل : « مساكين » ؛ وهو تحريف .

فيجب على ولي الأمر أن يضرب الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقين : أحدهما الكف عنهم، والثاني الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين؛ روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : آحرمتكم به النبي صلى الله عليه وسلم : ” احفظوني في ذمتي“^(١)

- قال المساوردي : ولا تؤخذ من مرتد ولا دهرى ولا عابد وثن، وأخذها أبو حنيفة من عبدة الأوثان من العجم، ولم يأخذها منهم إذا كانوا عرباً؛ وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكتبهم التوراة والإنجيل، وتجري الجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم؛ وتؤخذ من الصابئين والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقديهم وان خالفهم في فروعه، ولا تؤخذ منهم إن خالفوا اليهود والنصارى في أصل معتقديهم؛ ومن جهلت حاله أخذت جزيته، ولا تؤكل ذبيحته؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تجب على صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد، لأنهم أتباع وذراى؛ ولو تفردت امرأة منهم [عن]^(٢) أن تكون تبعا لزوج أو نسيب لم تؤخذ منها الجزية، لأنها تبع لرجال قومها وإن كانوا أجنب

(١) أراد : في أهل دمتي .

(٢) في الأصل : «عرباً» ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يرمعون أنهم على دين نوح (تاج العروس) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أى اليهود — في بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام وقولهم : « لا مساس » ، وزعمهم أن نالس هي بيت المقدس ؛ وهم صنفان : الكوشان ، والدوشان ؛ والهم نسب السامرى الذى عبد العجل (تاج العروس) .

(٥) في الأصل : « والأحرار » ؛ والواو زيادة من النسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ؛ والذى في نسختي الأحكام السلطانية طبع ألمانيا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : « على » ؛ وهو تحريف .

منها ؛ ولو تفرّدت امرأة في دار الحرب فبدلت الجزية للقيام في دار الإسلام لم يلزمها ما بذلته ، وكان ذلك منها كالحية لا يؤخذ منها إن أمنعت ؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مشكّل ، فإن زال إشكاله وبان رجلا أخذت منه في مستقبل أمره وواضيه ؛ وأختلف الفقهاء في قدر الجزية ، فذهب أوحنيقة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف :
 ٥ أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما ، وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما (١) وضرب يؤخذ منه اثنا عشر درهما ، [بفعلها مقدرة الأقل والأكثر] (٢) ومنع من اجتهد الولاية فيها .

وقال مالك : لا يقدر أقلها ولا أكثرها ، وهي موكولة إلى اجتهد الإمام في الطرفين .

١٠ وذهب الشافعي إلى أنها مقدرة الأقل بدينار لا يجوز الاقتصار على أقل منه ، وعنده أنها غير مقدرة الأكثر ، يرجع فيه إلى اجتهد الولاية ، ويجتهد رأيه في التسوية بين جميعهم ، أو التفضيل بحسب أحوالهم ، فإذا اجتهد رأيه في عقد الجزية معهم على مرضاة أولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأغفابهم قرنا (٣) بعد قرن ، ولا يجوز لوإل بعده أن يغيره إلى زيادة عليه أو نقصان منه .

(١) في الأصل : « زاد » بالذال ؛ وهو تعريف .

(٢) الذي في الأحكام السلطانية : « وفقراء » ؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصمين السابقين بقوله : « أغنياء » « وأوساط » .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما يأتي في قول مالك والشافعي .

(٤) في الأصل : « والتفصيل » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا في الأحكام السلطانية ص ٢٤٩ طبع ألمانيا .

(٥) أن يغيره ، أي أن يغير عقد الجزية .

وَيُسْتَرْطَ عَلَيْهِمْ فِي عَقْدِ الْجُزِيَّةِ شَرْطَانِ : مُسْتَحَقٌّ وَمُسْتَحَبٌّ ، أَمَا الْمُسْتَحَقُّ ^(١) فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ : أَحَدُهَا أَلَّا يَذْكُرُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بَطْعِنَ فِيهِ وَلَا تَحْرِيفَ لَهُ ، وَالثَّانِي أَلَّا يَذْكُرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَكْذِيبٍ لَهُ وَلَا أَزْدِرَاءٍ بِهِ ، وَالثَّالِثُ أَلَّا يَذْكُرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ بِذَمٍّ لَهُ وَلَا قُدْحٍ فِيهِ ، وَالرَّابِعُ أَلَّا يُصَيِّبُوا ^(٢) مُسَلِمَةً بَزَنًى وَلَا بِأَسَمِ نِكَاحٍ ، وَالْخَامِسُ أَلَّا يَفْتِنُوا مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ وَلَا يَتَعَرَّضُوا ^(٣) لِمَالِهِ وَلَا دِمِهِ ، وَالسَّادِسُ أَلَّا يُعِينُوا أَهْلَ الْحَرْبِ وَلَا يُؤْوُوا أَغْنِيَاءَهُمْ ، فَهَذِهِ السِّتَةُ حَقُوقٌ مُلْتَزِمَةٌ بِغَيْرِ شَرْطٍ ، وَإِنَّمَا تُسْتَرْطَ إِشْعَارًا لَهُمْ ، وَتَاكِدًا لَتَغْلِظَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ ، فَيَكُونُ أَنْتَهَاكُهَا بَعْدَ الشَّرْطِ نَقْضًا لِعَهْدِهِمْ .

وَأَمَا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ : أَحَدُهَا تَغْيِيرُ هَيَاتِهِمْ بَلْبُسِ الْغِيَارِ وَشَدِّ الزَّنَارِ ، وَالثَّانِي ^(٤) أَلَّا يَعْلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَبْنِيَةِ ، وَيَكُونُوا إِنْ لَمْ يَنْقُصُوا مُسَاوِينَ لَهُمْ ، وَالثَّالِثُ أَلَّا ^(٥) يُسَمِعُوهُمْ أَصْوَاتَ نَوَاقِيسِهِمْ ، وَلَا تِلَاوَةَ كِتَابِهِمْ ، وَلَا قَوْلَهُمْ فِي عُزَيْرِ الْمَسِيحِ ، وَالرَّابِعُ ^(٦) أَلَّا يَجَاهِرُوهُمْ بِشَرْبِ خَمْرِهِمْ ، وَلَا بِإِظْهَارِ صُلْبَانِهِمْ وَخَنَازِيرِهِمْ ، وَالْخَامِسُ أَنْ يُخْفُوا دَفَنَ مَوْتَاهُمْ وَلَا يَجْهَرُوا بِنَدْبٍ عَلَيْهِمْ وَلَا نِيَاحَةٍ ، وَالسَّادِسُ أَنْ يُمْنَعُوا مِنْ رُكُوبِ الْحَيْلِ عِتَاقًا وَفُجْهًا ، وَلَا يُمْنَعُوا مِنْ رُكُوبِ الْبِغَالِ وَالْجَمْرِ ، قَالَ : فَهَذِهِ السِّتَةُ الْمُسْتَحَبَّةُ

④

١٥ (١) كَذَا فِي نَسْخِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيَايَ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « فِيهِ أَشْيَاءٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَيُرْشَدُ إِلَى مَا أُثْبِتْنَاهُ أَيْضًا مُقَابَلَتُهُ بِقَوْلِهِ الْآتِي : « وَأَمَا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَعِينُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « ذَمُّهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْغِيَارُ : عَلَامَةُ أَهْلِ الدِّمَةِ كَالزَّنَارِ ، قَالَ فِي شِمَاءِ الْعَلِيلِ نَقْلًا عَنْ شَرْحِ الْمَهْذَبِ : الْغِيَارُ أَنْ يَجْطِلُوا

٢٠ عَلَى ثِيَابِهِمُ الظَّاهِرَةَ مَا يَخَافُ لَوْنُهُ لَوْنَهَا ، وَتَكُونُ الْخِيَابَةُ عَلَى الْكَتْفِ دُونَ الدَّبَلِ ، وَالْأَشْبَهُ أَلَّا تَخْصُصَ بِالْكَتْفِ . اهـ

(٥) الزَّنَارُ وَزَانُ رِمَانٍ : مَا يَلْبَسُهُ الدَّبَرِيُّ يَشُدُّهُ عَلَى وَسْطِهِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « أَنْ لَا يَخْفُوا » ؛ وَقَوْلُهُ : « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ مُفْسِدَةٌ لِلْعَنَى .

لا تلزم بعقد الذمة حتى تُشترطَ تفصيلاً بالشرط ملقمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط
نقضا للعهد، لكن يؤخذون بها إجباراً، ويؤدون عليها زجراً، ولا يؤدون إن لم يُشترط
ذلك عليهم، ويحتاج به .

[وتجب الجزية عليهم] ^(٥) في كل سنة مرة واحدة بعد آتقضاها بالشهور الهلالية، ^(٦)
ومن مات منهم في أثناء السنة أخذ من تركته بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان
ما لزم من جزية ديناً في ذمته يؤخذ منه ؛ وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته ؛
ومن بلغ من صغارهم ، أو أفاق من مجانينهم استقبل به حوّل ^(٧) [ثم أخذ] بالجزية
ويؤخذ الفقير بها إذا أيسر ، ويُتظر بها إذا أعسر ؛ ولا تسقط عن شيخ
ولا زمن ، وقيل : تسقط عنهما وعن الفقير ؛ ولأهل العهد إذا دخلوا دار الإسلام
الأمان على نفوسهم وأموالهم ، ولهم أن يقيموا فيها أربعة أشهر بغير جزية ، ولا يقيموا
سنة إلا بجزية ، وفيما بين الزمانين خلاف ؛ ويلزم الكف عنهم كاهل الذمة ، ولا يلزم
الدفع عنهم ؛ وإذا آمن بالغ عاقل من المسلمين حربياً لزم أمانه كافة المسلمين ، والمرأة

(١) في الأصل : « يوحدون » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : « اخبارا » بالهاء ؛ وهو تصحيف .

(٣) في الأصل « ويؤذنون » ؛ وهو تصحيف .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول ؛
ولم ترد في الأحكام السلطانية ؛ والمعنى أنه ينبغي للإمام أن يحتاج لاشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه .
(٥) هذه التكلة ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها ؛ وعبارة الأحكام السلطانية

ص ٢٥١ طبع ألمانيا : « ولا تجب الجزية عليهم في السنة الا مرة واحدة .

(٦) هذه الهاء والباء ساقطتان من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتهما ، كما في الأحكام السلطانية .

(٧) هذه التكلة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا .

(٨) كذا في الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر ؛ والذي في الأصل :

« دون » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

في بذل الأمان كالرجل، والعبد فيه كالحر؛ وقال أبو حنيفة: لا يصح أمان العبد إلا أن يكون ماذونا له في القتال؛ وإذا تظاهر أهل الذمة والعهد بقتال المسلمين كانوا حربا لوقيتهم، يُقتل مقاتلهم، ويُعتبر حال من عدا المقاتلة منهم بالرضا بفعالهم والإنكار له؛ وإذا امتنع أهل الذمة من أداء الجزية كان نقضا لعهدهم؛ وقال أبو حنيفة: لا يتنقض به عهدهم إلا أن يلحقوا بدار الحرب، وتؤخذ منهم جبرا كالذبيون؛ وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم، ولا غنم أموالهم، ولا سبي ذراريهم ما لم يقاتلوا، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا ما منهم من أدنى بلاد الشرك، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها؛ فهذه هي الأحكام الشرعية في أمر الجزية.

١٠. وأول ما ضربت الجزية وجعلت على الروس في خلافة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وكانت قبل ذلك تُحمل قطائع؛ واختلاف: هل استأداها سلفا أو عند آقضاء الحول.

(١) هذه الواو ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٢) في الأصل: «ولا ي»؛ وهو تحريف.

١٥. (٣) في كتب الفقه ما يفيد أن الحرية كانت على الروس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأحد الجرية من أهل الكتاب من كل حالم دينارا ولم يفصل. وروى مسروق عن معاذ بن حل أن قال: بعثي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافرا، انظر كتاب الحاوي الكبير للهاوردى ج ١٩ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعي وكتاب الخراج ليجي بن آدم ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية. والمعافرا: ثياب تصنع باليمن. أما ما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات، فأخذ من الأغنياء ثمانية وأربعين درهما، ومن المتوسطين أربعة وعشرين درهما، ومن الفقراء اثني عشر درهما، وذلك في سواد العراق لما افتتحه، انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبي هلال العسكري المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ. ولم يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر.

وأما ما أصطلح عليه كُتّاب التصرف في زماننا هذا من استخراجها وموضع إيرادها في حُساباتهم، فهم يستخرجونها سلفاً وتعجيلاً في غُرة السنة، وفي بعض الأقاليم تُستخرج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين؛ وتُورد في الحُسابات قبلها مستقلاً بذاته، بعد الهلالِ وقبل الخراجي، وسبب تأخيرها عن الهلالِ أنها تُستأدى مُسأنةً، وسبب تقدّمها على الخراجي ما ورد من وجوبها مشاهرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء؛ وقد تقدّم ذكر الحكم فيمن أسلم أو مات في أثناء الحول، وأنه لا يلزمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته، فلذلك وردت بين الهلالِ والخراجي.

وأما نسبتها في الإقطاعات الجيشية عند خروج إقطاع ودخول آخر فإنها تجري بحكم المسال الهلالِ، لأنها تُستخرج على حكم شهور السنة الهلالية دون الشمسية؛ فإن تعجلها مُقطع في غُرة السنة على العادة ونرج الإقطاع عنه في أثنائها ب وفاة أو نقله إلى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور السنة إلى حين أنتقاله، لا على حكم ما استحق من المُغل؛ ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود؛ وإن تخلل بين المنفصل والمتصل مدة كان قسطها للديوان، يرد في جملة المحلولات من الإقطاعات.

(١) كذا في الأصل؛ ويوضح ذلك ما ورد في خطط المقرئ ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسي؛ وعبارته: عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الإقطاع.

(٢) كذا في كتاب الخطط للقرئى؛ والذى في الأصل: «لاستقبال» باللام مكان «من» وما أثبتناه هو مضمّن السياق.

(٣) كذا في كتاب الخطط للقرئى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسي؛ والذى في الأصل: «الفوذ»؛ وهو تصحيف.

٤٦

وأما ما يلزم مباشر الجوالى وما يحتاج الى عمله، فالذى يلزمه أن
يسط جريدة على أسماء الذمة بمقتضى الضريبة المرفوعة إليه، أو الكشف الذى
كشفه إن كان العمل مفتوحاً أو مستجداً، يبدأ فيها بذكر أسماء اليهود، ويثنى^(٢)
بالسامرة^(١) لأنهم شعب منهم، ويثالث بالنصارى، وإن كان فى عمله طائفة من
الصباينة والمجوس ذكرهم بعد النصارى؛ وفى بعض بلاد الشام تؤخذ الجزية من
طائفة تُعرف بالشمسية، يوحدون الله تعالى وينكرون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم،
ومنهم من يقول بنبوة عيسى عليه السلام وأن لاني بعده؛ ويكون بسط الكاتب لهذه
الجريدة على التقفية إذا كانت الأسماء كثيرة، ليسهل عليه بذلك الكشف والشطب،
وإذا استخرج جالية أوردتها فى تعليق المياومة؛ وكتب له بها وصولاً، وشطباً عن^(٥)
اسم من استخرجت منه فى جريدته، ويرمز فى تعليقه إشارة الكتابة والخدمة على
ما تقدم بيانه فى الهلالى.

ويحتاج مباشر الجوالى فى كل سنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامرة
وقسيس النصارى أو أسقفهم^(٦) بكتابة أوراق يسمونها: الرقاع بمن عند كل منهم
من الرواتب، وما لعله استجد من الطوائى والنوابت، ويعين فى آخر الرقاع من^(٨)

- ١٥ (١) أسماء الذمة: أى أسماء أهل الذمة. (٢) يريد بالعمل: البلد. (٣) مفتوحاً:
أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب. (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر.
(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر.
(٦) فى الأصل: «أو استفهم»، وهو تحريف، والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها فوق القيس
ودون المطران.
(٧) يريد بالرواتب: المقيمين، وهو من رتب رباً إذا أقام بالبلد، كما فى المصباح؛ وإنما جمعه على
فواغل لأن واحده «راتبة»، صفة للطائفة.
(٨) فى المصباح أن استجد قد يستعمل لازماً — أى بمعنى تجدد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم.
(٩) الطوائى: الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه. والنوابت: جمع نابتة، أى النشء الصغار،
والمراد بهم هنا من دون البلوغ.

أهتدى بالإسلام ، وَمَنْ هَلَكَ بالموت ، وَمَنْ تَسَحَّبَ من العمل ، وإلى أى جهة
توجهه ، وَيَجْعَلُ تلك الرِّقَاعَ شاهداً عنده بعد الإِشهاد فيها على الصادرة عنه بأنه لم يُخَلَّ
بشيء من الأسماء ، وَيُلْزِمُهُ بِكُتُبِ مَشَارِيحَ بَنِي صَمْنٍ رِقَاعَهُ أَنَّهُ أَهْتَدَى أَوْ هَلَكَ أَوْ تَسَحَّبَ^(١)
كُلَّ اسْمٍ بِمَشْرُوح ، وَيَخْلُدُ المَشَارِيحَ عنده وَيُسْطَبِّهَا على جريدته ؛ والكِتَابُ في إيراد
من أَهْتَدَى وَنَزَحَ وَهَلَكَ مُخْتَلِفُونَ : فمنهم من يُوَصِّلُ العِدَّةَ المَسْتَقَرَّةَ عنده عن يَمَنَةِ
العمل ، وَيَسْتَنِي بِالْعِدَّةِ عَمَّنْ أَهْتَدَى وَهَلَكَ وَتَسَحَّبَ ، كُلُّ اسْمٍ بِمَقْتَضَى مشروحه^(٢)
المشهود فيه ، وَيُبرز بما تَحَرَّرَ بعد ذلك ؛ ومنهم من يُوَصِّلُ الجميع على ما اسْتَقَرَّتْ
عليه الحال إلى آخر السنة الماضية ، وَيَسْتَخْرِجُ مِمَّنْ اسْتَخْرِجَ منه ، وَيَعْتَدُ بما يجب^(٣)
على المَهْتَدَى والهالكِ والمتسحِّبِ محسوباً في باب المحسوب قَبْلَ فَذَلِكَ الواصل^(٤)
في الرِّقَاعِ — على ما نَبَّهَ إن شاء الله في الأوضاع الحسائية — ويكون ما على النازحين
موقوفاً إلى أن يَتَحَرَّى أمرهم ؛ فإن عادَ أحدُهم إلى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام
بالجزية في بلد آخر اسْتَخْرِجَتْ منه ، وَوَرَدَتْ في باب المضاف في حساب السنة ،
وإن كان قد قام بالجزية في بلد آخر وَأَحْضَرُ وُصُولَ مباشر تلك الجهة بما اعْتَدَ له

(١) تسحب : أى نزح من بلد إلى بلد آخر ، ولم نجد له فيها راجعاً من كتب اللغة بهذا المعنى ،

والظاهر أنها عامية .

(٢) في الأصل : « عن » ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٤) يريد بالعمل هنا : ما يسميه الكتاب بالقائمة ، كما يرشد إليه السياق ، وسيأتى هذا اللفظ مراداً

به هذا المعنى في موضع آخر ، وسننبه عليه في مكانه .

(٥) يقال : اعتددت بالنبي : أى أدخلته في العدة والحساب (المصباح) .

به عن تلك السنة ، نقل مَبْلَغ الوصول على تلك الجهة التي خَضَرُ وُصُولُها قُربت أو بعدت ، وأسْتَشْهَد في حسابهِ بمقتضى الوصول ؛ وكلتا الطريقتين سائغةٌ عند الكُتَّاب ؛

وأما التَّوَابِ والطَّوَارِي فإنها تَرِدُ في باب المضاف باتفاق الكُتَّاب في أول سنة ، وتستَقِرُّ أَصْلًا في السنة التي تليها وما بعدها ؛ ويحتاج المباشر إلى تفقُّد أحوال التَّوَابِ في كلِّ مَدَّةٍ لاحْتِمَالِ بلوغ صَبِيٍّ في أَشْءِ الْحَوْلِ ، واختبار ذلك بأُمُورٍ شرعيةٍ واصطلاحيةٍ : أما الشرعية فبإنبات الشَّعْرِ الْحَشِينِ ، أو بِكَمَالِ نَحْسٍ عَشْرَةِ سَنَةٍ ؛ وأما الاصطلاحية فبأنْفِرَاق رَأْسِ الْأَنْفِ ، وَغَلْظِ الصَّوْتِ ، وبظهور شيءٍ على حَلْمَةِ الشَّدِيِّ من باطنه كالْتَرْمُسَةِ ، وبأن يُدَارَ خَبِطٌ على عُنُقِ الصَّبِيِّ مرَّتين تحويرًا ، ثم يوضَعُ طَرَفُ الْخَبِطِ بين أَسْنَانِهِ وتُدْخَلُ أَنْشُوطَةٌ في رَأْسِهِ ، فإن دخلت دَلَّ ذلك على بلوغه ، وإلا فلا ؛ وأَصْطَلَحَ بعضُ مبشِري الجِوَالِي في بعضِ الْأَقَالِيمِ على إلزام عُرَفَاءِ الذِّمَّةِ بِالْمَطَالَعَةِ بِكُلِّ صَبِيٍّ يُولَدُ لَوْ قَتِلَ ، وبمن هلك منهم ، ويرصع أَسْمَاءَهُمْ

(١) في الأصل : « ونقل » ؛ والواو زيادة من النسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

(٣) يقال : أنبت الغلام ، إذا نبت شعر عاتقه ، وهو حدٌ معتبر لبلوغ صبيان أهل الدِّمَّةِ لأنه لا يمكن الوقوف على سنهم لأتاهم أقوالهم .

(٤) في الأصل : « الحسن » ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبارة الأصل : « أو الكمال من عشرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام ؛ وتحديد سن البلوغ بنحس عشرة سنة مذهب الشافعي وأبي يوسف ومحمد ، وعليه الفتوى عند الحنفية .

(٦) هذه الكلمة في الأصل مهلهلة الحروف من النقط ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٧) الأنشوطه : ربطة دون العقدة ، إذا شدت من أحد طرفيها انحلت .

(٨) الذمة ، أى أهل الذمة .

(٩) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

في جريدة مفردة بهم ، فمن بلغ عمره ثلاث عشرة سنة استخرج منه الجزية سواء ظهرت أمارات بلوغه أم لا ، ويلزم المباشرة الكشف والتنقيب عمن لعله أخفى من الرواتب ، أو استجده من الطوارئ والنواب ولم يرد الدفع ، فمن ظهر له أمره استخرج الجالية منه لاستقبال وجوبها عليه ، ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال ، والمباشرة تظهر ما لا تحيط به الكتب ، هذا ما يتعلق بالحوالي ، فلنذكر الخراجي .

— إن شاء الله تعالى — .

ذكر جهات الخراجي وأنواعه وما يحتاج اليه مباشرة

والخراجي عبارة عما يستأدى مسانته^(١) مما هو مقرر على الأراضي المرسدة للزراعة والنخل والبساتين والكروم والطواحين السنوية التي تدور أحجارها بمياه السيول في الجهات الشامية ، وما يستأدى من خدم الفلاحين ، ويسمى ذلك بمصر : الضيافة ، وبالشام : رسم الأعياد والخميس ، وهو أغنام ودجاج وكشك^(٢) وبيض — على ما استقر على كل جهة — وهو إنما يكون على النواحي الإقطاعية غالباً ، وأما في نواحي الخصاص فلا يستأدى ، لما هو مقرر على الأراضي بمصر من الحقوق التي تُستخرج دراهم ، وبالشام من التضييف^(٣) المقرر عليهم في أيام الفتح عن مدة ثلاثة

(١) في الأصل : « بمن » ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « في المياه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في شرح القاموس أن كسر الكاف في هذا اللفظ مما ولعت به العامة .

(٤) في الأصل : « المضيف » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٥) في الأصل : « القسم » ؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى ياسب السياق ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا

فانه يريد صلح عمر رضي الله تعالى عنه لنصارى الشام على ضيافة من يربهم من المسلمين ثلاثة أيام ما يلاقون من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة وتبيت دوابهم من غير شعر ، وجعل ذلك على أهل السواد

دون المدن . الأحكام السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر .

أيام؛ ومن أبواب الخراج ما يُستأدى بالشام في خدمة رؤساء الضياع في مقابلة ما لهم من المطلق والولاة والوكلاء والنقباء والصيارفة والكيالين والصوئية في مقابلة ما يستأدونه من الرسم ، وذلك يرد في أبواب المضاف؛ والخراج يختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

- أما الديار المصرية وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها على ما استقر في زماننا هذا وتداوله الكتاب، فقانون الديار المصرية مبنى على ما يشمله الرى من أراضيها ويعلوه النيل ؛ وقد ذكرنا في باب الأنهار في الفن الأول من كتابنا هذا نيل مصر، ومبدأه، والاختلاف فيه، وما يمتاز عليه من البلاد، وكيفية الانتفاع به من حفر الترع ، وضبط الجسور، وتصريف المياه عن الأراضي بعد ريها ؛ ونيل مصر هو من أعاجيب الدنيا ، وقد روى عن ذى القرنين أنه كتب كتابا عما شاهده من عجائب الوجود فذكر فيه كل عجيبة، ثم قال في آخره : وذلك ليس بعجب ، ولكن العجب نيل مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيه من حكمة هذه الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد، وهبوط الماء عنها عند بدء وقت الزراعة لفسد أمر هذا الإقليم، وتعدرت سكناه، إذ ليس به أمطار كافية ولا عيون سارحة تعم أراضيها، وليس ذلك إلا في بعض إقليم الفيوم؛ فسبحان من بيده الخلق والأمر القادر على كل شيء، والمدير لكل شيء، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو .

(١) في الأصل : «الصوية» ؛ وهو تصحيف . والصوئية : نسبة الى الضوء ، والمراد بهم الذين يحملون المصابيح ويمشون بها ليلا ، ولا ترال طائفة منهم الى وقتنا هذا تعرف بهذا الأسم وان لم يعملوا ذلك الآن .

(٢) السارحة : الجارية .

والذى يحتاج إليه مباشر الخراج بمصر ويعتمد عليه في مباشرته أنه اذا شمل الرى أرض الجهة التى يباشرها أن يبدأ بإلزام خولة البلاد برفع قوانين الرى، وصورتها أن يكتب في صدر القانون ما مثاله : قانون رفعه كل واحد من فلان وفلان الخولة (١) والمشايخ بالناحية الفلانية، بما شمله الرى وعلاه النيل المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا وكذا أنخراجية، وهو من القدن (٢) ، ويزكرون جملة قانون البلد، ويفصلونه بالرئ والشرقي، فالرئ : ما شمله النيل . والشرقي : ما لم يشمله ؛ وللرئ تفصيل : منه ما هو نقاء، ومنه ما هو مزروع، وخرس، وغالب، ومستبحر؛ ويفصل بقبائله (٣) ، ويشرح في كل قبالة هذا التفصيل؛ والنقاء : هو الطين السواد الذى يصلح للزراعة وينبت فيه اذا لم يزرع الكلاء الصالح للرعي (٤) ، ويسمى نباته بصعيد مصر : الكتيح (٥) ، وهو نبات تستغني به آخيل والدواب والماشية عن البرسيم . وأما المزروع :

(١) كذا ورد هذا الجمع في الأصل بالناء ؛ ولم نجد فيه راجعناه من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة ، وواحد خولى ، وفي مستدرك التاج أنه هو الذى يقيس الأرض بقصب المساحة .

(٢) القدن بالصم — والعامة تكسر الفاء — : جمع قدن بخفيف الدال ، وهى لغة في القدان بالتشديد ؛ قال في شفاء الغليل ما نصه : القدان : نبطى معزب ويخفف ويشدد حمه قدن وأفدنة الخ . وكذلك في كتاب المعزب للجوالقي ؛ والذى يستمد من شرح القاموس أن القدان للقذار المعلوم بتشديد الدال لا غير .

(٣) النقاء في الأصل : مصدر ، وقد أريد به هنا اسم المفعول ، أى الأرض النقية مما يعوق الزراعين عن زراعتها .

(٤) القبانل : جمع قبالة بفتح القاف ، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها ، أى يصمونها بمبلغ من المال يؤدونه عنها في كل سنة .

(٥) السواد : أى ذو السواد ، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم .

(٦) في الأصل : « للزراع » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) في الأصل : « الكتيح » بالناء المظنة ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما في مستدرك التاج .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ في القاموس ، والذى في شرحه أن فتح الباء من لغة العامة .

فهو ما عادتُهُ أن يُزْرَعَ في كُلِّ سنة . وأما الحِرْس : فهو الأرض التي تَنْبَتُ فيها الحَلْفَاءُ^(١) ، فلا تُزْرَع إلا بعد قلعها منها وتطهيرها ، وقطيعته دون قطيعة النِّقَاء .^(٢)
وأما الغالب : فهو ما غَلَبَتْ على أرضه الحَلْفَاء وتكاثفت فلا تُقْلَع إلا بكُلْفَةٍ ، وقطيعته دون قطيعة الحِرْس ، وقلما يُزْرَع ، وأكثرُ ما يكون الحِرْس والغالبُ ببلاد الصعيد^(٣)

الأعلى لسمتها ، وكثرة أرضها ، ونعطيها من الزراعة سنةً بعد أخرى . وأما

المستبحر : فهو أراضي الخليلجان المشتغلة التي تستمر المياه فيها إلى أن يفوت

زمنُ الزراعة ، فمنها ما يُؤور ، ومنها ما يُزْرَع مَقَاتِي^(٤) ، وقطيعته متوسطة ، وتكون غالباً بالدرهم دون الغلة . وعندهم أيضاً الترطيب : وهو الذي تحللت المياه باطن أرضه شبه الزر^(٥)

ولم تعلها ، ولا تصلح لغير المقاتي ، فإذا رُفِعَ إلى المباشر قانونُ الرى أشهد فيه على رافعيه^(٦)

بأن الأمر على ما تَضَمَّنَه ، ثم ينظرُ المباشر إلى سنة يكون نيلها نظيرَ نيل تلك السنة ،

ويبرز الكشوف ، ويحضرُ البلد على الفلاحين القرارية نظيرَ ما حضره في السنة^(٧)

الموافق نيلها لنيل تلك السنة الحاضرة ، ويشهد على كلِّ مزارع بما يسجله من^(٨)

(١) الحلفاء : نت من الأعلاث . وقلما تنبت الحلفاء إلا قريباً من ماء أو بطن واد ، وهى سلبه غليظة

المس ، وتأكل منها الإبل والغنم أكلاً قليلاً ، وهى أحب شجرة إلى البقر .

(٢) القطيعة : الضريبة .

(٣) في الأصل : « الأعلاث » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) المراد بالمقاتي هنا : أنواع القثاء ، وهو مجاز من إطلاق الموضع وإرادة ما يكون فيه .

(٥) في الأصل : « الترتيب » ؛ وهو تحريف ؛ يريد : الأرض ذات الترطيب .

(٦) في الأصل : « الزر » ولم نجد له فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها

وهو فارسي معرب .

(٧) في الأصل : « بايعيه » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « ويحصر » بالصاد ، وهو واد صبح معناه إلا أن الذى يمنع منه قوله بعد ذلك

في ص ٢٤٩ س ١١ فإذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية ؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل ، كما يدل عليه قوله بعد : « ويشهد على كلِّ مزارع بما يسجله » وهو من المحضر بمعنى السجل ، كما في كتب اللغة .

(٩) في الأصل : « الحاصرة » بالصاد ؛ وهو تصحيف .

أراضى كلَّ قِبالةٍ وَقَطِيعَتِهَا المستقَرَّة، ويعيَّن منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق،
والحقوق: دراهم يُقَوِّم بها المزارع عن كلِّ فدان غير الغلَّة، وتكون من أربعة دراهم
إلى درهمن، والغلَّةُ بِحَسَبِ قِطِيعَةِ الأرض وعادتها، وأكثر ما عُرِف من الخراج عن كلِّ
فدان — وهو أربعمائة قَصَبَة بالقَصَبَة الحاكِية^(٢)، والقَصَبَة ستة أذرع وثلاث أذرع بذراع
القماش — ثلاثة أَرادب^(٣)، وهذه الأرض جَزيرةٌ بالأقْصَر من أعمال قُوص، وأقلَّ
ما علمناه من القطيعة عن كل فدان سدسُ إردب، وهى فى الأراضى التى غلبت
عليها الأخراسُ وقُلَّ الانتفاع بها، فهى تُسَجَّل بهذه القطيعة عليها، وتتصلح
فى المستقبل؛ وأما الأراضى التى تُسَجَّل بالدرهم فأكثَر ما علمناه بأراضى الحِيزية^(٤)
قِبالةً فُسطاط مصر عن كلِّ فدان مائتان ونمسون درهماً. وهو كثير فى أراضيها
وُسُجِّل فى بعض السنين ثلاثة أفدنة بالْف درهم، ولم تستَقِرَّ هذه القطيعة، وهذه
الأراضى تُزَرَع غالباً كَنَجان؛ فإذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية والطواري^(٥)
نظم المباشِر أوراها بجملة ما أشتمل عليه التحضير مفصَّلةً بالأسماء والقبائل والجزائر^(٦)

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القَصَبَة الحاكِية: كَأَنَّها حررت فى زمن
الحاكم بأمر الله الفاطمى فسست اليه، وطولها ستة أذرع، الهاشمى، ونحسة أذرع بالتجارى، وثمانية أذرع
بذراع اليد.

(٣) فى الأصل: «ثلاثة عشر أردباً» ولم نجد هذا المقدار فى راجعنا من المصادر التى بين أيدينا،
تخطت المقرئى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب،
فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢ نقلاً عن ابن ماقى أن قطعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين
ونحسمائة عن كل فدان ثلاثة أَرادب ثم إنه تفرَّد عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين ونحسمائة عن كل فدان
إردبان ونصف إردب.

(٤) فى الأصل: «الحيرية»؛ وهو تصحيف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر.

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

والجُروف ، وتكتب عليها الشهود الذين حضر البلد بحضورهم ، ثم يصرف لكل مزارع ما جرت العادة به من التقاوى بحسب ما يسجله ، ويكون ما يصرفه من التقاوى من أطيب الغلال وأفضلها وأنصعها ، ثم يسط جريدة على أوراق السجلات يشرح فيها اسم كل فلاح وما يسجله من القدن ، ويفصل ذلك بقبائله وجهاته وقطائعه ؛ فإذا نبت الزرع وأستوى على سوقه ندب عند ذلك من يباشر مساحة الأراضى : من شاد وعدول ذوى خبرة بعلم المساحة ، وكاتب عارف خبير أمين ، وقصايين : وهم الذين يقيسون الأراضى بالأحكام الحاكية المحررة ؛ فيمسحون الأراضى المزروعة بأسماء أربابها وقبائلها ، ويعينون أصناف المزروعات بها ، ويكون مباشرو المساحة قد بسطوا أيضا سجلات التحضير ، فإذا تكاملت المساحة نظم مباشروها أوراقا يسمونها : المكلفة ، يترجم صدرها بما ناله مكلفه تاريخ فنداق مساحة الأراضى بالناحية الفلانية لمُغل سنة كذا وكذا الخراجية . والتاريخ : هو الأوراق التى يسطها مباشر المساحة بما فى السجلات ويختتمها بما انتهت اليه المساحة . والفنداق : هو عبارة عن التعليق ، وهو الذى تكتب فيه المساحات حال قياسها . فإذا انتهت ترجمة صدر المكلفة عقد

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٢) التقاوى : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهى عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام ؛ ويريد : أحكام المساحة ؛ وقد تقدم بيان القصة الحاكية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : « تاريخ » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى القاموس وشرحه ، فقد جاء فى مادة

« أراج » ما نصه : والأوارحة من كتب أصحاب الدواوين فى الخراج ونحوه ؛ ويقال : هذا كتاب التاريخ الخ .

(٦) فى الأصل : « يخدمها » بالدال ؛ وهو تحريف .

جملة فُذْنُهَا في صدرها وفصلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارعين، فإن طابقت المساحة السَّجَّلات من غير زيادة ولا نقص قال : وذلك بمقتضى السَّجَّلات، وإن تميزت قال : ما تضمنته السَّجَّلات كذا، زائد المساحة كذا، وإن نقصت ذكر ما صح بمقتضى مساحته، وكله بالقلم نِمتة^(٢)؛ وإن نقص مزارع عن سبجته في قبالة وزاد على سبجته في قبالة أخرى كل عليه ما نقص بمقتضى سبجته، وأورد ما زاد في القبالة الأخرى زيادة، ولا ينقل الزائد إلى الناقص، ويلزمه المباشر بالقيام بخراج مانقص من تلك القبالة وما زاد في الأخرى؛ هذا مصطلحهم، وليس هو منافيا للشرع، إلا أنني أرى في هذا النقص تفصيلا هو طريق العدل والحق، وهو إن كان النقص مع وجود أرض باثرة^(٤) بتلك القبالة لزمه القيام بخراج النقص، لأنه عطلها مع قدرته على الانتفاع بها وزراعتها؛ ويسلم إليه من الأراضي البائرة التي شملها الرى بتلك القبالة نظير ما نقص عنده ليقف بما لعله نبت في تلك الأرض من الكلأ؛ وإن كان النقص مع تعليق أرض تلك القبالة بالزراعة فلا شيء عليه لأنه لم يتسلم ما بسبجته، ويعتد له بما لعله زاد على تسجيل غيره بتلك القبالة، فإنه يعلم بالضرورة القطعية أن الذي زرع بها أكثر مما بسبجته أخذ من جملة سبجته غيره؛ وإن صحَّت تلك القبالة^(٦) في جميع المزارعين بمقتضى سبجلاتهم بغير زيادة، ونقص عند واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهملة الحروف من النقط.

(٣) كل عليه : أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة.

(٤) في الأصل : « مباشرة »؛ وهو تحريف.

(٥) في الأصل : « تعليق » بالعين المهملة ولم نجد من معانيه ما يناسب سياق الكلام؛ والمراد

بالنقل : التكيل والتميم؛ والظاهر أن هذا الاستعمال عاى كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٢ من

صفحة ٢٣٠ من هذا السفر.

(٦) في جميع : أى في مساحات جميع.

جميع ما أشتملت عليه المساحة بها ، فإن وافق جملة قانونها تعين أن الخلل إنما جاء من قبل المباشر ، لأنه سجل في قبالة أكثر من قانونها ، فلا يلزم المزارع بالنقص ؛ هذا هو العدل والإنصاف ، فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ؛ فإذا تكلفت كلمة المساحة وضع المباشر زائد مساحة كل آسم تحت آسمه ، وضمه إلى سجله ، ورفع الجملة بالعين والغلة ، وأضاف [إلى] كل آسم ماله قدسأسمه من تقاو وقروض ، وما عليه من عشر ووفر ورسوم ، وما لعله أنساق من الباقي إلى آخر السنة الماضية إن كان ؛ وهم يضيفون عشر التقاو ، وهو حرام لأشبهه^(٤) في أخذه ، وهو الربا بعينه ، فإنه يقرض الرجل عشرة فيأخذها أحد عشر ؛ ويضيفون أيضا في بعض البلاد عشر العشر فيقيص كل مائة إردب مائة إردب واحد عشر إردباً ؛ وإنما أشتمت هذه المظالم وأحدثت من قبل أرباب البدوا ، الذين يقرضون المظالم ولا يجيدون من ١٠ يردعهم ويردعهم عنها فنستمتر ، وهي من السنن السيئة التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

(١) في الأصل : « ريع » بالياء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ يقال : رفع الحاسب حسابه ؛ إذا عدده ثم أجمله ، و يقال بجلته وفدلكته : مرفوع ؛ وهذا اصطلاح للحساب والكتاب مشهور في كتبهم ورسائلهم انظر شعاع العليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والملة تقتضي إثباتها .

(٣) في الأصل : « وهو » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « ما لأشبهه » وقوله « ما » زيادة من الناسخ ، فإن المعنى عليها غير طاهر ، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا أدبه يستقيم الكلام . والشبهة : الانداس ؛ يريد أنه لا انداس في حرمة أخذه .

(٥) لعله : « البذور » ، فالأجمع بذر ، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) في الأصل : « يقتعون » بسقوط الزاء .

ثم يَعْقِدُ المباشر على جميع ذلك جملةً ^(١) ویشطها بما يستخرجه منه ويحصّله ،
والذى تتعقد عليه الجملة هو ما تَعَبَّنَ عليه للديوان أَنْجَبَ زرعه أو لم يُنْجَبَ ؛ ومهما
استخرجه منه وحصله وأحال به كَتَبَ به وُصُولًا ؛ فإذا غُلِقَ كُلُّ أَسِيمٍ ما عليه
أجاز عليه إشارة التخليق ، وإن بقيَ عليه شيء مما تَعَبَّنَ عليه طَرَدَهُ للباقي ؛ هذا
حكم الأرض التى تُسَجَّلُ بالغلة ؛

وأما ما يُسَجَّلُ بالنقد فإنه تَنَسَاوَى عليه ثلاثة أقساط أو قسطان : قسَطٌ من
ثمن الرسم الأخصر عند إدراكه وبيعه لربيع الخيل ، وقسَطٌ من الثَّكَنان عند قلعه
إن كان ، وقسَطٌ عند إدراك المَقْل والمَقَائِي ، ومنهم من يسجّل بالنقد الحاضر جملةً
واحدةً فى وقت السجّل ؛ هذا حكم خراج الزراعة .

وأما الخراج الراتب ، فهو - ولا يكون إلا بالنقد عَيْنًا أو فِضَّةً ؛ وهو
خراج السواقي والبساتين والنَّخِيل ؛ وذلك أن أربابه يقاطعون الديوان على فُذْنٍ
معينةً بمبلغ معينٍ عن كلِّ فدان فى كلِّ سنة يقومون به فى أوقات معلومة ،
رَوَيْتِ الأَرْضَ أو شَرَقَتْ ^(٢) ؛ وهم يحفرون فى تلك الأراضى آبارا بقدر ما يعلمون
أن المياه التى تطلع منها تُروى تلك الأراضى . ويركّبون على أفواه الآبار السوائى

(١) فى الأصل : « ويسطها » ؛ وهو تعريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : « علق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف لم نخدله معنى يناسب السياق ؛ وعلق بالعين
المعجمة من التخليق ، وهو التعميم والتكبير والظاهر أنه عامى — كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢
من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — فكان المراءع اذا دفع كل ما عليه فقد علق باب المطالبة .

(٣) العين : ما ضرب من الدنانير .

(٤) يقاطعون ، من القطيعة ؛ وهى الصربية .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٦) ذكر فى مستدرك التاج أن مصدره التشريق ، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء .

المتخذة من أخشاب السنتط وما ناسبه، المشهورة بالخير التي تُعين على رفع الماء ويستعملونها بديار مصر: المحال، وبحماة: النواير، إلا أن النواير تدور بالماء، وهذه تدور بالأبقار؛ ويزرعون عليها بتلك الأراضي ما أحبوته وأختاروه من أصناف المزروعات والغروس لا يطالبون عليها بغير الحراج المقرر، إلا أن ينصبوا القصب فلا يقتصر منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقصاب مقرر يستأديه عن كل فدان؛ ويستأدى خراج الراتب على أقساط في زمن الثمار والأعنان والفواكه وعند ضرب الوسم^(٤) — وهي التيل الذي يصبغ به اللون الأزرق — وخراج الراتب يستأدى من هو عليه، زرع أرضه أو عطلها، وهو لا يبطل بوفاة المقاطع على الأرض، بل ينتقل على ورثته، ويطالبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن ابتلع البحر الأرض المقاطع عليها بعد أن يعملوا بذلك مشاريح تثبت عند حاكم البلد أن البحر ابتلع تلك الأراضي بكاملها أو بعضها، ولا ينهض مباشر الناحية أو ناظر العمل

(١) الخريز: صوت الماء.

(٢) في كتب اللغة أن المحال والمخال: الدكة العظيمة التي يستقى عليها، سميت بذلك لأنها تدور وتنقل من حالة إلى حالة.

(٣) نصب القصب: هو أهم إذا هيارا الأرض لزعه يلقوه فيها قطعتين، قطعة مشاة وقطعة مفردة بعد أن تجمل الأرض أحواصا وتفرز لها حداول يصل الماء منها إلى الأحواص، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أبايب كواحد وبعض أنوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها خطط المقرري ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتي ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب.

(٤) ضرب الوسم: هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه لينحت الورق عنه ويسقط.

(٥) المقاطع: هو الذي جعلت عليه قطعة أي ضريبة يؤديها إلى الديوان.

(٦) في الأصل: «مشارعا»، وهو محريف؛ ويرشد إلى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة في ص ٢٤٣

ص ٣٤٣ من هذا السفر.

(٧) في الأصل: «اقتلع» باللفاف؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق.

بوضعه مع وجود المحضر الثابت، بل يحضر المقاطع على الأرض أو من انتقلت اليه بالإرث أو الابتاع الى باب السلطان، ويرفع قصة الى الوزير بصورة الحال، ويوقع عليها بقلمه أن يوضع عنه من خراج الراتب بقدر ما آتاهه البحر بمقتضى المحضر، ويستمر حكم ما بقى، ويكتب على ظهر قصته: توقيع شريف سلطاني؛ ويثبت بدواوين الباب السلطاني، ثم يثبت بدويان العمل آلامع، ثم ينزل في ديوان البلد التي بها تلك الأرض، ويوضع عند ذلك من الضريبة الديوانية؛ هذا حكم الخراج بالديار المصرية وقاعدته والعادة فيه.

وأما جهات الخراجى بالشام وكيفيةها وما يعتمد عليه مباشروها — فإن قانون البلاد الشامية مبنى على نزول الغيث، ووقوع الأمطار في إبانها وأوقات الاحتياج اليها، فمن ذلك المطر المسمى: الوسمى، وهو الذى يقع في فصل الخريف، وعند وقوع هذا المطر يُخَدَّ شقُّ الأراضى المكروبة بالسكك، ثم يُندَر الحب فيها، ويعاد شقُّ الأرض عليه ليَحْفَى عن الطير خشية أنلقاطه، فإذا نزل عليه المطر الثانى

(١) المحصر: خط يكتب في واقعة خطوط النهود في آخره بصحة ما تضمنه صدره؛ وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما في القاموس وشرحه.

(٢) في الأصل: «الباي» بالنون والياء؛ وهو تصحيف.
(٣) في الأصل: «أو»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوعة تتعذر قراءتها، ولم يتضح لها غير الوارد الأول والألف التي بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٥) في الأصل: «يحد» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال: حدَّ الأرض حدًا؛ إذا شققها.

(٦) المكروبة: المحروثة؛ يقال: كربت الأرض كرمًا وكروبا بكسر الكاف؛ إذا قلبتها وأثرنتها للربوع.
(٧) السكك: جمع سكة بكسر الدين، وهى حديدة الحراث التي يحث بها.
(٨) في الأصل: «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يدل عليه التعليل.

بعد ذلك تَبَّتْ وَبَرَزَ إلى وجه الأرض ، وهو عند ذلك يَسْمَى : الْأَحْوَى^(١) ، ثم لا تزال
الأمطار تسقيه والأنواء تغذيه حتى يصير غُثَاءً ، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المُسَمَّى
بالمطر الفاطم ، وهو غالبا يكون في شهر نَيْسَانَ ، ثم يعقد فيه الحبُّ بعد ذلك ، وينتهي
على عادة الزرع ؛ هذا حَكْمُ ما يُزْرَع على الوَسْمَى .

- ومن أراضى الشام^(٢) [نِوَج] يُغَيَّبُ^(٣) الوَسْمَى فَيُزْرَعُ^(٤) سُكَّانُهَا الحبَّ عَفِيْرًا ، ومعنى
ذلك أنهم يزرعون في الأرض الحبَّ قَبْلَ إِبَانِ الزرع وَيَنْتَظِرُونَ وَقُوعَ الأمطار
عليه ؛ ومن غريب ما اتَّفَقَ في بعض السنين أنهم أودَعُوا الحبَّ الأرضَ
على عادتهم فلم تَسْقُط عليه الأمطارُ في تلك السنة ، فاستمرَّت في الأرض إلى العام
القابل ، وأيس أهل البلاد منه ، وزرعوا في السنة الثانية شَطَرَ الأراضى التى كانت
كَرَابَا غيرَ مزروعة — فإن عادتهم بسائر بلاد الشام أن كُلَّ فَلَاحٍ يَقْسِمُ الأراضى التى
بيده شَطَرَيْنِ ، فيزرع شَطْرًا ، وَيُرِيحُ شَطْرًا ، ويتعهده بالحرث لتَقَرَّعِ الشمسُ
باطنَ الأرض ، ثم يزرعه في القابل وَيُرِيحُ الشطرَ الذى كان به الزرع ؛ هذا دأبهم ،
خلافًا لأراضى الديار المصرية ، فإنها تُزْرَعُ في كُلِّ سنة — فلما وقعت الأمطار
تَبَّتْ الشطران معا ، وأَقْبَلَتِ الزراعاتُ في تلك السنة ، فَتَضَاعَفَ الْمُغَلُّ ، وهذا
غريبٌ نادر الوقوع .

(١) الأحوى من النبات : ما يصرب إلى السواد من شدَّةِ خصرته ، وهو أنعم ما يكون منه .

(٢) هذه الكلمة أرمأ يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٣) يغيبها : أى يتأخر عنها ؛ والدلى فى الأصل : « يقع بها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه
السياق ، فإن ما قبله من الكلام فيما إذا نزل المطر قبل الزرع ، فيقتضى أن يكون مقابله فيما إذا تأخر نزول
المطر عن الزرع .

(٤) فى الأصل : « مكانها » ؛ وهو تحريف .

ومن أراضى الشام ما يسقى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمة أرضه أوفر من مقاسمة ما يسقى بالأمطار، وقيمة الأملاك بها أرفع وأعلى^(١) من تلك، ويكون غالبا في الأراضى المستقلة؛ والله تعالى أعلم.

والذى يعتمد به مباشر الخراج ببلاد الشام أنه يبدأ بإلزام رؤساء البلاد بتغليق أراضيها بالزراعة واليكرا^(٢)ب، ومصطاحهم^(٣) في ذلك أن يقولوا: أحمر وأخضر، يعنون بالأحمر: الكرا^(٤)ب، وبالأخضر: انزرع شتوياً أو صيفياً، و يعنون بالشتوى: القمح والشعير^(٥) والشوفان^(٦) والفول^(٧) والحمص^(٨) والعدس^(٩) والكروسة^(١٠) والجلبان^(١١) والبستيلة

(١) لم يتصح لنا في الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروهما، وسائرهما مضموس تتعد فرأته؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا. (٢) في الأصل: « المستقلة »؛ وهو تصحيف. ويريد بالمستقلة: ما أعلم من السهل وسهل.

(٣) في الأصل: « تعليق »؛ وهو تصحيف ادلم نخسده معنى يناسب السياق؛ ويريد بالتعليق التكيل والتعظيم؛ والظاهر أن استعماله في هذا المعنى استعمال سائى، كأى الشئ. اذا كل فقد ألقى باب الزيادة فيه؛ وقد سبق ذلك أيضا في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١ من هذا السمر.

(٤) الكرا^(١)ب: الحرث. (٥) في الأصل: « صيفيا أو شتويا » والأولى تقديم الشتوى كما أثبتنا إذ هو مقتضى صيغه بعد في ذكر الساعات الشتوية قبل الصيفية.

(٦) الشوفان، ذكر في بعض الكتب باسم السلت، والسلت: ضرب من الشعير مجرد من قشره، ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر، أى الذى يخرج عاريا من قشره؛ والشوفان نبات من الفصيلة النجيلية، وسيفانه تعلو من قدمين الى ثلاثة؛ وهو أنواع كثيرة؛ أشهرها الشوفان المستتب، وهو أهم غلف للخبز، وتعلفه أيضا المسامية والطيور، فهو ويسمن العنم، ويزيد اللبن، ويكثر يرض الطيور، ويصنع المقرء في بعض الأماكن خيرا من دققة لكنه ردى، ويخخذ من الشوفان نشاء وبرغل اه المختصا من دائرة المعارف للبنساق.

(٧) الكروسة: شجرة صغيرة لها ثمر في غلف تعلفه الدواب، وهى الكشنى.

(٨) الجلبان: هو من القطاني بتشديد الياء، أى الحبوب التى تطبخ، وقال ابن البطار في مفرداته ح ١ ص ١٦٤، ١٦٥ طسح المطبعة الأميرية: الجلبان هو من القطاني المأكولة، وله قضبان مربعة سباطية تنبسط على الأرض، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله نوار الى الحمرة تحمله مزارد فيها حب مدور الى البياض حلو، ويؤكل تيا في الربيع، ثم يجفف ويطح.

وهي التي تسمى بمصر: البسلى^(١)، وبالساحل الطرابلسى: الحالبه؛ ويعنون بالصفى: الذرة والدخن والسمسم والأرز والحبة السوداء والكسبرة والمقائى^(٢) والوسمة^(٣) والقرطم والقطن والقنب؛ ويكتب عليهم بذلك مشاريح أنهم لا يورثون شيئا من الأراضى ومن يورث شيئا منها كان عليه القيام برىع^(٤) العامر من نسبة العامر؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدأ صلاح الزرع، وأخذ الفول في العقد خرج الولاء على الزراعة إلى السواحى يحفظون الزراعة من التطوق إلى شىء منها، ويلزمونها إلى أن تُحصَد وتُنقل إلى البيادر؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصل إلى البيادر، ويأخذون^(٥) في الدراس؛ فإذا تكامل وطابت البيادر ولم يبق إلا التذرية أخرج مذبزا - ووظيفة المدرى أنه يلزمهم بتخليص الفلال من الأفصال وتنظيفها؛ فإذا فعلوا ذلك وحلصت الفلال من الأبنان والأفصال وصارت بيادر صافية خرج والى العمل مباشره إلى تلك الجهة - وتقدموا بتوزيع بيادرها على ضريبة الحايحة وعادتها في المفاسمة، مناصفة - وذلك في أراضى السقى -، ومثالثة ومرابعة - وهو في غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعارة في مستدرك الناح.

(٢) المراد بالمقائى هنا نفس الفناء، وهو مخازن اطلاق اسم الموضع وإرادة ما يكون فيه.

(٣) الوسمة: وري النيل الذى يصعب به كما سبق في صفحة ٢٥٤ من ٧ من هذا السفر.

(٤) القرطم: حب العصر.

(٥) القنب: صبر من الكتان، وهو الغلاط الذى تلخذه الحبال وما أشبهها.

(٦) في الأصل: « ريع العامر »؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين؛ والمراد بالعامر الذى لا نبات فيه.

(٧) لعل صوابه « بنسة »، كذا كان « بن » كما يدل عليه ما ورد في قوانين الدواوين صفحة ٣٧ طبع مطبعة الوطن؛ وعبارته: « إذا استعمل المزارع أرضا على أن يرعها، مشاطرة بعد أن شملها الرى ثم يورث شيئا منها وحسب عليه القيام بخراجه بالنسبة لتحصل المشاطرة » الخ.

(٨) البيادر: المراضع التى يداىس فيها الفول والحطة ونحوهما؛ واحده بيذر بفتح الباء.

(٩) يقال: « تقدم إليه بالشىء » أى أمره به.

البلاد — ، ومخاضة ومسادسة — وذلك في المزارع والنواحي آنالية من السكّان التي
يزرعها المستكرون^(١) — ، ومسابعة ومثامنة — وذلك في النواحي المجاورة لسواحل البحر
والمناخية لأطراف بلاد العدو ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخص الديوان^(٢)
من التوزيع ، ثم يُخزّر ما لعله تأخر من الغلال في عرصات البيادر والأقصال^(٣)
وأعقاب الثبانات والعقائر ، ويُؤخذ منه ما يخص الديوان من نسبة المناصفة^(٤) ، وبكُل
على الفلاح على حكم ضريبة ذلك العمل ؛ وفي بعض النواحي يكون من المواسطة^(٥) ،
فُغرّد لها توزيع بمفردها ، ثم يُؤخذ من حاصل الفلاح بعد الرسوم عشر ما بقى له ؛
وهذا غير مطرد في جميع البلاد ، فإن في جهات الأوقاف والبر وما يناسبها لا يُؤخذ
العشر إلا من النصاب المسمّى ؛ وفي نواحي الخواص والإقطاعات يُؤخذ مما بقى
للفلاح من كلّ عشرة أجزاء جزءا مما قلّ أو أكثر بحسابه ؛ وفي بعض الأقاليم لا يُؤخذ^(٦)
العشر من المزارعين الدّقية ؛ وأما النواحي الإقطاعية والأهلاك التي أعشارها ديوانية
فمنها ما عليه ضريبة مقرّرة تُؤخذ في كلّ سنة زاد المغل أو نقص ، ومنها ما يُندب
له من يقف على النواحي ويُخزّر ما بها من الغلال ويُقدّر العشر عنها ، ويكون هذا
الحزب والزرع قائم أو حصيد قبل دراسته ، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلاحين ما لعله

(١) في الأصل : « المستكرون » بالشين ؛ وهو حرف صواب ما أثبتنا .

(٢) يخزّر : أى يقدر بالطن والحدس ؛ والذي في الأصل : « يخزّر » ؛ وهو تصحيف ، إذ لا يتأني
التحرير — وهو الصّحط بدقة — في هذه الحالة .

(٣) لعله « بنسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوايين الدراوين في الحاشية رقم ٧ من صفحة

٢٥٨ ، فاطرد .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم يتصح لما المراد به في هذا الموضع .

(٥) في الأصل : « ويخزّر » ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ وقد سبق تفسير

الحرر في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

(١) عليهم من التقاوى والقروض ، وتكون بمفردها مرصدة لتقاوى السنة الآتية ؛ ثم يُعتبر ما يتحصّل من الغلال على اختلاف أصنافها بالكيل المتعامل به في ذلك الإقليم ، وتُعمل بذلك مخازيم على العادة مفصلة بالأسماء وأصل المقاسمة والرسوم والعشروما لعله آستعيد من التقاوى والقروض ؛ وعند تكامل قسم نواحى كلّ عمل يُنظّم على المخازيم عمل^(٢) بالمتحصّل على ما نشرحه إن شاء الله تعالى في الأوضاع الحسابية ؛ هذا ما يعتمد في الغلال .

وأما الخزوب والزيتون والقطن والساق^(٣) والفسق والجوز واللوز والآرز فإن الوكلاء تستمر على حفظ ذلك إلى أن يصير في بيادره ، ويُقسم على حكم الضريبة ويحصل ويؤرد على المتحصل ؛

١٠ وفي بعض الأعمال الشامية نواح مفصلة ومضمنة^(٤) على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغنل من غير توكيل ولا مقاسمة ، وهى نظير المتاجرات^(٥)

(١) تقدّم تفسير التقاوى في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢١ من هذا السمر ، فاطره .

(٢) في الأصل : « محاريم » بالراء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، فقد ذكر في شرحه المليل أن

المحرومة : نوع من الدفائر يحرق ، مولدة ؛ وقد وردت هذه الكلمة في شعراير بجاة دم كتابنا ، قال :

١٥ لم يدر ما مخزومة وجريدة سبجان رارقه بعير حساب

وسنأتى كيفية عمل المخزومة في صفحة ٢٧٤ من هذا السمر ، فاطره .

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم بعمله كتاب الدواوين بالكيفية التى ساقى بهاها في هذا السمر

عند الكلام على الأعمال وأنواعها .

(٤) الساق والتشديد : من شجر القماط والجبال ، وله ثمر حامض عاقد فيها حب صفار يطبخ ؛

٢٠ قال أبو حنيفة : ولا أعلم بهت بشيء من أرض العرب إلا ما كان بالشأم ؛ وهو تنديد الحجره .

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا للفظ الفصل .

(٦) في الأصل : « مذيمة » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) في الأصل : « المتأخرات » ؛ وهو تصحيف .

بالديار المصرية ؛ ولفظ الفصل بالشام كله كلمة فرنجية^(١) ، واستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي آرتجت من أيدي الفرنج جريا على عادتهم .

وأما خراج العين فهو مقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقائ^٢ ويُستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف .

ومن أبواب الخراج^(٢) الخدم^(٣) التي تقدم ذكرها ، ومقرر^(٤) الفصص والبريد والبسط^(٥) ، وعشر العرق ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، ألا أن جميع ما يُستخرج من الأراضي منسوب إلى الخراج .

ومن أبواب الخراج^(٢) الأحكار على ما فيها من الاختلاف ؛ ومهما أستخرجه المباشر وحصله من ذلك يعتمد في إيراده نحو ما شرحناه في الهلالي : من إيراده في تعليق المياومة ، وشطيه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ؛ هذا حكم الهلالي والجوالى والخراجي ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الفرنسية (Vain) فبال ومعناه التابع الذي أعطاه متروعه إقطاعا بطائر واجبات بزقيها ، كما في معجمات هذه اللغة ، فكان أهل الشام اشتقوا منه لفظ (الذل) وأرادوا به المعنى المصدري ، أي التبعية ، ثم حوَّته ألسنتهم إلى (الفصل) كما هنا حسب لفظهم العربي واسبقوا منه لفظ (مضبوطة) السابق في صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) في الأصل : « إدراك » ، وهو تعديل وقع من النسخ لا يستقيم به معنى الكلام ؛ ورشد إلى ما أمثما ما يأتي بعد في السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) في الأصل : « تقرر » ، وهو تحريف ؛ والدياق يقتضى ما أثبتنا ، فقد تقدم ذكر هذه الخدم في قوله في ص ٢٤٥ من هذا السفر : « وما يستأدى من خدم الفلاحين » الخ .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وحطط المقرئ في ح ٢ ص ٩٤ طبع المهدى العلمى الفرنسى ، واهله « البرود » بدليل عطف البسط عليه ، والبود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا في مصر إلى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أى غسله .

وأما ما يشترك فيه الهلالى والخراجى ويختلف باختلاف أحواله
فجهاً ، وهى المراعى والمصايد والأحكام ؛

أما المراعى ^(١) — فالذى يرد منها فى أبواب الهلالى ما استتقر حكمه بجهة ،
وتقرر فى كل سنة ، وصار ضريبةً مقرّرةً فى المباشرين من يقبضه على شهر السنة ،
ويستخرجه أقساطاً ، ويورده فى جملة أبواب الهلالى ؛ والذى يرد منه فى أبواب
الخارجى هو ما يُستخرج من أرباب المواشى فى كل سنة عند هبوط نبل مصر
ونبات الكلا ، فى مقابلة ما رعتهم مواشيم من نبات الأرض ، وهو يزيد وينقص
بحسب كثرة المواشى وقلتها ؛ وعادتهم فيه أن يُندب لمباشرة ذلك مشدً وشهود
وكتاب ، ويعدوا الأغنام وغيرها ، ويستخرجوا من أربابها عن كل رأس شيئاً معلوماً
بحسب ضريبة تلك الجهة وعادتها ؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغي إيراد إلا فى أبواب
الخارجى ؛ ومن الكتاب من يورده فى أبواب الهلالى ، وهو غلط .

وأما المصايد ^(٢) — فمنها أيضاً ما يورّد فى أبواب الهلالى كالنواحي التى تصاد

(١) فى خطط المقريرى ج ٢ ص ٨١ ، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر فى مصر
على المراعى وأدخالها الديوان أحمد بن محمد بن مبر لما ولي حراجها ، وذلك بعد سنة نحسين ومائتين .

(٢) لم يقف على صط هذا اللفظ فيما راجعناه من الكتب التى ورد فيها ، كما أنه لم يرد فيما بين أيدينا
من كتب اللغة ، وكأنه ساقط ، وبعض العامة فى مصر يطقون به كسر أوله وفتح ثانيه ؛ وسيأتى فى هذا
السمر شرح ما يلزم المشد من الأعمال عدد ذكر أرباب الوظائف .

(٣) فى الأصل : « ما » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى خطط المقريرى ج ٢ ص ٨١ ، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر مالا فى مصر

على المصايد أحمد بن محمد بن مبر لما ولي حراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشاعة القول فيها فأمر
أن يكتب فى الديوان : خراج مصايد الأوتاد وممارس الشباك .

بها الأسماك على الدوام ، مثل نغر دُمِيَّاطَ ^(١) والرَّائِسَ ^(٢) وجنادل نغر أسوانَ وأشباه ذلك بالديار المصرية ، وبالشام مثل نهر العاصي و بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ ، وغيرهما من الأنهار والبرك ، ومنها ما يَرِدُ في أبواب الخراجي ، ودوما يصاد من الأسماك عند هبوط نيل مصر ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل ، والعادة في ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع الماء في مبادئ النقص سَكَرُوا أَفْوَاهَ التَّرْعِ ، وسَدُّوا أَبْوَاطَ القِطَاطِرِ التي عليها حتى يرجع الماء . (ويتكاتف مما يلي المزارع) ثم ينصبون الشباك ، وبصرفون المياه ، فيأتي السمك وقد آذنع مع الماء الجارى ، فيجد الشباك تحُولُ بينه وبين الانحدار مع الماء ، فيجتمع فيها ، ثم يُجَرَّجُ منها الى الترع ، فيوضع على نخاج ^(٣) ويملح ^(٤) و يَدَعُ في الأمطار ، وأكثر ما يكون ذلك في طول الإصمغ ونحوه ، وله أَسْمَاءُ : منها البُلْطُ ^(٥)

١ . (١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعارة في القاموس بوضعه ياقوت بفتح ياء ، وهي الآن مساوئيل مصر من جهة الاسكندرية (ترج القاموس) .

(٢) الجادل : موضع فوق أسوان ثمانية أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد البحيرة ، وهي حجارة نائمة في وسط النيل (ياقوت) . وقال في صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ : إنها هي الجبل الذي تحده مياه النيل بين منتهى مراياك النوبة و انحدارها ومراكب مصر في صعودها .

١٥ (٣) نهر العاصي : هو اسم لهرحامة وحمص ، ويعرف بالمباس ، مخرجه من بحيرة قدس ، وصبه في البحر قرب انطاكية ، واسم قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر في صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ في صلب قسمته هذا الاسم أن غالب الأنهار تسقى الأرض بغير دواليب ولا بواوير بل تركت البلاد بأنفسها ، وهذا النهر لا تدفق إلا سبائير تنزع الماء منه .

(٤) سَكَرُوا أى سادا .

٢٠ (٥) هذه العبارة في الأصل مطبوعة بالحروف تتعذر قراءتها . وقد أستاذنا من خطاط المقرئى ح ٢ ص ٩٦ طبع المذهب العلمى الفرنسى .

(٦) البعاج : جمع بح تشديد الحاء ، وهو مساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ، وقد شاع في مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردى ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) في خط المقرئى ح ٢ ص ٩٦ طبع المذهب العلمى الفرنسى : «فا دونه» .

٢٥ (٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعارة في مستدرك الناجح ، وقال عنه : إنه أطاب الأسماك ، ويشبهون به المترجع في الشباب والبعثة .

والرأى والبني وغير ذلك، وما يؤكل منه طريقاً بعد قلبه يسمونه الإيسارية؛ ومنها^(١) ما يكون بقدر الفتر، ويسمى الشال، وهو يملح^(٢) أيضاً؛ فهذا الذى يتعين إيراده^(٣) فى أقلام الخراجى، ومنهم من يورده فى الهلالى، ومن الكتاب من يورد المصايد والمراعى فلما مستقلاً بعد الجوالى وقبل الخراجى.

وأما الأحكار — فقد تقدم الكلام عليها عند ذكرنا للهلالى. وهذه الاختلافات بين الكتاب حتى بحسب آرائهم وعادات النواحى وما استقرت عليه قواعدها؛ وإنما أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه، وذكر مصطلح الكتاب فيه.

وأما أقصاب السكر ومعاصرها — فهى تختلف بحسب الأماكن والبقاع والنواحى والديار المصرية والشام، وتختلف أيضاً فى الديار المصرية بحسب الأعمال والنواحى والأراضى؛ وقاعدتها الكلية التى لا تكاد تختلف فى الديار المصرية أن تختار لها الأراضى الجيدة الدمنة^(٤) التى شملها الرى وعلاها النيل، ويقلَع ما بها من الحلفاء وتنظف بتم تبرش بالمقليلات — وهى محاريت بكار — ستة وجوه، وتجرف

(١) فى الأصل : «الزى» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع فى مصر؛ ولم نجد الزاى بالمعجمة فيما لدينا من المطان . (٢) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وخطوط المقرئى ح ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى؛ وسامة مصر يقولون : «يسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء؛ والطاهر أنه ليس بعرى، إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٤) كذا فى مستدرک الناح؛ والدى فى الأصل : «الزال» والراء زيادة من النسخ .

(٥) فى الأصل : «قصا» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) فى الأصل : «وهل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام؛ ويرشد إليه

ما أتى فى أقصاب الشام صفحة ٢٧١ سطر ١٤ . (٧) الدمنة : السهلة اللينة .

حتى تُمَهَّدَ، ثم تُبْرِشَ سِتَّةَ وجوهٍ أخرى وتجَرَّفَ — ومعنى البْرِش الحِرث — ؛ فإذا صَاحَتْ وطابت وتَعَمَّتْ وصارت تراباً ناعماً وتساوت بالتجريف تُسَقُّ عند ذلك بالمقلات، ويُرمَى القصبُ فيها قطعتين : [قطعة^(٢)] مشاة^(٣)، وقطعة مفردة؛ وذلك بعد أن تُجْعَلَ أحواضا وتُفَرَّزَ لها جداولُ يصل الماء منها الى تلك الأحواض، ويكون طول كلِّ قطعة منها ثلاثة أنايِبَ كواكمل وبعض أنوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها؛ ويُجَنَّرُ برسم النَّصْب من الأقصاب ما قصرت أنابدها، وكثرت عيونها؛ فإذا تكامل النَّصْبُ أعيد الترابُ عليه؛ وصورة النَّصْب أن تكون القطعة ملقاة لا قائمة؛ ثم يُسَقَّى من حال نصبه في أول فصل الربيع في كلِّ أسبوع مرة؛ فإذا نبت القصب وصار أوراقاً ظاهرة على وجه الأرض نبتت معه الحلفاء والبقلة الخمقاء، فعند ذلك تُعْزَقُ أرضه — ومعنى العَزَق أن تُتَكَشَّش الأرض وينظف ما نبت مع القصب — ويُتَعَاهَد بذلك مرة بعد أخرى إلى أن يَغْزُرَ القصب ويقوى ويتكاثف، فلا يتمكن العَزَاق من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عِزَّاقَه، وذلك عند بروز الأنبوب منه؛ ومجموع ما يُسَقَّى بالقادوس ثمانية وعشرون ماءً .

(١) لم نجد البرش بمعنى الحِرث وإراجعه من كتب اللغة التي بين أيدينا؛ وكان هذا الاستعمال عامياً .
(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن حطوط المقرئ ح ١ ص ١٠٢ طبع بولاق .
(٣) كذا في خطوط المقرئ ح ١ ص ١٠٢ طبع بولاق؛ والذي في الأصل : « جصاه » وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) البقلة الخمقاء : هي المعروفة في مصر بالرحله وإما سميت بذلك لأنها تنبت على بحارى المياه مسج . الماء، ويقلعها، ثم تعود فنبت هناك أيضاً .
(٥) في كتب اللغة أن يتعاهد أن يصح من يتعاهد . لأن التعاهد إما يكون بين اثنين؛ وأجازهما القراء .

(٦) هذه البيا ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها، فإن المعنى أن القصب يتعاهد بذلك العمل؛ وستأتى هذه العبارة أيضاً في صفحة ٢٦٦ سطر ٩

والعادة أن الذي يُنصب من الأفصاب على كل محالٍ بحرانى ^(١) - ^(٢) أى مجاور للبحر - ^(٣)
 إذا كان مُزاح العلة ^(٤) بالأبصار الجياد مع قُرب أرشية ^(٥) الآبار ثمانية أفدنة؛ ويحتاج إلى
 ثمانية أرييس بقرا؛ فإذا كانت الآبار بعيدة عن تجرى النيل لا يقوم المحال ^(٦) بأكثر من ستة
 أفدنة إلى أربعة أفدنة؛ فإذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة؛
 وصفة ذلك أنه يُقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقية من الغرق عند
 ارتفاع الماء بالزادة، فيدخل الماء من تلك الثلمة التي فُرِضت من الجسر، ويعلو
 على وجه أرضه نحواً من شبر، فُسَدَّ عند ذلك، ^(٧) ويُمنع الماء من الوصول إليه،
 ويُترك ذلك الماء عليه مقدار ساعتين أو ثلاث إلى أن يَسْخُن، ثم يُصرف عنه من
 جانب آخر إلى أن ينضب، ثم يجدد عليه الماء مرةً أخرى؛ يُتعاهد بذلك مراراً
 في أيام متفرقة بقدر معلوم، ثم يقطع بعد ذلك؛ هذا هو القصب الذى يوقى حقه
 في حره ونصبه وسقيه وعزقه وغير ذلك؛ فمما تنص من ذلك كان المباشر قد أخلَّ
 به إلا النصب على الرى وسقى ماء الراحة فإنه أمر ربانى لا قدرة للبأسر على
 استجلابه.

(١) المراد بالمحال آلة الرى المعروفة بالساقية، كما سبق ذلك في صفحة ٢٥٤ سطر ٢. والحال
 والمخال في الأصل: التكرار العنيفة التى يستق بها. كما في اللسان والنح مادة «محل» (٢) قال
 ابن سيدة: إن السبب إلى البحر بحرانى على غير قاس، وقد رَدَّ عليه السبيل في ذلك وأنكر هذه النسبة اطار
 اللسان مادة (بحر) (٣) في الأصل: «أر» وهو تحريف (٤) عارة الأصل:
 «إذا كانت مزاحة»؛ والذي يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكور، قال حميد الأرقط:
 رددت والليل مرم طائرته منحنى روافده هجود سامره

٢٠. ورد المحال فلفتت شماء ده. ٥.
 اطار اللسان والنح مادة (محل).

(٥) في الأصل وخط المقرئ ٢٠ من ٧٧ طبع الملهد العلمى الفرنسى: «العله»؛ وهو تصحيف
 لا يظهر به معنى الكلام. (٦) «بالأنهار»؛ أى يدار بالأنهار، «المعلق بمنذوف لعلهم من
 الكلام. (٧) هذه الفا، ساعة من الأصل، والسياق يقتضيها. (٨) في الأصل: «يشنة»؛
 وهو تحريف. (٩) في الأصل: «وصه»؛ بالصاد المعجمة، وهو تصحيف.

ولا غُنيَّةً للقصَب عن القِطْرَانِ قبل أن يَحْلَوْا ، فإنه يمنع السوسَ من الوصول إليه ؛ وصفةُ ذلك أنهم يجعلون القِطْرَانِ في قادوسٍ مبخوشٍ من أسفله ، ويُسدُّ ذلك البُحْشُ^(١) بشيء من الحلفاء ، ويُعلّق القادوسُ على جَدُولِ الماء ، ويُمزج القِطْرَانِ بالماء فيَقْطُرُ من خلال ذلك البُحْشِ المسدود ، وينتزع قَطْرُهُ بالماء الذي يصل إلى القصب ، ويحصل به المقصود .

٥

وإن خَشِيَ المباشِر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبة الرأس إلى خارج أرض القصب تُسمّى حيطان النار ، وتُصنَع من الطين المخلوط بالنين فتمنع الفأر من الوصول إلى القصب ، فإنه إذا نَسَّقَ في الحائط وانتهى إلى آخرها منعتُه تلك الحافة المنقلوبة وأصاب رأسه فيسقط إلى الأرض .

هذا ما يلزم المباشِر الاحتفال به واعتياده في أمر القصب .

١٠

فإذا كان في أول كيهك من شهور القبط كُثِرَت الأَقْصَابُ وقُثِرَتْ ، ونُفِثَتْ إلى المعاصر ؛ وإذا كان في أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرِقت آثار الأَقْصَابِ وسُقِيتْ وعُزِقت كما تقدم ، فتُنْبِت أرضها القصب ، ويسمونه بمصر : الخِلْفَة ، ويسمّون الأول : الرأس ؛ وقنود الخلفة في الغالب أجود من قنود الرأس .

ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل

١٥

الذي جرت عليه العادة الديار المصرية أن الأَقْصَابِ إذا نُقِلَتْ من المكْثِر إلى المعصرة على ظهور الجبال أو الحير وُضِعَتْ في مكان برسمها يسمّى دار القصب ،

(١) مبخوش ، أى مثقوب . والبُحْشُ : الثقب ، يطل به العامة نسم أوله وسكون ثانيه ؛ والظاهر أنه لفظ عامى لم نجده فيما راجعنا من المعاني ، بل إن مادته لم ترد في كتب اللغة التي بين أيدينا .

٢٠

(٢) الذى وحدها في كتب اللغة إلى دين أيدينا أن « تسلق » يتعدى بنفسه لا بالحرف كما هنا ؛ وأمله صمن هذا الفعل معنى « صعد » فعداه « بهى » .

(٣) القنود : جمع قند ، وهو غسل القصب إذا جدد ، وهو معزب « ككند » .

- بها وَتَرَاتٌ وَحَطَبٌ وَرَجَالٌ مُرْصَدُونَ لِإِصْلَاحِ الْقَصَبِ بِالسَّكَاكِينِ الْكِبَارِ ^(١) التِي
مِقْدَارُ حديدِهَا ثَلَاثَا ذِرَاعَ ، فِي عَرَضِ سِدْسِ ذِرَاعَ فِي سَمَكِ إِبَاهِمَ ، فَيَنْظِفُونَ عِيدَانِ
الْقَصَبِ ، وَيَقْطَعُونَ مِنْ أَعْلَاهُ مَا لَيْسَ فِيهِ حِلَاوَةٌ ، وَيَسْمُونَهُ ^(٢) الْكَلُوكَ ، وَيَنْظِفُونَ
أَسْفَلَ الْعُودِ تَمَّا لَعَلَّهُ بِهِ مِنْ عُرُوقٍ وَطِينٍ ، وَيَسْمَى هَذَا الْإِصْلَاحُ التَّطْهِيرَ ، ثُمَّ يُنْقَلُ
مِنْ تِلْكَ الْوَتَرَاتِ إِلَى وَتَرَاتٍ أُخَرَ مُؤَبَّدَةٍ بِأَعْلَى حَائِطٍ عَرِيضٍ مُرْتَفِعٍ عَنِ الْأَرْضِ ،
أَحَدُ جَانِبِي الْحَائِطِ مِمَّا يَلِي دَارَ الْقَصَبِ ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ إِلَى بَيْتِ آخِرِ سَمَى بَيْتِ
النُّوبِ ^(٣) ، وَهَلْ ذَلِكَ الْحَائِطُ رَجَالٌ جَالِسُونَ فِي مَقَاعِدَ أُعِدَّتْ لَهُمْ ، وَبِأَيْدِيهِمُ السَّكَاكِينُ
الَّتِي يَنْظِفُ بِهَا الْقَصَبَ ، وَالْوَتَرَاتُ الْمُؤَبَّدَةُ أَمَامَهُمْ ، فَيَجْمَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عِدَّةَ عِيدَانِ
مِنَ الْقَصَبِ ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْوَتَرَةِ ، وَيَقْطَعُهَا قِطَاعًا صَغِيرًا فَتَسْقُطُ فِي بَيْتِ النُّوبِ ^(٤) ،
ثُمَّ تُنْقَلُ مِنْ بَيْتِ النُّوبِ إِلَى الْحَجَرِ فِي أَفْرَادٍ تَسْمَى الْعِيَارَاتِ ^(٥) مُتَسَاوِيَةِ الْمَقَادِيرِ ،
فِيَوْضِعِ ذَلِكَ الْقَصَبُ الْمَقْطَعُ تَحْتَ الْحَجَرِ ، وَيَدْوَرُ الْحَجَرُ عَلَيْهِ الْأَبْقَارُ الْجِيَادُ فَيَعَصِرُهُ ^(٦) ،
وَيَنْزِلُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْمَاءِ فِي أَبْخَاشٍ فِي الْقَاعَةِ الَّتِي تَحْتَ الْحَجَرِ إِلَى مَكَانٍ صَنِكَ ^(٧)

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَدَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) لَمْ نَحْذِ هَذَا اللَّفْظَ بِالْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهُ فِي رَاجِعَتَاهُ . مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْفَاطِمَةِ ، وَهِيَ

يَنْظِفُونَ بِهِ نَفْتَحَ أَقْلَهُ ؛ وَيَسْمُونَهُ أَيْضًا : « الزَّمْزَمُوعُ » .

(٣) لَمْ نَحْذِ هَذَا اللَّفْظَ فِي رَاجِعَتَاهُ مِنَ الْمَطَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَقَدْ أَخْبَرَنَا بَعْضُ مَنْ لَمْ نَعْلَمْ بِالْمَعْرِضِ الْقَدِيمَةِ

لِقَصَبِ السُّكَّرِ أَنَّهُمْ يَسْمُونُ الْمَكَانَ الَّذِي يَغْسَلُ فِيهِ الْقَصَبَ قَبْلَ عَصْرِهِ بَيْتَ الْوَبَةِ ؛ فَلَعَلَّهُ اصْطِلَاحٌ لَمْ

(٤) الْأَفْرَادُ : أَوْعِيَّةٌ تَتَخَذُ مِنْ حَوْصٍ ، وَاحِدُهُ فَرْدٌ يَفْتَحُ فُسْكُورَ ؛ وَهُوَ لَفْظٌ شَائِعٌ فِي الْأَسْتِمْهَالِ بَيْنَ

الْعَامَّةِ فِي مِصْرَ ؛ وَلَمْ نَحْذِ هَذَا الْمَعْنَى فِي رَاجِعَتَاهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « الْقَبَارَاتِ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ أَذْ لَمْ نَحْذِ لَهُ مَعْنَى يَأْسِبُ السِّيَاقِ .

(٦) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ مِنْ صَدْحَةِ ٢٦٧ مِنْ هَذَا السَّفَرِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « مَضْنَك » ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فِي رَاجِعَتَاهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ بِمَعْنَى الضِّيقِ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ

كَأَنَّ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

مُعَدَّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت اَلْجَر نُقِلَ إلى مكانٍ آخر ، ثم يجعل في قفاف مُتَّخِذَةٍ من الحلفاء مَشْبَكَةُ الأسافلِ والجوابِ ، ويُبْقَى تحت دولاب التَّخْتِ ، وَيَدُورُ الدُولابُ عليه بالأعواد حتى يأخذ حَذَّه ، ويخرج ما بقي فيه من الماء ؛ ويجتمع ما تحَصَّلَ من ماء القصب من اَلْجَر والتَّخْتِ في مكان واحد ؛ ثم يُنْبَلُ ذلك الماء فيصْفَى من مُنْجَلٍ موضوعٍ في قفصٍ مُعَدَّ له ، وينزل ما يخرج إلى مكانٍ متصلٍ يسمونه البُهو ، له عِيسَارٌ معلومٌ محرَّرٌ ، فإذا امتلأ من ذلك الماء المصفى نُقِلَ إلى المطبخِ ، وصَفَّى تصفية ثانية في فِدْرٍ كبيرةٍ يسمونها الخابية يُصَبُّ فيها بعد التصفية جميع ما كان في البُهو ، وهو ستون مَطْرًا من ماء القصب ضريبة كلِّ مَطَرٍ نصف قطار بالليثي على التحرير — والرطل الليثي مائتا درهم — فيكون ما في الخابية ثلاثة آلاف رطل وهو ما كان في البُهو ؛ ثم يوقَد عليها من خارج المعصرة إلى أن يغلي الماء غليانا كثيرا ، وينقُصَ بقصا معلوما ، فعند ذلك يبطل الوقيد عنها ؛ فإذا سكن غليانها نُقِلَ ما فيها من الماء المسلوق في يقاطين كبار ، في كلِّ قرعة منها خشبةٌ منجورةٌ طويلةٌ كالساعد نافذةٌ في جانبي القرعة ، ويُصَبُّ في أكسية من الصوف (١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيما راجعناه من المصنفات ؛ والقاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف

عند أصحاب المعاصر .

١٥

(٢) عبارة الأصل : « السهولة عيار » الخ وهو تحريف . والبهو : حوض منى ينزل فيه ما يصبى من العصير كما أبانا بذلك من له علم معاصر القصب ؛ والقاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة ادلم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من المصنفات .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم في كتاب العرب والدجيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية ، ولم أرها فيما وقمت عليه من كتب اللغة اه . وفي هامش كتاب مناقب الأثر بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطاروعا معروف عند بعض أهل مصر .

(٤) في مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطار مائة وعشرون رطلا ؛ وفي هامش هذه الصفحة أنه يسع مائة رطل مصرى تقريرا . (٥) الوقيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

٢٠

تحتها دَنَانٌ بَكَارٍ فيصْفَى الماء منها تصفيةً ثالثة، ويستقر في تلك الدنان؛ ثم يُنْقَل من الدنان في دُسُوتٍ إلى القُدُور، فيطْبَخ فيها إلى أن يأخذ حِلَّه من الطبخ؛ ويحتاج كُلُّ حَجَرٍ إلى خابيةٍ وثمانى قدور لطبخ ما يُعْتَصَر تحت الحجر والتَّحْت؛ ثم يُنْقَل بعد طبخه في دُسُوتٍ من النُّحاس، ليكَلَّ دَسْتُ منها قبضتان من الخشب مسعورتان في أعلاه يقبض الرجل عليهما ليقياه حرارة الدَّسْت؛ ويَصَبُّ ذلك المطبوخ - ويسمَّى إذ ذاك المَحْلَب - في ألباليجٍ من المَخَارِ ضَيْقَةَ الأسائل، متسعة الأعان، مبخوش في أسفل كُلِّ أبلوجة منها ثلاثة أبحاش مسدودة بِقَشِّ القصب، وهذه الألباليجُ موضوعة في مكانٍ يسمَّى بيت الصَّبِّ، فيه مصاطبٌ مَبْنِيَّةٌ مستطيلة تشبه المداود، ويجعل تحت كُلِّ أبلوجة من تلك الألباليج قادوس يقطر فيه ما يتخلص من رقيق ذلك المَحْلَب - وهو العسل الفُطْر - ثم يَحْدُمُها الرجال بالكرانيب مرَّةً بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الألباليج، وهى تختلف، فيها ما يسع أكثر من قنطار، وأقل منه؛ فإذا امتلأت وتكاملت خدمتها وأخذت في الجفاف نُقِلَت من بيت الصَّبِّ إلى بيت الدفن؛ فعنق فيه على قواديس يَقْطُر فيها ما بقي من أعسالها.

(١) إطلاق الدسوت على القدور المتعددة من النحاس — كما هو المراد هنا — إطلاق عام شائع

الاستعمال في مصر وغيرها من بلدان المشرق اطرتاج العروس .

(٢) في الأصل : « رقيقة » ؛ وهو تحريف -

(٣) اطر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .

(٤) المداود : معالف الدواب، واحده « مذود » وزان منبر .

(٥) في الأصل : « المحلب » بالميم ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس .

(٦) في الأصل : « الكانيب » ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المعارف، واحده

كرنيب ؛ وهو لفظ عام شائع الاستعمال في مصر حتى اليوم، وفي مستندك الذاح : الكرنيسة : المعرفة،

مصرية .

(٧) لعل وجه سميته بيت الدفن أن الألباليج تستريح فيه وتوارى مدة حتى يقطر منها ما بقي من أعسالها .

وأما أوساخ الأقباب التي تنظف منها في دار القصب فإنها تعتصر على أنفرادها ،
وتطبخ بمفردها ، وتسمى الخابية ، وهي أردأ من غسل القصب .

ولما يتحصل من الاعتصار أسماءٌ ^(١) غيرها : منها الضرية ، ومنها ^(٢) الوضعة ، ومنها اليد ،
فالضرية عبارة عن ثمانى أيادٍ ، واليد ملٌ خابية ، والخابية ثلاثة آلاف رطل من
عصير القصب بالرطل اللبني كما تقدم ، فنكون الضرية أربعة وعشرين ألف رطل
من الماء ، يجمد منها مع جودة القصب وصلاحه من القد خمسة وعشرون قطارا
إلى خمسة عشر قطارا ، ومن الأعسال اثنا عشر قطارا إلى ثمانية قناطر ، ونهاية
ما يتحصل من العسلان القصب ثلاث ضرائب : منها قَدٌ وقَطْرٌ ضربتان ونصف
وعسلٌ خابية نصف ضريبة . مقدارها أربعة وعشرون قطارا بالمصري ، ومن الأقباب
ما يفسد فلا يجمد طيخٌ ، لأنه ولا يصير قداً ، فيطبخ عسلا ، ويسمونه المرسل .
وهذا الذى ذكرناه من الوضْع ^(٣) والمتحصل والتسمية اصطلاحٌ بلاد قوص
من الصعيد الأعلى بالديار المصرية ، وهو وإن اختلف في غيرها من البلاد فلا يبعد
من هذا الترتيب .

وأما أقباب الشام — فهي تختلف أوضاعها بحسب البقاع والواحي
والأعمال ، فمنها ما هو بالسواحل الطرابلسية والبيروتية والكويتية ، ولم اصطلاحٌ
في نصب الأقباب واعتصارها : فمنها ما يعتصر بخارج الماء ، ومنها ما يعتصر
بالأبقار ، ومنها ما يعتصر بالسهام ^(٤) ، وليس ذكرها وبسط القول فيها من المهمات التي
(١) يريد بالعبر المقادير ، لأنها تعبر ، أى توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضرية واليد فيما يأتى ، ولم ينف على تعيين مقدارها فيما بين
أيدينا من المطا .

(٣) فى الأصل : « الموضع » وهو يرمى مستقيم ، والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهام : الأعواد من الخشب .

تفتضى الانصباب إليها ^(١) ، والذي قدمنا ذكره أيضا من أمر أقصاف مصر هو على الحفيظة فلاحه ودولية ^(٢) ، وليس هو كتابة ، وهو للباشر زيادة على صناعته ، على أنه لا يستغنى عن معرفته والأطلاع عليه .

وعمدة المباشر في الاعتصار ضبط ما يتحصل ، وحراسته من السارق والخائن والمفرط ، ويلزم مباشر الاعتصار أن ينظم في كل يوم وليالة مخزومة ^(٣) بما اعتصر . وبما تحصل ، فإذا انتهى الاعتصار نظم عملا ^(٤) شاملا لجميعه على ما نشرحه في الأوضاع الحسابية .

والفند إذا جف وأخذ حده من البياض نُقل إلى مطابخ السكر ، فيحلّ بالماء ونىء من اللبن الحليب ، ويُطبخ فيصير منه السكر البياض ^(٥) والقطارة ؛ ويتحصل من كل قنطار من القند رُبعه وسدسه سكرًا ، وثلثه وربعه قطارة ؛ ومنه ما يُكرّر ثانيا ^(٦) فيصير في غاية البياض والفاء ، وقطارته تقارب قطر النبات ؛ ومنه أيضا ما يُطبخ نباتا ؛ وهذه أمور جمليّة يُستدلّ منها على المقاصد ، والمباشرة تشمل مالا يمكن إيرادُه في كتاب ، وتُظهر ما لا يكاد ينحصر بخطاب ، فلنذكر الأوضاع الحسابية .

(١) لعل صوابه : « الأنصراف » .

١٥

(٢) الدولة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المحرومة في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ ، فانظره .

(٤) تقدم بيان المراد بكلمة « العمل » في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتى في هذا السفر

الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض : أى ذوالبياض ؛ فوجه الرصف به ظاهر .

٢٠

(٦) في الأصل : « ذلك » ، وهو تحريف صوابه ١٠ أثبتنا كما يقتضيه سياق العبارة .

ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها

أول ما يحتاج إليه كل مباشر أن يضع له تعليقا ليوميته ، يذكر فيه تاريخ اليوم والشهر من السنة الهلالية ، ويذكر فيه جميع ما يتجدد ويقع في ذلك اليوم في ديوانه : من مُحَضَّرٍ ومستخرجٍ ومُجَرَّى ومُتَبَّاعٍ ومُبَاعٍ ومَسْبُوعٍ ومَصْرُوفٍ ، وما يتجدد من زيادات في الأجر والضمانات ، وعطيل ، وتقدير أجائر ، وترتيب أرباب استحقاقات على جهات ، وتزويل من يستخدمه ، وصرف من يصرفه من أرباب الخدم ، وغير ذلك بحيث لا يُخِلَّ بِنِءٍ مما وقع له في مباشرته قل أو جل ؛ وهذا التعليق هو أصل المباشرة ، فمن ضَبَطَ اليوم أنضبط ما بعده ؛ وكلُّ المباشرين في وضعه سواء ، يضع الشاهد فيه ما يضعه العامل ، فإذا كان في آخر النهار قبول على مجموعه بين المباشرين ، ويساق ما يحتاج إلى سياقته من العين والغلة والأصناف .

(١) المتابع : المشتري بفتح الراء . والمباع : الشيء المعروض للبيع . وهو من أعت السلعة — بالذلف في قوله — أن عرضتها لأن تباع .

(٢) التزويل : كلمة شاع استعمالها بين العامة في مصر بمعنى التولية والتصيب — أي في مقابلة العزل — فيقولون : « نزل السلطان فلانا في العمى وعزل فلانا عنه » ؛ وهذا هو المراد هنا أحدا من السياق . والتزويل في اللغة : الإحلال في المنزلة ؛ وما هنا منه .

(٣) في الأصل : « ما نقده » ؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهد هو الذي يشهد بمتعلقات البواب فنيا وإثباتا انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتي في هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال في ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذي يعلم الحسابات ويكتبها ؛ وقد كان هذا اللقب في الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتي في هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال في ذكر أرباب الوظائف .

- ثم يكتب العامل مخزومةً يورد فيها المستخرج والمُخَضَّر والمُجَرَّى والمصرف،^(١)
ويرفعها على عدة نسخ بحسب المسترفعين؛ وإن شأحه المسترفِعُ لزمه أن يوردها
فيما أورده في مياومته من سائر المتجددات والأحوال، فيصير بها المسترفِعُ الغائبُ
كالمباشر الحاضر، وتشمل المخزومةُ خطَّ مَنْ هو مباشرٌ: مَنْ ناطِرٍ مباشرةً فَمِنْ دُونِهِ؛
وقد قدمنا ذكرَ بسطِ الجرائد على الأموال والغلال، وكيفية خدمتها في الأصول؛
ونظير ذلك أن يسطَ أسماءُ أرباب الاستحقاقات وأرباب المصاريف تلو أصول
الأموال ومضافاتها، ويضع لكل اسم ما يستحقه: مشاهرةً ومسانهةً عينا وغلةً،
أو ثمنَ صنفٍ أو غير ذلك؛ ثم يشطب قبالة كل اسم ما قبضه مفصلاً بتواريخه من
جهة قبضه، لتسهل عليه بذلك محاسبته كل نفيرٍ عند الاحتياج إلى محاسبته كما شرحناه^(٢)
في الأصول؛ ولا بد لكل مباشرٍ من جريدة على هذه الصفة تشتمل على الأصل
والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(١) في الأصل: «والمصرف»؛ وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «شأحه» وهذا لما يجب فيه الإدام؛ وشأحه بتشديد الحاء، أى ناقشه؛ ومه
قولهم: «لا مشأحة في الإصلاح» أى لا مناقشة فيه ولا مازعة.

(٣) إطلاق الدر على الواحد كما هو المراد هنا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذي وجدناه فيما بين
أيدينا من كتب اللغة أن الدر الجلاء من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: إلى سبعة؛ ولا نصح إرادته
هنا كما لا يحسن.

ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم^(١)

وهي الختم والتوالي والأعمال والسيقات^(٢) التي تلك كلها شواهد الارتفاع :

فأما الختم — فنختص بجهات العين من سائر الأموال ، وكيفيتها أنه إذا

مضت على المباشر مدة لا تتجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام —

وما دون الشهر لا يقع إلا عند انفصال كاتب في أثناء الشهر أو اقتراح مقترح —

نظم حسابا سماه الكتاب في مصالحهم : الختم ، يشرح في صدرها ما مثاله بعد

البسملة : ختمه بملع المستخرج والمجبر من أموال الجهات ، أو المعاملة الفلانية

لأستقبال كذا ، وإلى آخر كذا ؛ ويذكر أسماء المباشرين فيقول : بولاية فلان ، ونظر

فلان ، ومشارفة فلان ، وكتابة فلان ؛ ويعقد في صدرها جملة على ما استخرجه في تلك

المنة وأجراه من أصول الأموال ، يفصل ذلك بسنيه ، ويشرحه بجهاته وأسماء أربابه

وتوارى محضره ومجراه ، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت

إضافته ؛ يبدأ بالخاص المساق إلى آخر المدة التي قبلها ، ثم يذكر ما لعله استخرجه

من الجهات التي ترد في باب المضاف ، وما ورد من أثمان المبيعات والمصالحات

والخدم ، وما لعله اقترضه ، وما لعله حصل من الموارد^(٥) الحشرية والمجتذبات

والتأدييات ، وما لعله اعتد به لمعاملة أخرى ونقل عليه ، إلى غير ذلك من أبواب

(١) في الأصل : « المخازيم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازيم في الحاشية رقم ٢ من

صفحة ٢٦٠ من هذا السمر ، فانظره .

(٢) في الأصل : « الذي ذلك » الخ والسياق يقتضي ما أئتمنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ؛ ولذلك وضعناها بين حطين .

(٤) « سلم » جواب « لإذا » ؛ والذي في الأصل : « وسلم » ؛ والواو زيادة من البائع .

(٥) تقدم تفسير الموارد الحشرية في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السمر ، فانظره .

(٦) « ونقل عليه » ، أي ونقل محسوبا عليه ؛ وإرادة المؤلف لهذا المعنى ستؤت له ذكر « على »

ممكن « إلى » التي هي مقتضى اللمعة .

٥

١٠

١٥

٢٠

المضاف على اختلافها . مما يطول شرحه لو استقصى ؛ ثم يفذلك على الأصل (١) والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقد ذكره بعد الفذلكة ، واستقر بالجملة بعده وإلا فالفذلكة بمفردها ؛ ثم يخضم تلك الجملة بما لعله حملة أو نقله على معاملة أخرى أو صرفه ، ويذكر الجمل بتواريخه ورسائله ، وأسم من حمل على يده ، والمنقول كذلك والمصرف بأسماء أربابه وتواريخه ، ثم يسوق إلى التحصيل إن أنطرد له حاصل (٢) وإلا فيقول في آخرها : ولم يبق حاصل فذكره .

وقد أفرح في بعض الممالك الشامية في بعض السنين على المباشرين أن يضمّنوا ختمهم ، ما يوردونه في الأصل من جهات الأصول — كلّ جهة من المستخرج والمجرى — الأصل محتوما والخضم مفصّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول في الأصل :
الجهة الفلانية في التاريخ الفلاني كذا [و] كذا درهما ؛ ويذكر تحت ذلك التاريخ خصم تلك الجملة ؛ وفي الخضم إذا ذكر اسم ربّ استحقاق وما وصل إليه في كل تاريخ يقول : التاريخ الفلاني ؛ ويعين جهاته ؛ ويشطب المسترفع الأصل على الخضم ؛ وفي هذا تضيق كثير على المباشر ، ولم يستقر ذلك ، وعادت الأوضاع على ما بيّناه ؛ هذا مصطلحهم في الختم ؛ والله أعلم .

وأما التوالى — فهي إذا أُطلقت أريد بها توالى الغلال ؛ وكيفيتها أنه إذا مضت مدة على ما قدمناه في شرح الختم نظم كاتب الجهة حسابا للغة أسمه التالى

٥٦

(١) يقال : فذل الحساب حسابه إذا أنهاه وأجله ؛ والفذلكة : جملة الحساب ؛ وهو لفظ منحوت من قول الحساب إذا أجل حسابه ؛ فذل كذا وكذا .

(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذى ذكرناه في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .

(٣) هذه الكلمة في الأصل مسموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدان إلى ما أثبتنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يُشرح في صدره بعد البسملة : تالٍ بما أنساق حاصلًا من الغلال بالجهة الفلانية إلى آخر المدة الفلانية ، مضافا مخصوصا إلى آخر كذا ؛ ويذكرُ أسماء المباشرين على ما تقدّم ، ثم يوصل في صدره ما أنساق إلى آخر المدة التي قبلها من الغلال على اختلافها ، ويفسر الغلال ^(١) بسنيها ، ويضيف إليه ما لعله أنضاف من متحصّل ^(٢) ومبتاع وقريض وغير ذلك ؛ ثم يفدك عليه ، ويذكرُ بعد الفذلكة ما لعله وقع من تبديل صنف بصنف لوجود ذلك الصنف وعدم غيره ، إما فيما قبضه أو فيما صرقه ، وما لعله أُبيع ^(٣) وُثِن ، وما لعله يُنقل من كيل إلى كيل ، ويستقرّ بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أُبيع ^(٣) وما استقرّ من الغلال بعد التبديل والتثقيل ، ويستخرج ثمن البيع بمقتضى ختمة تلك المدة ، وهي شاهده ؛ ويخصّم بالمحمول والمنقول والمصروف على اختلافه ؛ ويفصّل ذلك بتواريخه على ما شرحناه في الختمة ، ويسوق الحاصل من الغلة إن كان ؛ هذا مصطلحهم في توالى الغلال .

ولهم أيضا توالٍ يسمونها توالى الارتفاع — تشتمل على العين والغلة والأصناف ، ولا تعمل إلّا عند اقتراحها ؛ وصورتها أن يُوصل في صدر نالى الارتفاع ما أنساق آخر الارتفاع الذى قبله من الحاصل والباقي عينا وغلة ؛ ويفصله بسنيها ؛ ثم يضيف إليه ما استحقّ في تلك السنة أصلا ومضافا ، ويخصّم بالخصم السائغ المقبول ، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وباقٍ .

(١) « يفسر » ، أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحررى في درة القواص أنه يقال : « أنصاف » ؛ وقد ردّ عليه في ذلك ، ووردت هذه الصيغة في اللسان مادة « ملد » .

(٣) أبع بالالف في أوله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السفر .

ولهم أيضا توالى الاعتصار — وصورتها أن يُوصَل ما انساق حاصلًا آخر^(١) [المدة] على الاعتصار أو تاليه، ويضيف ما لعله تحصيل من قَطْرٍ وغيره، وبذلك عليه، ويكرر منه ويبيع، ويسنفز بالجملة، ويخضم، ويسوق إلى الحاصل.

وأما الأعمال — وهى تختلف — : ففنها أعمال متحصّل الغلال والتقاوى، وأعمال الاعتصار، وأعمال المبيع، وأعمال المبتاع، وأعمال الجوالى، وأعمال الخدم والتأدييات والحنائيات^(٢).

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيتها أن يشرح فى صدر العمل بعد البسملة ما مثاله : عَمَلٌ بما تحصيل من الغلال بالناحية الفلانية لمُغَلّ سنة كذا وكذا أخرجيّة، المدرك فى شهور سنة كذا وكذا الهلالية، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، ويوصَل فى صدره ما تحصيل من الغلال على اختلافها وأكلاها^(٣) مفصّلا بأسماء الفلاحين، ويضيف إليه ما لعله آستعاده من التقاوى والفروض أو حصّله من رسوم أو غير ذلك؛ وبذلك عليه؛ فمن الكتّاب من يسوقه بجمّله حاصلًا، ويخضم بمقتضى البالى؛ ومنهم من يخضم بما حمّله وصرفه فى مدّة تحصيله للمُغَلّ، ويسوق ما بقى إلى الحاصل، ويستغنى بذلك عن تالٍ انلك المدة.

وأما عمل الاعتصار — فصورته أن يترجم فى صدره بعد البسملة بما

مثاله : عَمَلٌ بما تحصيل من اعتصار الأقسام بالجهة الفلانية لأعتصار أفساب سنة

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والمعنى لا يضح بدونها؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق فى سطر ٣ من صفحة ٢٧٧ عد الكلام على توالى الغلال، فاهظه.

(٢) فى الأصل : « تال » ؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل : « الكتّائيات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى صفحة

٢٨٢ سطر ٧.

(٤) فى الأصل : « وما » ؛ والواو زائدة من السامع.

كذا وكذا الخراجية؛ ويقول في يَمْنَة العمل : عن كذا وكذا فدانا أو مَظَرَة^(١) إن كان بالأغوار ، أو قسما إن كان بالسواحل ؛ ويفصل القُدُن بما فيها رأسا وما فيها^(٢) خَلْفَة إن كان بمصر ، ومَقْنَطَرَا أو قَائِمَا^(٣) إن كان بالشَّام ، وبرز عن يَسْرته بكمية ما تَحْصَل فيقول : من أصناف الحُلوكذا وكذا قنطارا ، ويمَّصل ذلك بالقند والأعسال على اختلافها : من المرسل والقَطَر والحُر والأسطروس والمردودة؛ والمرسل هو من القصب الذي لا يجمد ولا يصير قندا . والقَطَر هو ما يتحصل من قَطَر أبالج القند . والحُر هو ما يتحصل من أطراف الأقباب ، وهذه الأطراف يسمونها بالشَّام : العيكون ، ولا يعصرونها ألبتة ، بل تُرصد للنَّصب ، فإنهم يستغنون^(٦)

(١) المنارة في الأصل : المرقبة . أى الموضع المشرف الذى يكون فيه الرقيب ، والمراد هنا : مقدار من الأرض ، يمكن للحارث الذى يجلس فى المطرة أن يراى ويعرس ما فيه من المروعات .

(٢) تقدّم بيان الرأس والحلمة فى ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السمر ، وانظره .

(٣) المقطّر : لفظ عام معناه الملقى على قطره أى جانبه ؛ يقولون : تقطّراى وقع ؛ وعريته تقطر بتشديد الطاء . انظر شرح الفاموس مادة (قطر) وشفاء العليل ؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المروع أو مرة وهو المسمى بالرأس فى مصر ؛ وذلك لأن طريقتهم فى زراعة القصب أن يصعوا قطعه فى الأرض ملفاة لا قائمة ، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذنا من السياق . وفى الأصل : «مقنطارا» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالنائم القصب الذى ينبت تاليا للقصب الأول ، وهو الخلفة ، وسمى قائما لأنه ساق من الخدور القائمة فى الأرض بعد قطع القصب الأول .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل فى هذا الموضع ، وبما يأتى بالشين المعجمة فى آخره مكان السين المهملة ؛ ولم ننف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المطايع التى بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا فى الكتب المدونة فى الألفاظ الدخيلة ، ولعله : «العكرل» ، تشبها له بمتكول الحلة ، وهو قوها .

(٧) تقدّم تفسير نصب القصب فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السمر ، وانظره .

بها عن العيدان، ومنهم من يسمّى الحُرّ المردودة . وأما الأسطروش ^(٢) : فهو ما يُعمل من جُرادة وجوه الأباليج حالّ الطبخ ، وما يتأخر على البوارى ^(٣) عند خلعه بالشّام .
 وأما الحالبية ^(٤) فهي ما يتحصّل من الأوساخ والرّيم ^(٥) . والمرسل ^(٦) والحُرّ والحالبية لا تُعرف بالشّام أبّنة ، وإنما يعرفون القطر والأسطروش ؛ ثم يذكر بعد ذلك تفصيل المتحصّل بجهانه إن كان بمصر - يفصل كلّ ساقية وفُذنها وما يُحصّل منها .
 من الضرائب - وتفصيل الأفضاب الرأس والخلفة ، ويذكر اسم الطّباخ ؛ ثم يبيع من عرض ذلك ويمنّ ، ويستقرّ بالجملة ، ويحمل ويصيرف ويسوق إلى الحاصل .

وأما عمل المبيع - فصورته أن يقول في صدره بعد البسملة : [عمل] ^(٦)
 بما يبيع من الغلال والأصناف بالجهة الفلانية لمدة كذا وكذا ؛ ويعقد على الثمن جملة ، ثم يفصلها بأصنافها ، يذكر عن يمنة القائمة الصنف ، وفي الوسط السعر .
 إن كان سعرا واحدا ، وإلا فيقول مكانه : بأسعار تُذكر ، وفي اليسرة الثمن ، ثم يفصله بأسماء مبتاعيه ؛ فإذا تكلّ ذلك أضاف ما أنساق له آخر العمل الذي قبله

(١) في الأصل : « الإيدان » ؛ وهو تحريف ؛ وسباق الكلام يقتضى ما أمّتها .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارى بتشديد الياء هي الحصر المسوجة من القصب ، واحده بورى وبارى ، فارسيّ معرب . وقوله : « عند حله » : أى عند اخراج السكر الحامد من القوالب التي يوضع فيها ؛ وكانهم كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكلّ جفاهه .

(٤) لم يذكر الحالبية في أصناف العسل التي سردناها فيما سبق ؛ ولعلها هي المرادة بالمردودة السابق ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالريم فصول الشيء وزوائده التي لا يعنى بها لحسها ، وفي كتب اللغة : الرّيم بهنج الراء : الزيادة والفضل ، والعامة في مصر بكسروا .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرشد إليه ما سبق في أعمال الغلال

وأعمال الاعتصار وما يأتي بعد ذلك من الأعمال .

من اثنان ألبيعات ؛ ويفصل ذلك بأسماء من تأخر عليه منها شيء إن كان ؛ ثم يفذلِك على الجملة ، ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويسوق إلى الباقي دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول في صدره : عَمَلٌ بالمبتاع بالجهة الفلانية من الأصناف التي تُدكر لمدة كذا وكذا ؛ ويعقد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يَمَنَة نصف القائمة . ويرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن ، وإلا فيقول : ما يُذكر ؛ ويشرح ما آتاه صنفنا بتواريخه ، وأسماء من آتاه منهم ، وأسعاره ، ويضيف إلى جملة الثمن ما علّه تأخر عليه من ثمن ما آتاه في العمل الذي قبله ، ويفصله بأسماء أربابه ؛ ويفذلِك على ذلك ، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويسوق إلى متأخر أو فائض إن كان قد سَلَف عليه [شيء] .

وأما عمل الجوالى — فيقول في صدره ما مثله بعد البسملة : عَمَلٌ بما وجب من مال الجوالى بالمعاملة الفلانية لسنة كذا وكذا الهلاية مخصوصا مساقا إلى آخر المدة ؛ ويوصل ما كان قد آسَتر من الأنفار على ما تقدّم ؛ ويضيف النوبات والطوارئ بأسمائها ومِللها ، وما علّه أنساق باقيا إن كان . وقلم يكون ، ويفذلِك

(١) يريد بالفاض : الزائد ، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثر حتى سال .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل يسع كلمة ؛ والدياق يقتضى اثباتها أو اثبات ما يفيد معاهاة .

(٣) الظاهر من سياق الكلام انه يريد بالمداملة : الساحرة والحجّه ؛ وسيأتى هذا اللفظ في مواضع أخرى من هذا السفر مراداً به هذا المعنى .

(٤) يريد بالأفكار : الأشخاص ؛ وإطلاق الصر على الشخص الواحد إطلاق عام ؛ ان لم نجد فيما راجعاه من كتب اللغة التي بين أيدينا ؛ وقد سبق التنبيه على ذلك في الحاشية رقم ٣٠٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر ، فانظره .

(٥) يشير بقوله : «على ما تقدّم» الى ما ورد في صفحة ٢٤٣ سفره من هذا السفر ، فانظره .

(٦) انظر تفسير النوبات والطوارئ في الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك ؛ ثم يذكر بعد الفذلكة من آهتدى بالإسلام ، أو هلك بالموت ، أو تَسَحَّبَ ^(١) إلى عملٍ آخر على ما قدمناه من الاختلاف في إيراد ذلك في هذا الموضع ، والاستثناء به في الصدر بالمتعدية أو بإيراده في باب المحسوب ؛ وكل ذلك سائق في الوضع ؛ ثم يستقر بالجملة بعد ذلك ، ويستخرج بمقتضى الختم ، ويسوق ما لعله أنساق إلى الباقي ؛ وإن عاد إليه متسحب أو نازح وبسببه وصول من مباشر عميل آخر اعتدله به ، وأوردته في باب المحسوب ، وفذلكه على الجملة .

وأما عمل الخدم والجنائيات والتأديبات — فصورته أن يوصل في صدر العمل بعد الترجمة عليه ما تعين من أموال الخدم أو ما تقرّر من الجنائيات والتأديبات ، يذكر فيه الأسماء والجرائم ؛ ويضيف إلى ذلك ما لعله أنساق قبل تقرير هذا المسال آخر العمل الذي قبله ؛ ويفذلك عليه ؛ ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويعتد بما لعله رُسم بالمساحة به مما كان قُتر ، ويسوق ما ينطرد بعد ذلك إلى الباقي ؛ فهذه هي الأعمال .

وأما السياقات — فهي مختلفة : منها سياقة الأسرى والمعتقلين ، وسياقة الكراع ، وسياقة العلوفات ، وسياقات الأصناف والعُدد ^(٦) .

١٥ (١) تسحب : أى هرب ، أحدا من السياق ، ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة في مصر .

(٢) يشير بـ «وله» : «على ما قدمناه» إلى الخلاف بين الكتاب المذكور في صفحة ٢٤٣ من هذا السفر ، فاطره .

(٣) في الأصل : «بالقدية» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا ، كما يرشد إلى ذلك ما سبق في صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : «وبها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

فأما سِياقة الأَسْرَى والمُعْتَقَلِينَ — فصورتها أن يُوصَلَ في صدرها عِدَّة من أنساق عنده إلى آخر المدة التي قبلها، ويفصلها بالمعتقلين وأسمائهم وجرائهم، والأَسْرَى ومِلَلِهِمْ وأَجْناسِهِمْ؛ ويضيف إليها ما لعله تجدد عنده من معتقل أو أسير، وبذلك عليها، ثم يذكر من أفرج عنه: إما بقتضى المراسيم «فيذكر نواريحها وأسماء من حضرت على يده، ومن تسلم المعتقل» وإما بالهداية إلى دين الإسلام من الأَسْرَى «فيذكر أسم المهدى وجنسه، ومن أى الملل كان، وتاريخ إسلامه والإفراج عنه، أو من قودى به، أو من تسحب^(١)، أو من هلك بالموت بعد اعتباره ما يجب اعتباره في الهالك، ويستقر بالجملة بعد ذلك؛ واستقرار الجملة هو الحاصل.

وأما سِياقة الكِرَاع^(٢) — فهي سِياقة تشتمل على الخيل والجمال والدواب والأبقار والأغنام؛ وصورتها أن يوصل الكاتب ما انساق عنده حاصلا آخر السِياقة التي قبلها؛ ويضيف [إلى] ذلك ما لعله آتباعه بتواريخه وأسماء من آتبع منهم، وما لعله تُنْجِج، وما لعله أُجْذِب؛ وبذلك على ذلك؛ ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نفق وتنبّل ودُخِيَ^(٣) ويستقر بالجملة على ما استقر من حيوان وجلود وئمن، ويصرف ويثقل ما لعله صرفه أو نقله، ويسوق إلى الحاصل.

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر.

(٢) الطاهر أن إطلاق الكِرَاع على الدواب التي ذكرها إطلاق اصطلاحى وإن في كتب اللغة التي بين أيدينا أن الكِرَاع اسم يجمع الخيل؛ ولم يقف على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام ويدل على أن هذا الإطلاق من مصطلحات الكتاب أن الخوارزمي ذكره في كتاب «مناجى العلوم» ص ٥٩ طبع أورنا في الكلام على مواضع كتاب ديوان الخراج.

(٣) عبارة الأصل: «و يصب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) نفق، أى مات.

(٥) فى الأصل: «تليل»؛ وهو تصحيف؛ وتنبّل بالبناء للجهول، أى اختير، يقال: فلان تنبّل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى للقتية. (٦) ذكرى، أى ذم.

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام ، ومعرفة أوقات نتائجها وما يكون منها توأمًا ، واستقبال النتائج لينضبط له نتائج النتائج .

- (١) وأما سياقة العُلوفات — [فصورتها] أن يوصل في صدرها ما صرفه على الكراع في المدة التي نظم لها السّياقة ، ثم يفصل ذلك كلّ صنف من الكراع وعدده في الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النوع في كلّ مدة ، في اليوم كذا . في المدة كذا ، والزيادة والنقص على حسب الاتفاق ، ويراعى في ذلك ما تضمنته سياقة الكراع ؛ وإن صرف عُلوفة لطاري لا يستقرّ عنده ميّزه في التفصيل من المستقرّ فيقول : المستقرّ كذا ، والطاري كذا إضافة إلى هذه السياقة ؛ ولا فداكة ، ويتجنب أن يصرف عُلوفة عن أيام نقص الشهور الهلالية ، وهي سنة أيام في السنة فإن ذلك من المخرج اللازم ، وكذلك أيام الربيع .

١٠

وأما سياقات الأصناف والزرد خاناه والعُدَد والآلات والخزائن والبيارات^(٤) — فإنه لا يمكن استيعابها لمؤلف كتاب ، وقبلها عُمِلت فيما كثر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرتد إليه ما سبق في السياقين

التي قبلها .

- (٢) في الأصل : « بعض » ؛ وهو تصحيف .

١٥

(٣) الزرد خاناه ، أى بيت الزرد ، وهو الدروع ؛ وفي صحيح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناه ، فقد قال عبد الكلام على السلاح خاناه مانصه : السلاح خاناه ومعناها بيت السلاح ، وربما قيل الزرد خاناه الخ .

(٤) البهارستان : لفظ فارسي استعمله العرب ، ومعناه مجمع المرضى ؛ وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين :

- « يار » ومعناه المريض ؛ « وستان » ومعناه الموضع ؛ وأول من صنعه أبتراط ، وسماه : (أخشندوكين)

٢٠

انظر شفاء الغليل .

ولأنما تعمل فيما قل من الأصناف؛ وصفتها إذا أمكن عملها أن يوصل ما عنده من الأصناف مفصلة، ويضيف إليها ما أتباعه أو ما وصل إليه، وبذلك على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة واستقرار الجملة ما يرد من الأبواب: من المتقل والمستهلك وغير ذلك على كثرته؛ وإذا استقصى ما يرد بين الفذلكة واستقرار الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضل الكتاب ومن له حذق بهذه الصناعة، واختلعت مباشرته ونكرت؛ فاذا ذكر ما وقع عنده استقر حيثنذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله؛ ثم يخصم بما يسوغ الخصم به، ويسوق إلى حاصله.

فهذه هي الختم والتوالي والأعمال والسياقات، وهي شواهد الارتفاع.

وأما الارتفاع — فهو العمل الجامع الشامل لكل عمل؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب في صدره بعد البسملة ما مثله: عمل بما اشتمل عليه ارتفاع المعاملة الفلانية لمدة سنة كاملة، أولها المحرم سنة كذا وكذا، وآخرها سلخ ذى الحجة منها، مما أعتمد في إيراد ذلك الهالئ والجوالى للسنة المذكورة، والخراجى والأقصاب لسنة كذا وكذا الخراجية، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، مفذلكا عليه، وما استقرت عليه الجملة، مخصوصا مساقا إلى حاصل، وما اعتد به محسوبا إن كان، وما أشتملت عليه فذلكة الواصل، وما أنساق إلى الباقي والموقوف في المدة؛ ويذكر أسماء المباشرين كما قدمناه في الختمة؛ وإن انفصل أحد من المباشرين

(١) في الأصل: «من القل» بصية المصدر، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «المستهلك» ولم يقل: والاستهلاك ويرشد الى ذلك أيضا ما يأتي بعد في صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال: «والمتقل من سنة الى سنة» الخ.

(٢) تقدم تفسير المعاملة في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السمر، فانظر.

(٣) في الأصل: «مخصوصا» وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

في أثناء تلك السنة وباشراً آخر بعده قال : بمباشرة فلان إلى آخر المدة الفلانية
وفلان بعده إلى آخر المدة ؛ ويقول في صدره عن يسرة نصف القائمة : ما بلغه من
الذهب كذا ، ومن الدراهم كذا ، ومن الغلات كذا ، ومن الأفصاب كذا ، ومن
الأصناف كذا ، ومن الكراع كذا ؛ يفصل ذلك بسنيه ، ثم يأخذ في تفصيل كل مال
بجهاته ، فيبدأ بمال الهلالى ، يذكر كل جهة ، وأسم مسأجرها أو ضامنها ، واستقبال
عقد إجارته أو تقريره ، ويوجب عليه في الشهر وفي السنة ، إلى أن يستوعب أبواب
الهلالى ، ويشطب في مسودته التى ينظمها لنفسه قبالة كل جهة ما استخرجه بمقتضى
ختم المستخرج ليقوم له ميزان كل جهة فى الباقي والفائض ؛ ولا يلزمه هذا العمل
فى الحساب المرفوع منه ؛ فاذا انتهت أبواب الهلالى ذكر الجوالى وأعتد فيها
كذلك ؛ ثم يذكر الخراجى ، ويفصله بأفلامه وجهاته مستقصى واضحاً جلياً ، ويعتمد
من الشطب قبالة كل جهة ما تقدم شرحه ؛ فاذا تحزرت له جهات الأصول قال :
وأضيف إلى ذلك ما وجبت إضافته ، ويعقد على المضاف جملة ، ويذكر أبوابه
يبدأ فيها بالخاص والباقي المساقين آخر العمل الذى قبله ، ويعقد عليهما جملة ، ثم
يقول : الحاصل كذا ، والباقي كذا ؛ ويفصل ما أمكن تفصيله من الحاصل بسنيه
ويفصل الباقي بجهاته وأسماء أربابه وسنيه وأسماء مباشريه إن أمكن ، ويشطب
فى مسودته قبالة كل أسم ما لعله استخرجه من عرض ما هو عليه كما تقدم ، ثم
يذكر جهات مضاف السنة الحاضرة ، يبدأ بما هو مستقر من الأموال التى ترد
[فى] جهات المضاف ، ويشطب قبالة كل أسم ما تقدم بيانه ؛ ثم يذكر بعد ذلك
ماله وصل إليه أو اعتد به : من الأموال والغلال على اختلافها ، وأثمان المبيعات

(١) فى الأصل : « الفاض » ؛ وهو تصحيب ؛ وقد تقدم شرح « الفاض » فى الحاشية رقم ١
من صفة ٢٨١ . (٢) فى الأصل : « المساق » بصيغة المفرد ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(١) والمواريث الحشرية والمجتهبات والخنايات والتأديبات والقروض والأصناف المتبعة، يستقصى أبواب المضاف على حسب ما ورد عنده منها في طول السنة بمقتضى ما ورد في الشواهد التي ذكرناها بحيث لا يخل منها بشيء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصل له، بل يتكلمه الكاتب على نفسه في حسابه لينتطرده نظيره الى الباقي، ويقوم به الميزان، وهو نظير التقاوى والقروض؛ وكُتاب الشام يفعلون ذلك دون كُتاب الديار المصرية، وهم على الصواب في إيرادها، لأن الكاتب اذا أوردَ نظيرَ التقاوى والقروض أنطرده الى الباقي نظير ذلك، وصح ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرده الى الباقي إلا بإضافة نظيره . فاذا أنطرده الى الباقي وجب إيرادها [في] المضاف في السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرجَ ويحصَّلَ؛ وكُتاب مصر يقتصرون في ذلك على أعمال التقاوى (٢) والقروض؛ والتحرير ما يورد كُتاب الشام في ذلك .

ومن وجوه المضاف الغريبة : المستعاد نظير المعاد، مثال ذلك أن يكون المباشر أحال ربَّ استحقاق على ضامن جهةٍ ببلغٍ بمقتضى وصول أجراه (٣)

(١) تقدم تفسير الموارث الحشرية في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩، نقلا عن صبح الأعشى فانظره؛ وقال المتعريزي في حفظه (ح ٢ ص ١١٠) طبع المعهد العلمي الفرنسي أنها هي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث؛ وقال قبل ذلك : إنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبه تورث ذوى الأرحام، وأن البت اذا اهردت استحققت المال بأجمعه، فلها اقرضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة الزكية صار من جملة أموال السائيات مال الموارث الحشرية الخ . (٢) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل الذر؛ وهي عامية .

(٣) الوصول بصيغة المصدر : هو الطاقة المعروفة عندنا بالإيصال؛ وقد سبق في الحاشية رقم ٢٠ من صفحة ٢٣١ من هذا السمران هذه الكلمة مولدة عامية انطرا شعاء العليل .

واعتدَّ به لضمان تلك الجهة ، واعتدَّ على ربِّ الاستحقاق ببلغه ، وقطع الباقي والمتأخَّر عنه ، وصدر حسابه بذلك ، فأعيدَ عليه وُصولُه في أثناء السنة الثانية فيئُل هذا تجب إضافته وإضافة نظيره ، فيكون خصمُ إضافته الأولى المعاد على الضامن ، وخصمُ الثانية الباقي المساق ، ويتكلَّل ربُّ الاستحقاق بنظير ذلك المبلغ في محاسبته — على ما يأتي بيانه في المحاسبات ؛ فاذا استوعب ما ورد عنده من أبواب المضاف فذلك على ذلك فيقول : فذلك الأصل وما أُضيف إليه ؛ ويعقد على الفذلكة جملةً ، ومعناها أن يصمَّ ما عَدَّ عليه الجملة في صدر الارتفاع الى ما عَدَّ عليه جملةً المصاريف ، فتشتمل الفذلكة على الجملتين ، ويفصل ذلك عينا وغلة وأصنافا وكُرعا على ما تقدَّم ، ويفصل ما هو متميِّز بسنِّيه ؛ وما لم يتميِّز كالحواصل من العين والكرَاع وغير ذلك يقول فيه : ما لم يتميِّز بسنة ؛ ويشرحه ؛ ثم يذكر الأبواب التي ترد بين الفذلكة واستقرار الجملة على اختلافها بحسب ما وقع عنده منها ، يبدأ بالصرف من نقدٍ إلى نقدٍ ، والمبدل من صنفٍ إلى صنفٍ ، والمثقل من سنة إلى سنة ، ومن كيلٍ إلى كيلٍ ومن وزنٍ إلى وزنٍ ، ومن عَدَدٍ إلى وزنٍ ، ومن وزنٍ إلى عَدَدٍ ، ومن صفةٍ إلى صفةٍ وما وقع من مبيعٍ ومُثْمَنٍّ ونافقٍ ومستهلكٍ ، وغير ذلك ؛ وقد جمع بعض فضلاء الكتاب جميع ذلك وأخصره في لفظتين فقال : هو عبارة عن منقولٍ ومعدومٍ ؛ وإذا نظرت إلى حقيقة هاتين اللفظتين وجدت جميع هذه الأبواب وإن كثرت مندرجة فيها ، كما أن جميع الكلام لا يتعدى أن يكون أسما أو فعلا أو حرفا ؛ فإذا انتهت هذه الأبواب قال : واستقرت الجملة بعد ذلك على ... ويذكر ما استقرت عليه الجملة بمقتضى

(١) في الأصل : « فاعتدَّ » ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « عنها » ؛ واللغة تقتضى ما أثبتنا .

قيام ميزانه، ويفصله بسنيه، ثم يقول : أستخرج من ذلك وتحصل ... ويذكر المستخرج بمقتضى الختم، فيشرح ما استقرت عليه جملة الختمة الأولى، وما أشتملت عليه فذلكها بعد وضع الحاصل من الجهة الثانية وما بعدها لئلا يتكرر عليه، ويحصل بمقتضى الأعمال والتوالي والسيقات على هذا الحكم، ويفصل المستخرج والمتحصل بسنيه، ثم يخصم ما أستخرجه وحصله، فيبدأ في الخصم بالتمثل من الأموال، والحمول من الغلال والأصناف، والمساقي من الكراع، ويتلوه ما لعله نقله على معاملة أخرى مفصلاً بأبوابه ومعقود الجملة على كل باب فيها، فإذا تكامل له الخصم في العين والغلة والمواشي والأصناف ساق ما تأخر من جملة ما أستخرجه وحصله إلى حاصل، ويفصله بالعين والغلة والصنف وغيره، فيكون ما حمله ونقله وصرفه وساقه إلى الحاصل خصم ما أستخرجه وحصله، ثم يذكر بعد سياقة الحاصل ما لعله ورد عنده من المحسوب على اختلافه : من عطلة، ويذكر أسبابها، وما لعله ثبت من الجوائح الأرضية والسائية بمقتضى المحاضر الشرعية إذا برزت المراسيم بالتمثل على حكمها، فيذكر كل جهة وأسم مستأجرها أو ضامنها، وتاريخ محضر الجائحة، وتاريخ المرسوم بحمل الأمر على حكمه، وجملة المبلغ المتروك بسبب ذلك، وما لعله سوح به من البواقي المساقاة، وغير ذلك مما هو داخل في باب

(١) لعل صوابه : « من الختمة » كما يرشد إليه السياق .

(٢) ذكر « على » مكان « الى » مع أن الفعل قبلها يقتضيه لإرادة المعنى السابق في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥، فأنظره .

(٣) في الأصل : « عنه » ؟ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد إليه التعبير بذلك في السطر الخامس من صفحة ٢٨٨، فأنظره .

(٤) عبارة الأصل : « ثبت من الجوائح الأصلية » وهو تحريف في الكلمات الثلاث ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق في صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السمر، فأنظره .

(٥) ينسب إلى السماء ويقال : « سماءى » هل لفظها « و « سماءى » بالواو اعتباراً بالأصل (المصباح) .

(٦) أنظر تفسير المحصر في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر .

المحسوب ؛ وسائر المسامحات تَرِدُ بعد سياقة الحاصل ، وتَرِدُ في أماكن ذكرها بعد إن شاء الله تعالى ؛ فإذا استوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب في بابه قال بعد ذلك : فتلك جملة المستخرج والمتحصّل والمحسوب ؛ ويعقد عليه جملة يفصلها بسننها وأعلامها ؛ ويسمّون هذه الفذلكة فذلكة الواصل ؛ وما بقى بعد ذلك مما استقرت عليه أجملة بعد هذه الفذلكة تعيّن سياقته إلى الباقي والموقوف ، فيطرده باقيا وموقوفا ، أو باقيا بغير موقوف ، معقود أجملة ، مفصّلا بالسنين والجهات والأسماء والمباشرات ، ويميز ما يُرجى استخلاصه وتحصيله منه وما لا يرجى ؛ وما أنعقد عليه الباقي والموقوف وأشتملت عليه فذلكة الواصل هو خَصْمُ ما استقرت عليه جملة الارتفاع .

- ١٠ . وأما الحواصل المعدومة المساقة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها ، وإنما يُوردها الكتابُ حفظا لذكرها ، كالحواصل المسروقة والمنهوبة — فإنه إذا رُسِمَ بالمساحة بها فقد اختلفت آراء الكتاب في إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يسوغ ، ومنها ما لا يجوز فعله ، ونحن نذكر أقوالهم وطرقهم في ذلك ، ونوضح ما يجوز منها وما لا يجوز ، ونذكر ما ينبغي أن يُسلَك فيها : فن الكتاب من يرى أن ينقل هذا الحاصل بين الفذلكة واستقرار أجملة من الحاصل إلى الباقي ، ولا يورده في باب المستخرج ، ويطرده إلى الباقي ، ويورده في باب المسموح بعد سياقته الحاصل ؛ وهذا لا يجوز ، وفي إرادته على هذا الوجه غلطٌ وسوءُ صناعة ، لأن الحاصل لا يجوز نقله إلى الباقي ، والباقي أيضا ، فلا بد أن يكون بأسم إنسان أو أناس ، فإن ساقه باقيا باسم مباشره فقد أتى بغير الواقع ، وعرض المباشر إلى الغرامة ، ولا يفيد ،^(١) إذ مرسومُ المساحة يتضمّن المساحة بحاصل معدوم ، وقد أنتقل هذا من تسمية الحاصل إلى الباقي .

(١) في الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

(١) ومن الكتاب من يرى استثناءه من جملة المستخرج، ثم يورده أيضا [في] باب المسموح؛ وفي هذا أيضا ما فيه من نقله من الحاصل إلى غيره تسمية، فإنه لا عبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقي والموقوف؛ وإن نُقل فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلها إلى تسمية أخرى ألبتة؛ فهذه الوجوه لا تجوز في صناعة الكتابة.

(٢) وأما الذي يجوز في هذا فوجوه : منها أن يكمله الكاتب في باب المستخرج من ذلك، ويخصم إلى نهاية المصروف، ويقول قبل سياقة الحاصل : ما نُقل رُسم بالمساحة به عن الحاصل المعلوم المساق بالقلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسوم تاريخه كذا؛ ويشرح مقاصد المرسوم، وسبب عدم الحاصل، وجملة؛ ويكتفي بذلك عن إيراد في باب المسموح؛ ويعقد جملة الخصم على الحمل والمصروف والمسموح به.

ومنها أنه إذا ساق الحاصل بعد الحمل والمصروف يقول : من جملة كذا بعد مآمنه. أو سوح به عن الحاصل المعلوم والمساق بالقلم؛ ويشرح ما تقدم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك.

(٥) ومنها أن يستثنى عند ذكر المضاف، فيقول عند إضافة الحاصل ما صورته! الحاصل المساق إلى آخر السنة الحالية من جملة كذا بعد مآمنه ما عُد في تاريخ كذا

(١) في الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « فرجوة » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفي هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لا يستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتي في السطر الأول والثاني من صفحة ٢٩٢ ، فأنظره .

(٤) في الأصل : « والموصوف » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « عن » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد : « فيقول عد » الح .

وَوَرَدَ فِي سِيَاقَاتِ الْحَاصِلِ حِفْظًا لَذِكْرِهِ، وَرُسِمَ بِالْمَسَاحَةِ بِهِ بِمَقْتَضَى مَرْسُومٍ شَرِيفٍ تَارِيخُهُ كَذَا؛ وَبَعِيْنٌ جَمَلَةً الْمَسْمُوحَ بِهِ، وَهِيَ جَمَلَةُ الْمَعْدُومِ، وَيَبْرُزُ بِمَا بَقِيَ، وَيَسْتَنْتِيهِ أَيْضًا مِنَ الْمُسْتَخْرَجِ عِنْدَمَا يَسْتَشْهَدُ بِالْحَتْمِ وَالتَّوَالِي وَالْأَعْمَالِ.

فَهَذِهِ صُورَةُ نَظْمِ الارتفاعِ وَشَوَاهِدُهُ الَّتِي قَدَّمْنَاهَا قَبْلَهُ، وَالْأَرْتِفَاعُ هُوَ جُلُّ الْعَمَلِ، وَقَاعِدَةُ الْكَتَابَةِ، وَالْجَامِعُ لِسَائِرِ مَا يَرِدُ فِي الْمَعَامِلَةِ.

وَإِنْ أَنْفَصَلَ الْكَاتِبُ أَثْنَاءَ السَّنَةِ لَزِمَهُ أَنْ يَنْظِمَ لِمَا مَضَى مِنَ السَّنَةِ فِي مَبَاشَرَتِهِ حَسَابًا يَسْمُونَهُ بِالشَّامِ الْمَلَخَّصِ، وَبِمَصْرِ التَّالِي، وَهُوَ نَظِيرُ الارتفاعِ فِي نَظْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَكُونُ لِمَا دُونَ السَّنَةِ، وَالْمَلَخُصُّ عِنْدَ الْمَصْرِئِيِّ هُوَ الارتفاعُ، وَيَلْزَمُ الْكَاتِبَ الْمَبَاشِرَ بَعْدَهُ عَمَلٌ مَلَخُصٌّ أَوْ تَالٍ يَتْلُوهُ لِمَا بَقِيَ مِنَ الْمُدَّةِ، ثُمَّ يَعْمَلُ جَامِعَةً عَلَى الْمَلَخَّصَيْنِ أَوْ التَّالِيَيْنِ، وَهُمَا شَاهِدَاهَا ^(٢)، وَيَسْتَفْنِي الْكَاتِبُ فِي إِيرَادِ الْمُسْتَخْرَجِ وَالتَّحْصُلِ وَالْمَصْرُوفِ عَنِ الِاسْتِشْهَادِ بِالْحَتْمِ وَالتَّوَالِي وَالْأَعْمَالِ، وَيَسْتَشْهَدُ بِهِذَيْنِ الْمَلَخَّصَيْنِ فَيَقُولُ: مَا تَضَمَّنَهُ مَلَخُصُّ مُدَّةٍ كَذَا وَكَذَا ^(٣) [كَذَا] وَمَا تَضَمَّنَهُ مَلَخُصُّ مُدَّةٍ كَذَا وَكَذَا كَذَا، وَقَدْ تَكُونُ الْمَلَخُصَّاتُ أَكْثَرَ مِنْ أَثْنَيْنِ بِحَسَبِ الِاسْتِبْدَالِ بِالْأَعْمَالِ ^(٤).

١٥ (١) فِي الْأَصْلِ: «و»؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي الْعُطْفَ «بِأَوْ» كَمَا أَثْبَتْنَا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «شَوَاهِدُهَا»؛ وَقَوَاعِدُ اللَّغَةِ تَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا؛ إِذْ بِهِ تَحْصُلُ الْمَطَابَقَةُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ.

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا كَمَا يَرُشِدُ إِلَى ذَلِكَ وَرُودُهَا فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي يَمْدُهَا.

٢٠ (٤) الظَّاهِرُ أَنَّ الْبَاءَ هَا مَعْنَى «و» الطَّرْفِيَّةِ، أَيْ بِحَسَبِ اسْتِبْدَالِ الْعَمَالِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي الْأَعْمَالِ.

ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — وتختلف :

فإنها محاسبة أرباب النقود الجيشية والمكيلات والجاميكات^(١) والجرايات ،
وأرباب الوظائف والرواتب والصلات عما هو مستقر مشاهرة أو مسانحة ؛ وهذه
المحاسبة تنظم من الجريدة المبسوطة على أسمائهم ، المشتملة على كمية استحقاقاتهم ،
المشطوبة بقبوضهم ؛ وصورة عملها أن يقول الكاتب : محاسبة لأرباب النقد والمكيل
والقرارات والجاميكات والرواتب والصلات بالمعاملة الفلائية لاستقبال مدة كذا ،
والى آخر كذا ؛ ويعقد جملة صدرها على ما يستحق لهم في تلك المدة المعينة من عين
وغلة وأصناف ، ويضيف الى تلك الجملة ما تأخر لهم الى آخر المدة التي قبلها ،
ويذلك على ذلك ، ويقبضهم ما صرفه لهم بمقتضى ختم المدة وأعمالها وتواليها ،
ويعتد عليهم بما لعله أنساق فائضا على من قبض منهم زيادة على استحقاقه في المدة
التي قبلها ، ثم يطرد ما أنساق لهم الى متأخر ، وما أنساق عليهم الى فائض ، ثم يفصل
ذلك بالأسماء ، فيضع الاسم ويذكره واستحقاقه في الشهر وعن المدة ، ويضيف
اليه ما لعله تأخر له إن كان ، ويفذلك عليه ، ويخصم قبضه ، ويسوق إلى متأخر
إن بقي له ، أو فائض إن زاد قبضه على استحقاقه ؛ ومن كان منهم قد تعجل قبل تلك
المدة زيادة على استحقاقه استحق له ما وجب له في المدة ، واعتد عليه بما أنساق
فائضا ؛ وما لعله صرفه له في تلك المدة ليسوقه إلى متأخر أو فائض ، يفعل ذلك
في جميع الأسماء .

(١) قد سبق تفسير الجاميكات في الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ ، فانظره .

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات : الاستحقاقات ؛ وقد ورد لفظ «القرار» في كتاب قوانين الدواوين

صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التي ورد فيها ، فانظره .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السمر .

(٤) في الأصل : «ويسوقه» ؛ والواو زيادة من النسخ فإن السياق يأبأها .

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرًّا مباشرةً عملها لسنة، وإن انفصل قبل استكمال السنة أو أقرحها مقترحًا عليه لزمه عملها؛ والله أعلم .

ومنها محاسبات أرباب الأجر والاستعمالات^(٢)، ويعتمد الكاتب فيها نظير تلك، إلا أنه لا يستحق لكل نفي^(٣) إلا بمقدار عمله، ويضيف إليه ما لعله تأخره ويفذل عليه، ويخصمه بالقبض والاعتداد بالمسلف إن كان؛ وهذه المحاسبة على منوال تلك، إلا أنها تعمل بمفردها .

١٢

ومما يلزم الكاتب رفعه ضريبة أصول الأموال ومضافاتها عن كل سنة كاملة، يذكُر فيها كل جهة من جهات المهللى، وأسم مستأجرها أو ضامنها، ومبلغ إيجارها أو تقرير ضمانها مشاهرةً ومسانة، واستقبال العقد، وتاريخ الحجّة المكتتبه به، ويشطب قبالتها أسماء كُفلاء ضامين الجهة؛ ويذكُر الجوالى ويفصلها بالأسماء والمِلل، ويفصل الخراجى بجهاته وأقلامه، والأحكار بأسماء أربابها؛ وإن كان بتلك المعاملة شيء من نواحى الخالص

(١) فى الأصل: «اثبات»؛ وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه ما سبق فى صفحة ٢٩٣ سطر ٢ من هذا السمر .

(٢) لعل صوابه «والعالات» بصم العين، كما يقتضيه عطفه على الآخر؛ والعالة: ما يأخذ العامل من الأجر على عمله .

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السمر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر فانظره .

(٥) فى الأصل: «قلا»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فإنه لا بد لضمين كل جهة من كفيل يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر، فانظره .

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره .

ذَكَرَ كُلَّ نَاحِيَةٍ ، وَأَسَمَ رَئِيسَهَا ، وَحُدُودَهَا وَعَدَّةَ فُذْنِهَا الرُّومِيَّةِ وَالكَادِيَّةِ وَالْعَاطِلَةِ ،
وَأَسْمَاءَ مِنْ بَهَا مِنَ الْفَلَاحِينَ الْقَرَارِيَّةِ ، وَمَا يُبْدِرُهُ كُلُّ فِدَانٍ مِنَ الشَّتْوَى وَالصَّيْفِ ،
وَرَبْعَهُ فِي الثَّلَاثِ سَنِينَ الْمُقْبِلَةِ ^(٥) وَالْمُتَوَسِّطَةِ وَالْمَجْدِبَةِ ، وَشُرُوطَ الْمَقَاسِمَةِ ، وَمَا عَلَى كُلِّ
فِدَانٍ مِنَ الْحَقُوقِ وَالرُّسُومِ ، وَمَا بَهَا مِنَ الْمَطْلُوقِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ جِهَاتِ الْعَيْنِ
وَمَا عَلَيْهَا مِنْ الْخِدْمِ وَالضِّيَافَاتِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهَا بِحَيْثُ لَا يَنْجَلُ بَشْيٌ مِنْ
جَمِيعِ أَحْوَالِ الْقَرْيَةِ ، بَلْ يَوْضَحُهَا لِإِضَاحَا شَافِيَا كَافِيَا حَتَّى يَعْلَمَ الْغَائِبُ عَنْهَا جَلِيَّةً
أَمْرَهَا كَالْحَاضِرِ فِيهَا .

فَإِذَا تَكَامَلَ ذِكْرُ جِهَاتِ الْأَصْلِ فِي هَذِهِ الضَّرِيَّةِ ذَكَرَ جِهَاتِ الْمُضَافِ الرَّابِتَةِ
كَالْخِدْمِ وَمَا يَنَاسِبُهَا ، وَذَكَرَ فِي آخِرِهَا مَا تُتَعَيَّنُ لِإِضَافَتِهِ مِنَ الْمُتَوَفَّرِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْعَلَّةِ
عَلَى آخْتِلَافِ ضَرَائِبِهِ ؛ وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ تَكُونُ فِي ضِيَاعِ الشَّامِ .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) لم نجد للقط الرومية معنى يناسب سياق الكلام ، ولعل صوابه « الردمية » بفتح فسكون ،
أى الأرض التى فيها الردم ، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به الدبل عند فيصاه فى كل سنة ، وهو
مُخَصَّبٌ لِلْأَرْضِ وَصَلَحَ لِزَرْعِهَا ؛ وَاسْتِعْمَالَ هَذَا اللَّعْطِ فِي ذَلِكَ شَائِعٌ بَيْنَ الْعَامَّةِ فِي مِصْرَ ؛ وَالَّذِى فِي كُتُبِ
اللُّغَةِ أَنَّ الرِّدْمَ هُوَ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْجِدَارِ الْمُتَهَدِّمِ .

(٣) فى الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ والكادية من الأرض :
التي يبطئ نباتها .

(٤) القرارية ، أى المقيمون ، نسبة الى القرار .

(٥) فى الأصل : « المعتلة » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ ويريد بالمقابلة
السنة التى تقلل بالنبات ، أى تحجب به .

(٦) تقدّم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر ، فانظره .

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقصة بعض حروفها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ويلزمه رفع المؤامرات - وتُسمى ضرائب المستقرّ إطلاقه - وهي تشتمل على أسماء من هو مرتبّ على تلك المعاملة : من ربّ نقدٍ ومكِيلٍ ومقرّرٍ وصدقة ، يذكّر اسم كلّ واحد واستحقاقه مشاهرةً ومسانهةً ، ويعقد على ذلك جملةً في صدر المؤامرة مشاهرةً ومسانهةً ؛ فإن كان في حصن ذكر في صدر الأوراق عدّة أرباب الاستحقاقات ، ثم يفصلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخرجية والأبجية وغيرهم .

ويلزمه رفع ضريبة ما يستأدى من الحقوق ، يذكر فيها ما يستأديه ضامن كلّ جهة من رسومها وحقوقها ، وما لعله يستأدى بالدُّروب من الخفر ، وغير ذلك من سائر ما يستأدى من حقوق تلك المعاملة ، وما لعله يُقتطع من أرباب النقود والمكيلات وغيرهم من الوفّر والمقتطع على اختلاف الضرائب ، بحيث لا يخلّ بشيء منها ، لتعلم بذلك أحوال تلك الجهة ، فلا يمكن للضمان أن يستأدوا زيادة على ذلك ، لما فيه من تجديد الحوادث على الرعية .

(١) في الأصل : « ومولد » ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه ما أضنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معاني هذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعنا من النكبات التي بين أيدينا ، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركية القديمة فأحرنّا أنّ المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحما ونحو ذلك من المأكولات ؛ ويرجع ذلك عطف الأبجية عليه .

(٣) المراد بالأبجية الذين يقبضون استحقاقهم نقوداً ، وهو نسبة إلى الأبجة ، وهو لفظ تركي يراد به نوع من النقود ، كما في معجمات هذه اللغة . والذي في الأصل : « والأخعة » بدون ياء النسبة ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) « من الخفر » بيان « لما » يريد من أجرة الخفر ، وهو الحراسة .

ومما يلزمه رفعه في كل سنة تقدير الارتفاع — وهو الارتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلًا ولا باقيا، ولا يفصل فيه الجوالى بالأسماء، بل يعقد الجملة في صدره على ما يستحق بتلك المعاملة من جهات الأصول والمضاف، ويخصم بالمرتّب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض، ليظهر بذلك ميزان تلك الجهة .

هذا ما يلزم المباشر رفعه مشاهرةً ومسانهة .

ويلزمه في كل ثلاث سنين رفعُ الكشف الجديشة، يذكر فيها أسماء النواحي العامرة والغامرة، والعُدُن الكادية^(٢) والعاطلة وما تقدم شرحه في الضريبة: من ذكر البذار والرّيع والشروط والمطلق وغيره؛ ثم يذكر المتحصل منها في ثلاث سنين لثلاث مُغلات، يعقد على ذلك جملة، ويفصله بسنيه وأقلامه، ولا يخل بشيء مما بكل ناحية من الحقوق الديوانية والإقطاعية، ويعقد في صدر الكشف جملة على عدة النواحي وعدة العُدُن، وجملة جهات العين والغلة، مفصلاً بالمعاملات^(١)؛ هذه هي الحسابات اللازمة .

وأما المقترحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما اقترح مما يكون سائغ الاقتراح تمكن العمل لزم الكاتب عمله .

وحيث آتينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « الكادية » ، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ،

وقد تقدم تفسير الكادية في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم
وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدُّ^(١) أو المتولَّى — فالذى يحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ
أصول الأموال والمرتبُّ عليها ليعلمَ حالَ المعاملة، وما بها من الخالص، أو عليها من
الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالخاص والباقي والفائض والمتأخر، ليعلمَ أحوالَ الناس^(٢)
ومحاسباتهم، ويعلمَ تَمَنِّيَ يَطْلُبُ وإلى من يصرف؛

والذى يلزمه عمارة البلاد، واستجلابُ من نزع منها، وإقامة السطوة، وإظهارُ
المهابة والحرمة، وتسهيلُ السُّبُل، وإقامة الخُفراء عليها، وتشديدُ منار الشرع
الشريف، والتسوية بين القوى والضعيف؛

١٠. ويلزمه استخراجُ الأموال من سائر جهاتها ووجوهها المستحقة في مباشرته،
والبواقي التي رُفعت إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباقي الدرهم الفرد؛ ومتى
أنساق في مباشرته شيءٌ لزمه؛

ويلزمه تقريرُ الجلبايات والتأدييات على أرباب الجرائم لتتحسم بذلك مَوادُّ
المفسدين.

- ١٥ (١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .
(٢) في الأصل : « والمتأخر » بالجم؛ وهو تصحيف .
(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمنسحقة هنا • المطلوبة منها الحقوق ، يقال : « انسحقت »
إذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .
(٤) في الأصل : « الجلبايات » بالباء ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عند مباشرة الى استرفاج ضرائب أصول الأموال ومضافاتها، والمستأدى من الحقوق، وضرائب^(١) بما استقر إطلاقه، وأوراق الحاصل والباقي، وأوراق الفائض والمتأخر، وتقدير الارتفاع، والكشوف الجيشية، ويطلب بخازيم المياومة لاستقبال مباشرته، والخيم والتوالي عند مضى^(٢) المدة، والأعمال وسائر الحسابات المتقدم ذكرها في أوقاتها، وما لعله يقترحه مما يسوع اقتراحه ويمكن عمله؛

والذي يلزمه الاجتهاد في عمارة نواحى الخاص، وتمييز الجهات ونموها، والنظر في أحوال المعاملات، وإزاحة أعذارها، وتقرير قواعدها، واختبار من بها من المباشرين، والكشف عن أحوالهم، وكتب^(٣) كل واحد منهم بما يلزمه مباشرة وعملًا، ويتصقح ما يرد عليه من الحسابات الصادرة عنهم؛ وينظر فيما يتجدد من أحوال المعاملات وما يطرأ من الحوادث على اختلافها مما لا يحصره ضبط، بل هو بحسب ما يقع؛ وإنما جعلنا هذه الإشارات أئموذجًا يستدل بها على ما بعدها؛

ويقيد بحطه الاستدعاءات والإفراجات والمراسيم والتواقيع وغير ذلك مما جرت به العادة : من الكتابة بالمقابلة والثبوت والتجعية والاعتداد وغير ذلك .

(١) صرائب المستقر إطلاقه : هي التي تسمى عند الكُتاب بالموازمات ، كما سبق ذلك في صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها ، فانظره .

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ .

(٣) لعل صوابه : « وتحتها » كما يقتضيه العطف على « تمير » .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٥) في الأصل : « وكشف » وهو لا يستقيم مع قوله بعد : « بما يلزمه » . ولعل صوابه ما أثبتناه والمعنى أنه يكتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليه التبعة دون غيره فإما قصر فيه .

(٦) في الأصل : « التجهية » وهو تحريف لامعنى له ؛ وما أثبتناه هو المناسب لاصطلاحات الكتاب .

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع ما يسترفعه الناظر من المعالم خاصة، وليس [له] أن يسترفع الارتفاعات ولا شواهدا، فإن استرفعها لزمه من دركها^(١) ما يلزم المستوفى؛ وهو يكتب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادة على ذلك: وهى الترجمة على التذاكر والاستدعاءات، والكتابة على تواقع المباشرين بأخذ خطوطهم عند استخدامهم، والكتابة على محرراتهم بالتخليد، والكتابة على تذاكر المخرج والمردود الصادرة عن مستوفى العمل بأن يجيب المباشر عنها بما يسوغ قبوله، والكتابة بقبول الجواب عند عوده إن كان سائغا، والكتابة على الحساب الصادر عن المباشرين بتخليده [في] ديوان الاستيفاء بعد أن يتصفحه وتظهر له سياقه^(٢) أوضاعه؛ وكل عمل لا يكون له صاحب ديوان قام الناظر بهذه الوظيفة إلا الكتابة بقبول الحساب.

١٠

وأما مقابل الاستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد في ديوان الأصل — فله أن يسترفع المعالم لنفسه في كل سنة، ويسترفع نتيجة الحسابات اللازمة التي تصدر إلى الديوان العالى بالباب الشريف، ويضبط^(٣) ياممة المجلس، ويكتب على ما يكتب عليه المستوفى، ويكتب على الحسابات الواصلة من جهة المباشرين بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [في] ديوان الاستيفاء، ويسد بقلمه^(٤) تواريخ التذاكر والمراسيم، ويتصفح ما يصدر عن المستوفى من المخرج والمردود

١٥

(١) الدرك : التبعة .

(٢) فى الأصل : « سباعة » ، وهو تصحيف .

(٣) ضبط هذا اللفظ فى اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم ؛ وفى المصباح أنه من باب ضرب .

(٤) كما ورد هذا اللفظ هنا وفى ص ٣٠٢ من ١١ من هذا السمر ؛ ولم تقف على المعنى الاصطلاحي .

الذى يريد تحجاب الدواوين به .

ويطالب بحمل ما ثبت منه، ويطالب أرباب الخطوط والبُذول بما يُستحق عليهم ^(١) ويُنيب شاد الدواوين عنه ^(٢)، ويكتب في كل يوم بما يطلب به، وإذا لم يكن للديوان مقابل قام المستوفي بوظيفته .

وأما المستوفي — فله أن يسترفع سائر الحسابات اللازمة، وما تدعو إليه حاجته من المقترحات في المدد المأصية والحاضرة مما يمكن عمله، فإذا صار الحساب إليه مشمولاً بخط صاحب الديوان بتخليده ومؤرخاً بحضوره بخط المقابل تصفحه وآستوفى تفاصيله على حمله أصلاً وخصماً، وشطب ما يحتاج إلى شطبه — كل عمل على شواهد — ونخرج ورد ما يتعين تحريكه ورده، وكتب بذلك مطالعة تعرض على المقابل، فإذا وافقه عليها عرضت على صاحب الديوان وكتب بالإجابة عنها، ثم يطلب المباشر بالإجابة عما تجب الإجابة عنه، وإضافة ما تجب إضافته ^(٣) [إلى حساب المدة التالية لتلك المدة، وحمل ما يجب حمله] وتكون إضافته في الحساب منسوبة إلى قلم مستدركه، وإن أنحر استيفاء الحسابات وشطبها وتحريك ما يلوح فيها ومضت عليها مدة يمكن فيها العمل، كان

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبُذول : الذين يكتب لهم من السلطان ببدل شيء من الإقطاعات ونحوها .

(٢) شاد الدواوين هو شخص يكون رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك؛ والعادة أن يكون أمير عشرة . انظر ص ٤٢ في شرح وظيفة شاد الدواوين .

(٣) في الأصل : « عليه » ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٥) في الأصل : « ونرج » وسبق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما يرشد إليه ما ورد في قوانين الدواوين صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن ، في الكلام على المستوفي إذ قال : « وإن طهر أنه لم يبق عليه وجوب مال أو استرفاع حساب أو آخر ما يجب تقديمه ، أو أهمل ما يعين تحريكه » الخ .

ما يتعين فيها لازماً له إذا عُنْتُ^(١)، وإلا فتلزمه إعادة مآتآوله من الجامِكية^(٢) عن تلك المدة، ويطالب مَنْ صدر عنه الحساب بما يلزمه ؛

ويتعين على المستوفي^(٤) أنه إذا رُفِعَ إليه حسابُ معاملة تأمل خطوط المباشرين^(٣) على عاداتهم، [و] نظر فيه بعد ذلك ، فإن تغيرت عن العادة، فإن كان زيادة تأكيد فلا بأس، وإن كان بإخلال مثل أن يكتب الشاهد على الحساب بالمقابلة، وعادته • أن يكتب : «الأمرُ على ما شِرح» يلزمه الكشف عن موجب ذلك ؛

ويلزم المستوفي ضبطُ مياومة المجلس، وكتابةُ الكشف بخطه والتذاكر ونسخ المحررات، وتعيين الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة، وعليه نظم جوامع التقدير بعد عمل موازينها وتحريرها وشطبها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامع^(٦) الحواصل : من العين والغلال والكراع^(٧) والأصناف المعدودة والموزونة والمذروعة^(٧) والسلاح خاناه والأعد والآلات وغير ذلك، يسُد على ما أمكن سُدّه جملة، وما لا يمكن نثره أقلاماً يستشهد فيها بما رُفِعَ إليه من جهة المباشرين، وكذلك يعتمد في جامعة البواق، يعقد عليها جملة، ويفصلها بمعاملاتها وجهاتها وسنيتها وأسماء

(١) عت بالبناء للجهول ، أى شدد عليه وأريد به العت ، وهو المشقة .

(٢) تقدم شرح الجامكية في الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فاطره . ١٥

(٣) « تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم » . أى نظر فيها مطابقاً لها على عاداتهم في الكتابة .

(٤) في الأصل ، « نظر » بدون واء؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) « فيه » ، أى في الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب « انظر مفاتيح العلوم للحوارزمي » ، وانظر سياقة الكراع في صفحة ٢٨٣

من هذا السفر . ٢٠

(٧) المذروعة ، أى المقيسة .

مباشريها ، وما يُرجى منها وما لا يُرجى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يَعتمد في جامعة الفاض والمتأخر وغير ذلك من الجوامع ؛

وعليه عمل ما يُطلب من الأبواب من المقترحات والمطاولات ؛

و يلزمه عمل المقاييسات وفوائد المتأخر، وغير ذلك من لوازم قلم الاستيفاء ؛
 ٥ و يلزمه محاسبات أرباب النقد والكيل المرتين على ما تعين بقلم الاستيفاء، فيحاسبهم على استحقاقاتهم، ويعتد عليهم بما ثبت مما عينه لهم بقلمه ؛^(١)

و يلزمه التنبيه على خوالص المعاملات وطلبها : ^(٢)حَمَلًا الى بيت المال، أو حَوَالَةً على ما يعينه بقلمه ؛

و يلزمه تحريج تفاوت المدد والمحلولات وغير ذلك ؛^(٣)^(٤)

١٠ و يلزمه التفريع بما يصل اليه من الحَوَطات الجيشية لوقته على ما جرت به العادة.^(٥)

ووظيفة الاستيفاء كبيرة ، كثيرة الأعمال ، لا تنحصر لوازمها في كتاب ، وإنما هي بحسب الوقائع .

فاذا انفصل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقة من حسابه الذي آسرفه أو وضعه بقلمه ، ويتلقاه المباشر بعده .

(١) في الأصل : « ويعتمد » ، والميم زيادة من النسخ .

(٢) في الأصل : « جملا » بالميم ، وهو تصحيف .

(٣) « تفاوت المدد » ، أى ما توفر من الأموال عما فات من المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين

ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، انظره .

(٤) يريد بالمحلولات : الانقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

(٥) لعل صوابه : « التعريف » .

(٦٥)

وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عند مباشرته معاًلم الجهة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائب وتقدير وحاصل وباقي وفايض ومتأخر وغير ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل ، وله انختم عليها ؛ وهو مطلوب بنظم سائر الحسابات اللازمة والمقترحة إن تسحب العامل أو مات ، ومع وجود العامل إن كان قد آلتزم عند مباشرته العمل ؛ وتلزمه المبالغة مع العامل على الحساب الصادر عنهما ، وسياسة التعليق معه ، والكتابة على الوصولات والحسابات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يطلب به العامل من المخرج وغيره .

وأما الشاهد — فيلزمه ضبط تعليق المياومة ، والكتابة على الوصولات والحسابات ؛ ومتى فقد العامل والمُشارِف لزمه رفع الحساب اللازم دون المقترحات ؛ ولا بد له من جريدة مبسطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذكر ما يحتاج إليه كل مباشر من ضبط تعليق المياومة وبسط الجريدة وخدمتها في الأصل والخصم أولاً فاولاً ، والتهيئة لذلك وأن من أهمله فقد قصر في مباشرته وأخل بوظيفته ؛ والعامل أخرى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدمين ، لما هو مطلوب به من نظم الحسابات وموقعه من

- (١) يريد بالتقدير ، تقادير الأرزاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الأرتفاع في صفحة ٢٩٧ ١٥ من هذا السفر ، فانظره . والذي في الأصل : « مقادير » بالميم ؛ وهو محريف .
- (٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .
- (٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .
- (٤) في الأصل : « مياومة التعليق » وفي هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من السامع ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما سبق في سطر ٨ من هذه الصفحة ومواضع أخرى من هذا السفر .
- (٥) في الأصل : « ومتوقعه » ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عملِ المقترحات والأجوبة عن المخرج والمردود ، وأنه هو الملتزم^(١) لذلك دون غيره وأنه لا يلزم من سواه شيء من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيص قواعد هذه الكتابة والمباشرين وأوضاعهم ولوازمهم والأوضاع الحسابية وغير ذلك من معالم المباشرات ، مجلًا غير مفصل ، وبعضها من كل ، وقليلًا من كثير ، إذ لو استقصينا ذلك لطلال وتعدّر لاختلاف المباشرات والوقائع والأوضاع والآراء ؛ واقصد حصل الاجتماع لجماعة من مشايخ أهل هذه الصناعة ممن اتخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طعن في سنه ، وما منهم إلا من يُحبر أنه يستجدله في كل وقت من أحوال المباشرات ما لم يسمع به قبل ، ولا طرأ له فيما سلف من عمره ؛ فكيف يمكن حصر ما هو بهذه السبيل ؟ ! وفيما نبهنا عليه مَقْنَعُ لطالب هذه الصناعة ، والعمدة فيها على الدربة والمباشرة ، وقد قيل :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها وإلا فنص العلم عندك ضائع^(٢)

كل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنویری

— رحمه الله تعالى — ويليهِ الجزء التاسع وأوله :

ذكر كتابة الحكم والشروط

(١) في الأصل : « بذلك » ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن « الترم » يتعدى بالباء .

(٢) « يستجد » بكسر الجيم ، أى يجدد ؛ وفي المصباح أن استجد قد يستعمل لازما .

(٣) لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : « طرأ له » والذى وجدناه أنه يقال :

« طرأ عليه » ؛ ولعله ضمن « طرأ » معنى « وقع » فعذاه باللام مكان « على » .

(٤) في الأصل : « منك » ولا يستقيم الوزن به ؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا .

استدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه، بدت لنا في تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى نرتجحها على ما كتبناه أولاً في حواشيه فرأينا أن نستدركها في آخره خدمة للعلم ونثميما للفائدة .

ص ٦٠ س ٩ «بنوء المرزم» وكتبنا على قوله : «المرزم» ما نصه : المرزم : «من أرزم الرعد اذا اشتد صوته» اهـ

ومع صحة هذا الصبغ واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدم فإننا نرتجح أن يضبط : «المرزم» بكسر الميم وفتح الزاي ، وهو من نجوم المطر قال في اللسان : «المرزمان . نجمان من نجوم المطر، وقد يفرد» .

١٩٣ ١١ «من ضريبة وموافرة» وكتبنا على قوله : «وموافرة» ما نصه : «في الأصل : «وموامرة» بالميم ؛ وهو تحريف» اهـ

وقد بدا لنا بعد أن للفظ «المؤامرة» معنى مصطلحاً عليه بين كتاب الدواوين ، ونصح إرادته في هذا الموضع . فقد ورد في مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : «المؤامرة عملٌ تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج اليه من استثمار واستدعاء توقيع» اهـ وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء .

٢٠٢ ٥ «والبدول» ؛ وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا» اهـ

ويظهر لنا أن البدول في هذا الموضع جمع بذل ؛ والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصه وأجناده ؛ وقد نبهنا على هذا المعنى في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١ ، فانظروه .

- ص ٢٠٢ ٨ «مقبلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «في الأصل : «مقبلة» ، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدة عليه الخ» .
- ٢٠٣ ١ «ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرى المعاملات» ولم نفسر لفظ المعاملات في هذا الموضع ، وقد فسرناه في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ ، فانظره .
- ٢٠٤ ١٣ كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسية معاه لابس انظر المعجم الفارسي الإنجليزي تأليف ستاين جاس مادة (كشيدن) .
- هذا ما كتبناه في تفسير هذا اللفظ ؛ وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزرد كاشية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢
- ونحن نرجح هذا المعنى ونؤثره على الأول .
- ٢٢٩ ٣ قوله : «فإن تعذر فبالوجه» وكتبنا في تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه ، أى إن تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنيا» اه
- وقد بدا لنا بعد ذلك في تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجحه على الأول ، وهو أن الكفالة بالوجه هي أن يصمر الكافل إحضار المكفول بوجهه ، أى بذاته ، إذا طُلب منه أن يُحضره ؛ بمعنى العبارة إذن أنه إن تعذر الكفيل بالمال قبلت الكفالة بأن يُحضر الكافل شخص المكفول .

إصلاح خطأ

ص	س	خطأ	صواب
٤٦	١٤	ذِكْرَ	ذَكَا
٦١	٢٢	حاضرة أى سابقة	حاصّره، أى سابقه
««	««	التفّصل	الفضل
١٢٣	١	ونرجوا	ونرجو
١٢٨	٥	ونرجوا	ونرجو
١٣٢	١٦	كان كان صحيح	كان صحيح
١٣٣	٥	نرجوا	نرجو
١٤٤	١٨	أت	إن
١٦٥	١٣	أثارك	آثارك
١٨٧	٢	الرّضى	الرّضا
٢٠٤	١٣	والزّرد كشيّة	والزّرد كاشيّة
٢٠٨	٢	وأقدر	وأقدرُ

ن - ن

۱۹۲۵۷۹

آخری درج شدہ تاریخ پو بہ کتاب مستعار^{جلد ۸}
لی کٹی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرا نہ لیا جائے گا۔

۱۲۵۶۹

ن - ن
جلد ۱
۸۹۲۵۹
الفیوی اشتیاب الدین احمد
نہایتہ الارب فی فنون الادب ب

۱۔ اگر کسی نے کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۲۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۳۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۴۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۵۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۶۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۷۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۸۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۹۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔
۱۰۔ اگر کوئی شخص کسی کو دیکھا تو اس کو فوراً اس کی اطلاع دی جائے۔

